

جامعة بغداد

تاريخ
العراق في العصر السلجوقي

رسـالة

حازت درجة الشرف الاولى من جامعة الاسكندرية

ساعدت جامعة بغداد على نشره

منشورات المكتبة الاهلية في بغداد

مطبعة الارشاد

١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م

الدكتور حسين أمين
جامعة بغداد

تاريخ



رسالة

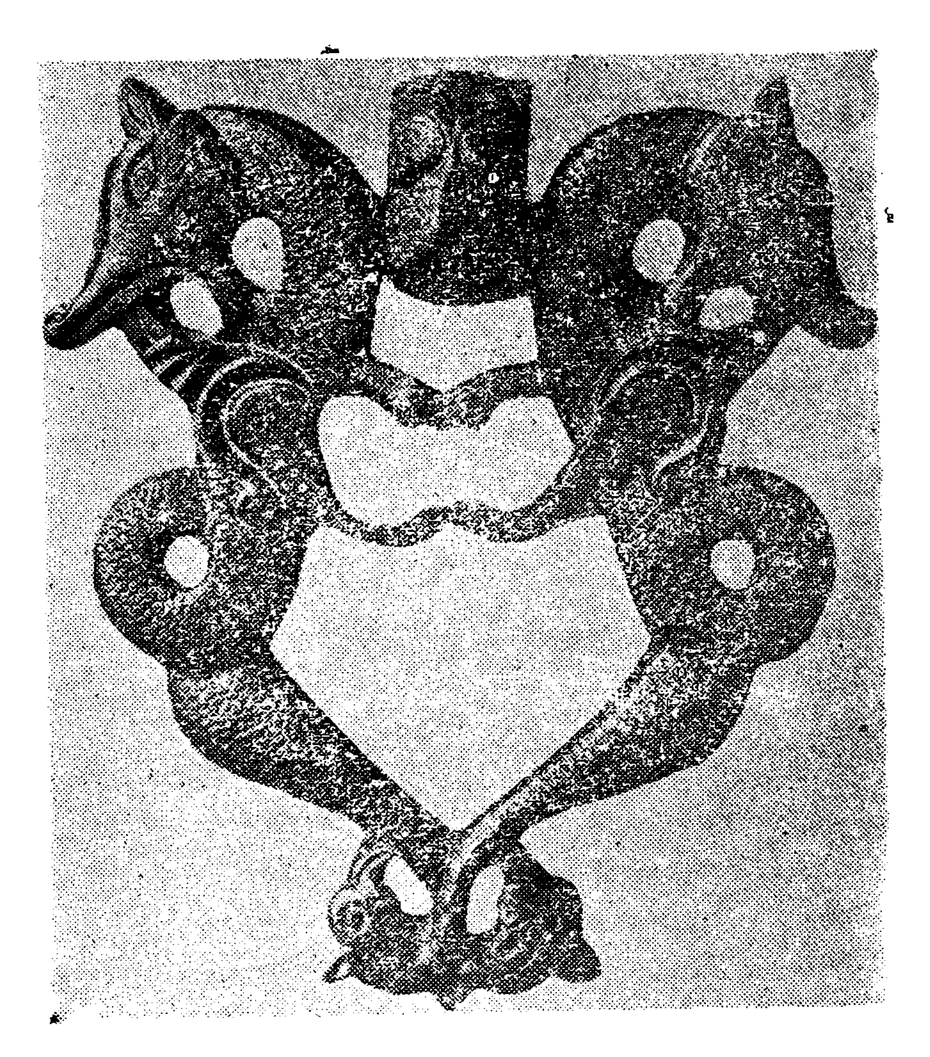
حازت درجة الشرف الاولى من جامعة الاسكندرية

ساعدت جامعة بغداد على نشره

من منشورات المكتبة الاهلية
لصاحبها : السيد شمس الدين الحيدري

مطبعة الارشاد

١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م



شكل ١ : مطرقة باب من البرونز من العراق في القرن الحادي عشر الميلادي
(في متحف برلين)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

العراق ، وادى الرافدين ، مهد الحضارات القديمة ، وعلى ربوعه بزغت شمس المدنية فى أول أدوار التاريخ الانسانى ، ومرت بالعراق أدوار وعصور كان خلالها مرة يعلو ويستقل ويسود ، وأخرى ، يكون تحت رحمة الفاتحين والمستعمرين ، والمتنفذين الطامعين ، وكان للعراق نصيب عظيم فى بناء الحضارة الانسانية قديمها وحديثها ، خاصة فى عصوره الاسلامية الزاهرة •

وقامت فى العراق الدولة العباسية ، وأصبحت بغداد قبلة العالم الاسلامى ، وترعرعت فيها الآداب والعلوم والفنون ، كما شيدت فيها المساجد والمدارس ، ودور العلم والمكتبات والمستشفيات ، وشيدت فيها القصور والدور ، وازدهرت فيها الحدائق والبساتين •

وسرعان ما تدخل الغرباء فى الجهاز الحكومى العباسى وتسنموا المناصب الكبيرة واخذوا يعملون على أن يستحوذوا على السلطة ويجردوا الخلافة من امتيازاتها وخصائصها ، فوقعت الخلافة تحت وطأة النفوذ التركى بعد خلافة المعتصم الذى اعتمد على الاتراك وادخلهم فى الجيش العباسى وبعد أن تمادى الاتراك فى ازدرائهم للخلفاء وفى استهتارهم فى الحكم وايغالهم فى العمل على اضعاف الدولة ، برزت قوة البويهيين فى المشرق وتقدمت جحافلهم الى العراق على زمن الخليفة العباسى المستكفى بالله ، وكان دخول البويهيين الى بغداد ، نقطة تحول كبير فى سياسة

الدولة العباسية فقد وقعت الخلافة تحت وطـأة النفوذ البويهي والحـكم واستمر حـكم البويهيين للعراق من سـنة ٣٣٤ هـ ـ ٤٤٧ هـ وبعـدها دخل السلاجقة بغداد وازالوا الحكم البويهى سنة ٤٤٧هـ ١٠٥٥م •

أن الفترة التي حكم فيها السلاجقـة العراق فترة غامضـة يشـوب اخبارها التاريخية الاضطراب ، كما ان هذه الفترة بالذات لم ينبر لدراستها شخص عربي ليقدم للمكتبة التاريخية العربية دراسة موضوعية مفصلة عن العراق في هذا الدور من حياته التاريخية •

واني قد وجدت لزاما على أن أقوم بدراسة هذا العصر المضطرب من تاريخ بلادي جامعا الحقائق التأريخية من مصادرها الاصيلـة العربيـة والفارسية وغيرهما من المراجع الاجنبية •

واتشرف بتقديم هذا المجهود العلمي الذي هو حصيلة استقصاء وبحث سنين عديدة ، يشرفني ان اقدمه الى القارىء العربي ، دراسة موضوعيـة جديدة لفترة من تاريخ العراق ـ مهد الحضارة والمدنية •

وارجو ان أكون قد وفقت في بحثي هـذا ، فـان اصبت فواجب هداني الله الى انجازه واتمامه وان وقعت في بعض الخطأ والسهو ، فما أنا الا انسان لم يعصمني الله عز وجل من النقص والتقصير ، اسأله تعالى ان يوفقنا في بحثنا ويبعدنا عن الهوى وزلل اتباعـه ، ولي ثقـة بحسن الظن وسعة الصدر ، ما يطمعني بطلب العفو ان بان مني تقصير او ظهر في بحثي قصور •

والله ولي التوفيق •   **حسين أمين**

بغـداد ١٩٦٥

الفصل الأول

حالة الخلافة العباسية قبل دخول السلاجقة الى العراق

الفصل الأول

حالة الخلافة العباسية

قبـــل

دخول السلاجقة الى العراق

تحديد معنى العراق • الاديان السائدة • العناصر المستوطنة في بلاد وادي النهرين • قيام الدولة العباسية • التدخل التركي • ظهور التقطع في الدولة العباسية • ضياع هيبـــة الخلافـة • الاضطراب في أواخر العصر التركي • ظهور بني بويه • أصلهم ونسبهم • بداية الهجمات البويهيـــة على أملاك الدولة العباسية • حاكم واسط يكاتب البويهيين • دخول البويهيين بغداد • الخليفة يخلع على احمد بن بويه ويلقبه معز الدولة • اهـــانة البويهيين للخليفة العباسي • تفكير البويهيين في نقل الخلافة الى العلويين • تنصيب الطائع • الخليفة العباسي لعبة بيد البويهيين • السلطـــان البويهي يسلب سلطات الخليفة • أسباب العـداء بين الخلفاء والبويهيين • سياســة البويهيين أمام الجمهور • اصلاحات البويهيـــين • الاقطـاعات البويهيـة ونتائجها السيئة • افلاس الخزانة • ادخـال البويهيين للعناصر التركية • السياسة العنصرية والطائفية ومضارها • سوء الاوضاع • ظهور العيارين • حركة العيارين حركة وليدة الظروف الاجتماعية • مبادىء العيـــارين • صلة الفتوة بحركة العيارين • معنى لفظة عيار • أعمال العيارين التخريبية • درجات العيارين • استعانة الدولة بالعيارين • انسلاخ بعض البلاد مـــن جسم الدولة • أعمال عضد الدولة البويهي • المارستان العضدي • دار العلم • استبداد الامراء البويهيين • الرشاوي في تقليد الوظائف • ضعف الخلافة • الاسباب التي أدت الى عدول البويهيين عن نقل الخـــلافة الى الفاطميين • المجتمع في بغداد • النزاع بين السنة والشيعة • أفول نجـــم بني بويه • ظهور دولة السلاجقة •

العراق من المواطن الحضارية ، بزغت في ربوعه شمس المدنية ، منذ أقدم العصور • وجدير بنا قبل أن نخوض في موضوع البحث وهو العصر السلجوقي في العراق ، أن نتعرف على معنى كلمة العراق والعناصر البشرية التي كانت تقطنه وأهم الديانات السائدة بين السكان •

تكاد تجمع معاجم اللغة العربية على أن معنى « العراق » شاطىء البحر ، جاء في تاج العروس : العراق جمع عراق ، بالكسر : لشاطىء البحر على طوله • نقله الليث وهو ككتاب وكتب • وقال : وبه سمي العراق عراقا ••• والعراق شاطىء الماء أو شاطىء البحر خاصة • زاد الليث طولا ، أي على طول البحر ••• قال أبو زيد : كل ما اتصل بالبحر من مرعى فهو عراق•• لأن العراق بين الريف والبر أو لأنه على عراق دجلة والفرات ، أي شاطئهما[1] •

وجاء في معجم البلدان[2] : قال قطرب : انما سمي العراق عراقا • لأنه دنا من البحر وفيه سباخ وشجر[3] • وقال الخليل : ـ العراق شاطىء البحر وسمي العراق عراقا لأنه على شاطىء دجلة والفرات مدا حتى يتصل بالبحر على طوله • قال الاصمعي : هو معرب عن ايران شهر وفيه بعد عن لفظه ، وان كانت العرب تتغلغل في التعريب بما هو مثل ذلك ، وقال أبو عمرو : سميت العراق عراقا لقربها من البحر ، قال وأهل الحجاز يسمون كل ما كان قريبا من البحر عراقا •

ويعتقد الباحث هرسفلد : أن العراق معرب لفظ ايراك الايراني ومعناه البلاد السفلى أو الجنوب ، وكانت أنحاء واسط الى خليج فارس

---

(١) الزبيدي : تاج العروس جـ٧ ص٩

(٢) ياقوت : معجم البلدان (مادة عراق) •

(٣) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد جـ١ ص٢٤ ، يبدو ان ياقوت الحموي اعتمد في هذا التفسير على ما ذكره الخطيب •

عائدة الى هذا القسم من ديار الدولـــة الساســانية ، وفي مفاتيـــح العلوم للخوارزمي وتاريخ حمزة الاصفهاني ، ايران العراق • ولا جرم أنهـــا غلط • والصواب ـ ايراك ـ (بالكاف الفارسية) ـ ولكنهم لم يعرفوا معنى ايراك وألفوا لفظة ايران ، فصحفوا ايراك بايران ، كما أن ابدال الهمـزة من العين أمر شائع • وجاء في نص الافستا كلمة « ايرانستان » وهو اسم كورة واقعة بين فيروزاباد وخليج فارس • وكان يجب أن تقرأ ايراكستان بالكاف الفارسية وما ايراكستان الا العراق[1] •

هذه خلاصة الآراء التي قدمت في هذا الموضوع ، اضافة الى وجـود رأى آخر يقول : أن أصـل كلمـــة العراق انما مأخوذ من ارك المدينـة السومرية القديمة • الا أنني في الحقيقة أرجح الآراء الاولى ، أي تفاسير المعاجم العربية لأصل الكلمة ، لصحة معناها ومبناها اللغوي وانطباقه عـلى وضع العراق الجغرافي ، وأرجح أيضا أن العرب الذين أطلقوا هذا الاسم على العراق لانطباق ما تعنيه هذه اللفظة على صفة العراق الطبيعية • أمـــا رأى الاستاذ هرسفلد فاعتقد أنه بعيد عن الحقيقة ، وكان على الاستاذ هرسفلد أن يتتبع كلمة العراق ومتى اطلقت على هذا الاقليم فان المصادر القديمـــة كلها لم يرد فيها لفظ العراق ولم يرد أيضا كلمة ايراكستان التي يعتقـــد هرسفلد أن المقصود بها العراق ، جاءت ليقصد بها العراق ، وان أكثـــر الرحالة والمؤرخين أطلقوا على العراق « بلاد ما بـــين النهرين » وأرض بابل ، وبلاد أشور • فالتتبع التاريخي لتداول الكلمة أمر مهم في تحقيق انتشار اللفظ ، وعليه فان كلمة العراق على ما أرجحه كلمة عربية بحتة ، انتشرت بانتشار العرب في العراق وأصبحت متداولـــة بشكل واضح في العصور الاسلامية •

---

(١) مجلة لغة العرب : جـ٤ ص٤٤١ـ٤٤٣ مقال للاستاذ البحاثـة هرســفلد •

أما الرأى الاخير وهو أن أصل كلمة العراق من ارك او الوركاء السومرية فهذا مالم تثبته الحقائق بعد ، ولا أدرى لماذا اختار الناس كلمة « ارك » لتطلق على العراق علما أن هناك مدنا أقدم من ارك وأشهر منها ، فمن حيث الشهرة اشتهرت بابل ونينوى وأشور وأور وغيرها من المدن العراقية القديمة ، ويخيل لي أن وجود التشابه بين كلمة العراق وكلمة ارك القديمة هو الذي جعل بعض الباحثين من يعتقد بالصلة هذه[1] .

أما من حيث تحديد العراق في العصر الذي نحن بصدد دراسته فان الجغرافيين المسلمين وغيرهم كانوا يلتقون بعض الشيء في التحديد ويختلفون في بعض النقاط . والطبيعة قسمت سهل ما بين النهرين الذي اتخذ الفرات ودجلة فيه مجريهما الى قسمين : الشمالى و (هو مملكة أشور القديمة) ومعظمه مراع تغطى سهلا حجري الاصل . والجنوبي و (هو بلاد بابل القديمة) وأرضه رسوبية خصبة يكثر فيها النخيل وتسقيها أنهار الري . وقد سمى العرب ما بين النهرين الشمالي بالجزيرة والجنوبي بالعراق[2] .

وكانت لفظة كلمة « السواد » قرينة لكلمة العراق ، قال الخطيب البغدادي : وانما سمى السواد سوادا لأن المسلمين قدموا يفتحون الكوفة فلما أبصروا النخل قالوا ما هذا السواد[3] ، فكلمة سواد أصبحت مدلولا على الاراضي الزراعية التي تشمل الاراضي الخصبة المكونة من جراء ترسبات مياه دجلة والفرات ، وأصبح يراد بها اقليم بابل جميعه

(١) انظر لفظ عرق في معجم البلدان فان له مدلولا جغرافيا في التضاريس الصحراوية .

(٢) لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ص٤٠

(٣) الخطيب البغدادي : جـ١ ص٢٤

ويجمع الجغرافيون على أن السواد يمتد من العلث[1] وحربى[2] شمالا الى الخليج الفارسي جنوبا ومن حلوان[3] شرقا الى العذيب[4] بجوار القادسية غربا[5] .

أما حدود العراق فانها تكاد تكون منطبقة لحدود السواد مع اختلاف الجغرافين المسلمين في تحديد الحد الشمالي له ، فمنهم من يرى أن حدود العراق هي حدود السواد[6] ، بينما يرى الاصطخرى أن حدود العراق هي : في الطول من حد تكريت الى حد عبادان على بحر فارس وفي العرض عند بغداد في قادسية الكوفة الى حلوان وعرضه بواسط – من واسط الى قريب الطيب ، وعرضه بالبصرة – من البصرة الى حدود جبى[7] . أما الخطيب البغدادي فانه يحدد العراق : من بلد الى عبادان وعرضه من العذيب الى جبل حلوان[8] . ومدينة بلد التي يقصدها الخطيب هي الموضع المعروف اليوم بأسكي موصل – وتعرف باسم بلط أيضا – وتقع على بعد

(١) العلث : بلدة في الجانب الغربي لدجلة فوق مدينة عكبرا .

(٢) حربي : بلدة الى غرب عكبرا يمر فيها نهر الدجيل واقام المستنصر عليها قنطرة عرفت في التاريخ بقنطرة حربي ولا تزال آثارها قائمة حتى هذه اللحظة ، وتمتاز هذه القنطرة بالشريط الكتابي الذي يبين تاريخ تشييد هذه القنطرة وهو سنة ٦٢٩هـ .

(٣) حلوان : مدينةتبين حدود العراقالشرقية قال عنها الاصطخري: مدينة عامرة أكبر منها وأكثر ثمارها التين ، وهي بقرب الجبل وليس بالعراق مدينة بقرب الجبل غيرها (المسالك والممالك ص ٦١) .

(٤) العذيب : العذيب تصغير العذب ، مكان ماء عن يمين القادسية لبني تميم ، بينه وبين القادسية أربعة أميال (مراصد الاطلاع) .

(٥) الاصطخري : ص ٥٦–٦١ ، المسعودي : التنبيه والاشراف ص٣٨ ، ابن حوقل : المسالك والممالك ص٢٣٤ ، ابن رستة : الاعلاق النفسية ص١٠١–١٠٥ .

(٦) المسعودي : التنبيه والاشراف ص٣٨

(٧) الاصطخري : المسالك والممالك ص٥٦

(٨) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد جـ١ ص٢٤

٤٠كم شمال غربي الموصل على ضفة دجلة اليمنى .

ولكننا في سياق الحوادث التاريخية في العصور الاسلامية خاصة في العصر العباسي نجد أن العباسيين يستمرون على سياسة اعتبار الموصل مركزا لبلاد الجزيرة بعد أن كانت مدينة تابعة للكوفة[١] فكانوا يعينون عليها الولاة الأكفاء ، وكانت مستقلة عن بغداد في ادارتها ، وكانت تعتبر من أعمال الجزيرة . فالتحديد الذي قدمه الجغرافيون والذي يلخص بأن حدود العراق من تكريت شمالا الى الخليج الفارسي جنوبا ومن حلوان شرقا الى القادسية غربا[٢] ، هو التحديد المناسب والذي ينطبق على مجريات التاريخ ويتفق وطبيعة التكوين الطبيعي للأرض وللغالبية التي تسكن هذه المنطقة . أما الجزيرة فيمكن تحديدها بخط يمر من شمالي الأنبار الى تكريت ثم يصعد شمالا الى السن[٣] والحديثة والموصل وجزيرة ابن عمر وآمد ثم يتجه غربا الى سميساط ويستمر حتى يصل الفرات الذى يكون الحد الغربي للجزيرة[٤] .

فالعراق في سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م يمكن أن نحدده من تكريت شمالا الى الخليج الفارسي ومن حلوان الى القادسية غربا ، وبالطبع فجنوب العراق ، الخليج الذي يعرف اليوم بالخليج العربي أو خليج البصرة . ومن أشهر مدنه البصرة والكوفة وواسط ، أما الموصل فقد ملكها بنو حمدان سنة ٢٩٣-٣٦٧ هـ/٩٠٥-٩٩٧م ، ثم سيطر عليها العقيليون من سنة ٣٦٨-٤٨٦هـ/٩٧٨-١٠٩٣م - ومن الجدير بالذكر أن هذا التحديد

---

(١) سعيد ديوهجي : الموصل ص١٠ نقلا عن تاريخ الازدي : تاريخ الموصل : مخطوط .

(٢) الاصطخري : المسالك والممالك ص٥٦- ابن حوقل : المسالك والممالك ص٢٣١ - المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٣٤ .

(٣) السن : بلدة على بعد ميل تحت ملتقى الزاب الاسفل بدجلة ، معظم أهلها من النصارى وفيها بيع لهم .

(٤) الاصطخري : المسالك والممالك ص٥٢ - ابن حوقل : ص ٢٠٨-٢٠٩ .

العراق لم يكن الا اصطلاحا جغرافيا وتحديدا اقليميا ، فالعراق جزء من الامة العربية ، كما أنه رغم ضعفه وانهيار الحالة السياسية فيه ، فهو مركز العالم الاسلامي ، فالسلطان السلجوقي كما سنرى سيسعى دائما الى ارضاء الخليفة وكسب عطفه ليمنحه الاعتراف بحكم سلطنته الشرعية ، كما احتفظ الخليفة بنفوذه الديني الذي سيكون له الاثر الكبير في استرداد هيبة الخلافة واستقلالها •

وتاريخ السلاجقة العظام يشمل المشرق كله والعراق والشام ، وتاريخ سلاجقة العراق يشمل اقليم الجبل (العراق العجمي) واقليم اذربيجان واقليم فارس (عاصمته شيراز) •

وعراق العصر السلجوقي يزيد شيئا وينقص شيئا عن العراق الحالي• الشيء الزائد هو منطقة الموصل ، والشيء الناقص هو العراق العجمي واذربيجان وفارس • ويهمنا هنا في هذا الموضوع ، العراق بحدوده المقابلة تقريبا لحدود العراق الحالي خاصة ، ومن الجدير بالذكر أن العراق لم يعش وحده يومئذ وانما عاش في وحدة سياسية أكبر تشمل كل ايران الحالية تقريبا ، والعراق اليوم وحدة جغرافية يحده من الشمال تركيا ومن الشرق بلاد ايران ومن الجنوب خليج البصرة ومن الغرب المملكة السعودية والاردن وسوريا •

أما أهم العناصر التي سكنت العراق فهم العرب وهم الأكثرية الكاثرة في العراق ومن أشهر القبائل العربية التي كان لها النفوذ في القرنين الرابع والخامس الهجريين ، قبائل خفاجة وقد انتشروا في الجنوب الغربي من الفرات بين الكوفة والبصرة(١) وقبائل بني أسد قرب الكوفة وعين النمر ، وكانت تسكن في الكوفة قبائل أخرى مثل خزاعة وبكر وبجيلة وذهل وقضاعة وتميم وحنظلة ومذحج وعبد قيس(٢) ، وسكنت في البصرة قبيلة

---

(١) الصابي : تحفة الوزراء ص٤٧٢

(٢) الدينوري : الاخبار الطوال ص١٨٢

ربيعة[١] ، وقبيلة مضر[٢] وسكنت بنو تميم في البادية غربي البصرة[٣] •
واستوطنت الموصل قبائل الخزرج والازد وبنو تميم وبنو وائل من بكر وتغلب كما نزلتها بنو قيس وهم من قبائل مضر •

ومن العناصر التي سكنت العراق ، الديالمة وهم الذين كانوا يسكنون جنوبي شرقي بحر قزوين وقد جاء بعضهم قبل دخول البويهيين الى العراق[٤] ثم ازداد عددهم خلال العصر البويهي وأصبح لهم نفوذ كبير في العراق • كما سكن في العراق بعض الفرس والذين كان لهم أثر في حقلي الثقافة والسياسة • ومن العناصر القوية والتي لعبت دورا خطيرا في السياسة ، العنصر التركي الذي أخذ يزداد خطره منذ أن استخدمهم الخليفة المعتصم العباسي ، كما سكن في العراق بقايا النبط الذين كانوا يتكلمون الآرامية ، أما الاكراد فكانوا يسكنون في القسم الاعلى من الجزيرة وفي الجهات الشرقية والشمالية الشرقية منها •

أما أشهر الاديان التي كانت سائدة في العراق ، فبالطبع كان الدين الاسلامي هو دين الدولة الرسمي ومعظم سكان العراق يدينون به على اختلاف المذاهب الشيعة والسنة ، ومن الاديان السائدة الدين المسيحي واليهودي ، وهناك معتقدات أخرى منتشرة لم يكن لها من أهمية في الفترة التي نحن بصددها • يضاف الى ذلك الخلافات المذهبية التي كانت تفرق بين الناس في العاصمة وفي كثير من المدن الاخرى وتؤدي الى اضطرابات عنيفة •

هذه توطئة لبيان موقع العراق وحدوده وتسميته وأهم الاقوام التي سكنت فيه والاديان السائدة في ربوعه ، ولا يفوتنا أن نذكر أن العراق بلد

---

(١) الذهبي : تاريخ الاسلام مخطوط ورقة ١٢ أ
(٢) ابن الاثير : الكامل جـ ٨ ص ٢٢٦
(٣) الاصطخري : ص٢١ •
(٤) مسكويه جـ٢ ص ٤١

المياه والاراضي الخصبة ذات الخيرات الوفيرة كانت منذ أقدم العصور مطمحا لكثير من الاقوام والجماعات ، كما أن العراق في هـذه الفترة بالـذات ، تولت أموره حكومة ضعيفة فكانت احواله غير مستقرة ، وأنها مركز الخلافة ومن يسيطر على العراق كان له النفوذ الكبير في تصريف وتوجيه سياسة العالم الاسلامي السني بشكل خاص ، على اعتبار أن الخلافة في مصر كانت في هذا الوقت شيعية ولها نفوذ وتأثير كبيران على أصحاب المذهب الشيعي في العالم الاسلامي ٠

قامت الدولة العباسية في العراق سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م فتية قوية ، وكان جل اعتمادها على العنصر العربي الذي أمدها بالحيويـة والنشاط[1] الى جانب اعتمادها على العنصر الفارسي في المشرق خاصة ، وبلغت حدا كبيرا من التقدم السياسي والاجتماعي والثقافي والعمراني ، وأصبحت بغداد قبلة العالم الاسلامي ومحط أنظار السياسيين والعلماء والفقهاء وبلغت درجـة كبيرة من الرقي والاتساع ٠ الا أن المعتصم العباسي اعتمد في حكمه على عنصر غريب ، هو العنصر التركي الذي أخـذ بمرور الزمن يترقى في المناصب ويتولى المراكز الحساسة في الدولة ، صار هذا العنصر يتدخـل في شؤون الخلافة مستغلا ضعف الخلفاء في العصر الثاني العباسي ، وفقـدت الخلافة في هذا العصر هيبتها وعناصر قوتها كما فقدت الدولة العباسية الكثير

---

(١) حاول الكثير من المؤرخين أن يصبغوا الدعوة العباسية وقيامها بالصبغة الفارسية ولكن من الثابت تاريخيا ان العباسيين كان جل اعتمادهم على العنصر العربي ٠ فقد جعل العباسيون اثنى عشر نقيبا من أجل الدعوة لهم ، ثمانية من العرب وأربعة من الفرس ، وكان معظم القواد الذين اعتمدت عليهم الثورة والدولة العباسية في أول تكوينها من العرب ، مثل قحطبة بن شبيب الطائي وولده الحسن وعبدالله بن علي وغيرهم من القواد العرب ، كما نلحظ في سياسة أبي العباس والمنصور وهم من المؤسسين الاوائـل لهذه الدولة ، اعتمادهم على العنصر العربي واسنادهم له ومقاومتهم للتنفذ الفارسي ٠

راجع : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٢ ص١٣٥٨

ـ مجهول : الدولة العباسية ـ مخطوط بمكتبة الاوقاف ببغداد٠

من ممتلكاتها من الناحية الفعلية مع بقاء الوحدة من الناحية القانونية حيث استقل المتنفذون والطامعون ، وأصبحوا يحصلون على تفويض تام بتدبير أمور اقاليمهم ، فقامت الدولة الصفارية ٢٥٤-٢٩٠/٢٦٨-٩٠٢ م ، والدولة السامانية ٢٦٦-٣٨٩ هـ/٨٧٤-٩٩٩ م في ايران ، كما قامت الدولة الطولونية ٢٥٤-٢٩٢هـ/٨٦٨-٩٠٥م والدولة الاخشيدية ٣٢٣-٣٥٨هـ/٩٣٤-٩٦٨ م في مصر والدولة الحمدانية في الموصل وحلب ٣١٧-٣٩٤هـ/٩٢٩-١٠٠٣م .

في هذا العصر أصبح الخليفة لعبة بيد الاتراك وساءت أحوال الدولة وتولى في هذه الفترة خلفاء ضعفاء لا قوة لهم وانصرف معظمهم الى اللهو والتبذير ، فقد بدد المقتدر مثلا كل ما جمعه أبوه وأخوه[١] ، كما كان كثير الانهماك في الشرب[٢] ، واضطربت أمور الدولة في عهد المقتدر خاصة بعد استقالة الوزير على بن عيسى ، اذ أصاب الخزانة عجز كبير ولم تعد قابلة لأي اصلاح فاضطر الوزير سليمان بن الحسن سنة ٣١٨هـ/٩٣٠م الى بيع الضياع السلطانية التي هي المورد الاول لسد النفقات ولكن هذا المورد لم يكفي لسد العجز[٣] . واستمرت الأحوال مضطربة في عهد المقتدر وضاعت هيبة الثغور على حدود الدولة ، وأخذ البيزنطيون يشنون الغارات المتصلة على الحدود المتاخمة لهم بعد أن ضعف الدفاع عنها[٤] . وقد قتل هذا الخليفة سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م واستبد بالامور مؤنس الخادم الملقب بالمظفر أمير الجيوش ، وأجلس القاهر خليفة[٥] ، وهذا هو الآخر قبض عليه الوزير

---

(١) ابن الطقطقي : الفخري في الآداب السلطانية ص١٩٢
- مسكويه : تجارب الامم جـ١ ص٢٣٨ ، جاء فيه : ان المقتدر اتلف نيفا وسبعين الف الف دينار .

(٢) التنوخي : نشوار المحاضرة جـ١ ص١٤٤

(٣) Bowen : The life and times of Ali b. Isa p. 299

(٤) Muir : The Caliphate, p. 567

(٥) مسكويه : تجارب الامم جـ١ ص٢٣٧-٢٤٢
- أبو الفدا : تاريخ ابي الفدا جـ٢ ص٧٨
- عريب بن سعد : صلة تاريخ الطبري ١٧٤-١٨٠

ابن مقلة وسجنه[1] ، وولى الخلافة ، الراضى ، سنة ٣٢٢هـ/٩٣٣م وفي عهده لم يبق للخليفة غير بغداد وأعمالها ، والحكم في جميعها لابن رائق وليس للخليفة حكم ؛[2] وأما باقي الاطراف فكانت البصـرة في يد ابن رائق ، وخوزستان في يد البريدي ، وفارس في يد عماد الدولة بن بويه ، وكرمان في يد أبي علي محمد بن الياس ، والرى واصبهان والجبل في يد ركـن الدولة بن بويه والموصل وديار بكر ومضر وربيعة في يد بني حمــدان ومصر والشام في يد محمد بن طغج وافريقية في يد ابي القاسم القائــم بامر الله بن المهدى العلوي والاندلس في يد عبدالرحمن بن محمد الملقب بالناصر وخراسان وما وراء النهر في يد نصــر بن احمــد السامـــاني وطبرستان وجرجان في يد الديلم ، والبحرين واليمامة في يد أبي طاهر القرمطى[3] . وفي هذه الفترة ظهر على المسرح السياسي بنو بويه ، وهم الذين سيلعبون دورا مهما في حياة الدولة العباسية . ونفضل أن تطــول وقفتنا قليلا أمام العصر البويهي لأنه المدخل للعصر السلجوقي ، وفيه ظهرت معظم العناصر التي استمرت تؤثر في ذلك العصر .

والبويهيون أصلهم من الديلم ، وبلاد الديلم الأصلية هي المنطقــة الواقعة بين طبرستان والجبال وجيلان وبحر الخزر ، ومن جهة الغـرب شيء من أذربيجان وبلاد الران[4] ، وقد اختلف الباحثون في نسبهم فمنهم من يرى أن نسبهم يرتفع الى واحد من ملوك الفرس[5] ، ومنهم من يرى

---

(١) ابن الطقطقي : الفخرى في الآداب السلطانية ص٢٠٥
Bowen , p. 329

(٢) **ابن الاثير : الكامل حـ٦ ص٢٥٤ـ٢٥٥**

(٣) الكامل : حـ٦ ص٢٥٥

أبي طاهر القرمطى : الكامل حـ٦ ص٢٥٥

(٤) الاصطخري : المسالك والممالك ص١٢١ طبع سنة ١٩٦١
ـ المقدسي : أحسن التقاسيم ص٣٥٣

(٥) ابن الطقطقي : الفخري ص٢١٥
ـ ابن حسول : تفضيل الاتراك ص٣٥
Bowen , p. 339/- Ency. of Islam, vol. I, p. 801.

أنهم من العرب ويرجعون الى بني ضبة[1] وقد يكون هذا الرأي تعبيرا رمزيا لمدى التقارب الذي حدث بين العرب والديلم • ويرجح أن البويهيين من الديلم ولا صلة لهم بالعرب • واشتهر من بنى بويه الاخوة علي واحمد والحسن ، وأبوهم بويه ، كان صيادا فقيرا على بحر قزوين[2] • واشتغل هؤلاء الاخوة في خدمة مرداويج بن زيار ، الذي أسس الدولة الزيارية ، وقد أظهر علي بن بويه كفاية ومقدرة ، وصار يترقى في مناصب الدولة حتى ولاه مرداويج ولاية الكرج ويبدو أنه أصاب نجاحا في حكمه وصار أهل الولاية يظهرون له الحب ، الامر الذي أثار شكوك مرداويج وأحس بخطره في المستقبل ، وبدأت المنافسة بين بني بويه ومرداويج ، ولكن البويهيين تنفسوا الصعداء بعد مقتل مرداويج سنة **٣٢٣هـ/٩٣٤م** ، فاغتنم الاخوة الفرصة فاستولى الحسن على أصفهان والري وهمذان[3] ، وشيراز ، كما نازع احمد بن بويه ، علياً بن العباس على ولاية كرمان وانتصر عليه[4] ، كما أخذ البويهيون يهاجمون أملاك الخليفة العباسي في العراق ، ففي سنة **٣٣٢هـ/٩٤٣م** هاجم احمد بن بويه مدينة واسط ولكن توزون الذي كان أمير الأمراء صد هجوم احمد بن بويه وتمكن من ايقاع الهزيمة بجيشه[5] •

ونحن اذا صرفنا النظر عن الحوادث الجارية وما تحمل من اتفاقات ومصادفات، وجدنا الوضع يتلخص في أن نظام امرة الأمراء كان يزداد كل يوم عجزا عن ضبط أمور العراق بينما كان ملوك بني بويه يزدادون كل يوم ضبطا وقوة وصيتا ، حتى تطلعت النفوس الى احلال بني بويه محل امراء الأمراء •

---

(١) ابن حسول : تفضيل الاتراك ٣٤ـ٣٥
(٢) ابن الجوزي جـ٦ ص٢٦٩
(٣) مسكويه : تجارب الامم جـ١ ص٣٠٢ E. I. vol. I. p. 807
(٤) ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ٢ ص٣٦٤
(٥) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١١ ص٢٠٧ـ٢٠٨

وفي سنة ٣٣٣هـ/٩٤٤م توفي أمير الأمراء توزون وأصبح شيرزاد أمير الأمراء[1] ، وكان معز الدولة (احمد بن بويه) في الاهواز ، وكان شيرزاد قد استعمل على واسط ينال كوشه الذي كاتب معز الدولة بن بويه واستقدمه[2] ، ويبدو أن ينال كوشه كان قد أحس بقوة البويهيين واتساع نفوذهم في وقت كانت الخلافة العباسية قد دب فيها الضعف والانهيار وسادت الفوضى مختلف مدن العراق خاصة بغداد حيث انتشر اللصوص الذين نشروا الرعب وتسلطوا على أموال الناس الى حد فيه تهارب التجار من بغداد وعاد هذا الفعل بالخراب وفساد الأمر[3] . كما أرجح أن ينال كوشه حاكم واسط كان يحس بمطامع احمد بن بويه ويعلم أنه هاجم العراق قبل هذا عدة مرات بقصد الاستيلاء عليه ، فرأى من مصلحته مداراة القوة الجديدة ضمانا لمستقبله فتقرب الى البويهيين وكاتبهم وأظهر الاخلاص والمعاونة لهم .

والواقع ، أن نظام امرة الأمراء منى بفشل ذريع ، وعجز عن حل الازمة المستحكمة وعن استرداد هيبة الخلافة في نظر أصحاب الاطراف فتطلعت النفوس الى نظام جديد غير نظام امرة الأمراء ، وفعلا استدعى الخليفة ، الحمدانيين مرة ضد آل البريدي وضد امراء الامراء ، فهبّ الحمدانيون وحاربوا ابا عبدالله البريدي وانصاره الاتراك ، ولكن على الرغم من ذلك فقد ظل الوضع مضطربا الى ان دخل البويهيون العراق[4].

تحرك احمد بن بويه من الاهواز ودخل العراق فاضطرب الناس ببغداد ، فلما وصل الى باجسرى زاد اضطراب الناس واختفى الخليفة المستكفى بالله وابن شيرزاد (أمير الأمراء) فلما علم الاتراك باختفاء الخليفة

---

(١) ابو الفدا : تاريخ أبى الفدا جـ٢ ص٩٩
(٢) مسكويه : تجارب الامم جـ٢ ص٨٤
ـ ابن الاثير : حـ٦ ص٣١٤
(٣) مسكويه : تجارب الامم جـ٢ ص٨٣
(٤) الكامل حـ٦ ص٢٨٩ـ٢٩٠

وابن شيرزاد عبروا الى الجانب الغربي وساروا الى الموصل • فلما سار الاتراك ظهر المستكفى بالله وعاد الى دار الخلافة[1] ، واجتمع الحسن بن محمد المهلبي صاحب معز الدولة بالخليفة المستكفي وابن شيرزاد ، وأظهر الخليفة السرور بقدوم احمد بن بويه وأعلمه انه انما استتر خوفا من الاتراك فلما ساروا عن بغداد ظهر[2] •

وفي الحادي عشر من جمادي الآخرة نزل احمد بن بويه في معسكره باب الشماسية ووصل الى الخليفة المستكفى بالله ووقف بين يديه طويلا ، وأخذت عليه البيعة للمستكفي بالله واستحلف له بأغلظ الايمان ، وأقسم الامير البويهي اليمين ، وخلع الخليفة عليه الخلع ولقبه معز الدولة ولقب أخاه عليا بعماد الدولة كما لقب أخاه الحسن بركن الدولة وأمر ان تضرب ألقابهم وكناهم على الدنانير والدراهم[3] •

واحتاج النظام الجديد الى أن يدعم أسسه وأن يقبض على زمام الامور وأن يقتلع أسباب الفتنة وأن يكف طمع الطامعين وفي سبيل اتمام هذا الهدف لم يتحرج النظام البويهي من التنكيل بأنصار النظام القديم ومن عزل الخليفة ومن اهانته •

ولم تمض الا أيام معدودات وانقلب الأمير البويهي معز الدولة على الخليفة المستكفي بالله ، فأهانه اهانة كبيرة حيث سحب من مكانه واقتيد

---

(١) **مسكويه : جـ٢ ص٨٤**
ـ ابن الاثير : الكامل حـ٦ ص٣١٤

(٢) مسكويه : جـ٢ ص٨٤ـ٨٥
ـ ابن الاثير : ص٦ ص٣١٤
ـ أبو الفدا : جـ٢ ص٩٩
ـ ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٢ ص٢١٢

(٣) مسكويه : جـ٢ ص٨٥
ـ ابن الاثير : حـ٦ ص٣١٤
Ency. of Islam, vol. I. p. 807

الى دار معز الدولةواعتقل فيها ، ونهبت دار الخلافة[1] ، أما سبب ذلك ، قيل: انّ «علما» قهرمانة الخليفة دعت دعوة عظيمة حضرها جماعة من قواد الديلم فاتهمها الامير معز الدولة أنها فعلت ذلك لتأخذ عليهم البيعة للمستكفي بالله وأن ينقضوا رياسة معز الدولة عليهم ويطيعوه دونه فساء ظنه لذلك . وكان المستكفي بالله قد قبض على الشافعي رئيس الشيعة ، فشفع فيه اصفهدوست فلم يشفعه فأحفظه ذلك وذهب الى معز الدولة فقال : قد راسلني الخليفة في أن ألقاه متنكرا في خف وازار[2] ، وأرى أن هناك سببا آخر قد يضاف الى هذين السابقين ، ذلك أن الأمير البويهي انما دخل بغداد بقصد السيطرة والاحتلال ولتثبيت الفكرة الشيعية التي هو يؤمن بها ، فالأساس في الخلاف هو الصراع المذهبي بين السنة والشيعة ، وكان الأمير البويهي يقصد اضعاف الخلافة واذلالها بل والاطاحة بها ، كما سندلل على هذا بالمحاولة التي حاولها معز الدولة ، حيث حاول القضاء على الخلافة العباسية واقامة خلافة علوية ، وأنه أشخص في نواحي فارس أحد كبار العلويين مشتهرا بالديانة وحسن السيرة والصيانة[3] ، واقترح معز الدولة عليه أن يسلمه الملك والخلافة اعتقادا منه بأحقية آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم بتولية أمور المسلمين ، ولكن هذا العلوي شكر الأمير واعتذر عن قبول ذلك العرض ونصحه بالعدول عن هذه الفكرة لأن عامة الناس في الاقطار والامصار قد اعتادوا الدعوة العباسية ودانوا بدولتهم وأطاعوهم كطاعة الله ورسوله ورأوهم أولى الامر[4] ، وقيل أن

---

(١) مسكويه : جـ٢ ص٨٦

(٢) مسكويه : جـ٢ ص٨٦

ـ ابن الاثير : جـ٦ ص٣١٤ـ٣١٥

(٣) البيروني : الجماهر في معرفة الجواهر ص٢٢ـ٢٣

ـ مسكويه : جـ٢ ص٨٧ في الحاشية : ان العلوي اسمه أبو الحسن محمد بن يحيى الزيدي .

(٤) البيروني : الجماهر في معرفة الجواهر ص٢٣

الصيمري[١] منع الأمير البويهي من تنفيذ تلك الفكرة وقال له : اذا بايعته استنفر عليك أهل خراسان وعوام البلدان وأطاعه الديلم ورفضوك وقبلوا أمره فيك وبنو العباس قوم منصورون تعتـــل دولتهم مرة وتصـــح مرارا وتمرض تارة وتستقل أطوارا لأن أصلها ثابت وبنيانها راســـخ[٢] ؛ فاستبعد معز الدولة الفكرة وعدل عن تنفيذها •

ونصب معز الدولة البويهي ، أبا القاسم الفضل بن المعتز خليفة ولقب المطيع لله سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م[٣] ، ولم يكن الخليفة المستكفي بالله هو الوحيد من الخلفاء العباسيين الذى تعرض للاعتـــداء في هـــذا العصر ، ففي سنة ٣٨١ هـ/٩٩١م اعتدى البويهيون على الخليفة الطائع لله وسبب الاعتـــداء أن الأمير البويهي قَلّت عنده الامــوال ، فكثر شغب الجنـــد فقبض على وزيره سابور[٤] • فلم يغن ذلك عنه شيئا ، وكان أبو الحسن بن المعـلم قد غلب على بهاء الدولة وحكم في مملكته فحسن له القبض على الطـــائع وأطمعه في أمواله وذخائره وهون عليه ذلك وسهله[٥] ، فتقدم أصحاب

---

(١) الصيمري ـ أبو جعفر محمد بن احمد الصيمري وزير معـز الدولة البويهي • توفى سنة ٣٣٩هـ •

(٢) مسكويه : جـ٢ ص٨٧ جاء في الهامش : ان العلوى اســـمه ابو الحسن محمد بن يحي الزيدي •

(٣) مسكويه : تجارب الامم جـ٢ ص٨٧
ـ ابن الجوزي : المنتظم جـ٦ ص٣٤٣
ـ **ابن الاثير : الكامل حـ٦ ص٣١٥**
ـ ابن الطقطقى : الفخري ص٢١٢

(٤) سابور : أبو نصر سابور بن أردشير وزير بني بويه في عهد شرف الدولة بن عضد الدولة توفي سنة ٤١٦ هـ (المنتظم جـ٨ ص٢٢) •

(٥) ذيل كتاب تجارب الامم : ص٢٠١
ـ ابن الاثير : جـ٧ ص ١٤٧

الأمير البويهي ، وجذبوا الخليفة بحمائل سيفه من سريره فلف بكساء وحمل الى بعض الزبازب وخلع من الخلافة(١) .

وهكذا ساءت حال الخلافة ـ وأصبح الخليفة لعبة بيد البويهيين ، ينصبونه ويعزلونه ، ويلحقون به الاذى والاعتداء ، وأصبح الخليفة العباسى أشبه ما يكون بالموظف يخصص له الامير البويهي راتبا ، وكانوا يتصرفون حسب مشيئتهم في تخصيص تلك الرواتب ، فقد جعل معز الدولة للخليفة المستكفي خمسة آلاف درهم في اليوم(٢) ، ثم خفض ذلك المرتب الى ألفى درهم يوميا عندما عين المطيع(٣) . وكان للخليفة العباسى وزير وللأمير كاتب ولكن الأمر انعكس في العهد البويهي(٤) ، وتلقب الحكام البويهيون بلقب أمير ، وأنهم استخلفوا وظيفة أمير الأمراء ، وتلقبوا بألقاب مختلفة فقد مُنح عضد الدولة لقب تاج الملة(٥) ، وفي سنة ٣٨١ هـ لقب القادر الأمير البويهي بهاء الدولة بلقب غياث الامة(٦) ، وفي سنة ٤٢٩هـ زيد في ألقاب جلال الدولة (شاهنشاه الأعظم أي ملك الملوك) وخطب له بذلك،(٧) وفي سنة ٤٣٠هـ مُنح جلال الدولة لقب الملك الوزير(٨) .

والحقيقة ان سلطات الامير البويهى كانت واسعة جدا وانهم لم يكتفوا بتلك السلطات ، بل عملوا على سلب امتيازات الخليفة ومشاركته فى اختصاصاته ،

---

(١) مسكويه : حـ٢ ص٢٠١
ـ ابن الجوزي : حـ٧ ص١٥٦
(٢) ابن الاثير : الكامل حـ٦ ص٣١٤
ـ السيوطى : تاريخ الخلفاء ص٢٦٣
(٣) مسكويه : جـ٢ ص٨٧
(٤) ابن الاثير : حـ٦ ص٣١٥
(٥) ابن الجوزى : المنتظم جـ٧ ص٧٨
(٦) المرجع السابق جـ٧ ص١٦٣
(٧) المرجع السابق جـ٨ ص٩٧
(٨) ابن الجوزى : المنتظم جـ٨ ص٩٩

فقد كانت الخطبة فى المساجد رمز سيادة الخليفة ، وفى سنة ٣٦٩هـ أمر عضد الدولة البويهى ان يذكر اسمه مع اسم الخليفة الطائع فى خطبة الجمعة[١] ، والاعجب من هذا ان عضد الدولة اختلف مع الخليفة الطائع فأمر الامير البويهى بحذف اسم الخليفة من الخطبة لمدة شهرين[٢] كما شارك البويهيون الخليفة العباسى فى نقش اسمهم على النقود بل تجرأوا على حذف لقب أمير المؤمنين من الخليفة العباسى وذكروا اسمه فقط ، بينما ذكر الامير البويهى مع لقبه وكنيته[٣] ، فيذكر مثلا لقب الامير عضد الدولة (تاج الملة) وكنيته (ابو شجاع) . وكانت الطبول تضرب على أبواب الخلافة فى أوقات الصلوات الخمس ، وصارت الطبول تضرب على أبواب الامير عضد الدولة ثلاث مرات في اليوم (الغداة والمغرب والعشاء)[٤] ، ثم أخذت الطبول تضرب على أبواب الامراء أبى شجاع سلطان الدولة ، وابى كاليجار صمصام الدولة ، وأبى طاهر جلال الدولة خمس مرات يوميا[٥] .

وبدا الضعف ظاهرا فى خلفاء بنى العباس أيام البويهيين ، كما أن العداء المستمر بين الخلفاء العباسيين والأمراء البويهيين يرجع سببه كما قلنا سابقا الى كون البويهيين من الشيعة الزيدية ويعتقدون ان الخلفاء العباسيين انما هم فى الحقيقة مغتصبون للخلافة ، وقد أبقى البويهيون الخلفاء العباسيين تمويها على الرعية وتيسرا للامور ، ولم يبق للخليفة العباسى من الحكم الا تعين القضاة وأصحاب الصلاة والخطباء وقوام المساجد ، وهذا هو الذى حفظ للخليفة نفوذه الدينى ، فصار يؤكده

---

(١) مسكويه : تجارب الامم جـ٢ ص٣٩٦
(٢) ابن الجوزى : المنتظم جـ٧ ص٧٥
(٣) مسكويه : جـ٢ ص٨٥
(٤) المرجع السابق جـ٢ ص٣٩٦
- ابن الجوزى : المنتظم جـ٧ ص٩٢
(٥) ابن الجوزى : المنتظم جـ٨ ص٣٠

ويسعى الى تثبيت مركزه به ، وقد ساعده ذلك على استرجاع سلطته فى دور ضعفهم ، كما حافظ الخليفة ايضا على احترام الرأى العام وتأييده ، وهو مما جعل البويهيين يحسبون للخلافة حسابها حتى فى دور قوتهم ، وفعلا انتعشت الخلافة العباسية فى أواخر حكم البويهيين ، ففى عهد القادر ، « زاد وقار الدولة العباسية ونما رونقها وأخذت أمورها فى القوة »[1] .

وكان الامراء البويهيون يترضون الخلفاء ويظهرون لهم الطاعة ارضاء للجمهور وطمعا فى أن يمنح الخليفة لهم الالقاب التى كان يهواها امراء بنى بويه ، وقد شعر البويهيون بنفوذ الخليفة الدينى فى الاوساط الشعبية ، فكانوا يتظاهرون فى المناسبات باظهار الشعور الكريم والطاعة الكلية لمقام الخليفة ، ففى عقد حفلة العهد الى عضد الدولة سنة ٣٦٩هـ/٩٧٩م جلس الطائع على السرير وحوله مائة بالسيوف والزينة وبين يديه مصحف عثمان وعلى كتفه البردة وبيده القضيب وهو متقلد سيف النبى صلى الله عليه وسلم . وضربت ستارة بعثها عضد الدولة وسأل ان تكون حجابا للطائع حتى لا تقع عليه عين أحد من الجند قبله ، ودخل الاتراك والديلم وليس على أحد منهم حديد ، ووقف الاشراف وأصحاب المراتب من الجانبين ، ثم أذن لعضد الدولة فدخل ، ثم رفعت الستارة ، فقبل عضد الدولة الارض ، فارتاع زياد القائد لذلك وقال : ماهذا أيها الملك ؟ أهذا هو الله عز وجل ؟ فالتفت الى عبدالعزيز بن يوسف وقال له : فهمه فقل له : هذا خليفة الله فى الارض . ثم استمر يمشى ويقبل الارض سبع مرات ، فالتفت الطائع الى خالص الخادم ، فقال : استدنه ـ فصعد عضد الدولة فقبل الارض دفعتين فقال له : ادن الى ادن الى ، فدنا ، وقبل رجله وثنى الطائع يمينه عليه وأمره فجلس على كرسى بعد أن كرر عليه : اجلس . وهو يستعفى فقال له : أقسمت لتجلس ـ فقبل الكرسى

---

(١) ابن الطقطقى : الفخرى ص٢١٤

وجلس[1] . هذه صورة جلية للتناقض الكبير فى معاملة الخلفاء ، فالأمراء البويهيون يتظاهرون بالولاء والخضوع للخليفة العباسى أمام الناس وفى المناسبات ليكسبوا رضا الجمهور العام ولكى يقال أن الامير البويهى يحترم الخليفة فبذلك يبعدوا عنهم سخط العامة ومعارضتهم ، بينما كانوا فى خصوصياتهم يثقلون على الخليفة العباسى في مطاليبهم ويسعون الى تجريد الخلافة من مظاهرها وخصائصها وعوامل قوتها .

وخلاصة ماتقدم فى علاقة بنى بويه بالخلافة ان السلطة الحقيقية انتقلت من يد الخلفاء الى يد بنى بويه . ومن الطبيعى أن يتوقع الناس يومئذ من بنى بويه ان يصلحوا أمورهم .

ومما لاشك فيه أن بعض الأمراء البويهين قاموا باصلاحات فى العراق من ناحية اصلاح نظام الرى وتحسين شؤون الزراعة خاصة فى عهدى معز الدولة وعضد الدولة وكانت لتلك الاصلاحات آثار طيبة فى تقدم الزراعة ورفاهية السكان ، ولكن الدولة كانت فى حاجة بشكل عام الى الاموال وخزانتها كانت لا تسد ولا تكفى نفقات العمران الزراعى والتنظيم العسكرى ، فقد كان الجيش فى حاجة كبيرة الى الاموال ، ويبدو أن البويهين لم يكونوا من ذوى الخبرة فى التنظيم الاقتصادى ، لذا نراهم يتبعون سياسة زراعية عادت على البلاد بخسائر فادحة كما أدت الى خراب أراضى السواد ، فان معز الدولة أعطى الاقطاعات لجنده دون حساب[2] كما تطرف عضد الدولة وصار يمنح الجند اقطاعات من أراضى الوقف[3] وان هؤلاء الجند تحكموا في أراضيهم الزراعية التى أقطعوا

---

(١) مسكويه : جـ٢ ص٤١٧
- ابن الجوزى : المنتظم جـ٧ ص٩٨
(٢) مسكويه : جـ٢ ص٩٧
(٣) أبو شجاع : ذيل مسكويه ص٧١

اياها كما تحكموا بزراعها حسبما شاؤوا[1] ، وان هؤلاء الجند لم يكونوا ليدفعوا شيئا يذكر لخزانة الدولة[2] .

ان الاقطاعات التى أقطعها معز الدولة للقواد وكبار الموظفين والجند ، انه انما أراد بذلك ربط هؤلاء خاصة الجند بالارض ، لاسترضائهم وتقوية جانبهم ، ولكنه من جهة أخرى أدى الى فعل معاكس ، أدى ذلك الى أن يحرص القواد على جمع الاموال وحيازة الارباح والتماس الحطائط[3] ، وبذلك فقد فشلت محاولات معز الدولة فى اصلاح نظام الرى والزراعة ، فقد أدت الى ارهاق الخزانة بالاموال لتضاؤل مواردها كما كان معز الدولة كثير النفقة على جنده ممـــا أدى الى افلاس الخزانة والى ذلـك أشار مسكويه : فتعذر عليه أن يدخر ذخيرة لنوائبه أو أن يستفضل شيئا من ارتفاع ولم تزل مؤونته تزيد وموارده تنقص حتى حصل عليه عجز لم يكن واقفا على حد منه بل يتضاعف تضاعفا متفاقما[4] . كما أن الامراء البويهيين الذين حكموا بعد معز الدولة عدا عضد الدولة كانوا على بعد من الفهم السياسى والحزم الادارى ممـــا عجل فى ارباك أمور الدولة والاسراع في سقوطها ، فقد أشغل « بختيار » نفسه باللهو واللعب ومعاشرة المساخر والمغنين والنساء[5] ، وكـان لا ينظر في دخل ولا خرج وانمـا يلزم وزيره تمشية الامور من حيث لا يعينه ولا ينصره ولا يمنع أحدا من جنده شيئا فاذا وقفت أموره قبض على وزيره واستبدل به فلا يلبث

---

(١) مسكويه : جـ٢ ص٩٨ـ٩٩

(٢) المصدر نفسه جـ٢ ص٩٨

(٣) الحطائط : التخفيف فى مقدار الضمان ، أى مقـدار المبلغ المفروض دفعه لخزانة الدولة .

(٤) مسكويه : جـ٢ ص٩٩

(٥) المرجع السابق جـ٢ ص٢٣٤

الامر أن يعود من الالتياث والانحلال الى أسوأ ماكان[1] • وقد أســـاء بعض المسؤولين البويهيين التصرفات التى أدت الى ارباك الحالة الاقتصادية واقلاق حياة الناس التجارية والمعـاشية حتى « بطلت الاسواق وانقطعت المعايش »[2] ومما زاد في الوضع سوءا المنازعات التي قامت بـين الامراء البويهيين وبالطبع أدى ذلك الى تدهور الحالة السياسية والاقتصادية وأثر تأثيرا كبيرا فى حياة الناس المعيشية •

ان البويهيين ارتكبوا خطأ كبيرا فى اكثارهم للعناصر الاجنبية التركية فى جيشهم ، فكان ضعف ادارة الامير منهم سببا فى أهور مطامع الطامعين من مماليكهم الاتراك وبث الشقاق بين الناس والخراب والفساد فى البلاد ، وقد ظهر الخلاف والنزاع بين الاتراك والديالمة كمـا دب التنـافس بين الفريقين للحصول على الامتيازات والمخصصات ، ولجـأ البويهيون الى السياسة الهدامة ، تلك هى مـحاولة تفضيل فريق على فريق أو تقريب عنصر على حساب العنصر الآخر ، وهذه السياسة التى اتبعها البويهيون والتى كانوا يتوخون من تطبيقها عدم افساح المجال لتوفيق الفريقين ضدهم ولكن النتيجة أتت بخطر جسيم : اضعاف الجيش البويهى بشكل عام كما أحدثت انقساما خطيرا فى صفوفه ، وأدى الى أمر أخطر من هذا ، ذلك أن الديالمة والاتراك فقدوا الثقة بالامير ، ولم تعد له تلك الثقة وذلك الاحترام مكانا فى نفوسهم ، وأصبحت ازالة النزاع القـــائم بين الديلم والاتراك غير ممكنة • وقد حاول بختيار ان يقوم بمثل هذه المحاولة ولكنه فشل في مسعاه سنة ٣٦٠هـ/٩٦٩م[3] • وفي سـنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م أفلست الخزانة العامة فحاول الامير البويهى بختيار ان يقوم بحركة ولكنهـا فى

---

(١) مسكويه : جـ٢ ص٣٠٧ ، الالتياث :ـ الابطاء والتردد : التاث فلان في عمله : أى أبطأ وتردد •

(٢) المرجع السابق جـ٢ ص٣٠٨

(٣) المرجع السابق : جـ٢ ص٢٨٢

الحقيقة كانت غير موفقة ، فقد حاول أن يضع يده فى اقطاع سبكتكين قائد الاتراك ، فثار الاتراك فى بغداد واستولوا على المدينة وأخرجوا بختيار منها وحدثت فى بغداد اضطرابات شديدة ، فقد نزل الاتراك فى دور الديلم وتتبعوا أموالهم وأخذوها ، وثارت العامة من أهل السنة ينصرون سبكتكين لانه كان يتسنن فخلع عليهم وجعل لهم العرفاء والقواد فثاروا بالشيعة وحاربوهم وسفكت بينهم الدماء وأحرقت الكرخ حريقا ثانيا[1] وظهرت السنة عليهم[2] • واستنجد بختيار بركن الدولة وبعضد الدولة[3]، وسار عضد الدولة الى بغداد وأعاد النظام الى بغداد[4] •

وكانت السياسة البويهية فى العراق بشكل عام غير مرضية فالبويهيون اتبعوا سياسة مذهبية تقوم على مناصرة المذهب الشيعى ، وهذا بالطبع أدى الى احداث الفرقة فى صفوف الشعب الواحد ، وكان أثره عظيما فى تدمير الروح الوطنية وتمزيق الصف الوطنى ، كما أدت تلك الفرقة الى احداث القلاقل والاضطرابات والفتن ، كما أن سوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية أدى الى ظهور العيارين وانتشارهم فى بغداد واستغلال الكثير منهم الفرص للسلب والنهب •

وحركة العيارين التى برزت فى هذا العصر لم تكن الا وليدةالظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية القائمة وقتذاك ، والمؤرخون يصمون العيارين بأنهم لصوص وأن حركتهم لم تقم الا لاكثار الفوضى والفساد ، ولكننا بامكاننا أن نتلمس فى بعض أعمال كبار العيارين صفات الانسانية والرجولة • ويبدو ان لحركة الفتوة صلة بحركة العيارين ، فالعيارون

---

(١) الحريق الاول حصل سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م راجع ابن الاثير حـ٧ ص٤٩

(٢) ابن الاثير : الكامل حـ٧ ص٥٣

(٣) المرجع السابق حـ٧ ص٥٦

(٤) المرجع السابق جـ٧ ص٥٩ــ٦٠

يسمون طريقتهم الفتوة وربما حلف أحدهم بحق الفتوة فلم يأكل ولم يشرب[1] . ومن مبادئهم ان الفتى لا يزني ولا يكذب ويحفظ الحرم ولا يهتك ستر امرأة[2] ، وقال الجنيد البغدادي : ، الفتوة كف الاذى وبذل الندى[3] ، وللعيارين مبادىء سامية انسانية جديرة بالتفحص والدراسة ، واشتهر في هذا العصر ، البرجمي العيار الذى استبد ببغداد من سنة ٤٢١-٤٢٥هـ/١٠٣٠-١٠٣٣م وبلغ من عجز السلطة تجاهه ان العامة ثاروا بالخطيب في صلاة الجمعة وقالوا له أما أن تخطب للبرجمي والا فلا تخطب لسلطان ولا غيره[4] . وكان البرجمي قد تعهد سنة ٤٢٥هـ/١٠٣٣م بحفظ الامن وكان يجبى الضرائب في الاسواق وارتفاع المواخير والقيان لنفسه[5] ، ويقول عنه ابن الاثير : وكان مع هذا فيه فتوة وله مروءة لم يعرض الى امرأة ولا الى من يستسلم اليه[6] .

ولفظة العيار لغة ، الكثير المجيء والذهاب في الارض[7] ، وقيل هو الذكي الكثير التطواف[8] ، وحكى الفراء : رجل عيار اذا كان كثير التطواف والحركة ذكيا[9] . وقال ابن الاعرابى : والعرب تمدح بالعيار وتذم به ، يقال غلام عيار نشيط في المعاصى ، وغلام عيار نشيط في طاعة الله عز وجل[10] .

---

(١) ابن الجوزي : تلبيس ابليس ص٣٩٢
(٢) ابن الجوزى : تلبيس ابليس ص٣٩٢
(٣) القشيرى : الرسالة القشيرية ص١١٣
(٤) ابن الاثير : جـ٨ ص٧
(٥) ابن الجوزى : المنتظم جـ٨ ص٧٨
(٦) ابن الاثير : جـ٨ ص٧-٨
(٧) ابن منظور : لسان العرب جـ٥ ص٣٠١
(٨) الزبيدى : تاج العروس جـ٣ ص٤٣٤
(٩) ابن منظور : لسان العرب جـ٥ ص٣٠١
(١٠) الزبيدى : تاج العروس جـ٣ ص٤٣٤

وقد ركز العيارون هجماتهم على بيوت الاغنياء وكبار التجار وأصحاب الشرط والمتنفذين فالعيار المعروف بعزيز ظهر في باب البصرة من محلات بغداد ، التحق به كثير من الذعار وطرح النار في المحال ، وطلب أصحاب الشرط ثم صالح أهل الكرخ وقصد سوق التمارين وطالب بضرائب الامتعة وجبى ارتفاع الاسواق الباقية وكاشف السلطان وأصحابه ونادى فيهم وكان ينزل الى السقى فيطالب بالضرائب وأصحاب السلطان يرونه من الجانب الآخر[١] ويبدو ان العيارين كانوا من السنة والشيعة ففي سنة ٣٩٢هـ/١٠٠١م زاد أمر العيارين والفساد ببغداد وكان فيهم من هو عباسي وعلوي[٢] فواصلوا العملات وأخذوا الاموال وقتلوا ، وأشراف الناس معهم[٣] . وكانت للعيارين تنظيمات خاصة بهم ، وتميزوا بدرجات معلومة في السلم الرئاسي ، ومن درجاتهم ، المتقدم ، وكان البرجمي على ما يظهر يحمل لقب «متقدم»[٤] ، ودرجة القائد[٥] ، ودرجة الرئيس ، فقد كان لكل محلة رئيس وقد يجتمع فيها عدة رؤساء[٦] ، وفي أواخر العصر البويهي أخذت الدولة تستعين بالعيارين ففي سنة ٤٢١هـ/١٠٣٠م ، تقلد أبو محمد النسوي النظر في المعونة ولقب الناصح واستحجب وخلع عليه ، واستدعى جماعة العيارين فأقامهم أعوانا وأصحاب مسالح[٧] . وانتشر العيارون بكثرة في بغداد بشكل خاص ومع وجود بعض العيارين من يحمل روح الفتوة ومبادئها السامية ولكن سوء الاوضاع وانهيار الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي جعل الكثير من العاطلين والشقاة ينخرطون في

---

(١) المنتظم جـ٧ ص١٧٤ (الذعار : الذين يبثون الخوف بين الناس)
(٢) الصابي : تحفة الامراء جـ٨ ص٤٦٢ وص٤٦٤
(٣) المنتظم جـ٧ ص٢٢٠/الصابي : تحفة الامراء جـ٨ ص٤٦٢
(٤) المنتظم جـ٨ ص٤٧
(٥) المنتظم جـ٧ ص٧٥/مسكويه جـ٢ ص٣٣٧ الهامش
(٦) مسكويه : جـ٢ ص٣٠٥
(٧) المنتظم جـ٨ ص٤٩

صفوف العيارين ، الامر الذى أدى الى أن تصطبغ هذه الحركة بصبغة اللصوصية والعدوان ، ومهما يكن فظهور العيارين وانتشارهم واستبدادهم فى بعض الاوقات بالامور دليل واضح للتردى الشامل الذى أصاب الدولة العباسية والحكم البويهى فى العراق •

كان كل المشرق الاسلامى الواقع الى شرقى العراق مقسما بين السامانيين والغزنويين وعظم أمر الدولة الغزنوية حتى صارت تسيطر على المشرق كله من حدود الهند الى حدود خراسان الشمالية وهى دولةاتخذت من غزنة عاصمة لها ، وكان محمود الغزنوى قد استولى على الملك سنة ٣٨٩هـ/٩٨٨م وباستيلاء الاتراك الغزنويين على خراسان وما يجاورها يكون الفرع البويهى قد زال سلطانه فى الرى وبلاد الجبل ، ويقول براون : وانه والى لبنى بويه ضرباته التى انتهت باستيلائه على اصبهان[1] كما ان محمود الغزنوى قام بحملات واسعة فى بلاد الهند وقد نجح فى تلك الحملات ، حيث كان عاملا مهما فى نشر الاسلام فى تلك البلاد ، ويقول ستانلى لينبول : أن حملات الغزنويين فى بلاد الهند واتخاذهم مدينة لاهور مقرا لهم ، يمكن اعتبار ذلك بدء حكم المسلمين الحقيقى في هذه البلاد[2] ، وبالطبع كان لنجاح الغزنويين فى ايران أثره الكبير فى اضعاف الجناح البويهى فى العراق •

والى جانب تلك الفوضى التى استعر أوارها فى جسم الدولة العباسية والتى كانت عوامل هدم لها ، فان البويهيين كانوا قد قاموا ببعض الاصلاحات المهمة ، والتاريخ يذكر ان عضد الدولة البويهى كان من أنشط الحكام البويهيين فى الاصلاحات العمرانية ، فقد شيد المساجد

---

1. Brown : Literary History of Persia, vol. 1. p. 376
2. Lane Poole : The Muhammadan Dynasties, p. 284

والمستشفيات وغيرها من المباني العامة ، كما احتضن العلماء وطلبة العلم[1] ومن أشهر أعمـــاله المهمة المارستان الذي عرف في التاريخ بالمارستان العضدي والذي تمت عمارته سنة **٣٧١هـ/٩٨١م** وقد أوقف عليه عضد الدولة أوقافا كثيرة[2] ، وقد وردت اشارات عديدة للمؤرخين والرحالة في وصف بنائه واستمرار العمل فيه[3] .

كما أنشئت في بغداد « دار العلم » التي بناها أبو نصر بن اردشير وزير السلطان بهاء الدولة سنة **٣٨١هـ/٩٩١م** في الجانب الغربي من بغداد وقد احتوت من الكتب مازاد على العشرة آلاف مجلد من الكتب الخطية النفيسة[4] وذكر ابن الاثير انها شيدت سنة **٣٨٣هـ/٩٩٣م**[5] . وكانت هذه الدار مركز بحث ودراسة ، يفد اليهـا الادباء والعلماء والفلاسفة والحكماء ومن أشهر من قصدها الشاعر الفيلسوف العربي أبو العلاء المعري .

ولا بد لنا من أن نشير الى استبداد الامراء البويهيين وتعسفهم في الحكم واستهتارهم في معاملة الموظفين ، حتى وزرائهم ، وقد ضاعت هيبة الوزارة وسقطت كرامة الوزراء ، وقد ابطل البويهيون رسم الوزارة[6] ، وقام كاتب الامير مقام الوزير ، وقلنا ان الوزراء فقدوا نفوذهم القديم وأصبحوا في عصر البويهيين تحت رحمة امرائهم لا حول لهم ولا قوة ،

---

(٢) أبو شجاع : ذيل تاريخ مسكويه جـ١ ص٦٩

(٣) راجع ابن الجوزي : المنتظم جـ٧ ص١١٢-١١٣
- بنيامين التطيلي : رحلة بنيامين ص١٣٥
- ابن جبير : الرحلة ص١٧٩

(٤) ابن الجوزي : المنتظم جـ٧ ص١٧٢
العقيلي : مختصر المناقب ص٢٨

(٥) ابن الاثير : حـ٧ ص١٦٢

(٦) مسكويه : جـ٢ ص٨٧
- المسعودي : التنبيه والاشراف ص٣٩٩

ومن أمثلة المعاملة السيئة للوزراء ان معز الدولة البويهى ضرب وزيره أبا محمد المهلبى المتوفى سنة ٣٥١هـ[١] ، مائة وخمسين مقرعة ، ووكل به في داره ولكنه لم يعزله من وزارته ، وشاور معز الدولة من حضره وقال : هل يجوز ان استنيم الى هذا الرجل وقد لحقه منى هذا المكروه العظيم ؟ فقال أحد من استشاره : ان مرداويج قد ضرب وزيره أعظم من هذا الضرب ، حتى كان لا يطيق المشى ، ولا يقدر على الجلوس لما حل به ، ثم خلع عليه ورده الى امره[٢] ، ولما تولى بختيار بن معز الدولة السلطنة ، استوزر صاحب مطبخه وذلك سنة ٣٦٢هـ/٩٧٣م[٣] .

ويبدو ان البويهيين لم يكونوا ليهتموا باختيار العناصر ذات الكفاءة والسمعة الطيبة لمنصب الوزارة ، وأخذوا منذ عهد عضد الدولة يختارون شخصيتين لمنصب الوزارة ، أحدهما يقيم فى فارس والثانى يقيم فى بغداد ، وكذلك سار على هذا النهج بهاء الدولة فعين وزيرين وجعل أحدهما مدبرا لامور العراق[٤] ، ولما مات الصاحب بن عباد ٣٨٤/٩٩٤م وقعت مساومة شائنة حول هذا المنصب وذلك أن أحد الولاة أرسل يخطب الوزارة ويضمن ثمانية آلاف درهم ، فبذل الوزير الذى فى الوزارة آنذاك ستة آلاف على اقراره فى الوزارة ، فأشرك السلطان فخر الدولة بينهما فى الوزارة وسامح كلا منهما بألفى درهم من جملة مابذل وجمع بينهما فى النظر ، ورتب أمورهما على أن يجلسا فى دست واحد ، ويكون التوقيع لهذا يوما والعلامة للآخر ، وكانا يتقارعان على من يخرج لقيادة الجيوش ، ثم سعت بينهما السعاة ودبر أحدهما للآخر فقتله[٥] .

---

(١) مسكوية حـ٢ ص١٤٥
(٢) مسكويه : جـ٢ ص١٤٥
(٣) مسكويه : جـ٢ ص٢٨٥/ابن الاثير : حـ٧ ص٣٦٢
(٤) ابن الاثير : حـ٧ ص١٤٥
(٥) ياقوت الحموى : ارشاد الاريب جـ١ ص٧١

فالخلافة وقد بلغت حدا كبيرا من الضعف وبدا التجزؤ فيها واضحا وجسيما، واستقلت أطراف مثل الدولة السامانية في خراسان وما وراء النهر ، والدولة الغزنوية التى امتدت من خراسان حتى الهند ، واستقل الفاطميون بمصر والشام وشبه جزيرة العرب كما استولى البريديون على البصرة والاهواز وواسط ، وأصبحت البحرين واليمامة فى يد أبى طاهر القرمطى ، ولم يبق للخليفة العباسى شأن الا في بغداد والسلطة الفعلية للحاكم البويهى ، هذا من الناحية الادارية والسياسية ، ولكن كان هناك للخليفة تأثير دينى فى كثير من الاقاليم الاسلامية ، وفى عهد البويهيين أصبح فى العالم الاسلامى ثلاث خلفاء ، خليفة عباسى فى بغداد ، وخليفة أموى فى الاندلس، وخليفة فاطمى فى القاهرة ، وهذا بالطبع من مظاهر ضعف الخلافة العباسية . وبالرغم من أن الخلافة العباسية كانت ضعيفة فانها ظلت تنازع البقاء طوال العصر البويهى ، اذ لولا الاعتبارات الشخصية وخوف البويهيين على نفوذهم من الضياع ، لكان بمقدورهم القضاء على الخلافة العباسية ، والدعوة للخليفة الفاطمى ، يروى ابن الأثير : ان معز الدولة استشار جماعة من خواص أصحابه فى اخراج الخلافة من العباسيين والبيعة للمعز لدين الله العلوى أو لغيره من العلويين ،فكلهم اشار عليه بذلك، ماعدا بعض خواصه فانه قال : ليس هذا برأى فانك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك انه ليس من أهل الخلافة ولو امرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه، ومتى أجلست بعض العلويين خليفة كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته فلو أمرهم بقتلك لفعلوه . فأعرض عن ذلك[1] .

وكان المجتمع فى بغداد تسوده الخصومات الطائفية التى أثارها البويهيون ومما زاد فى الطين بلة ، ان الاتراك الذين استخدمهم البويهيون كانوا يتطرفون للسنة ، والديالمة يتطرفون للشيعة ، وهذا بالطبع جر على البلاد المصائب ، ففى سنة ٣٦٢هـ/٩٧١م قامت فتنة بالكرخ فارسل

(١) ابن الاثير : حـ٦ ص٣١٥

الوزير حاجبه لقتال العامة ، وكان شديد العصبية للسنة ، فألقى النار فى أماكن كثيرة ، فاحترق الكرخ حريقا عظيما ، وكان عدد من احترق فيه سبعة عشر ألف انسان وثلثمائة دكان وثلاثة وثلاثين مسجدا[1] ، وفي تلك الاحوال التى كانت ماثلة فى بغداد يقول ابن الاثير : وفيها كثرت الفتن بين العامة ببغداد وزالت هيبة السلطنة وتكرر الحريق فى المحال واستمر الفساد[2] .

وأخيرا أفل نجم بنى بويه ، واضمحلت دولتهم وتقلصت مواردهم المالية حتى أفلست الخزانة ، واختلت المملكة أيام جلال الدولة وقطعت عنه المادة حتى أخرج ثيابه وآلاته وباعها فى الاسواق ، وخلت داره من حاجب وفراش وبواب ، وصار أكثر الابواب مغلقا ، وانقطع ضرب الطبل له في أكثر الايام لانقطاع الطبالين[3] وفي سنة ٤٢٣هـ/١٠٣١م نهب الاتراك دار السلطان جلال الدولة وسلبوا الكتاب وارباب الديوان ثيابهم وطلبوا الوزير أبا اسحق السهلي فهرب الى حلة كمال الدولة غريب بن محمد ، وقطع الاتراك خطبة السلطان جلال الدولة[4] . وهكذا فالامر في أواخر العهود البويهية كان ينذر بالخطر كما كان ينبىء باحداث جديدة ، وفى هذا الوقت كان السلاجقة الاتراك يتوسعون فى ايران وصار نفوذهم يقوى يوما بعد يوم ، ووجد طغرلبك الفرصة سانحة لدخول العراق والقضاء على الدولة البويهية ، فسار فى المحرم من سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م الى همدان وأظهر انه يريد الحج واصلاح طريق مكة والمسير الى الشام ومصر وازالة المستنصر بالله الخليفة الفاطمى ، نأمر عماله فى المناطق المجاورة للعراق

---

(١) **المنتظم حـ٧ ص٦٠**
ابن الاثير : حـ٧ ص٤٩
(٢) ابن الاثير : حـ٧ ص١٥٦
(٣) **ابن الاثير : حـ٧ ص٣٥٦**
(٤) **ابن الاثير : حـ٨ ص٢**
المنتظم : حـ٨ ص٦٢

بجمع الجند ، ثم دخل العراق ، فأسرع الملك الرحيم آخر أمراء بنى بويه الى بغداد ، واستقر الرأى بينه وبين الخليفة العباسى القائم بأمر الله على التعاون مع طغرلبك[1] ودخل طغرلبك بغداد والقى القبض على الملك الرحيم وأرسله أسيرا الى الرى فألقى فى السجن حتى توفى عام ٤٥٠هـ/١٠٥٨م ، وهكذا قضى على الدولة البويهية وزال نفوذها من العراق وايران •

ومن الجدير بالذكر قبل ان ننتقل الى فصل جديد ، ان الكثير من مظاهر وملامح الحكم البويهى ستتكرر خلال حكم السلاجقة للعراق ، فدخول السلاجقة الى العراق يكاد يكون بنفس الطريقة البويهية •ونلاحظ ان استبداد ملوك بنى بويه كاستبداد سلاطين السلاجقة كما كانت نظرة السلاجقة الى الخليفة نفس نظرة البويهيين ، اذ اعتقد السلطان السلجوقى فى نفسه انه الحاكم الاول وصاحب الفضل فى حماية الخليفة ، كما ان السلاطين السلاجقة اخذوا يتدخلون فى شؤون الخلافة كما تدخل ملوك بنى بويه في أحوالها والاستحواذ على سلطاتها وخصائصها •

وعرفنا ان العصر البويهى كان عصرا يموج بالفتن والاضطرابات ، التى كانت لها نتائج خطيرة فى حياة السكان وامنهم ، واستمرت تلك الفتن والاضطرابات فى العصر السلجوقى بشكل عنيف أيضا ، فكثرت الفتن والقلاقل بين طائفتى السنة والشيعة ، وبين الحنابلة والاشاعرة •

وان العيارين الذين قاموا بأعمال عنيفة فى العصر البويهى فىالعراق نراهم يقومون بنفس الدور فى العصر السلجوقى ، خاصة عندما يجدون مجالا لاعمالهم أيام الحروب والمنازعات التى تقع بين الملوك والسلاطين

---

(١) ابن الاثير : حـ٧ ص٣٥٦
المنتظم : حـ٨ ص٦٤

السلاجقة ، أو أوقات الحروب والمشاحنات التى تحصل بين الخلفـــاء العباسيين والسلاطين السلاجقة •

كما نلاحظ ان الوضـع الاقتصـــادي ساء في الحالتين ، في حالتي الحكم البويهي والحكم السلجوقي ، وضج الناس من كثرة مواسم الغلاء واستمرار الازمات الاقتصادية نتيجة الحروب وكثرة المنازعات والفتن •

وأخيرا كان البويهيون قد وزعوا الكثير من الاقطاعات على قوادهم وخواصهم ، كذلك اتبع السلاجقة تطبيق ذلك النظام ولكن بشكل أوسع وستكون له نتائج خطيرة في حياة الدولة السلجوقيـة ، والـذي سيؤدي الى اضعافها وسقوطها كما سنرى في الفصول التالية •



الفصـــل الثـــانى

قيــــام الدولة السلجوقية

عهد السلاجقة العظام

الدولـة السلجوقية

منذ قيامها الى انفصال سلاجقة العراق

السلاجقة • مناطقهم • اصلهـــم • سلجوق بن دقاق • أسباب هجرتهم • أولاد سلجوق • اسرائيل بن سلجوق • خوف الغزنويين من السلاجقة • محمود الغزنوى يوقع باسرائيل • عبـــور الســـلاجقة الى خراسان • ميكائيل يثبت أقدام السلاجقة فى خراسان • طغرلبك وجغرى يوحدان صفوف السلاجقة • اتفاق السلاجقة والسلطان مسعود الغزنوى• أثر الصلـــح بين الســـلاجقة والغزنويين • الحـــروب بين الســـلاجقة والغزنويين • دخول طغرل نيسابور • ابتداء دولة الســـلاجقة • موقعة دندانقان • نتائج الموقعة • توسع السلاجقة فى ايران • تكتل السلاجقة ووحدة كلمتهم • تقسيم المملكة على الامراء • ارتباط الامراء بالسلطان • اتصال السلاجقة بالخليفة العباسى • الخليفة العباسى يرسل رسولا الى طغرلبك • دخول السلاجقة بغداد • نهاية البويهيين • زواج الخليفـة العباسى من ارسلان خاتون • ثورة البساسيرى • سبب الثورة • المؤيد فى الدين واثره فى ثورة البساسيرى • ابراهيم ينال وخروجه على السلطان • علاقة ابراهيم ينال بالبساسيرى • القضاء على ثـورة البساسيرى • مغادرة السلطان بغداد وتعيين أول شحنة فيها • زواج طغرلبك من ابنة الخليفة • وفاة طغرلبك • سيطرة الب ارسلان على العرش السلجوقى • المشاكل

التى واجهت الب ارسلان • الوزير نظام الملك • اتساع الدولة السلجوقية• موقعة ملاذكرد • مقتل الب ارسلان • تولى ملكشاه السلطنة • العلاقات بين الخلافة والسلاجقة • زيارات ملكشاه لبغداد • وفاة ملكشاه • تولية بركيارق • المشاكل التى واجهت بركيارق • الصراع بين الوزراء السلاجقة • التنافس على السلطنة • وفاة بركيارق • تولية ملكشاه • منافسة محمد ملكشاه لملكشاه بن بركيارق • بداية الانقسامات وضعف الدولة • استفحال امر الباطنية • السلطان محمد يحارب الباطنية • تأثر الخلافة بالحوادث السائدة • السلطان سنجر • ظهور الدولة القرهخطا والخوارزمية فى عصر سنجر • ضعف قوة سنجر بسبب كثرة الحروب• وفاة سنجر وانقسام المملكة الى دويلات متعددة من ضمنها سلاجقة العراق •

السلاجقة فرع من قبائل الغز انسابوا حوالى ٣٤٥هـ/٩٥٦م من سهول التركستان ، وسكنوا أول أمرهم فـى بـلاد ماوراء النهر[١] ، واعتنقوا الدين الاسلامى وفق مبادىء المذهب الحنفى الذى أخذه الترك عن السامانيين حيث ساد فى دولتهم[٢] . وقد سمى هذا الفرع بالسلاجقة نسبة الى جدهم الاعلى سلجوق بن دقاق[٣] ، وكان محترم الجانب بين فرسانه[٤] ، شـهما صاحب رأى وتدبير[٥] ، وكلمـة دقاق في التركيـة معناها القوس من الحديد[٦] ، ويبدو ان سلجوق هوالذي تمكن بطموحه وقوة شخصيته من ان يكون لقبيلته كيانا ، فعلا شأنها بفضل سعيه ونشاطه .

ان سلجوق بن دقاق قدم مساعدات عسكرية للسامانيين الذين استنجدوا به عندما اغار « هرون بن ايلك خان » على بعض ممتلكاتهم ، حيث ارسـل ولده ارسلان في جماعة من السلاجقة[٧] ، وكانت لهذه المساعدات أثرهـا الطيب فى نفوس السامانيين ، فأذنوا للسلاجقـة بالمرور عبـر بلادهم والاستقرار عند شواطيء نهر سيحون حيث اتخذوا مدينة « جَنَنْد » قاعدة

---

(١) ابن العميد : تاريخ المسلمين ص٢٦٧

(٢) بارتولد : تاريخ الترك ص١٠٨

(٣) Ency of Jslam, vol, IV, p. 208

ـ الحسينى : اخبار الدولة السلجوقية ص٢

(٤) الراوندى : راحة الصدور ص١٤٧

(٥) اخبار الدولة السلجوقية ص١

ـ ابن الاثير جـ٩ ص١٦٣

(٦) **ابن الاثير جـ٨ ص٢٢**

(٧) ابن الاثير جـ٨ ص٢٢ : ايلك خان من ملوك ما وراء النهر

لهم[1] ، وصاروا يستقرون في بلاد ما وراء النهر بعد ان كملت هجرتهم من التركستان[2] • وكانت هجرة السلاجقة من التركستان كما يراها بعض المؤرخين نتيجة ازدحام ديارهم وضيق مراعيهم[3] •

وكان لسلجوق بن دقاق أربعة أولاد هم : اسرائيل (بيغو ارسلان) وموسى بيغو ويونس وميكائيل[4] ، وخلف اسرائيل ولدا اسمه قتلمش والذى هو رأس سلاجقة الروم وخلف ميكائيل ولدين ، طغرلبك وجغرى• وقاد اسرائيل قومه بعد وفاة والده سلجوق ، وكانت الدولة السامانية قد انهارت سنة **٣٨٩**هـ/**٩٩٨**م وكانت أراضي السلاجقة قد ضاقت بهم فاخذوا يتنقلون مابين (نوربخاري) في الشتاء وفي (سغدسمرقند) في الصيف[5] ، ومن الطبيعي ان هذا من حالات حياة التنقل التي تعودها السلاجقة ، ولا يفوتنا ان السلاجقة من الاقوام التي اصطبغت بالصبغة القبلية ، وعاشوا عيشة التنقل من مكان الى آخر طلبا للرزق وهم بهذا يختلفون عن الساميين[6] ، الذين كانوا يمتازون بالاستقرار وبتعرفهم على الحياة الحضارية •

ان ظهور السلاجقة كقوة جديدة ، أصبح يحسب لها الآخرون

---

(١) اخبار الدولة السلجوقية ص٢
- **ابن الاثير حـ٨ ص٢٢**
- **الفخرى ص٢١٥**

(٢) حمدالله المستوفي : كزيدة ص٤٣٤

(٣) الراوندى : راحة الصدور ص١٤٥

(٤) الحسينى : اخبار الدولة السلجوقية ص٢
- الراوندى : راحة الصدور ص١٤٥-١٤٦
- اليزدى : العراضة فى الحكاية السلجوقية ص١٧

(٥) راحة الصدور ص١٤٥

(٦) العروضى السمرقندى : جهار مقالة ص٢٣

حسابا فى تقدير الموقف الخطير الذى سيسيطر فى هذه المنطقة من جراء توسع القوى السلجوقية ، فأخذ الغزنويون يتوجسون خيفة من ذلك ، لذا دبر محمود الغزنوى حيلة للقبض على اسرائيل ، فارسل رسالة الى السلاجقة جاء فيها : « اننى لفى عجب من تدبيركم وعقلكم ، ولكنكم حتى الآن وبحكم الجوار لم تطلبوا منا طلبا أو تلتمسوا ملتمسا ، وانى لشديد الرغبة فى مصادقتكم واستمداد المعونة منكم ولست فى غنى على الاطلاق عن معاونتكم ، فاذا لم يستطع جميع الاخوة الحضور الي فليختاروا واحدا منهم يفد الى مقرى • ولقد اتخذت مقامى على شاطىء النهر حتى تقصر المسافة بينى وبينكم ، فاذا جاءنى واحد منكم عقدت معه العهد ووثقت معه المواثيق »[1] •

ووصلت رسالة محمود الى السلاجقة ، واختاروا أن يرسلوا اليه اسرائيل وكان المقدم المحترم بينهم[2] ، ويذكر اليزدى : ان الاخوة اقترعوا فوقعت القرعة على اسرائيل[3] ، فسار اسرائيل الى محمود الغزنوى مع جيش كبير ، ولكن محمود عمد الى الحيلة ، فأرسل اليه رسولا يستقبله ويقول له : لسنا الآن فى حاجة الى الاستمداد بجيشك وانما جملة مقصودنا أن ننعم برؤيتك والاستظهار بك ، فاترك الجيش في مكانه وتعال أنت مع خواصك وأعيان رجالك[4] ، فترك اسرائيل جيشه وذهب الى مقابلة السلطان محمود مع أشخاص معدودين من رجاله ، فأكرم محمود وفادته ورحب به ، ودارت بين محمود الغزنوى واسرائيل محادثة فهم منها السلطان محمود الغزنوى بقوة السلاجقة وكثرة جيوشهم ، فرأى

---

(١) الراوندى : راحة الصدور ص١٤٧ـ١٤٨
ـ اليزدى : العراضة فى الحكاية السلجوقية ص٢١ـ٢٢
(٢) الراوندى : راحة الصدور ص١٤٨
(٣) اليزدى : العراضة فى الحكاية السلجوقية ص٢١
(٤) الراوندى : راحة الصدور ص١٤٨
ـ اليزدى : العراضة والحكاية السلجوقية ص٢٢

من الاصوب حسب رأيه ، ان يحتجز اسرائيل عنده[١] ، وبذلك خالف ونقض العهد لقيامه بعمل يخالف العرف والتقليد الاسلاميين • وحمل السلطان محمود الغزنوى ، اسرائيل بن سلجوق الى الهند وحبسه فى قلعة كالنجر[٢] ، وبقى فى تلك القلعة مدة سبع سنوات ، ثم حاول السلاجقة انقاذه من سجنه ولكن حراس القلعة اكتشفوا الامر فشددوا القيود عليه وظل سجينا حتى مات[٣] •

كانت لتلك الحادثة أثرها المؤلم فى نفوس السلاجقة الذين صمموا على الثأر كما ازدادوا حذرا وحيطة ، وتولى قيادتهم ميكائيل وقد نجح فى نقلهم الى اقليم خراسان[٤] وذلك أن السلاجقة أرسلوا الى السلطان محمود الغزنوى رسالة جاء فيها : ان مقامنا اصبح يضيق بنا ، وان مراعينا اصبحت لا تفى بحاجة مواشينا ، فاذن لنا ان نعبر النهر وان نجعل مقامنا بين «نسا» و «باورد»[٥] ، وتقدم حاكم طوس المدعو «ارسلان الجاذب» بنصيحة للسلطان محمود : أن ليس من الصواب أن تسمح لهم بالعبور الى خراسان، فانهم كثيرون يملكون العدة والعتاد ، وانى أخشى ان يكونوا سببا فى متاعب لا يمكن تلافيها وتداركها[٦] •

---

(١) الراوندى : راحة الصدور ص١٤٩

(٢) المرجع السابق ص١٥٠

(٣) المرجع السابق ص١٥١

(٤) البندارى : آل سلجوق ص٥

(٥) الراوندى : راحة الصدور ص١٥٣
- اليزدى : العراضة فى الحكاية السلجوقية ص٢٩
- كرديزى : زين الاخبار ص٦٧

(٦) الراوندى: راحة الصدور ص١٥٣ - اليزدى : العراضة ص٢٩
- الحسينى : اخبار الدولة السلجوقية ص٣ : ذكر ان ارسلان طلب من السلطان محمود ان يقطع ابهام كل واحد من السلاجقة ليأمن شرهم فامتنع محمود الغزنوى عن قبول هذا الرأى ٠
- ابن الاثير : ذكر الحادثة كما ذكرها صاحب اخبار الدولة السلجوقية حـ٨ ص٢٢

ووافق السلطان محمود الغزنوى على عبور السلاجقة النهر وكان ذلك فى حدود سنة ٤١٦هـ/١٠٢٥م[١] ، وقد نشأ لميكائيل ولدان احدهما «جغرى بك» والآخر «أبو طالب طغرلبك محمد»[٢] . وقد تمكن ميكائيل من ترسيخ أقدام السلاجقة فى اقليم خراسان وتوحيد صفوفهم ولكن الظروف فى خراسان كانت غير مواتية لميكائيل ، فان أهل بعض المدن فى هذا الاقليم مثل أهل نسا وباورد ، اشتكوا الى السلطان محمود الغزنوى سنة ٤١٨هـ/١٠٢٧م وطلبوا منه ابعاد السلاجقة من جوارهم ، فأمر السلطان محمود الغزنوى والى مدينة طوس باجلائهم فهاجمهم ، ودافع السلاجقة دفاعا مجيدا ودارت معارك عنيفة انتصر فيها السلاجقة الا ان حضور السلطان محمود مع نجدات كبيرة ، أحال ذلك النصر الى هزيمة نكراء للسلاجقة[٣] .

وفى سنة ٤٢١هـ/١٠٣٠م توفى السلطان محمود الغزنوى ، فانتهز ابنا ميكائيل جغرى وطغرلبك ، اللذان جمعا السلاجقة ووحدا صفوفهم ، فحاولا الاخذ بالثأر من الغزنويين ، وصارا يوسعان رقعة أراضيهم ثم اصطدما بوالى نيسابور (سورى بن المعتز)[٤] الذى وقف امام السلاجقة سنة ٤٢٦هـ/١٠٣٤م ولكنهم انتصروا عليه بالرغم من مساعدات السلطان مسعود بن السلطان محمود الغزنوى ، وأوقع السلاجقة خسائر فادحة فى جيش مسعود واستولوا على ماقيمته عشرة ملايين من الدنانير من الالبسة والأمتعة والدواب[٥] . واضطر السلطان مسعود الى ترك ميدان حرب السلاجقة والتوجه الى الهند وعقد الصلح معهم ، ويبدو ان السلطان

---

(١) حمدالله المستوفى : تاريخ كزيدة ص٤٣٥
(٢) راحة الصدور : ص١٥٤
(٣) كرديزى : زين الاخبار ص٧٠-٧١
(٤) الراوندى : راحة الصدور ص١٥٤
(٥) الراوندى : راحة الصدور ص١٥٦

مسعود الغزنوى قد واتته رسل السلاجقة يحملون رسالة أمرائهم وكانت تلك الرسالة[1] تنم عن سياسة حكيمة وبعد نظر من السلاجقة رغم انتصارهم وأرى ان السلاجقة فكروا بعيدا فى موضوع طلب المصالحة والعفو من السلطان لكى يركنوا الى الراحة والاستقرار وليكسبوا شيئا من البلاد فيه اعتراف السلطان بحقهم فى ذلك الشيء وفعلا وبعد محادثات ومفاوضات بين رسل السلاجقة والسلطان ومستشاريه تم الاتفاق على ما يلى :

١ – تعطى الى بيغو وطغرل وداود ولايات نساوفراوة ودهستان •
٢ – تعطى لكل واحد من هؤلاء خلعة ومنشور ولواء •

---

(١) نص الرسالة :ـ « وقد اخطأنا فى اختيار سورى للوساطة والشفاعة عند السلطان فانه متهور ولا يرعى المصلحة فى عواقب الامور وانتهى الامر الى ان سير السلطان الينا جيشا ، ومعاذ الله ماكنا نجرؤ على امتشاق الحسام فى وجه الجيش المنصور ، لولا انهم انقضوا على دورنا كما تنقض الذئاب على الحملان واعتدوا على نسائنا واطفالنا ، مع انا كنا حاصلين على الامان ، فلم نجد بدا من ان ندافع عن أنفسنا ، والنفس عزيزة ، وانا نؤكد ما ذكرنا اول الامر ، وكل ما حدث لم يكن الا من قبيل عين حاسدة أصابت الجيش المنصور على الرغم منا • **ولما كان للاستاذ الرئيس سابقة معرفتنا في خوارزم ، إثناء حكم خوارزمشاه التونتاش ، وله بنا صلة أكل الخبز** والملح معا فجدير به ان يتفضل بالوساطة والشفاعة لنا عند السلطان ، فيستعطف قلبه ليحنو علينا ، ويقبل اعذارنا ، ويعيد رسولنا موفقا مكرما لتطمئن بذلك قلوبنا ، وافضل من هذا ان يوفد الاستاذ الرئيس الينا احد ثقاته مع هذا الرسول ليسمع أقوالنا ويتأكد من عبوديتنا واخلاصنا وبأنا لا نبغى غير السلم » •

راجع : البيهقى : تاريخ البيهقى ص٥٢٥ـ٥٢٦

٣ ـ ان يذهب القاضي أبو نصر الصيني ويسلمهم الخلع بنفسه .

٤ ـ ان يأخذ القاضي أبو نصر الصيني عليهم الميثاق بالوفاء بالعهد مع السلطان .

٥ ـ أن يقتصر هؤلاء على هذه الولايات الثلاث .

٦ ـ ان يأتي أحد هؤلاء الثلاثة الى الدركاه[١] ليكون في خدمة السلطان .

وقد نظمت هذه الاتفاقية ، وكتبت دهستان باسم داود ونسا باسم طغرل وفراوة باسم بيغو ، ثم وقعها السلطان ووجهت اليهم رسائل منه ، فخوطبوا بلقب الدهقان وأعدت لهم ثلاث خلع كما هو الرسم في خلع الولاة ، تشتمل الواحدة على قلنسوة ذات ركنين ولواء وحلة مطرزة وجواد وسرج وكمر من ذهب برسم التركمان وثلاثين ثوبا غير مخيطة لكل واحد منهم[٢] .

لقد كان لهذا الصلح اثره الكبير في بعث القوة والاستقرار للسلاجقة ، وصار أمرهم يعلو في نطاق الدهاقين الولاة بمرور الايام وأخذوا في توسيع رقعة أراضيهم التي ضاقت بهم ، وعاد مسعود الغزنوي من بلاد الهند الى غزنة سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م ، وعلم بارتفاع شأن السلاجقة وقوة شوكتهم ، وطلب من أمير خراسان بوجوب محاربة السلاجقة وابعادهم عن خراسان[٣] ، ولكن أمير خراسان أجابه برسالة قال فيها : ان أمر السلاجقة قد علا بحيث لا أستطيع أنا ولا غيري ان نقاومهم[٤] . ولكن السلطان مسعود ألح على أمير خراسان بضرورة الحرب والقيام لها ، فانصاع هذا الامير الى أمر السلطان واستعد للحرب ، وما ان اصطدم

---

(١) الدركاه : البلاط

(٢) البيهقي : تاريخ البيهقي ص٥٢٨

(٣) الراوندي : راحة الصدور ص١٥٧

(٤) المرجع السابع وصفحته .

بالسلاجقة الا وكان الفشــل حليف أمير خراســان[١] ، الذي انهزم في ميدان المعــركة[٢] ، ودخــل طغرلبك الى نيسابور فجلس على عرش مسعود[٣] ، ولقب طغرلبك السلطان المعظــم ركن الدنيــا والدين أبو طالب[٤] •

كان دخول طغرلبك مدينة نيسابور واعتلاؤه العرش كأول سلطان للسلاجقة سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م وهذا التأريخ هو بدء السلاجقة ، كدولة تحمل الصفات العامة ، فقد أصبح للسلاجقة كيان سياسى ورقعة كبيرة من الارض وحاكم له الزعامة التى منحها اياه رعاياه ، ومنذ هذا التأريخ تبدأ صفحة جديدة من صفحات النشاط السياسى والعسكرى فى هذه المنطقة ، ومن الطبيعي ان وجود السلاجقة كقوة كبيرة متركزة في اقليم خراسان ، حالة خطرة بالنسبة للدولة الغزنوية ، التى أخذ الضعف يدب فى جسـمها وسار جيشها يصاب بالنكسات والهزائم ، ولكن مسعود الغزنوى ، أراد ان يخوض معركة انتحارية مع السلاجقة ، فسار في جيش كبير ، متجها نحو مرو ولكن جيش الغزنويين واجه أزمة شديدة فى المؤن حتى وصف ذلك البيهقى : وركب السلطان وسلك طريق مرو فسار الجند وراءه متخاذلين كأنهم حقا يقدمون رجلا ويؤخرون اخرى ، وكان اليوم شديد القيظ ، والمؤن قليلة والعلف لا وجود له والدواب هزيلة والناس صيام[٥] • وفي

---

(١) الراوندى : راحة الصدور ص١٥٨
ـ الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ص٩
(٢) **ابن الاثير : الكامل : حـ٨ ص١٥**
(٣) الراوندى : ص١٥٨
ـ ابن الاثير : حـ٨ ص١٥
ـ البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ص٧
(٤) الحسينى : اخبار الدولة السلجوقية ص٩
ـ عبدالنعيم حسنين : سلاجقة ايران ص٢٨
(٥) البيهقى : ص٦٨٠ وقعت المعركة فى الايام الاولى من شهر رمضان •

الوقت ذاته كانت قوى السلاجقة مستعدة كل الاستعداد ، ووقف السلاجقة فى الصحراء الواقعة بين سرخس ومرو فى مكان يعرف (دندانقان) وكانت فى هذه الصحراء جملة من الآبار فاستنزف السلاجقة ماءها ثم طموها[1] .

تعتبر معركة دندانقان التى وقعت فى الثانى من رمضان سنة ٤٣١هـ/١٠٣٩م من المعارك الفاصلة فى تاريخ الغزنويين والسلاجقة ، وانها انهت الصراع بين هاتين القوتين ، فى هذه المعركة حمل السلاجقة حملة شعواء على جيش السلطان مسعود ، يقول البيهقى : « واختلط الحابل بالنابل واختل النظام من كل جانب وولى رجالنا جميعا الادبار..[2] واختل نظام الميمنة والميسرة وكان كل رجل يقول نفسى نفسى[3] ... ويقول البيهقى : وثبت أن موقعة دندانقان انتهت بهزيمة حاسمة ، وان السلاجقة قد غنموا ما لا حصر له من الذهب والفضة والملابس والدواب[4] .

رجع بعد تلك الهزيمة السلطان مسعود الى غزنة ، ثم سار الى الهند ليشتو بها على عادة والده وأخذ معه أخاه محمدا ، واستصحب الخزائن وكان عازما على الاستنجاد بالهنود لمحاربة السلاجقة ثقة بعهودهم[5] ولما عبر سيحون وعبر بعض الخزائن ، اجتمع انوشتكين البلخى وجمع بعض الغلمان ونهبوا ما تخلف من الخزائن ، ونصبوا أخاه محمدا ، وأصبح جيش مسعود قسمين ، والتقى الطرفان المتنافسان فى عراك شديد وقتل

---

(١) راحة الصدور : ص١٦٣
(٢) البيهقى : ص٦٨٨
(٣) المرجع السابق : ص٦٨٩
(٤) المرجع السابق : ص٦٩٥
(٥) ابن الاثير : جـ٩ ص١٦٧

السلطان مسعود بعد ان اعتقل في قلعة كيكى[1] •

وأخذ طغرلبك بالتوسع • ففى سنة ٤٣٣هـ/١٠٤١م ضم طغرلبك الى أقاليمه مدينة جرجان وطبرستان[2] ، وتقدم نحو خوارزم وامتلكها ، وامتلك ابراهيم ينال مدينة همذان وسيطر على البلاد المجاورة لها[3] ومن ثم التقى طغرلبك وابراهيم ينال وسارا سوية الى كرمان وحاربا أهلها ولكن الملك أبا كاليجار سير الجيوش الكثيفة لصد السلاجقة ، وترك طغرلبك كرمان لشدة المقاومة[4] • ونحن ندرك منذ هذه اللحظة أن مجال النشاط السلجوقى اتسع حتى غطى كل الاقاليم الايرانية فى بحر قزوين الى المحيط الهندى ، فان قوة كرمان لم تكن قادرة على طول المدى على أن تقف بين السلاجقة وبين الوصول الى المحيط الهندى • وفى سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤م استوزر السلطان طغرلبك وزيره أبا القاسم علي بن عبدالله الجوينى وهو أول وزير في الدولة السلجوقية[5] • وابتدأ بذلك دور تنظيم الدولة السلجوقية واستقرارها الاداري على يدي أعوان من الفرس ذوى خبرة بالتقاليد الاسلامية •

من المهم ان نلاحظ ان السلاجقة فى هذه الفترة من بدء تكوينهم السياسى ، كانوا يتكتلون ويتحدون من أجل توحيد الصف السلجوقى فى هذا الظرف الدقيق من حياتهم ، فقد اجتمع طغرلبك وأخوه جغرى بك مع

---

(١) اخبار الدولة السلجوقية ص١٤ ذكر القلعة باسم كيرى فى الهند •
- ابن العبرى : ص٣١٥-٣٢٠
- **ابن الاثير : حـ٨ ص٢٦ ذكرها باسم كيكى**

(٢) **المرجع السابق : حـ٨ ص٣٠**

(٣) **المرجع السابق : حـ٨ ص٣٤**

(٤) **المرجع السابق : حـ٨ ص٣٥-٣٦**

(٥) الراوندى : راحة الصدور ص١٥٩
- **ابن الاثير : الكامل حـ٨ ص٤٠**

عمهما موسى بن سلجوق ومع أبناء أعمامهم وكبار قومهم وقواد جنودهم وتعاهدوا على الاتحاد والتعاون فيما بينهم[1] ، واقتسموا المملكة ، فاتخذ جغرى بك وكان أكبر اخوته مدينة مرو دارا لملكه واختص بأكثر خراسان ، وتنصب موسى على ولاية بست وهرات وسجستان وما يجاور ذلك من النواحى التى يستطيع فتحها ، وتنصب قاورد وهو أكبر أولاد جغرى بك على ولاية الطبسين ونواحى كرمان[2] ولابراهيم ينال وهو أخو السلطان طغرلبك من الام ، قهستان وجرجان ، ولابي على الحسن بن موسى ابن سلجوق ، هراة وبوشنبج وسجستان وبلاد الغور وهي ولاية متداخلة في ولاية أبيه موسى ، وكان هذا سنة ٤٣٠هـ/١٠٣٨م[3] واتخذ طغرلبك مدينة الرى دار ملكه[4] ، ويبدو ان السلاجقة كانوا يحترمون طغرلبك ويرون فيه المقدرة والكفاية وحسن التدبير ، وكانوا يخضعون لرئاسته ، وقد نجح طغرلبك فى بناء كيان قوى للغز السلاجقة الذين سيصبح لهم تأثير عظيم فى سياسة المشرق الاسلامى وامتداده الى البحر الابيض المتوسط فى القرنين الخامس والسادس الهجريين ، وهذا التقسيم يحدد على وجه التقريب المجال الذى وصل السلاجقة الى اشغاله ، ولم يبق حتى هذا الوقت للدولة التى انشأها السلاجقة الا أن تستكمل آخر عنصر من مقوماتها وهو الحصول على اعتراف الخليفة العباسى بقيام دولتهم فان مثل هذا الاعتراف وحده بحكم نظم هذا العصر هو الذي يكسب الدولة شرعيتها بحكم المناطق التى يسيطرون عليها .

بدأ السلاجقة الاتصال بالخليفة العباسى ، وكان قصدهم على ما أرجحه تعريف الخليفة بحالهم وكسب عطفه ، وليحصلوا على اعترافه بشرعية

---

(١) الراوندى : راحة الصدور ص١٦٥

(٢) المرجع السابق : ص١٦٧

(٣) الحسينى : اخبار الدولة السلجوقية ص١٧

(٤) الراوندى : راحة الصدور ص١٧٧

حكمهم ، فكتبوا الى الخليفة القائم بأمر الله كتابا هذا نصه :ـ انا معشر آل سلجوق قوم أطعنا دائما الحضرة النبوية المقدسة واحببناها من صميم قلوبنا ولقد اجتهدنا دائما فى غزو الكفار واعلان الجهاد وداومنا على زيارة الكعبة المقدسة وكان لنا عم مقدم محترم بيننا اسمه اسرائيل بن سلجوق ، قبض عليه يمين الدولة محمود بن سبكتكين بغير جرم أو جناية ، وأرسله الى قلعة «كالنجر» ببلاد الهند ، فبقى فى أسره سبع سنوات حتى مات ، واحتجز كذلك فى القلاع الاخرى كثيرا من أهلنا وأقاربنا . فلما مات محمود وجلس فى مكانه ابنه مسعود لم يقم على مصالح الرعية واشتغل باللهو والطرب . فلا جرم اذا طلب منا أعيان خراسان ومشاهيرها أن نقوم على حمايتهم ولكن مسعودا وجه الينا جيشه فوقعت بيننا وبينه معارك تناوبناها بين كر وفر وهزيمة وظفر ، حتى ابتسم لنا الحظ الحسن فانحاز الينا آخر عون لمسعود ومعه جيش جرار وظفرنا بالغلبة بمعونة الله عز وجل بفضل اقبالنا على الحضرة النبوية المقدسة المطهرة وانكسر مسعود واصبح ذليلا ، وانكفأ علمه وولى الادبار تاركا لنا الدولة والاقبال .

وشكرا لله على ما أفاء علينا من فتح ونصر ، فنشرنا عدلنا وانصافنا على العباد وابتعدنا عن طريق الظلم والجور والفساد ، ونحن نرجو أن نكون فى هذا الامر قد نهجنا وفقا لتعاليم الدين ولامر أمير المؤمنين[١] .

وقد أرسلت هذه الرسالة الى الخليفة القائم بأمر الله على يد المعتمد أبى اسحاق الفقاعى[٢] ، وكان فى ذلك الوقت وزير السلاجقة ومدبر

---

(١) الراوندى : راحة الصدور ص١٦٦ـ١٦٧
ـ البندارى الاصفهانى: زيدة النصرة ص٧ـ٨
ـ الجوزجانى : طبقات ناصرى ص١٣٢
(٢) راحة الصدور : ص١٦٧
ـ البندارى الاصبهانى : زيدة النصرة ص٨

امورهم هو الوزير أبو القاسم الكوبانى[1] .

على أننا اذ نلاحظ هذا التقدم والتوسع الكبير والنشاط والحيوية في جانب السلاجقة ، نرى الاضطرابات تعم بغداد ولم يكن للخليفة القائم بأمر الله ولا للملك البويهى جلال الدولة أى سلطان ، وكان الجنود الترك في ثورات متصلة ، وكان البدو والعيارون يهاجمون المدن والاسواق، والفرق المذهبية تضرب بعضها بعضا ، وبالطبع فان الخليفة العباسى كان يحس بهذا التفكك والانحلال ويدرك ما للقوة الجديدة المنطلقة من الشرق من أثر وخطر فى المستقبل ، فلما وصلت رسالة السلاجقة الى دار الخلافة ، بادر الخليفة بايفاد رسول الى طغرلبك فى مدينة الرى ، وكان مع الرسول هبة الله بن محمد المأمون وزوده بالرسائل الطيبة ، وكان الخليفة يختص هبة الله بوده واخلاصه ، فأمره بأن يتقرب من طغرلبك حتى يحضر الى بغداد لتتشرف دار الخلافة بحضوره[2] .

ويبدو أن رسول الخليفة عند وصوله الى الرى وجد طغرلبك مشغولا في الحروب المستمرة ، لذا اضطر الرسول الى الاقامة ثلاث سنوات بسبب ذلك[3] ، وفي أثنائها خاض طغرلبك حروبا وسيطر على ايران كلها وعلى اذربيجان سنة ٤٤٦هـ/١٠٥٤م وامتد نفوذه الى بعض أجزاء بلاد الروم فى آسيا الصغرى ، ثم رجع بعد ذلك الى عاصمته الرى[4] .

وفى سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م وهى السنة الفاصلة فى تاريخ الدولة

---

(١) عباس اقبال : الوزارة فى عهد السلاطين السلاجقة العظام ص٣٩
- راحة الصدور ص١٦٧

(٢) راحة الصدور ص١٦٨-١٦٩
- حمدالله المستوفى : تاريخ كزيدة ص٣٥٤

(٣) راحة الصدور : ص١٦٩

(٤) ابن الاثير : الكامل حـ٨ ص٦٧

البويهية ، أعد طغرلبك العدة من أجل القضاء على تلك الدولة ، فأخبر قواده باعداد الجنود والتهيؤ لدخول العراق ، وأعلن أنه يريد التوجه الى مكة بقصد الحج واصلاح طريق مكة والمسير الى الشام ومصـر وازالة المستنصر العلوى صاحبها[1] . وذكر ابن الاثـير في حوادث سنة ٤٤٧هـ حركة قام بها أحد القواد من الديلم يدعى «فولاذ» حيث استولى هذا على شيراز وقطع خطبة السلطان طغرلبك وخطب فيها للملك الرحيم آخر ملوك البويهيين[2] ، ولعل هذه الحادثة هي التي حفزت طغرلبك الى قطع دابر البويهيين من اقليم فارس وعاصمتهم شيراز ومن العراق فهي حادثة تدل على تمرد من جانب البويهيين قد يكون خطرا على المملكة السلجوقية فى ايران فصمم على ازالة ذلك الخطر ، مغتنما سوء الاوضاع وتردى الاحوال التى لمسناها خصوصا في أواخر العصر البويهي ، ومن يدري فمن الجائز أن يكون الرسول الذى اوفده الخليفة الى طغرلبك ، كان يحمل معه من معانى الترحيب لو دخل طغرلبك بغداد ، أو أن الرسول الموفد طلب رسـميا نيابة عن الخليفة التوجه نحو بغداد وانقاذ العراق من حالته البائسة[3] .

و فيالمحرم سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م كانت جيوش السـلاجقة على أتم استعداد لدخول العراق ، واتجهت تلك الجيوش بقيادة طغرلبك عن طريق حلوان[4] وهو الطريق الذي يطرقه التجار من العراق الى بـلاد فارس وبالعكس منذ أقدم العصور الى الآن ، ويبـدو ان هـذا الطريق الذى استخدم لغزو ايران أو غزو العراق ، هو الطريق السهل الذي يوصـل

---

(١) ابن الاثير : الكامل حـ٨ ص٧٠-٧١
- محمد كامل حسين : سيرة المؤيد فى الدين ص٢٢ ذكـر ما يخالف قول ابن الاثير .

(٢) ابن الاثير : الكامل حـ٨ ص٦٩

(٣) انظر ص٥٤

(٤) ابن الاثير : حـ٨ ص٧١
- ابن الوردي : تتمة المختصر جـ١ ص٣٥٥ .

بشكل سريع الى قلب ايران وقلب العراق ، وانتشر خبر دخول السلاجقة بين الناس فوقع ذلك وقع الصاعقة على البويهيين ، وقد حاول الملك الرحيم آخر حكام بني بويه الهروب مع البساسيري القائد البويهى الذي سيسبب بعض المتاعب للخلافة والسلاجقة في بغداد خاصة والعراق عامة ، لكن الخليفة القائم بأمر الله كتب الى الملك الرحيم الذى كان في واسط يعلمه أن البساسيرى خلع الطاعة وكاتب الاعداء يعنى المصريين وان الخليفة له على الملك عهود وله على الخليفة مثلها ، فان آثره نقد قطع ما بينهما وان أبعده واصعد الى بغداد تولى الديوان تدبير أمره • فقال الملك الرحيم ومن معـــه : « نحن لاوامر الديوان متبعون وعنـــه منفصلون »[1] أي عن البساسيرى •

والظاهر انه قد جرى اتفاق بين الخليفة القائم بأمر الله والملك الرحيم على وجوب التعاون مع طغرلبك ، فأعلن الخليفة ان يذكر اسم طغرلبك في الخطبة وأن يكون لقبه السلطان ركن الدولة أبو طالب طغرلبك محمد ابن ميكائيل يمين أمير المؤمنين ، على أن يذكر بعد اسمه اسم الملك الرحيم أبو نصر بن ابي كاليجار سلطان الدولة البويهي[2] ومعنى هذا ان الدولة البويهية رضيت أن تكون دولة تابعــة للسلاجقة ، آملة بذلــك ان يتــاح لها نوع من البقاء ، ووصل طغرلبك وجنوده الى النهروان[3] ، وارســل الى الخليفة يستأذنه في دخول بغداد ، فأذن له ، وخرج الوزير رئيس الرؤساء الى لقائه في موكب عظيم من القضاة والنقباء والأشراف والشهود والخدم وأعيان الدولة وصحبه اعيان الأمراء من عسكر الرحيم فلما علم طغرلبك بهم أرسل الى طريقهم الامراء ووزيره أبا نصر الـكندرى فلمـا

---

(١) ابن الاثير : الكامل حـ٨ ص٧١

(٢) الراوندي : راحة الصدور ص١٦٩ •

(٣) النهروان : بلدة اندرست وكانت على صـــدر نهـــر النهروان جنوبى بغداد (مراصد الاطلاع) •

وصل رئيس الرؤساء الى السلطان ابلغه رسالة الخليفة واستحلفه للخليفة وللملك الرحيم وأمراء الاجناد ، وسار طغرلبك ودخل بغداد يوم الاثنين لخمس بقين من شهر رمضان ونزل بباب الشماسية ، ووصل اليه قريش بن بدران صاحب الموصل وكان في طاعته[1] ، وتدل هذه التفاصيل على ان دخول السلاجقة الى العراق انما اتخذ شكل حملة حربية من ناحية الشكل ، بينما كان في الحقيقة عبارة عن موكب مهيب حضره وجوه اناس من الطرفين .

اما مصير الملك الرحيم فانه بالرغم من العهود التى اعطاها طغرلبك بعدم التعرض له وبالرغم من مساندة الخليفة له ، ولكن على مايبدو ان طغرلبك أراد أن يستأصل رأس البهويهيين ولا يدع منافسا أو قسيما له في الخطبة والالقاب ، فألقى القبض على الملك الرحيم وأرسله مقيدا الى قلعة «طبرك» بالري[2] ، وظل هناك حتى توفى سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م[3] .

ويبدو ان بعض الحوادث قد وقعت اثر دخول الجيش السلجوقي بغداد ، حيث اصطدم العامة ببعض جيش طغرلبك ، فوقع من جراء ذلك قتلى وجرحى ، وقد قام بعض الجنود السلجوقية بنهب الاسواق والبيوت وأحدثوا جرائم كثيرة ، الامر الذى حمل الخليفة القائم بأمر الله ان يرسل الى السلطان من يبلغه استياءه من هذه الافعال ، وصار الخليفة يهدد السلطان بأن هذه الافعال ان استمرت فانه سيغادر بغداد ، ويقول له :ـ انما اخترتك واستدعيتك اعتقادا من ان تعظيم الاوامر الشريفة تزداد وحرمة الحريم تعظم وأرى الامر بالضد[4] .

ووقعت في بغداد حوادث اضطرابات وهي نتيجة طبيعية لمثل تلك

---

(١) **ابن الاثير : الكامل حـ٨ ص٧١**
(٢) الراوندي : راحة الصدور ص١٦٩ .
(٣) ابن الاثير : حـ٨ ص٧٢
(٤) المرجع السابق وصفحته .

الحالة التي فيها تدخل جيوش أجنبية أي بلد كان ، وحصل غلاء كبير ، كما حدثت فتنة بين الفقهاء الشافعية والحنابلة[1] • وعلى هذا النحو كان موقف العـــامة من السيادة السلجوقية في العـاصمة يختلف عن موقف الخليفة ورجال الدولة الرسميين • وفي سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م أراد السلاجقة توثيق علاقتهـم بالخليفـــة العبـــاسي ، وتحقق ذلـــك بزواج الخليفة القائم بأمر الله من ارســـلان خاتون خديجة ابنـــة داود اخي الســـلطان طغرلبك[2] •

وفي غمرة هذه الانتصارات الرائعة التي حازها طغرلبك ونجاحه في توطيد عرى المصاهرة مع البيت العباسي ، أخذت الانباء تترى عن حركات حربية واسعة يقوم بها القائد التركي ابو الحارث البساسيري ، والبساسيري هذا هو ارسلان بن عبدالله ، ابو الحارث البساسيري ، قائد تركي الاصل، كان من مماليك بني بويه ، وخدم القائم العباسي فقدمه على جميع الاتراك في بغداد وقلده الامور بأسرها[3] • فالبساسيري اذن مولى من موالي بني بويه • فانه ربى على ما ارجح تربية فيها لقن اصول المذهب الشيعي ، وأنه لم يكن اصلا من الشيعة فعلى الأغلب انه تشيع بتأثير الوســط الذي عاش وتربى فيه ، ويبدو انه كان على درجة كبيرة من قوة الشخصية والكفاية والمقدرة ما جعله يتقدم في منـاصب الدولة حتى أصبح قائدها الاول •

---

(١) ابن الاثير : الكامل حـ٨ ص٧٢
 ـ ابو الفدا : المختصر في اخبار البشر جـ٢ ص١٨٢ •

(٢) البنداري : آل سلجوق ص١٠ـ١١ •
 ـ ابن الاثير : الكامل حـ٨ ص٧٤
 ـ ابو الفداء : تاريخ ابو الفدا جـ٢ ص١٨٣ •
 ـ عبدالمنعم حسنين : سلاجقة ايران والعراق •

(٣) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة جـ٥ ص٢ وص٦٤ •
 ـ ابن الاثير : اللباب جـ١ ص١٢١ •
 ـ ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ١ ص١٧٢ •

ولكن حصل نوع من المجافاة بين البساسيري والخليفة ، قيل ان سببها الوزير ابن المسلمة رئيسا لرؤساء ، ولكنني اعتقد ان الذي حصل بين الخليفة وبين قائده كان سببه الرئيس على ما أرجح هي السياسة التي اتبعها الخليفة حيال السلاجقة ، ومن الجائز ان يكون البساسيري كان لا يوافق على موافقة السلاجقة أو الاستسلام لهم ، كما انه وهو صاحب القوةالعسكريةفي البلاد كان يعتقد على ماأرجح ، ان بقدوم السلاجقة معناه زوال نفوذه وذهاب سيطرته ، لذا وقف موقفا مناوئا لكل اتصال وقد ظهر ذلك بشكل واضح عندما قدم بغداد سرا صاحبا قريش بن بدران صاحب الموصل والذي هو ممن دخلوا في طاعة طغرلبك فغضب البساسيري ولم يدخل دار الخلافة كعادته ، ومما قاله البساسيري في تلك اللحظات : ما اشكو الا من رئيس الرؤساء الذي خرب البلاد واطمع الغز وكاتبهم[1] • يظهر من كلام البساسيري أن رئيس الرؤساء قد اتصل بالسلاجقة لحسابه الخاص ومن وراء ستار ، واستمرت العلاقات تسوء بين الوزير والقائد البساسيري وصارت العامة تعتدي على دور البساسيري وانصاره ، كما اتهم الوزير ، القائد البساسيري بأنه يكاتب المستنصر صاحب مصر ، وبذلك نجح الوزير بافساد العلاقة بين الخليفة والقائد[2] • وكان في تقدير هذين الرجلين ، ان المخرج من الازمة معلق أما بالسلاجقة وأما بالفاطميين ، فتشيع كل واحد منهما لجهة من هاتين الجهتين غير ان الوضع الاستراتيجى للعراق يجعله دائما تحت رحمة من يملك الجبال الشمالية •

وعند دخول طغرلبك بغداد كان البساسيري في واسط ومنها سار الى الحلة حيث هناك نور الدولة دبيس بن مزيد ، وتظهر في هذا الدور شخصية شيعية كان لها الاثر البعيد في تنظيم وتدبير حركة البساسيري ،

---

(١) ابن الاثير : الكامل جـ٨ ص٦٨

(٢) المرجع السابق جـ٨ ص٧٠

تلك هي شخصية المؤيد في الدين هبةالله بن موسى بن عمران[١] ، الذي ولد بشيراز حوالى سنة ٣٩٠هـ ، وانه تدرج في مراتب الدعوة حتى صار حجة بلاد فارس وعرف بنشاطه في الدعـوة لمذهبـــه الى درجـة أدت الى نفيه من شيراز سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م وظله كذا حتى هرب الى مصر سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٤م ، وفي مصر تمكن من توطيد علاقة له مع بعض الوزراء ورجال البلاط ، كما تمكن من الاتصال بالخليفة الفاطمي الذي أعجب بأدبه وسعة علمه[٢] .

ان المؤيد في الدين ، تحدث في رســائله كيف تمكن من اقنـــاع المسؤولين المصريين بضرورة تقديم العون الى القائد البساسيري الذي خرج على طاعة الخليفة العباسي ، ويبدو ان المؤيد في الدين ، عرف بما اوتي من الذكاء والفطنة كيف يستغل الظروف لتحقيق أهداف ما يحمل من فكرة . وأرسل المؤيد في الدين كتبا الى البساسيري يطلب منه العمـل للخليفة الفاطمي[٣] ، كما أعد الفاطميون الاموال والخلع والسلاح التي وعدوا بهـا البساسيري ، وطلبوا من المؤيد في الدين مصاحبـة الاموال والخلع ، وكاتب المؤيد ، دبيس بن مزيد الاسدي صاحب الحلة على اللحاق به كما كاتب غيره من المؤيدين للبساسيري[٤] ، وبعد جهد جهيد ، تمكن المؤيد في الدين من تنظيم جيش كبير ، تحت لواء البساسيري ، وسار هذا

---

(١) الدكتور محمد كامل حسين : ديوان المؤيد في الدين ص١٨
ولكن ايفانوف يرجح أن اسم ابيه الحسين .
راجع : Jvanov : the creed of the Fatimide, p. 5

(٢) الدكتور محمد كامل حسين : سيرة المؤيد في الدين ص١٤ــ١٦

(٣) الدكتور محمد كامل حسين : ديوان المؤيد في الدين ص٤٠ .

(٤) المرجع السابق ص٤٢ــ٤٤

الجيش الى الموصل وانتصر في الموقعة التي عرفت بموقعة سنجار[1] ، وانهزم السلاجقة وقريش بن بدران الذي كان في طاعة طغرلبك ، وأرسل المؤيد في الدين الى مصر باخبار النصر ، وجرح في هذه الموقعة قريش ابن بدران وأتى الى دبيس[2] ، وتوسط عند المؤيد في الدين أن يعفو عن قريش بن بدران وان يخلع عليه[3] ، ويذكر ابن الاثير : ان دبيسا اعطى قريش بن بدران خلعة كانت قد نفذت من مصر فلبسها وصار في جملتهم وساروا الى الموصل وخطبوا لخليفة مصر بها وهو المستنصر بالله وكانوا قد كاتبوا الخليفة المصري بطاعتهم فأرسل اليهم الخلع من مصر للبساسيري ولنور الدولة دبيس بن مزيد ولجابر بن ناشب ولمقبل بن بدران اخي قريش ولابي الفتح بن ورام ونصير بن عمرو ابي الحسن بن عبدالرحيم ومحمد بن حماد وانضاف اليهم قريش بن بدران[4] .

ان المتتبع للتشكيلة التي نظمها المؤيد في الدين للجيش الذي دخل الموصل يرى ان هذا الجيش ، غير منسجم ولم يحارب من أجل فكرة معينة ، ان غرض اكثرية الزعماء المشاركين كانت مادية لا تعدو عن الحصول على الخلع والاموال ، وسرعان ما دب الفساد والانقسام[5] ، فتفرق رؤساء الجيش مع انصارهم ، وجهز طغرلبك جيشا كبيرا اتجه به نحو الموصل ، وانتصر السلطان انتصارات كبيرة انهزم على أثرها البساسيري الى الرحبة وطلب دبيس بن مزيد وقريش بن بدران العفو ودخلا في طاعة طغرلبك[6] ، وفشلت حركة البساسيري في الموصل ، ورجع المؤيد في الدين

(١) الدكتور محمد كامل حسين : ديوان المؤيد في الدين
 ــ **ابن الاثير : جـ٨ ص٧٧**

(٢) **ابن الاثير: جـ٨ ص٧٧**

(٣) الدكتور محمد كامل حسين : الديوان ص٤٥ .

(٤) **ابن الاثير : الكامل جـ٨ ص٧٨**

(٥) الدكتور محمد كامل حسين : الديوان ص٤٥ .

(٦) ابن الاثير : الكامل : جـ٨ ص٧٨

الى مصر حيث تقلد بعد ذلك منصب داعي الدعاة[1] ، وداعي الدعاة هو الذي ينظم الدعوة الفاطمية ويوجهها ، وهذه الوظيفة كانت من مفردات الدولة الفاطمية ، كما ان داعي الدعاة كان يلي قاضي القضاة في الرتبة ويتزيا بزيه في اللباس وغيره[2] .

ترك طغرلبك الموصل بعد أن عين ابراهيم ينال حاكما عليها وتوجه نحو بغداد[3] ، ولما وصلها خرج لاستقباله الوزير رئيس الرؤساء فلقيه عميد الملك وزير السلطان في جماعة من الامراء ، وجاء رئيس الرؤساء الى السلطان فأبلغه سلام الخليفة واستيحاشه فقبل الارض وقدم رئيس الرؤساء جاما من ذهب فيه جواهر وألبسه فرجيه[4] ، وطلب السلطان طغرلبك مقابلة الخليفة ليتخذ من هذه المقابلة ، فرصة للانتصار على البساسيري والدعاية الفاطمية ، فأذن له في ذلك وجلس الخليفة يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة سنة **٤٤٩هـ : ١٠٥٩م** جلوسا عاما وحضور وجوه العسكر واعيان بغداد ، ودخل طغرلبك والخليفة على سرير عال من الارض نحو سبعة أذرع وعليه بردة النبي « صلى الله عليه وسلم » وبيده القضيب الخيزران ، فقبل السلطان الارض وقبل يده وأجلس على

---

(١) الدكتور محمد كامل حسين : السيرة ص١٧ .
(٢) المقريزي : الخطط جـ٢ ص٢١٧ .
ـ القلقشندي : جـ٣ ص٤٨٧ .
(٣) ابن الاثير : الكامل حـ٨ ص٧٩
ـ ابو الفداء : تاريخ ابو الفداء جـ٢ ص١٨٤ .
(٤) ابن الاثير : الكامل حـ٨ ص٨٠/الجام : اناء من فضة .
فرجية : نوع من العباء المسترسل ويصنع اليوم غالبا من الجوخ وله اكمام واسعة طويلة تتعدى اطراف الاصابع وهى **غيرمفتوحة او مثقوبة .**
ويسميها البعض الآخر فراجية ، انها جبة فضفاضة محلاة بالفراء وهي جبة العظماء وملاءة النساء . (مولانا نظام قارىء : قاموس الالبسة.ص٢٠٢) .

كرسي فقال الخليفة لرئيس الرؤساء : قل له ان أمير المؤمنين شـــاكر لسعيك حامد لفعلك ، مستأنس بقربك ، وقد ولاك جميع ما ولاه الله من بلاده ، ورد عليك مراعاة عباده ، فاتق الله فيما ولاك ، واعرف نعمته عليك في ذلك ، واجتهد في نشر العدل ، وكف الظلم واصلاح الرعية ، فقبل الارض ، وأمر الخليفة بافاضة الخلع عليه ، فقـام الى موضع لبسها فيه وعاد وقبل يد الخليفة ووضعها على عينيه ،وخاطبه الخليفة بملك المشرق والمغرب[1] . يدل هذا اللقب ان الخليفة ، اعترف لطغرلبك بما صار تحت يديه من بلاد المشرق وانه أذن له في ان يستخلص المغرب الواقع غربي العراق من يد الفاطميين ويدل هذا التلقيب أيضا على أن الآمال قد اتسعت وان الدولة الجديدة كانت تأمل ان يمتد سلطانها من بلاد ما وراء النهر الى الحدود المصرية الغربية .

في سنة ٤٥٠هـ حدثت مشكلة جديدة ، تلك هي مفارقة ابراهيـم ينال لمدينة الموصل نحو بلاد الجبل[2] ، واعتقد طغرلبك ان رحيل ابراهيم ينال هو من باب العصيان وكتب اليه السلطان يستدعيه وارسل اليه رسولا أيضا بنفس المعنى فرجع ابراهيم ينال الى السلطان وهو ببغداد ، أمـــا الموصل فظلت على مايبدو بدون حاكم ، ترى ماهي الاسباب التي دفعت ابراهيم ينال الى ذلك العمل الخطير ؟ هل ان ابراهيم ينال كان يريـد السيطرة على الجبل والاستقلال هناك ؟ أم انه كان متواطئا مع البساسيري أن يقوم بالرحيل فينقض البساسيري بعـد ذلـــك على الموصل ويسيطر عليها ؟

يبدو لي من سياق الحوادث التاريخية ان ابراهيم ينال كان طموحا وكان يرغب في السيطرة والاستقلال وهذا ما ستثبته الوقائع التاريخية في

---

(١) الكامل : حـ٨ ص٨٠

ـ ابو الفداء : تاريخ ابو الفداء جـ٢ ص١٨٤ـ١٨٥ .

(٢) ابن الاثير : الكامل حـ٨ ص٨٢

محاولته الاستقلال في همدان ، أما الجواب على السؤال الثاني ، بجواز وجود اتفاق سابق بين البساسيري وابراهيم ينال ، فانهناك اشارات وردتفي السيرة[1] التى كتبها المؤيد في الدين كما وردت اشارات عابرة في كتابي المنتظم والكامل[2] ، عن وجود مراسلة بين ابراهيم ينال والقائد البساسيري، وخلاصة تلك الاشارات ان البساسيري جاءه رسول من قبل ابراهيم ينال يطلب منه المعونة وانه اي ابراهيم ينال سيملك البلاد باسم الفاطميين[3] ٠

ولما خلت الموصل من العساكر السلجوقية ولم يبق فيها الا القليل اغتنم البساسيري وقريش بن بدران الفرصة واستوليا على الموصل ، ولما علم السلطان طغرلبك بذلك جهز جيشا كبيرا واصطحب معه ابراهيم ينال ولما وصل الموصل كان البساسيري وقريش بن بدران قد فارقاها الى نصيبين ، فسار طغرلبك ليتتبع آثارهم ، في هذه الفترة فارقه اخوه ابراهيم ينال فسار نحو همدان ، قال ابن الاثير : وكان قد قيل ان المصريين كاتبوه والبساسيري قد استماله واطمعه في السلطنة والبلاد[4] ٠

الآن وقد تغير مجرى الحوادث ويبدو ان السلطان طغرلبك غضب على اخيه ابراهيم ينال ، وصمم على ان ينزل به ضربة شديدة قبل ان يستقر في همذان ويزداد خطره ، فسار السلطان متجها نحو همذان وتاركا الموصل والعراق بأجمعه ، ولم يستقر للسلطان بال حتى بلغ ابراهيم ينال وقتله[5] ٠

---

(١) سيرة المؤيد في الدين : ص١٧٤ـ١٨٤ ٠
(٢) ابن الجوزي : المنتظم جـ٨ ص١٩٠ ٠
ـ **ابن الاثير : الكامل حـ٨ ص٨٣**
(٣) سيرة المؤيد في الدين : ص١٧٤ وما بعدها ٠
(٤) **ابن الاثير : الكامل حـ٨ ص٨٣**
(٥) راحة الصدور ص١٧١ ٠
ـ **زبدة النصرة ص١٥ـ١٦ ٠**

اذن كان ابراهيم ينال كمـــا يبدو شخصا طموحا ، طامعـــا في الاستقلال والسلطنة كما تجدر الاشارة هنا ، الى ان ابراهيم اضافة الى طموحه واطماعه ، كان حاقدا على طغرلبك منذ مدة طويلة ، فمنذ سنة ٤٤١هـ بدأت حالة جفوة ونفرة بين السلطان طغرلبك وابراهيم ينال ، ذلك ماوجده السلطان من نشاط وتوسع ابراهيم في بلاد الروم ، كما كان ابراهيم نفسه يمتلك همذان وبلاد الجبل فسعى السلطان طغرلبك الى تقليص ملكـه « فطلب منه تسليم همذان والقلاع التى بيده في بلد الجبل فامتنع ابراهيم، فقامت بينهما الحرب انتهت بانتصار طغرلبك الـذى اكرم واحسن الى ابراهيم عندما نزل اليه وخيّره ان يقطعه بلادا يسير اليها وبين ان يقيم معه ، فاختار المقام معه »[1] فقيامه بتلك الحـركة من المرجح ان تكون نتيجة للحقد الكامن في نفس ابراهيم ينال ، أو انها صورة للتشفي واخذ الثأر . والسلطان طغرلبك وان استأصل هذا الخطر الذى ظهر في سلطنته، الا انني ارى ان السلطان لم ينظـم الامور بشكل يوفر للعــراق الامن والاستقرار ، فكان على السلطان قبل ان يفارق الموصل لمحاربة ابراهيم ينال ، أن يفكر في خطر البساسيري واطماعه ، وكان من الواجب ترك قوة عسكرية كافية في الموصل وبغداد لصد أى اعتداء أو غزو ، ذلك لان البساسيري انتهز مسير السلطان الى همدان فهاجم بغداد ومعه دبيس بن علي بن مزيد الاسدي[2] وقريش بن بدران وحاصروا الخليفة في حرمه وأسروه ، وقتلوا الوزير رئيس الرؤساء ، ثم ارسلوا الخليفة الى مدينة «عانة» واودعوه لدى شخص عربي اسمه «مهارش بن المجلى» وهو ابن عم قريش بن بدران[3] ، وأصبحت بغداد من جديد بقبضة البساسيري ،فخطب

---

(١) ابن الاثير : حـ٨ ص٥١ـ٥٢

(٢) البنداري : زبدة النصرة ص١٢ .

(٣) الراوندي : راحة الصدور ص١٧٢ .
ـ ابن الاثير : الكامل حـ٨ ص٨٣ـ٨٤ .
ـ المنتظم جـ٨ ص١٩١ـ١٩٧ .

للخليفة المستنصر الفاطمي[1] ، وضرب الدنانير وسماها «المستنصرية»،وكان عليها من فرد جانب « لا اله الا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله علي ولي الله » ومن الجانب الآخر « عبدالله ووليه الامام ابو تميم معد المستنصر بالله أمير المؤمنين »[2] واستولى البساسيري فى هذه الفترة ايضا على واسط والبصرة وحاول السيطرة على الاهواز ، لكنه وجد ان طغرلبك يمد صاحب الاهواز بالعساكر فصالحه[3] .

وصلت الى يد السلطان طغرلبك ، رسالة من الخليفة الذى كان اسيرا في « عانة » جاء فيها : « بحق الله ادرك الاسلام فقد ساد العدو اللعين واخذ ينشر مذهب القرامطة[4] » ، ولما فرغ السلطان من القضاء على حركة ابراهيم ينال ، استعد لمواجهة البساسيري ، فسار بجيش كبير نحو العراق ، ودخل الاراضى العراقية عن طريق حلوان ، فانتشر الخبر فى بغداد ، فساد المدينة الاضطراب ، وحاول البساسيري الهروب ولكنه اضطر الى مقابلة جيش السلاجقة في طريق الكوفة ، وكان بنيته الهروب الى الشام ، وكان يقود السلاجقة «خمارتكين الطغرائي»[5] فانتصر السلاجقة وقتل البساسيري وحمل رأسه الى دار الخلافة . وجعل على قناة وطيف به وصلب قبالة باب النوبي[6] ، وأعيد الخليفة القائم بأمر الله من بلدة عانة الى بغداد ، وعظم

---

(١) ابن الجوزي : جـ٨ ص١٩٦ .
— ابن الاثير : حـ٨ ص٨٣
(٢) المنتظم : جـ٨ ص١٩٦ .
(٣) الكامل : حـ٨ ص٨٤ـ٨٥
(٤) راحة الصدور : ص١٧٢ .
(٥) ابن الاثير : الكامل حـ٨ ص٨٦
(٦) ابن الجوزي : المنتظم جـ٨ ص٢١٢ .
— الراوندي : راحة الصدور ص١٧٥ .
— ابن الاثير : الكامل حـ٨ ص٨٦

نفوذ طغرلبك ولقبه الخليفة بلقب جديد هو « ركن الدين »[١] وتخلصت الخلافة العباسية من عنصر كبير للفتنة وعادت الخطبة خالصة للخليفة القائم بأمر الله العباسي .

وفي سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م انحدر السلطان طغرلبك الى واسط وكانت قد نهبت ، فأمر بضمانها الى ابي علي بن فضلان بمائتي ألف دينار ، وضمن البصرة أبو سعد سابور بن المظفر ، وعبر السلطان الى الجانب الشرقي من دجلة ، وسار الى قرب البطائح فنهب العسكر ما بين واسط والبصرة والاهواز واصعد السلطان الى بغداد في صفر سنة اثنتين وخمسين وأربعماية ... واجتمع بالخليفة وتناول معه الطعام[٢] .

وبعد أن استتب الامر في العراق غادر السلطان طغرلبك متجها الى اذربيجان ونزل بمدينة تبريز ، وترك في بغداد وزيره عميد الملك الكندري ، وجعل لبغداد شحنة[٣] ، الامير برسق وضمنها أبو الفتح المظفر ابن الحسين ثلاث سنوات بأربعماية ألف دينار[٤] . وكان السلطان قد رغب في الزواج من ابنة الخليفة العباسي القائم بأمر الله[٥] . والارجح ان السلطان كان يطمع أن يرزق بولد من سيدة عباسية ، وان يربط الاسرة السلجوقية بالنسب العباسي ، وكلف وزيره بمفاتحة الخليفة بذلك ولكن

---

(١) راحة الصدور : ص١٧٥ .

(٢) ابن الاثير : حـ٨ ص٨٩

(٣) الشحنة : وظيفة جديدة في العهد السلجوقي ، ويشرف صاحبها على ولاية بغداد وله سلطات ادارية وبوليسية واشبه ما يكون بالمتصرف .

(٤) ابن الاثير : حـ٨ ص٨٩

(٥) اخبار الدولة السلجوقية ص٢١
ابن الاثير : حـ٨ ص٩٢

الخليفة أبدى ممانعة في بداية الأمر ولكنه اضطر اخيرا الى الموافقة ، واتفق أن يكون مهرها أربعمائة درهم من الفضة ودينارا واحدا من الذهب ، وهو مهر السيدة فاطمة الزهراء «عليها السلام»[1] وأجريت مراسيم العقد في تبريز وعقد قاضي بغداد خطبة النكاح ، وبعدها خرج السلطان قاصدا الري ليتم الزفاف فيها باعتبارها دار ملكه ، ولكن السلطان وقع مريضا وزاد عليه المرض ومات في رمضان سنة خمس وخمسين واربعمائة، وعادت السيدة ومعها مهرها الى بغداد[2] ، وهناك رواية اخرى تشير الى انه عاش بعد زفافه سبعة شهور ثم مات في رمضان سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م[3] .

ألب أرسلان

لم يترك طغرلبك وريثا له وكان هذا من العوامل التي أدت الى وقوع بعض الحوادث للتشبث بالاستيلاء على عرش السلاجقة ، فالوزير عميد الملك الكندري أجلس على عرش السلطنة سليمان بن داود جغري بك أخي السلطان طغرلبك ، وكان طغرلبك قد عهد اليه بالملك ، وكان الب أرسلان محمد بن داود جغري بك حاكما على خراسان ومعه وزيره المشهور نظام الملك ، أبو علي الحسن بن علي بن اسحق الطوسي ، وكان الب أرسلان طامعا في العرش السلجوقي ويلقى تأييدا من أمراء كثيرين ، وكان سليمان طفلا صغيرا ، ولما وجد الوزير الكندري خطورة الوضع

---

(١) راحة الصدور : ص١٧٧

(٢) راحة الصدور : ص١٧٨ .
ـ البنداري : زبدة النصر ص٢٦ .

(٣) صدرالدين : زبدة التواريخ/ورقة ١٤ .
الاصفهاني : زبدة النصرة ص٢٥
الكامل : جـ١٠ ص٩ .

أمر بقراءة الخطبة بالري باسم الب ارسلان[١] ، وأن يكون سليمان وليا لعهده[٢] ، وبعد ذلك تمكن نظام الملك بما اوتي من الحيلة وكبير الدهاء من أن يوقع بالوزير الكندرى ويحمل السلطان على سجنه ومن ثم الى قتله[٣] ، وبذلك صفا الجو لنظام الملك ، وبدت في الجو حركة جديدة ، قام بها شهاب الدولة قتلمش بن اسرائيل ، واعلن في حركته انه أحق من ألب أرسلان فى سلطنة السلاجقة ، ولكن الب ارسلان جهز له جيشا كبيرا توجه به الى الرى ومعه وزيره نظام الملك ، وخرج اليه قتلمش بجيش كبير أيضا ، وقد لعب الوزير نظام الملك فى تلك المعركة دورا كبيرا وظهرت فيها حنكته العسكرية ، وانتصر السلطان الب ارسلان على قتلمش ، وانكسر جيشه ووجد قتلمش ميتا في ميدان المعركة[٤] ، وأصبح الب أرسلان بعد هذه المعركة سيد الموقف لا ينازعه من احد فى السلطنة .

والظاهر من تاريخ حكم السلطان الب أرسلان انه انشغل فى مشاكل وأحوال الدولة كثيرا ولم تتح له الفرصة لزيارة العراق ولم يدخل بغداد طيلة حكمه ٤٥٥-٤٦٥هـ/١٠٦٣-١٠٧٢م ، والخليفة العباسي لا يزال هو القائم بأمر الله ، ونلاحظ في هذه الفترة قيام التعاون والاحترام بين الخلافة والسلطنة السلجوقية ، فالسلاجقة كانوا بشكل عام يكنون التقدير والتبجيل لمقام الخلافة ، وكانت مقترحات وأوامر الخليفة لها موضع العناية والتنفيذ ، ففي سنة ٤٦٤هـ/١٠٧١م ورد ايتكين السليماني شحنة بغداد[٥] من عند السلطان الى بغداد فقصد دار الخلافة وسأل العفو عنه وأقام اياما

---

(١) الراوندي : راحة الصدور ص١٨٥ .
(٢) ابن الاثير : حـ٨ ص٩٥
(٣) راحة الصدور : ص١٨٧ .
- ابن الاثير حـ٨ ص٩٦-٩٧
- اخبار الدولة السلجوقية ص٢٥ .
(٤) ابن الاثير : حـ٨ ص٩٨
(٥) ابن الاثير : حـ٨ ص١١١

فلم يجب الى ذلك ، وكان سبب غضب الخليفة عليه ، انه كان قد استخلف ابنه عند مسيره الى السلطان وجعله شحنة بغداد فقتل أحد المماليك الدارية فأنفذ قميصه فى الديوان الى السلطان ووقع الخطاب فى عزله ، وكان نظام الملك يعني بالسليماني ، فأضاف الى اقطاعه تكريت ، فكوتب واليها من ديوان الخلافة بالتوقف عن تسليمها ، فلما رأى نظام الملك والسلطان اصرار الخليفة على الاستقالة من ولايته شحنكية بغداد ، سير سعد الدولة كوهرائين الى بغداد شحنة وعزل السليمانى عنها اتباعا لما امر به الخليفة القائم بأمر الله ، ولما ورد سعد الدولة خرج النـــاس لتلقيه وجلس له الخليفة[1] .

يوجد فارق بين السيادة السلجوقية والسيادة البويهية هو ان الدولة السلجوقية كانت دولة العراق العجمى الواقع فى صرة المشرق وكان العراق طرفا من اطراف الدولة السلجوقية على حين كان العراق مركزا أساسيا من مراكز الدولة البويهية .

وفى هذا العهد تبودلت الهدايا بين الخلافة والسلطنة ، ففى ســنة ٤٦٤هـ/١٠٧١م أرسل الخليفة العباسى القائم بأمر الله ، عميد الدولة بن جهير ومعه الخلع للسلطان ولولده ملكشاه ، وكان السلطان قد أرسل بطلب من الخليفة ان يأذن فى أن يجعل ولده ملكشاه ولي عهده ، فأذن الخليفة بذلك ، وسيرت له الخلع مع عميد الدولة[2] .

وفى هذه السنة أيضا طلب الخليفة من عميد الدولة ان يخطب ابنة السلطان الب أرسلان من زوجته سفرى خاتون لولي العهد المقتدى بأمر الله ، فلما حضر عند السلطان خطب ابنته فأجيب الى ذلك وعقد النكاح بظاهر نيسابور وكان عميد الدولة الوكيل فى قبول النكاح ونظام الملك

---

(١) الاصفهاني : آل سلجوق ص٤٢
ابن الاثير : حـ٨ ص١١١
(٢) ابن الاثير : حـ٨ ص١١١

الوكيل من جهة السلطان في العقد[١] .

وتوسعت الدولة السلجوقية فى عهد الب أرسلان توسعا كبيرا وكانت له مع الروم وقائع وحروب ، ولعل من اشهرها واهمها موقعة «ملاذكرد» في سنة ٤٦٣هـ/١٠٧٠م ففى هذه السنة خرج الامبراطور رومانوس فى جيش عظيم بلغ عدده ٢٠٠ ألف مقاتل ، وكان السلاجقة يعدون ١٥ ألف مقاتل وكان الامبراطور البيزنطى يقصد مهاجمة الدولة الاسلامية والاحتفاظ بسيادته على أرمينية بعد ان زعزع السلاجقة هذه السيادة وهددوها تهديدا خطيرا ، ولارمينية اهمية خاصة فى تاريخ الثغور فان امتلاك الروم اياها يكسبهم استراتيجية خاصة ضد الجبهة الاسلامية وكان استيلاء السلاجقة على ارمينيا من شأنه تحقيق الامن فى الحدود الاسلامية . واصطدمت الجيوش البيزنطية مع جيش السلاجقة في «ملاذكرد» من اعمال«الخلاط» في مدخل آسيا الصغرى ، وانتصر الب أرسلان فى تلك الوقعة انتصارا ساحقا واسر في تلك الوقعة امبراطور الروم رومانوس ديوجين[٢] ، وكان لهذا الانتصار صداه الكبير فى العالم الاسلامى ، وبعث الخليفة العباسي القائم بأمر الله ، كتاب تهنئة الى السلطان الب ارسلان بمناسبة نجاحه وفوزه فى تلك الوقعة ، ومما جاء فى الكتاب « الولد السيد الاجل ، المؤيد المنصور المظفر ، السلطان الاعظم مالك العرب والعجم ، سيد ملوك الامم ، ضياءالدين ، غياث المسلمين ، ظهير الايمان ، كهف الانام ، عضد الدولة

---

(١) آل سلجوق : ص٤٣ .
ـ ابن الاثير : حـ٨ ص١١١

(٢) الراوندي : راحة الصدور ص١٨٩ وذكر ان عدة الروم ستماية ألف مقاتل .
ـ ابن الاثير : حـ٨ ص١٠٩ـ:١١
ـ ابن القلانس : ذيل تاريخ دمشق ص٩٩ـ١٠٥ .
ـ البنداري : زبدة النصرة ص٣٨ـ٤٤ .
ـ الحسيني : اخبار الدولة السلجوقية ص٤٦ .

القاهرة ، تاج الملة الباهرة ، سلطان ديار المسلمين ، برهان امير المؤمنين ، حرس الله تمهيده وجعل من الخيرات مزيده »[١] •

ولا شك في أن انتصار السلاجقة في ملاذ كرد يعتبر رمزا لعزم السلاجقة على الجهاد والمشاركة في حماية الحدود الاسلامية مشاركة فعالة مجيدة ذات اثر عميق في التاريخ الحربي للثغور الاسلامية •

وفي سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م توجه الب ارسلان الى بلاد ماوراء النهر بجيش كبير يزيد على مائتي ألف جندي للقضاء على الفتن المستعرة هناك وقد جيء للسلطان الب أرسلان بأحد الثائرين ويدعى يوسف الخوارزمي وكان شخصا عنيدا فرغب السلطان بقتله بنفسه ، فرماه بسهم فأخطأ الاصابة ، واغتنم يوسف الفرصة فهجم على السلطان وطعنه بسكين كان يخفيها ، وكان سعد الدولة كوهرائين واقفا فأصيب هو الآخر بجرح ولكنه لم يكن مميتا[٢] •

وفي عصر الب ارسلان شيدت المدارس النظامية ومن اهمها نظامية بغداد ، شيد تلك المدارس الوزير السلجوقي نظام الملك ، فقد بدأ بنائها سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٤م كما أنشأ شرف الملك أبو سعد المتوفى مدرسة للحنفية في مشهد ابي حنيفة في السنة نفسها[٣] • انظر شكل : (٢)

---

(١) اخبار الدولة السلجوقية ص٥٣ •
(٢) راحة الصدور : ص١٩١ •
ـ اخبار الدولة السلجوقية ص٥٤ •
ـ آل سلجوق : ص٤٤ •
ـ حمدالله المستوفي : كزيدة ص٤٤٢ •
ـ ابن الاثير : حـ٨ ص١١٢
(٣) ابن الاثير : حـ٨ ص١٠٥
ـ آل سلجوق : ص٣١ •
ـ اخبار الدولة السلجوقية : ص٦٨ـ٦٩ •

ملكشـــــاه

تولى سلطنة السلاجقة ملكشاه ، وأرسل ملكشاه الى بغداد يطلب الخطبة فخطب له على منابرها[1] . وقد واجهت ملكشاه في أول حكمـه ٤٦٥هـ/١٠٧٢م مشكلة الا انه تمكن من تذليلها بسرعة ، اذ طمع عمه « قاورد » في الملك فتحرك ملكشاه بسرعة على رأس جيش جرار من خراسان والتقى بجيش عمه عند باب الكرج فدامت المعركة بينهما ثلاثة أيام بلياليها ، وانتهى بهزيمة « قاورد »[2] .

وفي سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م ورد سعد الدولة كوهرائين الى بغداد من عسكر السلطان وجلس له الخليفة القائم بأمر الله ووقف على رأسه ولي العهد المقتدى بأمر الله ، وسلم الخليفة الى كوهرائين عهد السلطان ملكشاه بالسلطنة وقرأ الوزير اوله وسلم اليه ايضا لواء عقده الخليفة بيده[3] .

واستمرت علاقة السلاجقة مع الخلافة العباسية حسنة طيبة ، وفي سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م ارسل الخليفة وزيره فخر الدولة أبا نصر بن جهير الى السلطان يخطب ابنته لنفسه فسار فخر الدولة الى اصبهان لمواجهـة السلطان يخطب ابنته ، فأمر نظام الملك ان يمضى معـه الى خاتون زوجة السلطان في المعنى فمضيا اليهـا فخاطباها فقالت : ان ملك غزنة وملـوك الخانية بما وراء النهر طلبوها وخطبوها لاولادهم وبذلوا اربعمائة ألف دينار ، فان حمل الخليفة هذا المال فهو أحق منهم ، فعرفتها ارسلان خاتون

---

(١) ابن الاثير : حـ٨ ص١١٣

(٢) البنداري : زبدة النصرة ص٤٨ .
- حمدالله المتوفى : كزيدة ص٤٤٣ .
- محمد ابراهيم : تاريخ سلاجقة كرمان ص١٣ .
- ابن الاثير : الكامل حـ٨ ص١١٤

(٣) ابن الاثير : الكامل حـ٨ ص١١٩
- آل سلجوق : ص٤٧ .

التي كانت زوجة القائم بأمر الله ما يحصل لهـا من الشرف بالاتصال بالخليفة ، وان هؤلاء كلهم عبيده وخدمه ومثل الخليفة لا يطلب منـه المال فأجابت الى ذلك واشترطت ان يكون الحمل المعجل خمسين ألف دينار وانه لا يبقى له سرية ولا زوجة غيرها ولا يكون مبيته الى عندها فأجيبت الى ذلك ، فأعطى السلطان يده وعاد فخر الدولة الى بغداد[1] .

وفي سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م دخل السلطان ملكشاه بغداد بعد فتـح حلب والجزيرة ونزل بدار المملـكة وركب مـن الغد الى الحلبة ولعب بالجوكان والكرة وأرسل الى الخليفة هدايا كثيرة فقبلها وزار السلطان ونظام الملك مشهد موسى بن جعفر وقبر معروف واحمد بن حنبل ومشهد أبي حنيفة[2] .

وفي سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م اتجه سعد الدولة كوهرائين الى واسـط لمحاربة مهتدي الدولة بن أبي الجبر صاحب البطايح ، وما ان ابتعد عن بغداد الا وظهرت فيها الفتن والاضطرابات[3] . ووقعت فتنة في بغداد بين أهل الكرخ وباب البصرة ولكن شحنة بغداد سعد الدولة تمكن من اخماد الفتنة[4] .

واستمرت الفتن في بغـداد وتعددت ويبدو ان السـلاجقة كانوا يخمدونها بالقوة والبطش ، وقد أدت تلك الفتن بالطبع الى اقلاق الامن والنظام وضعف مركز الدولة كما سيؤدي حتما الى احداث نفرة وعـدم انسجام بين العامة من الشيعة والمسؤولين .

وفي سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م زار السلطان ملكشاه بغداد للمرة الثانية

---

(١) ابن الاثير : حـ٨ ص١٢٩ـ١٣٠

(٢) المرجع السابق حـ٨ ص١٤٣

(٣) المرجع السابق : حـ٨ ص١٤٦

(٤) ابن الجوزي : المنتظم حوادث سنة ٤٨٠ جـ٩ ص٣٨ .
ـ ابن الاثير : حـ٨ ص١٤٧

ومعه نظام الملك ونزل بدار المملكة وامر ببناء جامع السلطان[1] وفي أواخر ايام الخليفة المقتدى بأمر الله ابن القائم بأمر الله كانت العلاقة بين السلطان ملكشاه السلجوقي والخليفة على غير مايرام وسبب ذلك ، ان الخليفة المقتدى كان قد تزوج من ابنة ملكشاه ورزق منها ولدا اسماه أبا الفضل جعفر ، وكان ملكشاه يريد ان يكون جعفر هو الولي للعهد ، بينما كان للخليفة ولد اكبر من جعفر هو المستظهر وكان يريد ولاية العهد له ، وساءت العلاقة بين الخليفة والسلطان ، وفي سنه ٤٨٥هـ/١٠٩٢م قصد السلطان ملكشاه بغداد فوصلها وكان على مايبدو يريد بالخليفة شرا ، فأرسل ملكشاه الى الخليفة يقول له ، تخرج من بغداد وتسكن أى بلد شئت ، فانزعج الخليفة من ذلك وطلب منه ان يمهله شهرا ، فقال ملكشاه : ولا ساعة واحدة • وترددت الرسل بينهما ثم استقر الحال بواسطة تاج الملك أبى الغنائم ، وزير ملكشاه ان يؤخره عشرة أيام ، فوافق السلطان على ذلك ، وأصيب السلطان بمرض مفاجيء فتوفى فى نصف شوال سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م وتخلص الخليفة المقتدى من تلك المحنة[2] • وقد اهتم ملكشاه بحفر القنوات وإقامة الاسوار والقلاع ، كما كان كثير التشجيع للعلماء والادباء[3] •

افول نجم السلاجقة العظام من عهد بركيارق الى وفاة سنجر

واختار السلاجقة بركيارق سلطانا عليهم وقدم الى بغداد وأرسل الى الخليفة المقتدى بأمر الله يطلب الخطبة ، فأجيب الى ذلك وخطب له ولقب

---

(١) ابن الاثير : الكامل جـ٨ ص١٥٩
ـ ابن الجوزي : المنتظم جـ٩ ص٥٧ الا انه ذكر بناء جامع السلطان فى سنة ٤٨٥ جـ٩ ص٦٠ •
(٢) ابن الطقطقي : الفخري ص٢١٧ •
ـ ابن الجوزي : المنتظم جـ٩ ص٦٢ و٦٩ •
(٣) Nichelson : Aliterary History of the Arabs, p. 276.

ركن الدين»[1] • وفي الخمس عشر من محرم سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م توفى الخليفة المقتدى بأمر الله فجأة وبويع لولده المستظهر بالله وله من العمر ست عشرة سنة وبايعه السلطان بركيارق والامراء والقواد[2] •

في الحقيقة ان السلاجقة فقدوا بوفاة ملكشاه ومقتل نظـــام الملك شخصيتين قويتين لهما من الحنكة السياسية والخبرة الادارية والعسكرية ماساعد على قوة الدولة السلجوقية وتنظيمها وتذليل الصعوبات التى وقفت أمام عجلة الدولة ، ولكننا نلاحظ ان الدولة السلجوقية بعد عصر ملكشاه أخذ الضعف ينخر في كيانها ويوهنهـا الانقسام والتنازع على الســلطنة ، فالمشاكل التى واجهت بركيارق فى أول حكمه كانت عوامل ضعف للدولة السلجوقية ، فبدلا من التوسع والسيطرة على أراضى جديدة كمـــا فعل طغرلبك والب أرسلان وملكشاه نجد بركيارق ينشغل فى اخمـــاد الفتن والحركات التي قامت ضده ، من قبل أم محمود «تركان خاتون» زوجـة ملكشاه المحبوبة ، والتى تمكنت من الحصول على اعتراف الخليفة بسلطنة ولدها ، ونجحت فى سجن بركيارق ولكن أنصار نظام الملك تمكنوا من انقاذ بركيارق ونصبه سلطانا ، فأصبح في العالم السلجوقي سلطانان وبدأت الحـرب بين تركان خاتون وبركيارق ، وقد انتهت تلك الحـرب بانتصار بركيارق • ثم نشب نزاع جديد حول العرش وأعلن تاج الدولة « تتش » الذى كان واليا على دمشق ، انه أحق بالسلطنة ، واحتل مناطق عديدة وهدد بركيارق ، واصطدم بركيارق مع عمه تتش فانتصر بركيارق وانهزم تتش الى الشام ، ثم قامت مشكلة اخرى قام بها خال بركيارق ، اسماعيل ابن ياقوتي وكان اميرا على أذربيجان ولكن هذا خسر المعركة في النهـاية ، وأخيرا ظهر في ميدان التنازع عمه تتش من جديد وفي هــذه المرة كان تتش قويا ومستعدا ولكنه خسر المعــركة مع بركيارق قرب الرى ســنة

---

(١) ابن الاثير : حـ٨ ص١٧٠

(٢) المرجع السابق •

٤٨٨هـ/١٠٩٥م كما انه قتل في المعركة[1] ، هذه الحركات والفتن كما نرى سببت تصدعا في وحدة الصفوف وأدت الى تفرقة السلاجقة وأخذت دولتهم تسير نحو الانحلال والتفكك ٠

وأهم مابرز من مشاكل في عهـــد السلطان بركيارق وهدد دولة السلاجقة هو الصراع الذى نشأ بين الوزراء ، كل وزير يريد ان تكون له الاهمية وان يكون له النفوذ ، فقد تمكن فخر الملك بن نظام الملك من التوصل الى منصب الوزارة على حساب أخيه مؤيد الملك[2] ، وكان فخر الملك هو الابن الاكبر لنظام الملك ولكن كانت وزارته في الحقيقة اسمية ولم تكن له سلطات مهمة اذ كان زميله مجـــد الملك الوزير السلجوقي لديوان الاستيفاء قد استحوذ على معظم السلطات وبسط نفوذه على جميع مرافق الدولة ، وبدأ التنافس بين مجد الملك وفخر الملك ، وكان مؤيد الملك وأخوه عماد الملك قد اتصلا بأعداء بركيارق وصارا من المساعدين لمحمد بن ملكشاه أخي بركيارق ، الذى كان واليا على اقليم اذربيجان من قبل السلطان بركيارق ، وفي سـنة ٤٩٠هـ/١٠٩٦م ، اصـدر السلطان بركيارق أمرا بخلع فخر الملك من الوزارة[3] وظل هذا منزويا في مدينة نيسابور ولكنه بعد فترة قصيرة عينه سنجر حاكم خراسان وزيرا له وبقي في هذا المنصب حتى اغتـــاله أحد الباطنية في العـــاشر من محرم سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م ٠ أى تخلى السلطان لفخر الملك بن نظام الدولة معناه انه تخلى عن أسرة نظام الملك التى كانت تحظى بتأييد كبير من رجالات

---

(١) ابن الاثير : الكامل حـ٨ ص١٧٥
ـ البنداري : زيدة النصرة ص٨٥ والمعركة وقعت عند قريـة تعرف (داشيلو) على بعد ١٢ فرسخا من الري ٠

(٢) الراوندى : راحة الصدور ص٢٢٠ ٠
ـ ابن الاثير : الكامل حـ٢ ص١٧٨
ـ البنداري : مختصر تاريخ آل سلجوق ص٧٩ ٠

(٣) ابن الاثير : حـ٨ ص٢٣٧

الجيش والادارة ، وظهـرت في الافق السياسى حركات وفتن جـديدة اضافت عوامل ضعف وانهيار لتلك العوامل التى أدت الى انحلال السلطنة السلجوقية ، فقد ثار فى اصفهان الامير « أنر » الذى كان قد اتصل بمؤيد الملك بن نظام الملك وكان الاخير هذا قد رغب اليـه الابتعاد عن السلطان بركيارق وخوفه منه[1] . وأشاروا اليه بمكاتبته غياثالدين محمـد بن ملكشاه وأعلن « أنر » العصيان ولكن أحد رجال الاسماعيلية اغتال الامير « أنر » وبهذا تخلص السلطان بركيارق من عدوه ، واتصل مؤيد الملك بمحمد بن ملكشاه أخي بركيارق كما بينا سابقا وصار يشجعه على خلع أخيه بركيارق وتمكن أخيرا من اقناعه وقبول فكرته ومن ثم عينه محمد وزيرا له وأخذ نفوذ محمد بن ملكشاه ينتشر ويقوى حتى ان سعد الدولة كوهرائين شحنة بغداد سابقا سار من بغداد واتصل «بكربوقا» صاحب الموصل و «جكرمش» «صاحب الجزيرة» و «سرخاب بن بدر» «صاحب كنكور»[1] وغيرها فساروا الى السلطان محمد نلقوه بقم فرد سعد الدولة الى بغداد وخلع عليه وسار كربوقا وجكرمش فى خدمته الى اصفهان ، ولما وصل سعد الدولة كوهرائين الى بغداد خاطب الخليفة فى الخطبة للسلطان محمد فأجاب الى ذلك وخطب له يوم الجمعة سابع عشر ذي الحجة ولقب «غياث الدنيا والدين»[2] ، وبدأ الصراع بين بركيارق وأخيه محمد وصارا كقطبين متنافسين فى العالم السلجوقى ، وفى خلال عام تقريبا اعيدت الخطبـة لبركيارق فى بغداد فقد عاد سعد الدولة كوهرائين وكربوقا وغيرهما من السلاجقة الى التخلى عن محمد ووزيره مؤيد الملك وكاتبوا بركـيارق وطلبوا مساعدته كما انهم ابدوا استعداداتهم لخدمته ، فقابلهم واعاد لهم

---

(١) الراوندى ص٢٢٧ — ابن الاثير : حـ٨ ص١٨٨

(٢) كنكور : قلعة حصينة قرب جزيرة ابن عمر (مراصد الاطلاع جـ٣ ص١١٨٢) .

(٣) ابن الاثير : حـ٨ ص١٩١
— ابن الجوزى : جـ٩ ص١٠٩ .

امتيازاتهم واستوزر بركيارق ببغداد أبا المحاسن عبدالجليل بن علي بن محمد الداهستانى ، وخلع الخليفة على بركيارق وعادت الخطبة له ببغداد مجددا[1] .

جهز بركيارق جيشا كبيرا اتجه به نحو شهرزور بينما اتجه محمد ابن ملكشاه بجيش معه مؤيد الملك نحو همدان وقامت الحرب بين الطرفين وجرت بينهما خمس معارك كانت الغلبة فى أربع منها لبركيارق وانتهى الامر بفوز محمد وهزيمة بركيارق فى المعركة الخامسة[2] ، ان هذه الحروب أنهكت الجانبين كما وجد بركيارق ضعف السلاجقة وعدمقدرتهم على احراز نجاح كبير ، فخاطب أخاه فى الصلح واتفق على ان تكون لمحمد البلاد من النهر المعروف «أسبيذروذ» الى باب الابواب وديار بكر والجزيرة والموصل والشام ، ويكون له من بلاد العراق بلاد سيف الدولة صدقة[3]، وأصبحت لبركيارق الاقاليم الجنوبية وحمل كل منهما لقب السلطنة وظل سنجر حاكما على خراسان .

وتوفى بركيارق سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م وكان قد عين قبيل وفاته ولده ملكشاه وليا لعهده ، كما عين الامير أياز اتابكا عليه ، وخطب لملكشاه فى هذه السنة وذلك بتأثير شحنة بغداد «أيلغازى» الذى كان في مقابلة مع بركيارق فى أصفهان ولكن السلطان توفى فعاد الشحنة الى بغداد ومعه ملكشاه بن بركيارق والامير أياز ونجح فى أن يخطب للملك الجديد فى مساجد بغداد وأن يلقب بجلال الدولة ، ولكن بعد فترة قصيرة قدم محمد ابن ملكشاه متوجها نحو بغداد ، واستعد الامير اياز ومن يؤيده الى اعداد عدة الحرب ومواجهة السلطان محمد بالقوة ولما وصل بأعلى بغداد من

---

(١) راحة الصدور : ص٢٢٨ .

(٢) ابن الاثير : حـ٨ ص١٩٦

(٣) المرجع السابق حـ٨ ص٢٢٠

الجانب الغربى أخذت مساجد الجانب الغربى تدعو للسلطان محمد بن ملكشاه بينما أخذت مساجد الجانب الشرقى تدعو لملكشاه بن بركيارق[1]، وهذا يمثل بأصدق تعبير على ماكانت تعانيه بغداد نتيجة الحوادث واختلاف السياسة والانقسامات التى حدثت بين الحكام السلاجقة ، ولما وجد الامير أياز انقسام وفرقة السلاجقة ، وكان من المؤيدين الى المصالحة بين الطرفين المتنازعين ، أرسل رسلا من أجل ذلك ، فتم الصلح[2] ، ونجت بغداد من فتنة كبيرة كادت تودى بكثير من أرواح أهلها وممتلكاتها .

من الملاحظ ان حالة السلاجقة أخذت فى الضعف والانهيار خلال سلطنة بركيارق ، بسبب النزاع الذي قام حول العرش ، والخصومات التي وقعت بين الوزراء والامراء ، كلهـا عوامـل فتكت بالوحدة السلجوقية وافقدتها حيويتها وقوتها ، اضف الى ذلك ان هنـاك عوامل هدم خطيرة كانت تعمـل على تقويض ذلك الـكيان بشكله العلني والخفي ، فالحروب الصليبية كانت قد اتسعت والصليبيون سيطروا على أراضي جديدة ، فسيطروا على انطاكية سنة ٤٩١هـ/١٠٩٧م وعلى بيت المقدس سنة ٤٩٣هـ/١٠٩٨م[3] ، وقتلوا خلقـا كثيرا من المسلمين ، والسلاجقة فى عهـد بركيارق كانوا منشغلين فى منازعاتهم وخصوماتهم ، وهناك عامل آخر من العوامل التى كان لها الاثر الكبير فى اضعـاف السلاجقة فى هذا الدور ، ذلـك هو حركات الباطنية ، وقد استغل الباطنية انقسام وتنازع السلاجقة الى اظهـار نشاطهم وتوطيد نفوذهم ونشر دعوتهم ، كما استطاعوا السيطرة على قلعة « شاهدز » التي تقع بالقرب من اصفهان سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٤م[4] ، وهى من القلاع المهمة القوية والتى انشأها السلطان ملكشاه بن الب ارسلان ، وكان

---

(١) ابن الاثير : حـ٨ ص٢٢٥
(٢) المرجع السابق : حـ٨ ص٢٢٦
(٣) ابن الجوزي : جـ٩ ص١٠٨ .
(٤) الراوندى : راحة الصدور ص٢٣٩ .

لسيطرة الباطنية على هذه القلعة الحصينة أثره الكبير في قوة الاسماعيلية ، التي صارت تقضي على من يناوىء دعوتها أو يقف في طريق نشرها ، فذهب الكثير من الشخصيات السلجوقية كنظام الملك الوزير السلجوقي الكبير ضحية مؤامراتهم كما فتكوا بولده فخر الملك الذي كان وزيرا لبركيارق ثم لسنجر من بعده وغيرهما من الشخصيات الكبيرة ، وقد حاول السلطان محمد بن ملكشاه أن يقضي عليهم وهداه تفكيره بضرورة السيطرة على حصن الاسماعيلية في « ألموت » والقضاء على رئيسهم الكبير الحسن الصباح ، ولكن الجيش السلجوقي الذي كان بقيادة نظام الملك احمد بن نظام الملك لم يتمكن من تحقيق رغبة السلطان وعجز عن الاستيلاء على حصن الباطنية الحصين ، بل ان الباطنية تصدوا للوزير القائد وحاولوا قتله ولكنه نجا من محاولتهم بأعجوبة وأصيب بجروح بليغة في رقبته[1] ، شفي منها بعد مدة ، وظل السلطان محمد يتعقبهم وينازلهم ، بل يبدو انه وضع معظم امكانيات الدولة من أجل استئصال شأفتهم ولكن الموت ادركه[2] . ان عمل السلطان محمد ذلك وان أضعف الباطنية وقلل من خطرهم ولكن الدولة السلجوقية تكبدت خسائر فادحة كانت عاملا مهما في انهاك قواها المادية والمعنوية . كما أن الباطنية ظلت مستمرة في عدائها للسلاجقة تثير الفتن والاضطرابات ضد تلك الدولة .

كانت الخلافة العباسية في بغداد تجاه تلك الحوادث والفتن تتأثر بميزان القوى ، فنرى الخليفة العباسي يوافق على ذكر اسم أحد السلاجقة في الخطبة بعد ان يظهر قوته في الميدان السياسي او الحربي ولكنه أي الخليفة كان على العموم ضعيفا غير قادر على السيطرة ، ولكننا نلمس بعد وفاة محمد بن ملكشاه السلجوقي انقساما واضحا في جسم الدولة

---

(١) ابن الاثير : حـ٨ ص٢٥٩

(٢) ابن الجوزي : المنتظم جـ٩ ص١٩٦ .

- ابن الاثير : الكامل حـ٨ ص٢٧٧

السلجوقية فالسلطان محمد اوصى من بعده بالعهد لولده محمود وكان فى الرابعة عشرة من عمره ووافق الخليفة المستظهر بالله العباسى على ذلك[1]، ولكن عمه سنجر والي خراسان وجد نفسه أفضل من ابن اخيه فى سلطنة السلاجقة فأعلن نفسه سلطانا عليهم[2] ، وأصبح فى العالم السلجوقى سلطانان وقامت بالطبع الحروب بين السلطانين انتهت بانتصار سنجر ، واعترف الخليفة له بالسلطنة[3] ، ويبدو ان سنجر عطف على ابن أخيه فتصالح معه وقدم له هدية وعينه وليا لعهده من بعده وأعلن ذلك للخليفة العباسى ولامراء الدولة[4] .

والسلطان سنجر هو آخر السلاطين السلاجقة العظام . خطب له على المنابر بالسلطنة نحو أربعين سنة وكان قبلها يلقب بالملك[5] ، وأناب عنه فى العراق ابن أخيه محمود ومنحه كل ما قد تركه من رسوم السلطنة وشعائرها . وأعطاه خلعة خاصة ، كما منحه قباء مرصعا بالجواهر وجوادا المنوبة مسرجا بسرج احمر ، وفيلا عليه هودج مرصع ، وأنعم على أمرائه حسب درجاتهم[6] . وأصبح نفوذ سنجر يمتد من حد كشغر الى اقصى بلاد اليمن ومكة والطائف ومكران وعمان واذربيجان الى حدود الروم[7] . وكان سنجر وقد بلغ هذا الحد الكبير من النفوذ الا ان عصره لم يخلو من المشاكل التى أودت بدولته وحياته ، وكان الخطر عليه مصدره القبائل التركية التى سكنت شمال شرقى ايران والتى تمكنت من تكوين دولة عرفت بالدولة القرهخطائية وعاصمتها (بلاساغون) ، وقد عظم نفوذ هذه

---

(١) ابن الاثير : حـ٨ ص٢٧٧
(٢) المرجع السابق حـ٨ ص٢٨٦
(٣) المرجع السابق حـ٨ ص٢٨٨
(٤) المرجع السابق وصفحته .
(٥) المرجع السابق حـ٩ ص٥٥
(٦) راحة الصدور : ص٢٥٩ .
(٧) المرجع السابق : ص٢٦٠ .

الدولة وأخذت تهاجم المدن الاسلامية التي يعتبرها سنجر من أملاكه ، ولما كثرت تعديات هذه الدولة جهز سنجر جيشا لمواجهة هذه القبائل ، ولكن القرهخطائية عندما وجدوا ان الخطر قد أحدق بهم ، استماتوا في الدفاع عن بلادهم وأراضيهم في معركة عند (قطوان) بالقرب من سمرقند سنة ٥٣٦هـ - ١١٤١م وكانت نتيجة تلك المعركة هزيمة نكراء الحقت بسنجر ، ووقعت زوجته أسيرة في أيدى القرهخطائيين[١] ، وكان لهذه المعركة أثرها الكبير في اضعاف سنجر وضياع هيبته ، كما ان هذه المعـــركة شجعت أعداءه الخوارزميين والذين الحق بهم سنجر هزيمة في «هزار اسب» سنة ٥٣٣هـ/١١٣٨م الى معاودة العصيان ولكن سنجر تمكن في سنة ٥٣٨هـ/١١٤٣م من محاصرة علاءالدين آتسز في مدينة خوارزم[٢] ، وطلب علاءالدين من السلطان العفو عنه بعد ان وجد ان الحصار حوله صار محكما وشديدا ، فعفا عنه السلطان وقام بين الطرفين صلح وعاد سنجر الى مرو ، ولـكن القلاقل استمرت من الجانب الخوارزمي ، حتى انتهت تلك الفتن والحروب الى اقرار صلح بين آتسز الخوارزمي والســلطان سنجر ٥٣٨هـ/١١٤٣م وبموجب ذلك الصلح تقرر استقلال اتسز بخوارزم[٣] ، وبذلك ظهرت على المسرح السياسي دولة جديدة هي الدولة الخوارزمية .

ان قوة سنجر أخذت في الضعف عام ٥٤٨هـ/١١٥٣م حينما نشبت الحرب بينه وبين قبائل الغز التركية ، وانه وقع أسـيرا في أيدى تلك القبائل[٤] ، وبقي في الاسر ثلاث سنوات ، احتال بعدها على الهرب حيث وصل الى مكان عرشه في مرو[٥] ، وعاش بعدها مدة قليلة ومات كمدا ، اذ

(١) ابن الاثير جـ٩ ص٤ .
(٢) المرجع السابق : جـ٩ ص٧ .
(٣) المرجع السابق : نفس المرجع والصفحة .
(٤) راحة الصدور : ص٢٧١ .
(٥) المرجع السابق : ص٢٧٧ .

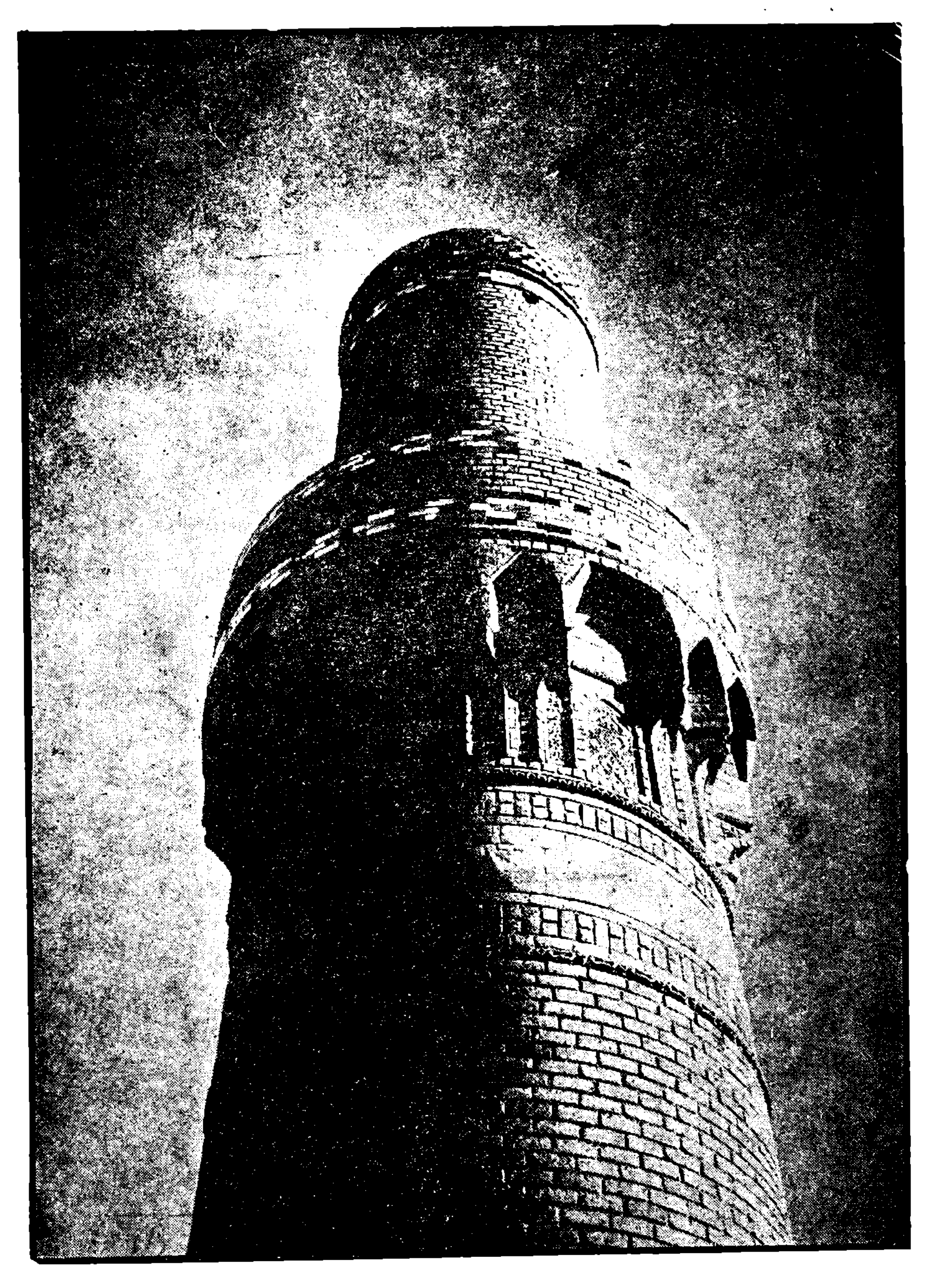
رأى ماحل بدياره من دمار[1] ، ودفن فى المقبرة التى كان قد أسسها من قبل في مرو[2] •

وهكذا ينتهى عصر السلاجقة العظام بموت السلطان سنجر وقد لاحظنا أثر الضعف العام فى المملكة السلجوقية والتنازع المستمر بين الامراء طمعا فى السلطة كما لمسنا ظهور الحركات السياسية الخطيرة وبانتهاء هذا العصر ، سنجد استمرار التنازع بين أولئك الامراء واستمرار ضعف الدولة العام ، وبداية صفحة جديدة للدويلات السلجوقية والتي كانت من أشهرها دولة سلاجقة العراق ودولة سلاجقة الروم ودولة سلاجقة كرمان وانتشرت الاتابكيات في العالم السلجوقي وكان من اشهرها أتابكية الموصل وأتابكية الشام وأتابكية سنجار وأتابكية الجزيرة •

---

(١) ميرخوند : روضة الصفا : ص٥٤

(٢) راحة الصدور : ص٢٧٨ •



شـكل رقـم : ٢
مئذنة مشهد الشيخ معروف الكرخي في الجانب الغربي من بغـداد
شيدت زمن الخليفة الناصر لدين الله سنة ٦١٢هـ

الفصل الثالث

سـلاجقة العـراق

سلاجقة العراق

جلوس محمود على العرش • نزاعه مع سنجر • تعيين محمود نائبا عن سنجر على العراق • سنة ٥١٣هـ بدء قيام دولة سلاجقة العراق • سلطة السلطان محمود اسمية • ضعف السلطان محمود • منافسة اخوة محمود على السلطنة • النكبات التى جابهت بغداد • علامات الضعف • ظهور العيارين • الاضطرابات فى البصرة • هجوم دبيس بن صدقة على البصرة • العلاقات بين السلطان محمود وأخيه طغرل • السلطان محمود يقطع الامراء اقطاعات واسعة • الخلافة العباسية تأخذ بالقوة • وفاة السلطان محمود • المشاكل التى واجهت دولة سلاجقة العراق بعد وفاة محمود • النزاع بين الامراء والملوك السلاجقة • الخليفة العباسى يتدخل فى المناقشات بين الملوك والامراء السلاجقة • الحروب بين الملوك السلاجقة • الخليفة يؤيد مسعود وسنجر يؤيد طغرل • ثلاثة سلاطين فى العالم السلجوقى • القتال بين طغرل ومسعود • الخليفة يحث مسعود لمحاربة أخيه طغرل • العلاقات بين مسعود والخليفة المسترشد • الحرب بين الخليفة ومسعود • أسر الخليفة • تدخل سنجر • اغتيال الخليفة • تنصيب الراشد • استمرار الحروب فى عهد مسعود • استفحال المشاكل فى أواخر عصر السلطان محمود • سوء الاحوال فى بغداد • وفاة مسعود • الامراء والاتابكة يتدخلون فى شؤون السلطنة • النزاع بين محمد والخليفة • السلطان محمد يحاصر بغداد • وفاة السلطان محمد • سوء الحالة فى دولة سلاجقة العراق • تولية طغرل بن أرسلان شاه • الناصر يعاصر طغرل • وقوع الحرب بين خوارزمشاه وطغرل ومقتل السلطان طغرل • انتهاء حكم السلاجقة فى العراق • خلاصة الموضوع •

نقر التقسيم الشائع وهو ان عصر السلاطين ، سلاجقة العراق ، يبدأ في عام ٥١١هـ/١١١٧م وهو العام الذى توفى فيه محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان • والسند فى هذا التقسيم هو ان هذا السلطان كان ينقش اسمه على العملة الى جانب اسم سنجر ، ويبرز بذلك انتسابه الى الدولة السلجوقية العامة •

أما بعد هذا التاريخ فان الروح الاقليمية تسود الدولة السلجوقية وتبرز بطبيعة الحال شخصية سلاجقة العراق •

وأول هؤلاء السلاطين هو السلطان محمود الذى حاول ان يستقل عن عمه •

وينسب هؤلاء السلاجقة الى العـــراق ، وهم فى الحقيقة سلاجقة العراقين ، لان العاصمة في هذه الفترة أيضا ظلت خارج حدود العراق الحالى • فقد كانت « همذان » عاصمة سلاجقة العراق •

وتفصيل ذلك كله ان السلطان محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان توفى سنة احدى عشرة وخمسمائة[١] فى مدينة اصفهان[٢] وجلس ابنه محمود على عرش السلاجقة[٣] واشتهر من وزرائه ربيب الدولة أبو منصور القيراطى[٤] ، الذى دبر دولته ونجح فى نيل اعتراف الخليفة العباسى لسيده السلطان محمود والخطبة له ببغداد[٥] وكان محمود صغير

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم جـ٩ ص١٩٣ •
- ابن الاثير : جـ٨ ص٢٧٧ •
(٢) ابن الجوزي : جـ٩ ص١٩٦ •
(٣) الراوندى : ص٣٠١ •
- ابن الاثير : جـ٨ ص٢٨٠ •
(٤) الراوندي : ص٢٩٩ •
(٥) ابن الاثير : جـ٨ ص٢٨٠ •

السن يبلغ من العمر الرابعة عشر سنة[١] وله أربعة أخوة هم مسعود وطغرل وسليمان وسلجق ، وقد قدر لهؤلاء الاخوة ان يتولوا السلطنة واحدا بعد الآخر سوى سلجق[٢] وفي ابتداء سلطنة محمود توفي الخليفة المستظهر بالله سنة ٥١٢هـ/١١١٨م[٣] وانتقلت الخلافة الى المسترشد بالله العباسي[٤] .

وقد بينا في الفصل السابق ان سنجر وجد نفسه أفضل من ابن أخيه محمود في السلطنة السلجوقية وطمع فيها ، ومن ثم أعلن نفسه سلطانا للسلاجقة ، وتوجه نحو العراق[٥] ، ولكن على مايبدو ان الأمراء المحيطين بالسلطان الحدث محمود ، حفزوه على محاربة عمه ، وقد عرضنا سابقا ان تلك الحرب انتهت بفشل محمود وانهزام جيوشه وانتصار سنجر واعتراف الخليفة بسلطنته[٦] . ويظهر ان السلطان سنجر عطف على ابن اخيه فتصالح معه وقدم له هدية وعينه وليا لعهده من بعده وأعلن ذلك للخليفة العباسي ولامراء الدولة[٧] . وهناك رواية أخرى تذكر ان السلطان محمود انهزم وفر الى اصفهان مدحورا[٨] ، وأرسل (علي بار) الذى كان حاجب

---

(١) ابن الاثير : جـ٨ ص٢٧٧ .
(٢) البنداري : تاريخ آل سلجوق ص١٠٩ .
(٣) ابن الجوزي : المنتظم جـ٩ ص١٩٧ .
ـ ابن الاثير : الكامل جـ٨ ص٢٨١ .
ـ البنداري : آل سلجوق ص١٠٩ .
(٤) ابن الجوزي : المنتظم جـ٩ ص١٩٧ .
ـ ابن الاثير : الكامل جـ٨ ص٢٨١ .
ـ الفخري : ص٢٢١ .
(٥) الراوندي : ص٢٥٨ .
(٦) ابن الاثير : جـ٨ ص٢٨٦ .
(٧) المرجع السابق : ص٢٨٦ـ٢٨٧ .
(٨) الاصفهاني : زبدة النصرة ص١٢٥ .

الملك محمود نائبه أبا القاسم الانساباذى[1] الى السلطان سنجر ملتمسا المعذرة على لسان محمود ، قائلا : ان ماحدث منه ناشىء عن طيش الطفولة.. وقد استقر الرأى على أن يلحق بخدمة عمه بالرى ، وان يبقى بها شهرا ، وان لا يدق له بوق تركى فى وقت الركوب أو النزول ، وان لا تكون له خيمة حمراء جهرمية[2] وان يسير مترجلا فى ركاب عمه فى اثناء ركوبه أو ترجله ، وأن يترك كل مايكون من شعائر السلطنة ورسومها[3]، وقد ظل على هذه الحالة شهرا فى خدمة عمه ، فلما فعل ذلك السلطان محمود أنابه السلطان سنجر عنه فى العراق ومنحه كل ماكان قد حرم منه من رسوم السلطنة وشعائرها . واعطاه خلعة خاصة ، كما منحه قباء مرصعا بالجواهر ، وجوادا للنوبة مسرجا بسرج احمر ، وفيلا عليه هودج مرصع وانعم على امرائه أيضا على حسب درجاتهم ، وأرجعه الى دياره معظما مبجلا[4] .

ويمكن اعتبار سنة ٥١٣هـ/١١١٩م البدء الفعلى لما يسمى اصطلاحا بدولة سلاجقة العراق ، حيث أصبح السلطان محمود بصفة شرعية نائبا لسنجر فى العراق واكتسب بذلك اعتراف الخليفة العباسى المسترشد بالله ، وأصبح السلطان محمود فى الحقيقة تابعا للسلطان سنجر يأتمر بأمره ولا يعمل الا باشارته ، فكأن هناك فى العالم السلجوقى سلطانان ، كبيرهما هو السلطان سنجر الذى اتخذ مدينة مرو عاصمة له وفضلها على غيرها من

---

(١) الانساباذي هو ناصر بن علي المعروف بأبي القاسم الدركزيني.
(٢) نسبة الى جهرم مدينة فى اقليم فارس مشهورة بصنع الخيام.
(٣) البنداري : زبدة النصرة ص١٢٨-١٢٩ .
(٤) الراوندي : راحة الصدور ص٢٥٩ .
- البنداري : زبدة النصرة ص١٢٨-١٢٩ .
- ابن الاثير : جـ٨ ص٢٨٨ .

الدين[١] ، وهو آخر السلاطين السلاجقة العظـــام ، وكان جميع الملوك السلاجقة يهابونه وينفذون أوامره ، أما السلطان الآخـر فهو السلطان محمود ، الذى عينه السلطان سنجر نائبا عنه في العراق ، فأصبح ســلطان العراق من الناحية الرسمية يتبع لسلطنة سنجر ، فكأنها سلطنة في قلب سلطنة ، كما أصبحت سلطنة العراق في عهد سنجر لا يرتقي الى عرشها الا من ارتضاه هذا السلطان فعند وفاة السلطان محمود توجه القـــادة الى السلطان سنجر طالبين منه ان يختار سلطانا للعراق ، فاختار السلطان سنجر ، الملك طغرل سلطانا للعراق كما اختاره ولي عهده[٢] . وظل نفوذ السلطان سنجر قويا حتى انهكته الحروب والفتن ، وضعفت قوته الى ان توفي ســنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م ، وكان سلاطين السلاجقة في العــراق يدفعون الجزية لسنجر[٣] ، كما انه كان قد اشترط عليهم ان يذكروا اسمه في الخطبة قبل أسمائهم[٤] .

يتبين لنا ان سلطنة محمود كانت اسمية ومع ذلك فان سنجر منحه البلاد التي تمتد من حدود خراسان الى بلاد الشام وتشمل همذان واصفهان باقليم العراق العجمي وبلاد الجبال وكرمان وفارس وخوزستان والعــراق العربي واذربيجان وارمينية وديار بكر والجزيرة وبلاد الشام ، وبلاد الروم وكانت هــذه بيد اولاد قلج أرســلان[٥] ، الا اننا نرى في الحقيقــة ان

---

(١) Sanaullah : The decline of the selyuqid empire, p. 39

(٢) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية : ص٩٩ـ١٠٠

(٣) Browne : Account of a Rare Manuscript History of seljuqs, p. 45.

(٤) ابن الاثير : الكامل جـ٨ ص٢٨٨ .

(٥) ابن الاثير : تاريخ الدولة الاتابكية ص٢١ .

الصليبيين قد انتزعوا معظم بلاد الشام وكونوا فيها الامارات الصليبية الاربعة هي بيت المقدس وانطاكية وطرابلس والرها كما انتزعوا المدن الساحلية ، ولم يبق في أيدى المسلمين الا بعض المدن الداخلية كدمشق وحلب[١] ، كما كانت بلاد الجزيرة واذربيجان وفارس وديار بكر موزعة بين الاتابكة العديدين[٢] ، والخلاصة ان سلطان محمود المباشر لم يكن يمتد الا على العراقين العربى والعجمى ٠

ويبدو ايضا ان السلطان محمود كان محاطا ببطانة من المستشارين الضعفاء ، وذلك انهم اساءوا الى حكم السلطان محمود بما اظهروه من سوء التدبير ، فمن سوء أعمالهم انهم صرفوا ماكان فى خزانة السلطان محمد بعد وفاته وتقاسموها بمدة شهرين[٣] ، فكان ذلك سببا فى احداث أزمة اقتصادية شديدة ، كما انهم عملوا على تشتيت مماليك السلطان الذين كانوا يقومون بحراسته وخدمته وبهذا عملوا على اضعاف شوكة السلطان ، وتفتيت الصف السلجوقى ، وانهم ساعدوا على نشر الجوارى والاماء فى دور الحرم الى دورهم[٤] ، وأدى هذا الى نشر المفاسد وانغماس رجال الدولة فى اللهو واللعب ، كما سيطروا على السلطان واجترأوا عليه[٥] ومن المرجح ان سبب ذلك هو ان السلطان محمود كان صغيرا حدثا تولى السلطة وهو فى دور المراهقة ، فعملت هذه البطانة المحيطة به على اشغاله باللهو والطرب ، وقضاء الوقت فى ملاعبة الصقور والفهود وكلاب الصيد والبزاة والحمام[٦] ، كما ان السلطان كان قد سيطرت عليه الامراض

---

(١) Barker : The Crusades, P. 25

(٢) Lane-poole : The Mohammadan Dynasties, p. 152

(٣) البنداري : آل سلجوق ص١١٢ ٠

(٤) المرجع السابق : ص١١٣ ٠

(٥) السلجوق : ص١١٣ ٠

(٦) الراوندي : راحة الصدور ص٣٠١ ٠

المزمنة التى أنهكت قواه الجسمية ويذكر الراوندي : ان تلك الامراض تسببت له بسبب كثرة الجماع[1] .

ولم يسلم السلطان محمود من منافسة بعض أخوته له فى السلطنة فقد أعلن مسعود وكان ملكا على الموصل وأذربيجان الحرب على أخيه السلطان محمود ولكن مسعودا فشل فى تلك الحرب وانهزمت جيوشه أمام جيوش السلطان محمود وكان ذلك سنة ٥١٤هـ/١١٢٠م[2] .

ولم تسلم بغداد من النكبات فى هذه الفترة من تاريخها على عهد السلطان محمود ، فقد هاجم بغداد دبيس بن صدقة واكثر فيها النهب والقتل والفساد[3] ، ولم يأبه دبيس باستنكار الخليفة لاعماله ، كما انه لم يستجب لاوامر السلطان بمنع أصحابه عن تلك الافعال ، وهذه ظاهرة من علامات الانحلال والضعف لتلك الفترة من الحكم السلجوقى .

وبدت ظاهرة ضعف واضحة فى هذه الفترة ، فقد ظهر العيارون فى بغداد فى سنة ٥١٤هـ[4] واحدثوا فيها الفوضى والاضطراب والقلق ، وبالطبع ان ظهور مثل هذه الحركات ، دليل واضح على تردي الحالة ، فمثل العيارين لا ينشطون الا فى الاوضاع الغير المستقرة والتى يكون فيها الحكام على درجة من الضعف تمنعهم من السيطرة على الامور وفرض الامن واقرار النظام مع أن شأن العيارين لم يكن يومئذ عظيما ذلك ان حركاتهم كانت قد ضعفت منذ دخول السلاجقة بغداد ، اذ كان الحكام السلاجقة يتعقبون العصاة والخارجين على النظام بشدة واستمرار .

---

(١) الراوندي : راحة الصدور ص٣٠١ .
(٢) ابن الاثير : الكامل جـ٨ ص٢٩١ـ٢٩٢ .
(٣) ابن الجوزي : المنتظم جـ٩ ص٢١٧
ـ ابن الاثير : الكامل جـ١٠ ص٢٠٠
(٤) ابن الجوزي : المنتظم جـ٩ ص٢١٦ .

وشمل الضعف وعدم الاستقرار مدينة البصرة ، حتى أدى ذلك الى ظهور فتنة فيها أدت الى قتال واضطرابات ، سيطر فى نهايتها على بن سكمان على البصرة وصار يحكمها مستبدا دون موافقة السلطان[1] ، كما ان هذه المدينة أصابتها نكبة جديدة من جراء هجوم غادر عليها قام به دبيس ابن صدقة صاحب الحلة الذى كان قد هرب من امام جيش الخليفة المسترشد بالله سنة ٥١٧هـ/١١٢٣م والتجأ الى قبائل المنتفق[2] ، واتفق معها على غزو البصرة فوافقوه على ذلك ودخلوها ونهبوا اسواقها وقتلوا الكثير من أهلها كما قتل الامير «سخت كمان» مقدم العسكر السلجوقى فى البصرة ، وظلت الامور مضطربة قلقة فى البصرة حتى وصلت جيوش السلاجقة بقيادة البرسقى فانهزم دبيس بن صدقة حيث التحق بالملك طغرل بن السلطان محمد[3] .

وكانت علاقة السلطان محمود بأخيه الملك طغرل صاحب قلعة سرجهان ، وساوة وآوة وزنجان غير حسنة ففى سنة ٥١٣هـ/١١١٩م جهز جيشا لحرب طغرل ، ولكن على مايبدو ان صلحا حصل بين الفريقين لعدم وقوع القتال[4] .

وبالرغم من ضعف هذا السلطان واحتياجه الى المال نجده يقطع الاقطاعات الكبيرة للامراء السلاجقة ، فقد اقطع فى سنة ٥١٥هـ مدينة الموصل وأعمالها وما ينضاف اليها كالجزيرة وسنجار وغيرها الامير آقسنقر

---

(١) ابن الاثير : الكامل جـ١٠ ص١٩٧ـ١٩٨ .

(٢) المنتفق : من أهم قبائل العراق ، ومنازلها فى المناطق الواقعة بين البصرة وبغداد وتتجول فى الجزيرة بين دجلة والفرات وهى فرع من القبائل العدنانية تنتسب الى المنتفق بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وكانت منازلهم الاجام والقصيب التى بين البصرة والكوفة .

(٣) ابن الاثير : الكامل جـ٨ ص٢٩٠ .

(٤) المرجع السابق : جـ٨ ص٢٨٥ـ٢٨٦ .

البرسقى[١] ، وفى نفس السنة اقطع السلطان محمود مدينـة ميافارقين للامير ايلغازى الارتقى[٢] . وفى سـنة ٥١٦هـ/١١٢٢م اقطع السلطان محمود الامير آقسنقر البرسقى مدينة واسط واعمالها مضافا الى ولايـة الموصل ، وشحنكية العراق ، فلما اقطعها البرسقى سير اليهـا عمادالدين زنكى ابن آقسنقر وامره بحمايتها[٣] .

وفى هذا العهد بدأت الخلافة العباسية تسترد شيئا من قوتها وتملأ الفراغ الذى شغل السلاجقة بخصوماتهم عن ملئه ، وتنتهز كل فرصة للعمل على الحد من سلطانهم ، ولكن الذى ابقى على السلطنة السلجوقية قوتها ان الخليفة لم يكن بعد قد استعد الاستعداد الكافى لضربهم ، كما ان الادارة والجيش كان معظمهما تحت اشراف السلاجقة ، ان مادفع الخليفة الى ذلك هو ماتلمسه من المفاسد المستشرية فى البلاد الاسلامية ، ونحن نرى الخليفة يبين للسلطان محمود ما اصاب البلاد من الضعف والوهن بسبب حركات تمرد دبيس بن صدقة ، صاحب الحلة ، وما احدثه عسكره فيها من فساد كما أخذ عليه ما انتشر من الغلاء فى العراق بشكل كبير[٤] . ثم انتهى الامر بين الطرفين الى الحـرب بين جيوش الخليفـة المسترشد والسلطان محمود معارك ، وحاصر السلطان بغداد سنة ٥٢١هـ ، اضطر

---

(١) ابن الاثير : جـ٨ ص٣٠٢ ــ ابن خلكان : جـ١ ص٧٩ــ٨٠ .

(٢) ابن الاثير : جـ٨ ص٣٠٤ .

(٣) ابن الاثير : الكامل جـ٨ ص٣٠٩ ــ أبو شامة : الروضتين جـ١ ص٢٧ ــ سبط بن الجوزي : مرآة الزمان جـ٨ ص١١٤ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم جـ٩ ص٢٥٩ــجـ١٠ص٤ .
ابن الاثير : الكامل جـ٨ ص٣٢١ .
ابن تعزي بردي : النجوم الزاهرة جـ٥ ص٢٥٦ .
البنداري : آل سلجوق ص١٧٨ .
ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ١ ص١٧٧ .

الخليفة فى نهـــاية الامر الى قبول الصلح[1] • ومن ثم رجع السلطان محمود الى همدان •

وفى سنة ٥٢٣هـ/١١٢٨م قدم السلطان محمود بغداد ومعه دبيس ابن صدقة ليصلح حاله مع الخليفة المسترشد بالله ، ورجع السلطان محمود الى همذان ثانية ، ولكن دبيس هذا عاد الى احداث القلاقل والفوضى فى البلاد مستغلا فرصة وفاة زوجة السلطان محمود ومرضه ، فقصد دبيس العراق ودخل الحلة وسار الى البصرة وأخذ منها أموالا كثيرة كما أخذ ما للخليفة والسلطان هناك من الدخل[2] •

وفى سنة ٥٢٥هـ/١١٣٠م توفى السلطان محمود فى همذان واعقبت وفاته مشــــاكل جديدة واجهت السلطنة السلجوقية ، فالخليفة العبــاسى المسترشد بالله أخذ فى القوة واصبح عاملا قويا من عوامل المعارضة للحكم السلجوقى ، كما انه صار يلعب دورا مهما فى احداث الفرقة والخلاف فى صفوف السلاجقة بقصد اضعافهم وتشتيت كلمتهم • ان وفاة محمود كانت الشرارة التى سببت اشعال نار الفتنة والخلاف بين الامراء والملوك السلاجقة وكان كل أمير يرى فى نفســه الاحقيــة والاهليــة فى عرش السلطنة ، فبعد وفاة محمود خطب لولده داود ببلاد الجبل واذربيجان[3] ، ولكن سرعان ماسار عمه مسعود من جرجان الى تبريز واستولى عليهــا ، فلما علم الملك داود بذلك سار لملاقاة عمه ، فحاصره فى تبريز وجرى

---

(١) راحة الصدور : ص٣٠١ •
البنداري : زبدة النصرة ص١٥٢ •
ابن الاثير : الكامل جـ٨ ص٣٢٣ •
(٢) ابن الجوزي : المنتظم جـ١٠ ص٢٠ـ٢١ •
ابن الاثير : الكامل جـ٨ ص٣٢٨ •
(٣) ابن الاثير : الكامل جـ٨ ص٣٣٣ •
ابن الجوزي : المنتظم جـ١٠ ص١٠ •

بينهما قتال انتهى بالصلح[1] • وكان كل من مسعود وداود يريد السلطنة لنفسه ويأمل في أن يحصل على اقرار من الخليفة العباسي بذلك ، فاتجه مسعود نحو بغداد يطلب الخطبة من الخليفة ،كما وصلت رسل الملك داود للغرض نفسه[2] •

ومن الطبيعي كما يبدو لي ان يعمد الخليفة الى اغتنـــام الفرصة لاضعاف السلاجقة واحلال الفرقة في صفوفهم ، فأجاب الخليفة لكل من تقدم في طلب الخطبة لنفسه ، : ان الحكم في الخطبة الىالسلطان سنجر ، من أراد خطب له ، وأرســل الى السلطان سنجر ان لا يأذن لاحد في الخطبة ، فان الخطبة ينبغي ان تكون له وحده ، فوقع هذا موقعا حسنا[3] في نفس سنجر ، ولكن الحوادث ستبرهن ، ان الخليفة المسترشد بالله العباسي الذى يعتبر طليعة الكفاح العباسي ضد التحكم السلجوقي ، كان لا يهمه أن يكون السلطان الذى يخطب له داود او مسعود ، سنجر او سلجوقشاه ، بل الذى يهمه هو التخلص من ذلك الحكم الغريب • ومن المرجح ، أن في قول الخليفة المسترشد « في أن الحكم في الخطبة الى السلطان سنجر » تدبير سياسي كبير ، كان المسترشد يستهدف من اطلاق هذا التصريح ، توجيه أنظـار السلاجقة الى سنجر وايقاعهم في خضم المنافسة الشديدة على رئاسة البيت السلجوقي وهذا التصريح من ناحيــة أخرى دعوة سليمة صادرة من الخليفة الى السلاجقة الى ان يتحدوا تحت رئاسة واحدة وهي دعوة غير مقصودة لذاتها فالخليفة أول من يعلم ان بذور الفرقة قد تأصلت فيهم بل هي دعوة هدفها صالح الخلافة واسترداد هيبتها ، وقد نجح الخليفة في بلوغ هدفه نجـــاحا بعيدا فتشتت وحدة الصف السلجوقي وقام التنازع بين الملوك والأمراء • وتهيأ الجو لتمكين

---

(١) ابن الاثير : الكامل جـ٨ ص٣٣٥ •
(٢) المرجع السابق : ص٢٤١ جـ٨ ص٣٣٥ •
(٣) المرجع السابق : ص٢٤١ جـ٨ ص٣٣٦ •

الخلافة العباسية فيما بعد للتخلص من السلاجقة ومن السيطرة على زمام الامور .

ثم واجه مسعود منافسا آخر هو سلجوقشاه وكاتب الملك مسعود ، عمادالدين زنكى صاحب الموصل يستنجده ويطلب مساعدته ضد سلجوقشاه فوعده انصر[١] ، ففرح مسعود وقويت عزيمته على طلب السلطنة ، وتوجه الملك سلجوقشاه مع أتابكه «قراجة الساقى» صاحب فارس وخوزستان فى جيش كبير . الى بغداد فوصل اليها قبل وصول الملك مسعود ونزل فى دار السلطان وأكرمه الخليفة واستحلفه لنفسه ، وبعد أيام وصل رسول الملك مسعود يطلب الخطبة ويتهدد ان منعها[٢] ، ولكن الخليفة المسترشد لم يجب طلب رسول مسعود بل استعد لمقاتلة عساكره، ونجح الخليفة فى ايقاع الهزيمة بالجيوش المسعودية بقيادة عمادالدين زنكى الذى هرب الى تكريت وعبر فيها دجلة عندها،وقد ساعده على العبور (نجم‌الدين ايوب) الذى كان الدزدار[٣] ، فى مدينة تكريت[٤] . ولما علم مسعود بانهزام صاحبه عمادالدين أخذ فى طلب التفاهم مع الخليفة وسلجوقشاه على أساس أن السلطان سنجر عازم على قصد الخليفة وغيره ، فاتفق الخليفة المسترشد ومسعود وسلجوقشاه على أن يجتمعوا لقتال السلطان سنجر ، شريطة أن يكون العراق لوكيل الخليفة وتكون السلطنة للملك مسعود ويكون سلجوقشاه ولى عهده[٥] ، وعلى هذا الاساس

---

(١) ابن الاثير : جـ٨ ص٣٣٦ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم جـ١٠ ص٢٥ .
ابن الاثير : الكامل جـ٨ ص٣٣٦ .

(٣) الدزدار : وهو متولى القلعة وهي من الكلمة الفارسية «دژ»تعنى قلعة ودار أى المتولى والمالك .

(٤) ابن الاثير : جـ٨ ص٣٣٦ .

(٥) ابن الجوزي : المنتظم جـ١٠ ص٢٥ .
ابن الاثير : الكامل جـ٨ ص٣٣٦ .

استعدوا لحرب سنجر ·

وتوجه السلطان سنجر ومعه الملك طغرل بن السلطان محمد من الرى الى همذان ، فسمع الخليفة ومسعود بخبره ، فاتفقوا على ملاقاته وحربه على أن يكون الخليفة معهم ، وسار مسعود وسلجوقشاه وقراجه الساقي نحو سنجر ، ولكن الخليفة المسترشد كان متريثا فتأخر بعض الشيء ، وعند وصول الخليفة الى خانقين طرق سمع الخليفة انباء وصول (عمادالدين زنكى) و (دبيس بن صدقة) الىقريب بغداد[1]،وكان(سنجر) قد اقطع دبيس بن صدقة ، الحلة كما ان عمادالدين زنكى ذكر ان سنجر اعطاه شحنكية بغداد[2] ، ولكنالخليفة المسترشد تمكن من مقابلة عمادالدين ودبيس وايقاع الهزيمة بجيشهما[3] ، أما جيوش (مسعود) و (سلجوقشاه) فانها لم تتمكن من قوات السلطان سنجر الذى أنزل بجيش مسعود وسلجوقشاه وأنصارهما هزيمة بالقرب من مدينة دينور عام **٥٢٦هـ/١١٣١م** ، ونجح فى تثبيت ابن أخيه طغرل سلطانا على سلاجقة العراق وخطب له فى جميع البلاد[4] ·

وقبل ان تطأ أقدام طغرل بغداد ، اذ لا يزال فى خراسان أعلن الملك داود بن السلطان محمد شقيق السلطان طغرل العصيان عليه ولكن طغرل تمكن من هزيمة داود وهرب داود منهزما الى بغداد[5] · وفى سنة **٥٢٧هـ/١١٣٢م** واثر هزيمة داود ، قصد مسعود بغداد ونزل بدار السلطنة ، وخاطب فى الخطبة له فأجيب الى ذلك ، وخطب له ولداود من

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم جـ١٠ ص٢٦ ·
(٢) ابن الاثير : الكامل جـ٨ ص٣٣٧ ·
(٣) ابن الجوزي : المنتظم جـ١٠ ص٢٦ ·
ابن الاثير : الكامل جـ٨ ص٣٣٧ ·
(٤) ابن الاثير : جـ٨ ص٣٣٦ ·
(٥) المرجع السابق : جـ٨ ص٣٣٨ ·

بعده[1] ، واتفق الجميع على أن يجهزوا جيشا كبيرا يقوده مسعود وداود ضد طغرل وان يساهم الخليفة فى اعداد ذلك الجيش ، وتقدم الجيش فوصل مراغة وملك مسعود بجيشه هذا سائر اذربيجان ، ودارت بين جيشه وجيش طغرل معارك كثيرة الى أن وصلت جيوش مسعود الى همذان وأوقعت هزيمة بجيش طغرل واستولت على المدينة ثم استولت على مدينة اصبهان ، وصار مسعود يتعقب آثار اخيه الذى ولى هاربا تاركا البلاد لاعدائه يحتلون مدنها الواحدة تلو الاخرى[2] . وباستيلاء مسعود على همذان يكون قد ظفر بعرش سلاجقة العراق ، ثم وقعت بين الطرفين معارك تبادلا فيها النصر والهزيمة[3] .

فى عام **٥٢٧هـ/١١٣٢م** كان فى العالم السلجوقى ثلاثة سلاطين ، السلطان سنجر وهو رأس السلاجقة وكبيرهم ، والسلطان طغرل الذى أجلسه عمه السلطان على عرش السلطنة وخطب له بذلك ، والسلطان مسعود الذى نافس طغرل فيها وخطب له الخليفة بها ، ان هذه الحالة بالطبع تؤدى الى حروب ومنازعات شديدة ، وتعمل على تحطيم قوى السلاجقة وتبعدهم عن وحدة الصف وعن الانصراف الى الاعمال الحضارية .

وفعلا تجدد القتال بين السلطان طغرل والسلطان مسعود عام **٥٢٨هـ/١١٣٣م** واستولى طغرل على الجبل كما تمكن من اجلاء جيوش اخيه مسعود ، واتجه طغرل نحو قزوين ، ولما هم مسعود لمواجهته وجد انقساما فى صفوف أمرائه وكان هناك البعض منهم من استماله طغرل ، وبقى

---

(١) المرجع السابق : جـ٨ ص٣٣٩ .
(٢) ابن الاثير : الكامل جـ٨ ص٣٣٩ـ٤٤٠ .
– ابن الجوزي : المنتظم جـ١٠ ص٢٩ .
(٣) الراوندي : راحة الصدور ص٣٠٦ .
– ابن الاثير : الكامل جـ٨ ص٣٤٥ .

مسعود فى قلة من العسكر ، فولى منهزما وارسل الى الخليفة المسترشد يستأذنه الدخول بغداد فاذن له ، وكان نائبه بأصفهان البقش السلاحى ومعه الملك سلجوقشاه ، فلما سمع بهروب مسعود ، قصد هو الآخر بغداد ، بينما اقام السلطان طغرل بهمذان(١) .

أخذ الخليفة المسترشد بالله يحث ويشجع السلطان مسعود على منازعة أخيه طغرل وصار يمنيه ويؤمله انه سيسير معه بنفسه ، ولكن نفرة وقعت بين الخليفة والسلطان مسعود بسبب اطلاع الخليفة على رسائل من طغرل الى الامراء السلاجقة يمنيهم بالاقطاع ان وقفوا الى جانبه ، فقبض الخليفة على أحد الامراء المدعو (غلبك) ونهب ماله ، فاستشعر غيره من الامراء الذين مع الخليفة فهربوا الى عسكر السلطان مسعود فأرسل الخليفة اليه فى اعادتهم ، فلم يفعل(٢) ، وكان هذا عاملا قويا من عوامل النفرة بين السلطان والخليفة وانتهاء العلاقات الحسنة بينهما .

وفى سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م توفى السلطان طغرل بن السلطان محمد ، ولما بلغ النبأ الى مسعود ، خرج الى همذان واستولى عليها وأصبح بذلك سلطان السلاجقة بلا منازع وقد آلت اليه سلطنة جميع العراق وكردستان واذربيجان فى عام ٥٢٩هـ(٣) .

كانت العلاقات قد ساءت بين الخليفة المسترشد والسلطان مسعود السلجوقى ، ومما زاد هذه العلاقات سوءا ، أن بعض الامراء من جيش مسعود التحقوا بالخليفة وطلبوا منه الامان خوفا من غدر مسعود بهم ، وقد

(١) ابن الاثير : الكامل جـ٨ ص٣٤٣ .
(٢) المنتظم : جـ١٠ ص٣٦ .
- ابن الاثير : جـ٨ ص٣٤٥ .
(٣) ابن الجوزي : المنتظم جـ١٠ ص٥٣ .
- ابن الاثير : جـ٨ ص٣٤٥ .
- ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ص٣٩ .

حَسَّنَ هؤلاء الامراء ، للخليفة الخروج بجيش لمحاربة مسعود ، فاقتنع الخليفة بتلك الفكرة ، وتجهز للحرب وسار ومعه الامراء السلاجقة الذين كانوا قد هربوا من جيش مسعود ، دخل الخليفة ايران ، وكان مسعود قد وصلته الاخبار بقدوم جيش الخليفة فاستعد لمنازلته ، وقد وقعت الحرب في دايمرج في طريق همذان من حلوان ، وقاتل الخليفة قتالا شديدا ، ولكن انهزام جند الخليفة كان سببا في وقوعه أسيرا في يد مسعود[1] ، وبعد هذا جمع مسعود جيوشه لمحاربة الملك داود الذى كان من المؤيدين للخليفة المسترشد ، وكانت انباء أسر الخليفة قد تواترت الى بغداد فخرج اهلها يتظاهرون ضد السلطة السلجوقية[2] ، وكان حدثا مهما في العالم الاسلامى ارتاعت له النفوس ، حتى ان سنجر سلطان السلاجقة الكبير رأى من الواجب على مسعود ان يعيد الخليفة معززا مكرما الى عاصمة ملكه وكان يستحثه على ذلك ، وكتب اليه رسالة جاء فيها : « ساعة وقوف الولد غياث الدنيا والدين (يعنى مسعود) على هذا المكتوب يدخل على أمير المؤمنين ويقبل الارض بين يديه ويسأله العفو والصفح ، ويتنصل غاية التنصل ، فقد ظهر عندنا من الآيات السماوية والارضية ما لا طاقة لنا بسماع مثلها فضلا عن المشاهدة من العواصف والبروق والزلازل ، ودام ذلك عشرين يوما ، ولقد خفت على نفسى من جانب الله وظهور آياته وامتناع الناس عن الصلاة في الجوامع ومنع الخطباء ما لا طاقة لى بحمله ،

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم جـ١٠ ص٤١ــ٤٥ .
ــ ابن الاثير : الكامل جـ٨ ص٣٤٧ــ٣٤٨ .
ــ آل سلجوق : ص١٦٢ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم جـ١٠ ص٤٦ .
ــ ابن الاثير : جـ٨ ص٣٤٨ .
ــ السيوطي : تاريخ الخلفاء ص٢٨٧ .
ــ آل سلجوق : ص١٦٣ .

فالله الله تتلافى أمرك وتعيد أمير المؤمنين الى مقر عزه »[١] ، وقد نزل مسعود عند رغبة السلطان سنجر وطلب الصلح مع الخليفة شريطة ان يعوض الخليفة السلطان بالمال ويتعهد بعدم جمع الجيوش وان لا يخرج من داره[٢] . وهذه الظاهرة تدل على استمرار نفوذ سنجر وقوته ، اذ لا زال السلطان سنجر هو صاحب الكلمة النافذة فى العالم السلجوقى ، وان السلاطين السلاجقة فى العراق ملزمون بدفع الجزية للسلطان سنجر ومنهم مسعود نفسه[٣] . ولكن الخليفة المسترشد الذى نُصِبَتْ له خيمة منفردة عن عسكر مسعود . هجم عليه جماعة من الاسماعيلية فقتلوه[٤] ، ويعتقد بعض المؤرخين ان مسعود هو الذى دبر ذلك وأوعز بقتل الخليفة[٥] .

بعد مقتل الخليفة المسترشد بالله ، بويع الراشد بالخلافة[٦] ، واظهر السلطان مسعود للخليفة الجديد الطاعة ، ولكن بدأت التحرشات من جانب السلطان مسعود ، فأرسل فى سنة ٥٣٠هـ/١١٣٦م ، الامير برتقش

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم جـ١٠ ص٤٧ .
 ـ السيوطي : تاريخ الخلفاء ص٢٨٧ .
(٢) ابن الاثير : الكامل جـ٨ ص٣٤٨ .
(٣) Browne : Account of a Rare Manuscript History of seljugs vi, pp. 20-21
(٤) ابن الجوزي : المنتظم جـ١٠ ص٤٣٩
 ـ الراوندي : راحة الصدور ص٣٣٠
 ـ البنداري : زبدة النصرة ص١٧٨
 ـ ابن الاثير : الكامل جـ٨ ص٣٤٨
(٥) دحية : النبراس فى تاريخ بني العباس ص١٥١
 ـ السيوطي : تاريخ الخلفاء ص٢٨٧
 ـ ابن الطقطقي : الفخري ص٢٢٣
(٦) ابن الجوزي : المنتظم جـ١٠ ص٥٠
 ـ ابن الاثير : الكامل جـ٨ ص٣٤٩
 ـ ابن الطقطقي : الفخري ص٢٢٦
 ـ دحية : النبراس ص١٥١

الزكوي من عند السلطان مسعود يطالب الخليفة بما كان قد استقر على المسترشد من المال ومقداره أربعمائة ألف دينـــار ، فأجاب الخليفة انه لا يملك شيئا وان المـال جميعـه كـان مع المسترشد بالله فَنُهِب[1] ، ووقف الخليفة موقفا صلبا ازاء هذا المطلب ، ولما حاول السلاجقة اخضاع الخليفة بالقوة ، استعد لهم الراشد ، وواجههم بقوة كبيرة أدت الى انسحاب عساكر برتقش الى البندنيجين كما انحدر زميله « بك أبه » الى واسط ، ونهبت العامة دار السلطان[2] .

وقام مشكلة جديدة امام مسعود ، فقد تحالف ضده كثير من الامراء والملوك مع الخليفـــة العباسي ، امثـــال الملك داود بن السلطان محمود وعمادالدين زنكى صاحب الموصل وبرتقش بازدار صاحب قزوين والبقش الكبـير صاحب اصبهان وصدقـة بن دبيس صاحب الحلـة وغـيرهم[3] وفي بغداد ، قطعت خطبة السلطان مسعود وخطب للملك داود ، ووصلت الاخبار بقدوم السلطان مسعود بجيش اقتال المتحالفين فاستعد هؤلاء وكان الخليفة الراشد يشجعهم ويقوى من عزائمهم ، وحاصر مسعود مدينة بغداد من الجانب الشرقى ، وأخذت أعمال الفوضى تعمل على تقويض وحدة الصف وتضعف جبهة الخليفة ، فقد أخذ العيارون يهـــاجمون الدور والمحلات ، ورجع الملك داود الى بلاده وتفرق باقي الامراء ، عندئذ عبر الخليفة الى الجانب الغربي ، وسار مع عمادالدين زنكي يريد الموصل ، ودخل مسعود بغداد وجمع العلماء والفقهاء والقضاة والاعيان ، وحملهم على أن يشهدوا بظلم الراشد ونهب الاموال وســـفك الدماء بل وشرب الخمر ، فأفتوا : أنه يحق للسلطان خلع الخليفة واستبدانه بغيره ، فخلع

---

(١) ابن الاثير : الكامل جـ٨ ص٣٥٢

(٢) ابن الجوزي : المنتظم جـ١٠ ص٥٤ـ٥٥
ـ ابن الاثير : الكامل جـ٨ ص٣٥٢

(٣) ابن الاثير : الكامل جـ٨ ص٣٥٢

الخليفةالراشد ، وولى مكانه المقتفى لامر الله سنة ٥٣٠هـ/١١٣٥م[١] ، أما الخليفة الراشد فانه لم يقم طويلا فى الموصل بل سار الى اصفهان ، فوثب عليه هناك جماعة من الباطنية فقتلوه على باب أصفهان وذلك سنة ٥٣٢هـ/ ١١٥٧م[٢] .

واستمرت القلاقل والاضطرابات والحروب فى عهد السلطان مسعود، فقد اتفق بوزابة صاحب فارس وخوزستان ، والامير عباس صاحب الري ، والملك محمد بن السلطان محمود والملك سليمان شاه ، اتفقوا على الخروج عن طاعة السلطان مسعود ، فسار السلطان مسعود لمواجهتهم ومعه الامير (عبدالرحمن طغايرك) ، وكاد جيشه أن يتلاحم مع جيش (بوازبه) وحلفائه ، فلحق سليمانشاه بأخيه مسعود وشرع عبدالرحمن فى تقرير الصلح بين الطرفين المتنافسين[٣] ، وعين السلطان مسعود بعد ذلك الامير عبدالرحمن حاجبا ثم أسند اليه ولاية كنجة واران[٤] . وفي سنة ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م استولى على بن دبيس على الحلة ، وصار يكثر فيها الفساد ، فاقطع السلطان مسعود ، الحلة ، سلاركرد فسار اليها من همدان ونجح فى استردادها من علي بن دبيس ، ولكن عليا سار الى واسط واتفق مع شحنتها الطرنطاوي وقصدوا الحلة فاسترجعوها من سلاركرد ورجع

---

(١) المنتظم : جـ١٠ ص٥٦ـ٦٠
ـ ابن الاثير : الكامل جـ٨ ص٣٥٤ ، وتاريخ الدولة الاتابكية ص٩٢ـ٩٦
ـ الحموي : التاريخ المنصوري ٧٩ب مخطوط

(٢) ابن الجوزي : المنتظم جـ١٠ ص٦٢ وص٧٦ـ٧٧
ـ ابن الاثير : الكامل جـ٨ ص٣٦٢
ـ ابن الطقطقي : الفخري ص٢٢٧

(٣) ابن الاثير : الكامل جـ٩ ص١٠

(٤) الراوندي : راحة الصدور ص٣٤١
ـ البنداري : زبدة النصرة ص٢١٥

الاخير الى بغداد[1] • وفي سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م حدثت مشكلة أخرى هددت السلطان مسعود ، فقد خرج عليه جماعة من الامراء السلاجقة مثل «ايلدكز المسعودي» صاحب كنجة وارانية و «البقش كون خر» و « تتر الحاجب» و «طرنطاي المحموري» شحنة واسط وغيرهم من الامراء الكبار وكان سبب ذلك ميل السلطان مسعود الى «خاص بك» واطراحه لهم ، ففارقوه وساروا نحو العراق ولما وصلوا بغداد انهزم مسعود بن بلال شحنة بغداد الى تكريت ، ووقع قتال شديد بين عساكر الامراء وعامة بغداد ، فقتل من العامة خلق كثير ، وتدخل الخليفة فى ايقاف هذه المعارك ، وتمكن من اقناع الامراء بالرجوع فرحلوا الى النهروان فنهبوها وأفسدوا فيها ، ومن الجدير بالذكر ان سنجر عم السلطان مسعود ، كان قد أرسل الى مسعود يطلب منه ابعاد «خاص بك» وهدده ان لم يفعل ان يقصده ويزيله عن السلطنة فلما تماهل مسعود وأخذ فى المغالطة ، سار السلطان سنجر الى الري فلما علم السلطان مسعود بوصوله سار اليه وترضاه واستنزله عما في نفسه وكان ذلك سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م[2] •

ان الاحوال العامة فى بغداد والعراق كانت سيئة خلال حكم مسعود السلجوقي ، فكثيرا ماعم الغلاء والقحط البلاد ، وأهمل السلاطين أمور الري ، ونشط العيارون فقاموا بنهب الاموال وكثر شرهم وتعددت ثوراتهم في سنة ٥٣٠هـ/١١٣٥م[3] ، وفي سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م عظم أمر العيار ، ابن بكران وكثر اتباعه ببغداد والعراق ، وصار يركب ظاهرا فى جمع من المفسدين ، وخافه الشريف ابو الكرم الوالي ببغداد ، فأمر أبا القاسم ابن أخيه حامي باب الازج ان يشتد اليه ويلبس سراويل فتوة منه ليأمن شره، وأراد هذا العيار أن يضرب السكة باسمه فى الانبار ولكن الوالي دبر

---

(١) ابن الاثير : الكامل جـ٩ ص١٧
(٢) المرجع السابق جـ٩ ص٢٥
(٣) المرجع السابق : جـ٨ ص٣٥٥

حيلة وتخلص منه[1] ، ولعل من أخطر ما وصلت اليه سوء الاحوال ، ان العيارين ازداد أمرهم وتفاقم شرهم سنة **٥٣٨هـ/١١٤٣م** ذلك انهم أمنوا من ملاحقة السلطة بسبب تعاون ابن الوزير وابن قاورت أخي زوجة السلطان معهم[2] • غير أن السلطان أمر بمعاقبة ابن الوزير وابن قاورت، فهرب ابن الوزير وقبض الشحنة على ابن قاورت وصلبه[3] •

هذه صورة للحياة التى تعيشها بغـداد والعراق فى عصـر مسعود واستمرت القلاقل والاضطرابات ، والسلطان يدافع بكل ما اوتي من قوة لدرء الشر حتى وافته المنية عام **٥٤٧هـ/١١٥٢م** فى همذان حيث دفن فى مدرسة (سربرزة)[4] • وبوفاة مسعود فقدت سلطنة السلاجقة في العـراق شخصية قوية كانت على جانب كبير من الحيوية والنشاط وفى موته يقول ابن الاثير : ومات معه سعادة البيت السلجوقي فلم يقم له بعد راية يعتمد بها ولا يلتفت اليها[5] • واخذت الفتن والاضطرابات تلعب دورهـــا في اضعاف كيان الدولة السلجوقية[6] •

بعد وفاة مسعود ، أخذ الاتابكة والامراء يلعبون على المسرح السياسى وكان من أقوى اولئك الامراء ، (خاص بك) ، الذى سيطر على زمام الامور وصار يضع السلاطين كيف شاء وقد خطب لملكشاه بن السلطان محمود

---

(١) ابن الاثير : جـ٨ ص٣٦٢
(٢) ابن الجوزي : المنتظم جـ١٠ ص١٠٥
– ابن الاثير : جـ٩ ص٧
(٣) ابن الجوزي : المنتظم جـ١٠ ص١٠٥
(٤) الراوندي : راحة الصدور ص٣٥٤
– اليزدي : العراضة في الحكاية السلجوقية ص١٢٨ يذكر انه دفن في مدرسة جمال الدولة في همذان ٠ – ابن الاثير : الكامل جـ١١ ص٦٠
(٥) ابن الاثير : جـ٩ ص٣١
(٦) الكرماني : العقد الاعلى ص٧

بناء على وصية السلطان مسعود ، ولكن ملكشاه هذا كان منصرفا الى اللهو والشراب ومعاشرة النساء[1] ، فعزله (خاص بك) وأجلس على عرش السلاجقة محمد بن السلطان محمود أخي ملكشاه[2] ، ولكن هذا دبر مؤامرة تخلص فيها من خاص بك ، وكان بعمله هذا قد فقد ثقة الامراء الذين ثاروا ضده وحاولوا عزله عن العرش[3] .

وانتهز الخليفة المقتفى الفرصة فرفع اسم محمد من الخطبة وكان هذا سببا فى قيام النزاع بين محمد والخليفة عام ٥٥١هـ/١١٥٦م ، كما فكر الخليفة المقتفى أن يستميل أحد أفراد البيت السلجوقي وهو سليمانشاه بن محمد ، فأدخله بغداد وأخذ عليه العهد والميثاق بطاعة الخليفة وخطب له ببغداد ولقب ألقاب أبيه غياث الدنيا والدين وجهزه الخليفة بثلاثة الاف فارس[4] ، وتوجه سليمانشاه الى بلاد الجبل لمحاربة السلطان محمد ، الا أن سليمانشاه خسر المعركة وهرب الى (مازندران) وسار من هناك الى خراسان[5] ، وكتب السلطان محمد الى الخليفة يطلب أن يخطب له ببغداد والعراق فامتنع الخليفة عن ذلك ، فاتجه محمد الى بغداد وحاصرها ، ولكن وقوع فتنة فى همذان جعلت السلطان محمد يترك بغداد وحصارها ويرجع الى همذان وزال الخطر عن بغداد عندما وردت الانباء تفيد ان السلطان قد توفى سنة ٥٥٤هـ/١١٥٩م[4] .

---

(١) الراوندي : راحة الصدور ص٣٥٩

(٢) البنداري : آل سلجوق ص٢٢٨
– خواندمير : حبيب السير ص١٠٨

(٣) البنداري : ص٢٢٨
خواندامير : حبيب السير ص١٠٨

(٤) ابن الاثير : الكامل جـ٩ ص٤٨

(٥) الراوندي : راحة الصدور ص٣٨١

(٦) ابن الجوزي : المنتظم جـ١٠ ص١٩١
البنداري : زبدة النصرة ص٢٨٧
ابن الاثير : الكامل جـ٩ ص٦٦

اختلف الامراء السلاجقة فيمن يخلفه فى السلطنة ، وكان بعض الامراء يرغب فى تولية أخيه ملكشاه ، والبعض الآخر يميل الى تولية عمه سليمان شاه ، بينما راح فريق ثالث يفكر في تولية ارسلان بن طغرل[1] • وقد استولى ملكشاه على أصفهان وتركز فيها ولكنه لم يتمكن من الحصول على تأييد الجيش فى همدان ، بينمـــا كانت الخطبة ببغـداد تقرأ باسم سليمانشاه ، وهدد ملكشاه ، الخليفة انه سيتوجه الى بغـــداد ان لم تتم الخطبة باسمه ، ولكن المنيـــة عاجلتــه اذ دس له أعداؤه السم فمات سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م ، وقرئت الخطبة فى أصفهان باسم سليمانشاه ، الا أن سليمانشاه كان على مايبدو من سيرته ميالا الى اللهو ، فدبرت ضده مؤامرة وقبض عليه فى همذان سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م وسجن فى قلعة علاء الدولة[2]، ثم مات مسموما سنة ٥٥٦هـ/١١٦١م[3] •

ازاء تلك الحالة المضطربة استدعى الامراء أرسلان شاه بن طغرل وخطبوا له ، ولكننا أصبحنا نلاحظ ازدياد نفوذ ايلدكز الذى كان حاكما على أران ، وكان أرسلان محتميا فى امارته ، وبذا أصبح هو المتصرف في شؤون الامور[4] ، كما أصبح من أعظم الشخصيات التي سيطرت على العراق وكردستان واذربيجان ، وكانت السلطة الفعلية له ، بينما لم تكن للسلطان أرسلان سوى الخطبة وذكر اسمه على السكة ، ومات ايلدكز سنة ٥٦٨هـ/١١٧٢م وتوفى السلطان أرسلان سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م ومن الملاحظ أن الخليفة العباسى لم يوافق على أن يخطب لارسلان شاه ، وان ايلدكز أرسل الى الخليفة سنة ٥٥٦هـ/١١٦٠م يطلب الخطبة لارسلان

---

(١) ابن الاثير : الكامل جـ٩ ص٦٧
(٢) الراوندي : راحة الصدور ص٣٩٩
(٣) ابن الاثير : الكامل جـ٩ ص٨١ ـ البنداري : زبدة النصرة ص٢٩٦
(٤) حمدالله المستوفي : تاريخ كزيدة ص٤٧٠

شاه وان تعاد القواعد الى ماكانت عليه أيام السلطان مسعود فأهين رسوله وأعيد اليه على أقبح حالة[١] .

وتولى عرش السلاجقة «طغرل بن أرسلان شاه» وكان طفلا في السابعة من عمره ، وهذا السلطان هو آخر سلاطين السلاجقة فى العراق ، وكان خليفة العباسيين فى هذا العصر هو الناصر لدين‌الله أقوى الشخصيات التى تولت الخلافة فى عصورها المتأخرة ، وقد قامت حروب بين الخليفة وطغرل، كما بدت فى الجو المحاولات من جوانب مختلفة تريد الاطاحة بنظام طغرل، كما وقع طغرل أسيرا فى أيدى منافسيه وخصومه وعلى رأسهم قزل ارسلان الذى سجن السلطان فى قلعة باذربيجان[٢] وسيطر قزل ارسلان على السلطنة وتزوج بالخاتون زوجة أبيه جهان بهلوان ، واعلن نفسه سلطانا سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م ، الا ان هذا لم يتمتع بمنصب السلطنة طويلا اذ ظهر من يحقد عليه وينافسه السلطة والنفوذ ، وكان على ما يبدو سيء السريرة وكان منصرفا عن زوجته التي تآمرت عليه واغتالته في فراشه[٣] ونشبت بعد ذلك المنازعات والمشاحنات بين الامراء السلاجقة واغتنم السلطان طغرل الفرصة فهرب من سجنه وتعاون مع الامراء السلاجقة ، وانتصر على ابن عمه قتلغ عند قزوين وتوجه الى همدان وجلس من جديد على العرش[٤] .

---

(١) ابن الاثير : الكامل جـ٩ ص٧٣

(٢) ابن الاثير : الكامل جـ٩ ص٢١٨
حمدالله المستوفي : كزيدة ص٤٧٥

(٣) راحة الصدور : ص٥٠٢
ابن الاثير : الكامل جـ٩ ص٢١٨
الحسيني : اخبار الدولة السلجوقية ص١٨١ ذكر خبر تآمر زوجة قزل ارسلان عليه .

(٤) راحة الصدور : ص٥٠٢ـ٥٠٤
ابن الاثير : الكامل جـ٩ ص٢٣٠

وفى سنة ٥٩٠هـ/١١٩٤م جرت اتصالات بين الخليفة الناصر لدين الله ، وجهة أخرى غير سلجوقية ، هى الدولة الخوارزمية ليقضى بمعونتها على السلاجقة وأظهر الخليفة فى رسائله الى خوارزمشاه الشكوى من سوء نيات طغرل الثالث ، كما ان الخليفة بين فى رسائله انه سيملكه البلاد التى يملكها طغرل ، فسار خوارزمشاه من نيسابور الى الرى ، والتقى بعسكر السلطان طغرل بالقرب منها ، فحمل طغرل بنفسه فى وسط المعركة وتغلغل فى صفوف جيش خوارزمشاه فأحاط به العساكر الخوارزمية وقتلوه[١] ، وحملوا رأسه الى (خوارزمشاه) فسيره من يومه الى بغداد فنصب بها بباب النوبى عدة أيام[٢] وبذلك تخلص الخليفة من آخر مظهر من مظاهر الحكم السلجوقى وأعلنت الخلافة استقلالها التام من النفوذ والتحكم السلجوقى .

كانت تلك هى نهاية حكم السلاجقة للعراق ، نهاية لابد منها لما حملت هذه الدولة فى مسيرتها التاريخية من المشاكل والاحداث ، ولعل الخصومات والمنازعات بين أفراد البيت السلجوقى كانت العامل الاول والرئيس ، في تفتيت الوحدة السلجوقية وان البناء الشامخ الذي جاهد من أجل بنائه وتشييده السلاطين العظام ، طغرلبك والب أرسلان وملكشاه ، أخذ يتداعى من بعدهم ، وكانت الدولة قد بلغت حدا واسعا ، وامتدت رقعتها من حدود الصين شرقا الى جورجيا والاراضى المجاورة لمدينة القسطنطينية غربا ، كما شملت بيت المقدس وبلاد العرب[٣] .

---

(١) الراوندي : راحة الصدور ص٥١٤
ابن الاثير : جـ٩ ص٢٣٠
الحسيني : اخبار الدولة السلجوقية ص١٧٢-١٧٣

(٢) ابن الاثير : الكامل جـ٩ ص٢٣٠

Gibbon : The decline and fall of the Roman Empire, vol. p. 45-47

ان هذه الامبراطورية الواسعة صارت تتداعى كمـــا قلنـا بسبب الانقسامات الكبيرة بين زعماء السلاجقة ، فقد قام نزاع داخلى شديد بين أبناء ملكشاه واحفاده لذلك انصرف السلاطين وامراء الدولة كما لاحظنا عن أمور المملكة ومصالحها ، وأخذ كل واحد يعمل جهده من أجل الابقاء على نفوذه وسلطانه ، بل أخذ البعض منهم يحاول اضعاف زميله فى سبيل السيطرة على أملاكه ، وهذا بالطبع أدى الى فرقة الصفوف ، ومن ثم الى ايجاد امارات (أتا بكيات) عديدة ، ولعلنا نصيب الحقيقة عندما نضع بداية الانقسام عقب وفاة السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م ، فان ملكشاه خلف أربعة أولاد صغار أكبرهم بركيارق وكان فى الثانية عشرة من عمره ثم يليه محمد فسنجر فمحمود وبالطبع كان لكل أمير حاشيته ومربوه ، أضف الى ذلك ان لكل أمير أم هى غير أم الآخر ،فكانت أم بركيارق تدعى زبيدة ،وكانت تركان خاتون أما لمحمود(١) ، بينما كان محمد وسنجر من أم واحدة(٢) ، وقد لمسنا كيف جاهدت السيدة تركان خاتون من أجـل ان تكون السلطنـة لولدها محمود ، فى الوقت ذاته كان بركيارق يرى نفسه أحق بالسلطنة من محمود ، فنشب لذلك نزاع عنيف كانت له نتائج خطيرة أدت بمرور الزمن الى احداث تصدع كبير فى صفوف السلاجقة ، كما شجع الامراء الآخرين الى خوض مثل ذلك النزاع •

وكانت الحاشية التى تحيط بالامراء كثيرا ما تشجع على المطـــالبة بالسلطنة طمعا منها فى الحصول على المناصب العالية والاقطاعات الواسعة ، وقد تبين ذلك واضحا ما بذلته السيدة تركان خاتون من الاموال للامراء فى سبيل تنصيب ولدها محمود سلطانا وكان وزيرها ، تاج الدين من الذين

---

(١) Browne : ALiterary History of Persia, volii, p. 300

الكامل : حوادث سنة ٤٨٥

راحة الصدور : ص٢٠٨

(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ٤ ص١٦٣ اســـمها خاتون السفرية : المنتظم جـ٩ ص٢٢٨

يؤيدها في ذلك وقدم لهـــا المساعدات[1] ، وأرسلت تركان خاتون الى الخليفة المقتدى ، تطلب السلطنة لابنها واقامة الخطبة له على منابر بغداد ، ولما اعتذر الخليفة لصغر ســن ولدها أكرهتــه على الموافقة[2] وقد نجح بركيارق فى منطقة الرى فى أن يحصل على تأييد عدد كبير من رجالها فنادوا به سلطانا على البلاد[3] وبذلك أصبح في العالم السلجوقي سلطانان ، بركيارق ومحمود ، وقامت الحرب بين الطرفين المتنافسين انتهت بانتصار بركيارق على أخيه محمود وأسر وزيره تاج الملك الشيرازى وقتله[4] ، وحاصر بركيارق السيدة تركان خاتون وجنودها فى أصفهان ولما وجدت السيدة شدة الحصار قدمت لبركيارق الاموال لكى يفك الحصار عنهـا فوافق على ذلك واتجه نحو همذان ، ونجح بركيارق أيضا فى استمالة بعض رجالات السيدة تركان خاتون ، ورغم الجهود التى بذلتها السيدة فان بركيارق قد أصاب نجاحا كبيرا فى احباط الحركة التى قام بها عمه تتش الذي كان واليا على دمشق ، كما هزم اسماعيل بن ياقوت خالـه والذى حرضته تركان خاتون ووعدته بالزواج منها لو تمكن من بركيارق وتخلص منه[5] . وفي الرابع عشر من محـرم سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م ، خطب لبركيارق في بغداد بأمر الخليفة المقتدي ولقب ركن الدين[6] .

هذه صورة واحدة من صور المنافسة والخصومة من أجل الوصول الى السلطة ، ترينا دور الامهات والأمراء والوزراء فى الخلافات عـلى

(١) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول : ص٣٣٧

(٢) راحة الصدور : ص٢١٦

Browne : Account of a Rare Manuscript History seljugs, p. 35

(٣) راحة الصدور : ص٢١٧

(٤) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص٣٣٨

(٥) الراوندي : راحة الصدور ص

(٦) ابن الاثير : الكامل جـ٨ ص١٧٠

السلطنة وكانت هذه الحالة الخصيرة تعـانيها الدولة السلجوقية بشكل واضح ، وهذا ماكان على صعيد السلطنة هناك نزاع آخر نشب على صعيد الامراء ، فقد كان هؤلاء الامراء يحاول كل منهم ان يتقدم ويرقى ويتوسع على حساب الآخر ، ومنذ ان بدأت الاقطاعات للمقربين بدأ عامل التنافس والطمع يلعب دوره في تفتيت واضعاف الامارات والتي يتكون منهـا العالم السلجوقي ، فالسلطان ملكشاه بن الب ارسلان اقطع الأقاليم على من كان يعتمد عليه من السلاجقة ، فأقطع أخاه (تتش) مدينة دمشق واعمالهـا المجاورة كطبرية وبيت المقدس[١] . واقطع آقسنقر مدينة حلب واعمالها فضلا عن مدن حماة ومنبج واللاذقية[٢] ، واقطع اخاه (ارغون) أعمال فارس وكرمان[٣] . وفي سنة **٤٨١هـ/١٠٨٨م** جمع آقسنقر صاحب حلب جنوده وسار نحو قلعة شيزر فحصرها وصاحبها ابن منقذ وضيق عليهـا ونهب ربضها ثم صالحه صاحبها وعاد الى حلب[٤] ، بينما طمع تتش في مدينة حلب بعد وفاة ملكشاه سنة **٤٨٦هـ/١٠٩٣م** وخطب لنفســه بالسلطنـة واستولى على نصيبين وقتل عددا كبيرا من اهلها[٥] ، فتجهز له السـلطان بركيارق وانضم اليه آقسنقر فانهزمت جيوش تتش ورجع الى الشام ، كما رجع آقسنقر بعد فترة الى حلب ولكن تتش صار يتحين الفرص به أي (آقسنقر) وفي سنة **٤٨٧هـ/١٠٩٤م** تمكن من اغتياله وبذلك استطاع ان يمد نفوذه في بـلاد الشام ، ثم استمر نزاع آخـر بين تتش والسلطان بركيارق كانت نتيجته هزيمة نكراء الحقت بتتش سنة **٤٨٨هـ/١٠٩٥م**

---

(١) ابن الاثير : تاريخ الدولة الاتابكية ص٢٤
(٢) المرجع السابق : ص١١ـ١٨
(٣) ابن الاثير : الكامل جـ٨ ص١١٣
(٤) المرجع السابق : جـ٨ ص١٤٨
(٥) المرجع السابق : جـ٨ ص١٦٦ـ١٦٧

والذى قتل بأيدى أنصار آقسنقر[1] .

هذه صورة أخرى لحالة من حالات التفكك فى الدولة السلجوقية حيث نلمس عوامل الهدم واضحة جلية ، وان هذا التخاصم والتنازع لم يكن سببا في اسقاط الدولة السلجوقيـــة أو في اضعافها بل انه أدى الى أمر أخطر من هذا ، أدى الى اضعاف جبهة المسلمين خاصة فى منطقـة الشام ، مما سهل على الصليبين أن يتمركزوا ويستولوا على كثير من المدن والبلاد .

ان الخلافة فى بغداد كانت ضعيفة ولم يكن بمقدور الخليفة العباسى أن يهيمن على الامور أو ان يحد من تصرفات الامراء المتخاصمين أو ان يقف على الاقل الى جانب الحق ، ولكننا وجدنا الخليفة العباسي كان يوافق على أن يخطب لكل غاز لبغداد أو الذي يعتقد فيه أنه الاقوى ، وهذا بالطبع كان من العوامل المساعدة على اضعاف السلاجقـــة ومن المرجح أن بعض الخلفاء بعد أن رأى من الضروري اضعاف العنصر السلجوقي والتخـلص منه ومن نفوذه كان يسعى الى ايقاد الفتنة بين السلاطين المتنازعين .

وخلاصة القول أن مملكة السلاجقة بعد وفاة ملكشاه بن الب أرسلان، واجهت مشاكل خطيرة أدت الى انقسامات كبيرة ، وانشغل السلاطين والامراء في العصر التالى عصر سلاجقة العراق عن مصالح الدولة الى تثبيت مراكزهم ومخاصمة الواحد منهم للآخر ، وأصبحت الدولة نهبا مقسما بين الامراء والاتابكة العديدين[1] وكان الصليبيون قد سيطروا على كثير من ممتلكـات السلاجقة ففي زمن محمود بن محمد بن ملكشاه انتزع الصليبيون معظـم بلاد الشام من يد الامراء السلاجقة وكونوا فيها الامارات الصليبية الاربعـة وهي بيت المقدس وانطاكية وطرابلس والرها ، ولم يبق في أيدي المسلمين

(١) المرجع السابق : جـ٨ ص١٧٥-١٧٦

Lane-Poole : The Mohammadan Dynasties p. 152

الا بعض المدن الداخلية كدمشق وحلب[1] ، وظل للسلاجقة مع ذلك سلطان قوي في ايران هو سنجر ولكن نفوذ هـذا السلطان زال بوفـاته سنة **٥٥٢هـ/١١٥٧م** ، أما في العراق فقد رأينا سوء الاوضاع وتعدد المشاكل أمام السلاطين وانشغالهم في حروب ومنازعات حتى سنة **٥٩٠هـ/١١٩٣م** وهي السنة التي قتل فيها طغرل آخر السلاطين السلجوقيين في العراق[2] .

---

(١) Barker : The Crusades, p. 25

(٢) الراوندي : راحة الصدور ص٥١٤
ابن الاثير : حـ٩ ص٢٣٠
الحسيني : اخبار الدولة السلجوقية ص١٧٢-١٧٣

الفصل الرابع

كفـــاح

الخلفاء العباسيين لاسترداد هيبة الخلافة

كفاح الخلفاء العباسيين لاسترداد هيبة الخلافة

بدء الحكم السلجوقي - الفرق بين البويهيين والسلاجقة • محاولة السلاجقة كسب رضا الخليفة • بداية الخلاف بين السلاجقة والخليفة العباسي • سياسة السلاجقة القضاء على النفوذ البويهي • التقاء الخليفة والسلطان في الهدف • وقوع الخليفة تحت نفوذ السلاجقة • لماذا لم يقض السلاجقة على الخلافة العباسية • احترام السلاجقة للخليفة • مصلحة السلاجقة ابقاء الخلافة العباسية • لماذا لم يحاول السلاجقة تقوية الخلافة • التدخل في شؤون الخلافة • موقف الخلافة من تنازع السلاجقة • بداية محاولات التخلص من النفوذ السلجوقي • المسترشد بالله العباسي • صفاته • محاولة الخليفة المسترشد ابعاد الخطر عن الخلافة • تمسك الخليفة المسترشد بأهداب الدين • محاربة الخليفة لدبيس بن صدقة • استعداد المسترشد للطوارىء • استغلال الخليفة لخلافات السلاجقة • الحرب بين الخليفة المسترشد ومسعود • استشهاد الخليفة المسترشد • مخالفة الراشد لأمراء السلاجقة ضد مسعود • تشويه سمعة الخليفة الراشد • مقتل الخليفة الراشد • خلافة المقتفي • محاولة الآمراء السيطرة على املاك السلطان • موقف المقتفي من السلاجقة • زيادة المكس وغلاء الاسعار • المقتفي يعمل على تقوية الخلافة • ضعف مسعود • ازدياد قوة الخليفة العباسي • الخليفة العباسي يغتنم وفاة مسعود فيسعى الى تقوية مركز الخلافة • سيطرة الخليفة على اقطاعات السلاجقة سيطرة الخلافة على تكريت • استمرار النزاع بين الخلافة والسلطنة • حصار السلطان محمد لبغداد • وفاة المقتفي وخلافة المستنجد • الخليفة يطارد السلاجقة • علو مكانة الخلافة وازدياد نفوذها • توفر الامن وندرة الاضطرابات • وفاة المستنجد • سيطرة صلاح الدين

الأيوبي على الأمور بمصر • وفاة ايلدكز • خلافـــة الناصر لدين الله •
الناصر يستغل النزاع بين السلاجقة • جيش الخليفـة يدخل همـدان •
السلطان طغرل يتوسل ويلتمس العفو من الخليفة • مقتل طغرل الثالث •
الخليفة الناصر يحيي الفتوة ويتخذها نظاما رسميا • اصل الفتوة • مبـادىء
الفتيان • نتائج التنظيمات التي قام بها الناصر لدين الله •



دخل السلطان طغرلبك العراق عن طريق مدينة حلوان ، وانتشر السلاجقة في طريق خراسان المؤدي الى بغداد ، وتقدم الخليفة الى الخطباء بالخطبة لطغرلبك بجوامع بغداد ، فخطب له يوم الجمعة لثمان بقين من رمضان سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م ، وأرسل طغرلبك يستأذن الخليفة في دخول بغداد ، فأذن له فوصل الى النهروان ، وخرج الوزير في موكب عظيم من القضاة والنقباء والاشراف والشهود والخدم وأعيان الدولة وصحبه أعيان الأمراء من عسكر الرحيم ، فلما علم طغرلبك بحركتهم أرسل الى طريقهم أمراء أهل بيته ووزيره أبا نصر الكندري فلما وصل رئيس الرؤساء وزير الخليفة الى السلطان أبلغه رسالة الخليفة ، وأستحلفه للخليفة وللملك الرحيم وأمراء الاجناد ، وسار طغرلبك ودخل بغداد يوم الاثنين لخمس بقين من رمضان[1] .

وقد أستقبل طغرلبك أستقبالا رائعا شهده كبار رجال الدولة وأعيانها، كما كرمه الخليفة المغلوب على أمره ، أعظم تكريم اذ أمر أن يذكر أسمه في خطبة الجمعة قبل دخوله بغداد كما ذكرنا سابقا ، ولقبه ركن الدولة طغرلبك وأعترف الخليفة به سلطانا على جميع المناطق التي تحت يديه[2] .

وبدخول السلطان طغرلبك بغداد بدأ النفوذ السلجوقي يسود العراق، ومن المرجح أن السياسة التي اتبعها السلاطين السلاجقة في حكمهم للعراق لا تختلف في شيء عن سياسة حكمهم للبلاد الاخرى ، سوى أنهم كانوا يجدون في الخليفة العباسي المقام الروحي والذي يستمد منه السلاطين والملوك السلاجقة أحقيتهم وشرعيتهم في الولاية والحكم ، فالسلاجقة وأن

---

(١) المنتظم حـ٨ ص١٦٤
ابن الاثير : الكامل حـ٨ ص٧١
الفخري : ص٢١٥
(٢) راحة الصدور ص١٧٠

غادر سلاطينهم بغداد ولم يتخذونها مقر حكم ، فأنهم تركوا حاكما من قبلهم في العراق يعرف (العميد) كما عينوا مسؤولا آخر عن النظام والأمن في بغداد يعرف (الشحنة) ووضعوا عساكر كثيرة تحت تصرف هذين المسؤولين ، وسيطروا على العراق سيطرة تامة وتصرفوا في أمواله وخيراته تصرف الفاتح المحتمل ، وقد بدت هذه السيطرة واضحة وجلية بعد انتهاء طغرلبك من القضاء على فتنة البساسيري ، فقد سيطر على العراق سيطرة تامة ، كما استسلم الخليفة لارادة السلطان وترك له كل شيء ووافق ان يجري عليه ارزاقه ويرتب له ما يكفي لسد جميع نفقاته[1] .

ومما لاشك فيه ان السلاجقة قوم كان همهم السيطرة والتوسع وبناء كيان سلجوقي كبير ، وكانوا يطمعون في كسب رضا الخليفة العباسي ليحصلوا على اعترافه بشرعية حكمهم وهم يعلمون حق العلم ان الخلافة العباسية تعاني الضعف وتشكو الكثير من الازمات السياسية والاقتصادية والعسكرية ولكن السلاجقة حبذوا ابقاء الخلافة العباسية وتقويتها واسنادها وابعاد كل خطر يتهددها واظهار الولاء والطاعة لمقامها .

والسلاجقة بطبيعتهم تغلب عليهم حياة البداوة ، وانهم لم يألفوا في اول تكوينهم لمجتمع الدولة على حياة المدن ، بل كانوا يعيشون حياة فيها ميل للتنقل والتحول طلبا للرزق وانتجاعا لمواطن الكلاء ، فأصول الحياة البدوية متأصلة في اعماق نفوسهم وهذا بالطبع سيؤثر في توجيههم وسلوكهم لسياسة الدولة التي شيدوها ، كما سيؤثر في مستقبلها كما رأينا ، فأنهم اعتمدوا في اول تكوينهم على القبائل التركية في الجيش والغزوات وربما ان معظم السلاجقة كانوا غير مثقفين فانهم اعتمدوا على العناصر المثقفة خاصة تلك التي كانت

---

(١) تاريخ لزبدة ص٤٣٨

في ايران امثال ابي نصر الكندري[1] ونظام الملك[2] وغيرهما من الشخصيات الفارسية المثقفة والتي تولت الوزارة والحجابة والكتابة وغيرها من الوظائف السامية في الادارة السلجوقية •

ان طبيعة السلاجقة البدوية صبغتهم بالصبغة العسكرية ، فالدولة السلجوقية في اول سنى تأسيسها كان طابعها واتجاهها عسكريا محضا وذلك بسبب اصالتها البدوية وتربيتها الخشنة وجوارها لجماعات قوية كثيرا ما تحاول القضاء عليهم واستئصالهم ، كما ان كثرة اعدادهم وضيق مراعيهم وقلة مواردهم ، كانت عوامل تجعلهم قوة خطيرة اذا اتحدوا وظهر فيهم زعيم قوي قادر على توجيههم •

وتبدو فكرة الوطن عند السلاجقة ، فكرة عامة ، وبما انهم وقد اعتنقوا الدين الاسلامي الحنيف وفق المذهب الحنفي ، فهم يرون كما ارجح ان العالم الاسلامي هو الوطن ، ولكونهم جماعات بدوية في الاصل تنتقل من مكان الى آخر ، فانهم يفضلون الاستقرار في المناطق الاكثر خصوبة ذات المياه الوفيرة والخيرات الطيبة • وقد استهدفوا اضافة لذلك تكوين دولة تشمل العالم الاسلامي معترف بها من قبل الخليفة العباسي ، واضعاف جميع القوى المناهضة لدولتهم •

وظهرت في بداية دخول السلاجقة الى بغداد بادرة اول الخلاف ولعل تلك البادرة ستكون رأسا او اساسا الى ما سنلمس من المشاكل والخلافات بين السلاجقة والعباسيين وقلنا فيما سبق ان الوزير خرج في

---

(١) من قرية كندر القريبة من قزوين في ايران ـ راجع المنتظم جـ٨ ص٢٣٩

اللباب : لابن الاثير الجزري

(٢) من قرية نوقان بالقرب من طوس

ابن خلكان : جـ١ ص١٨٠

موكب عظيم من القضاة والنقباء والاشراف والشهود واعيان الدولة لمقابلة السلطان طغرلبك وابلاغه رسالة الخليفة ، كما ان الوزير استحلف السلطان طغرلبك للخليفة وللملك الرحيم ولامراء الاجناد • ولكن طغرلبك عندما دخل بغداد القى القبض على الملك الرحيم ، وحدثت ايضا في بغداد حوادث اضطرابات ونهبت بعض المحال العامة ، ذلك ادى الى غضب الخليفة واستيائه من الحالة الجديدة ، اذ يبدو ان الخليفة كان يتوقع عكس ما حدث وما جرى لذا نراه يكتب الى السلطان طغرلبك رسالة ينكر فيها ما حدث للملك الرحيم واصحابه ونهب بغداد ، ويقول الخليفة في رسالته : انهم اي الملك الرحيم واصحابه ، انما خرجوا اليك بأمري وأماني فان اطلقتهم والا فأنا افارق بغداد ، فاني انما اخترتك واستدعيتك اعتقادا مني ان تعظيم الاوامر الشريفة تزداد وحرمة الحريم[1] تعظم وأرى الأمر بالضد[2] •

هذه هي البادرة الاولى في بداية الخلاف أوانها بداية الشك في خلوص نية السلاجقة الفاتحين ، أقول الفاتحين لأني أرجح أنهم كانوا يعتقدون هذا بدليل أنهم أرسلوا الى الخليفة بعد استيلائهم على كثير من المدن الايرانية رسالة جاء فيها « وشكرا لله على ما افاء علينا من فتح ونصر »[3] وأنهم وأن أظهروا الطاعة والولاء للخليفة العباسي ، وأنهم جاءوا لانقاذ الخلافة من حكم البويهيين ، ومعظمهم في بغداد كانوا ضد السلاجقة وقد قامت اضطرابات شديدة من قبل الشعب تظهر المقاومة[4] أما الوجه الشرعي للفتح السلجوقي فمتوفر ، ذلك لأن استيلاء السلاجقة على المناطق في ايران

---

(١) كان الغز يهاجمون المدن ويكثرون النهب والاعتداء ، فذكر أبن الاثير في حوادث سنة ٤٤٦هـ الغز هاجموا مدينة الدسكره ونهبوها واعتدوا على النساء بالضرب ـ الكامل جـ٨ ص٦٨

(٢) ابن الاثير : الكامل حـ٨ ص٧٢

(٣) الراوندي : ص١٦٧

(٤) الكامل : حوادث حـ٨ ص٧١

وبلاد ما وراء النهر كان بالقوة ومن حق الخليفة أن يقلد المستولى ويفوضه تدبيرها وسياستها[1] ، ويمكن تطبيق ما جاء في الاحكام السلطانية على حالة التنفذ السلجوقي في العراق ، ان المستولى ، عليه حفظ منصب الامـانة في خلافة النبوة وتدبير أمور الملة ، وظهور الطاعة الدينية التي يزول معها حكم العناد فيه وينتفي بها اثم المباينة له ، وكذلك أجتماع الكلمة على الالفـة والتناصر ليكون للمسلمين يد على من سواهم[2] - وبالطبع أننا لو امعنا النظر في المشكلة ذاتها وتفحصنا كلمات رسالة الخليفة ، لتلمسنا بوجود عقليتين متعاكستين ، عقلية السلاجقة ، وعقلية الخلافة ، فالخلافة تنظر الى الامور نظرة العهد والشرف والمجاملة ، نظرة الرعاية لحقوق الملك الرحيم البويهي الذي استنجد بالخليفة فأنجده وتعهد له السلامة والنجاة ، والامان ، أنهـا نظرة الرحمة والشفقة ، بينما كانت نظرة السلطان السلجوقي طغرلبـك نظرة سياسية عسكرية ، هي سياسة القضاء على النفوذ البويهي بأشكالـه وصوره المختلفة واستئصال كل منافس للنفـوذ السلجوقي ، انهـا نظرة العسكري المنتصر ، أي تحطيم مراكز العدو والقضاء عليه ، وعدم فسـح المجال لأي قوة يحتمل أن تكون مصدرا يقلق التدابير العسكرية ، لـذا نرى أن طغرلبك لم يهدأ له قرار ولم يستمع لنصيحة الخليفة ، حتى أمر بالقبض على الملك الرحيم وأرسله أسيرا الى الرى فألقى في السجن حتى توفى سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م[3] ، ومما لاشك فيه ، أن البويهيين هم أعداء السلاجقة سياسيا ومذهبيا ، فالبويهيون كانوا يقاومون تقدم التوسع السلجوقي في أوائل سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م فقد سار قائد كبير من الديلم يدعى (فولاذ) وأستولى على فيروز آباذ وقطع خطبة السلطان طغرلبك في شيراز وخطب

(١) الماوردي : الاحـكام السلطانية ص٢٧
(٢) المرجع السابق : ص٢٨
(٣) ابن الاثير : حوادث سنة ٤٥٠هـ

للملك الرحيم[1] . فالقبض على الملك الرحيم من قبل السلطان طغرلبك أراه أمرا ضروريا لتوفير الامن وابعاد المشاكل عن الدولة السلجوقية ، اذ من الجائز أن يطمح الملك الرحيم الى أستعادة نفوذه وأن تتكرر عملية أخرى كالتي قام بها القائد فولاذ .

كانت الظروف المحيطة بالخليفة العباسي القائم بأمر الله سيئة ومعقدة ، فالأخطار تهدد الخلافة وأعظم تلك الاخطار ، القائد المتمرد أبو الحارث البساسيري ، الذي خرج من بغداد ، وتمكن من دخول الموصل بعد انتصاره على أنصار طغرلبك بالقرب من سنجار في شوال من سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م[2]، وفي الموصل خطب البساسيري للخليفة الفاطمي وكان البساسيري قد بعث كتبا الى مصر يعلن فيها الطاعة والولاء للخليفة الفاطمي وأرسل الخليفة الفاطمي بدوره الخلع من مصر للبساسيري ولنور الدين دبيس بن مزيد ولجابر بن ناشد ولمقبل بن بدران ، ابن أخي قريش، ولأبي الفتح بن ورام ونصير بن عمر وأبي الحسن بن عبدالرحيم ومحمد بن حماد ، وانضاف اليهم قريش بن بدران[3] ، وهذا بالطبع مما يهدد مركز الخليفة ويجعل من هؤلاء مصدر قلق وأضطراب للدولة العباسية ، وهذا ما دفع بالخليفة العباسي أن يلجأ الى طغرلبك ويطلب منه القضاء على حركة البساسيري ، فسار طغرلبك الى الموصل وقضى على تلك الحركة وبسط نفوذه على ديار بكر ثم عين أخاه أبراهيم ينال واليا على الموصل والجزيرة ، وأستقبله الخليفة العباسي أستقبالا رائعا ولقبه بملك المشرق والمغرب ، وقرر له

(١) ابن الاثير : حوادث سنة ٤٤٧هـ
(٢) المرجع السابق : حوادث سنة ٤٤٨هـ
(٣) المرجع السابق : حوادث سنة ٤٤٨هـ

السلطنة على ممالك العراقين والجبال[1] .

هناك خطر آخر كان يهدد الخلافة العباسية ذلك هو خطر الفاطميين حكام مصر وقتئذ ونحن نعلم أن الفاطميين كانوا يدعون للمذهب الشيعي ، بل أن مذهب دولتهم الرسمي هو المذهب الشيعي ، وبالطبع فان الفاطميين كانوا يطمعون بالسيطرة ونشر مذهبهم في العلم الاسلامي عامة ، علما أنهم يعتقدون بأحقيتهم في خلافة وامامة المسلمين ، فالصراع والتنافس المذهبي كما يبدو لي كان قويا ، ظاهرا وخفيا ، بين العباسيين السنيين والفاطميين الشيعة ، أضف الى ذلك أن الخلافة العباسية في عصر القائم بأمر الله العباسي كانت في منتهى الضعف من نواحي كثيرة عسكرية واقتصادية وسياسية ، وحتى من الناحية الاجتماعية حيث نلمس انقسامات عديدة في المجتمع العباسي كانت تعمل على ضعفه وانهياره ، فالمنازعات بين المحال في بغداد كانت شديدة ومستمرة ، ففي سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م ، على سبيل المثال ، جرى بين أهل الكرخ وباب البصرة قتال وفي نفس السنة وقعت فتنة بين أهل الكرخ والقلائين واحترقت عدة دكاكين[2] وفي سنة ٤٤٥هـ/١٠٥٣م ، وقعت فتنة بين أهل الكرخ وغيرهم من أهل السنة وذهب ضحيتها الكثير من الاهالي[4] . وفي سنة ٤٤٦هـ/١٠٥٤م انقطع الماء من الفرات على نهر عيسى انقطاعا تلف به ما كان من زرع وتعذرت الطحون وأدرك الناس بذلك ضرر شديد[4] ، كما وقعت فتنة عظيمة في سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م بين الشافعية والحنابلة في بغداد[5] ، حتى ان الشافعية لم يحضروا صلاة الجمعة خوفا من الحنابلة[6] ، وأصاب بغداد الكثير من موجات الغلاء

---

(١) الراوندي : ص ١٧٠

(٢) المنتظم : حـ٨ ص١٥٤

(٣) ابن الاثير : حوادث سنة ٤٤٥

(٤) المنتظم حـ٨ ص١٦٠

(٥) ابن الاثير حوادث سنة ٤٤٧هـ

(٦) المنتظم : حـ٨ ص١٦٣

في هذه الفترة لانعدام الزرع وقلة المياه ، بينما كانت الدولة الفاطمية في مصر في أوج قوتها وعظمتها ، ففي هذا العصر كان يحكم فيها الخليفة المستنصر بن الخليفة الظاهر ، وفي عهد هذا الخليفة أمتدت رقعة الدولة الفاطمية من المحيط الاطلنطي غربا الى نهر الفرات شرقا وأعترف الصليحي الشيعي بسلطان المستنصر الفاطمي في اليمن سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م ، كما أقيمت الخطبة للمستنصر الفاطمي على منابر بغداد نحوا من سنة على يد البساسيري القائد العباسي[١] .

هذه ظروف أحاطت بعصر الخليفة القائم العباسي ، وفي عهده برزت قوة الدولة السلجوقية التي تدين بالمذهب السني وتلاقت هذه الدولة في مقاومتها للمذهب الشيعي مع آمال وأهداف الخليفة العباسي ، كما أن الخليفة العباسي وجد في فتوة وقوة هذه الدولة السلجوقية ما يسند ويدعم الخلافة العباسية ، لذا نجد هذا الخليفة لا يستمر في غضبه ضد طغرلبك عندما أمر بأعتقال الملك الرحيم وأستسلم للأمر الواقع ، بل أخذ يتقرب من البيت السلجوقي وتزوج من أرسلان خاتون أبنة داود أخي السلطان طغرلبك[٢] .

اذن ان ضعف الخليفة ومركز الخلافة بشكل عام ، وقوة السلاجقة الاتراك ، عوامل جعلت من الخليفة العباسي شخصا ضعيفا امام نفوذ

---

(١) ابن الاثير حوادث سنة ٤٥٠هـ

الصليحي :ـ علي بن محمد بن علي الصليحي رأس الدولة الصليحية في اليمن . كان شافعيا ثم تشيع بتأثير أحد الدعاة الفاطميين المدعو عامر بن عبدالله الرواحي. توفي سنة ٤٧٣هـ والمستنصر هو معد بن علي

(٢) المنتظم جـ٨ ص١٦٩ـ١٧٠

السلجوقيين فان كان الخليفة العباسي يأمل ان يجد الاستقلال والنفوذ والقوة في استنجاده بالسلاجقة فان ذلك الامل قد خاب ، اذ وقع الخليفة تحت وطأة متنفذ جديد له من القوة وعوامل السيطرة ما جعلت الخليفة يفقد هيبته ونفوذه الى امد بعيد ، واصبح للسلطان السلجوقي خاصة بعد انتصاره على البساسيري القائد التركي تمام السيطرة على العراق كما اصبح الخليفة يمتثل بأمره واطلق يد السلطان في التصرف بكل شيء[1] .

وشعر الخليفة العباسي القائم بأمر الله بضعفه وبسيطرة السلاجقة ، ويبدو لي ان الخليفة كانت تتفاعل في نفسه العواطف من حب للسيطرة والظهور والارتقاء وكره لحياته التي يعيشها على مضض واجبار ، وما بين الحب والكراهية ، يقف العقل ليكبح جماح العواطف الجياشه المفتعلة وحيث يؤمن بالواقع المؤلم المرير والذي عليه ان يتحمله حرصا على لقب الخلافة لا غير وظل الخليفة العباسي يعيش من اقطاعات مقررة يأخذ دخلها[2] ، وانزوى في قصره لا يخرج منه الا مرة في العام وذلك عندما يخرج لصلاة عيد الفطر ويؤم المصلين فيها[3] .

يعترضنا سؤال مهم ، لماذا لم يقض السلاجقة على الخلافة العباسية ؟ الجواب عن هذا السؤال يبدو واضحا اذ ان السلاجقة كانوا من السنة الحنفية وصاروا يفتحون المدن والبلدان ويتوسعون على حساب الدويلات الضعيفة ، وسيطروا على املاك البويهيين في ايران ولما اصبحوا على

---

(١) تاريخ كزيدة ص٤٣٨

(٢) ابن الاثير : تاريخ الدولة الاثابكية ص٩٢

(٣)

Le strange : Baghdad during the Abbassid Caliphate p. 332

رحلة بنيامين ص١٣٢-١٣٣

حدود العراق ، ارسل الخليفة القائم رسالة الى السلطان طغرلبك وأمر الخليفة ، حامل الرسالة بأن يتقرب من طغرلبك حتى يحضره الى بغداد لتتشرف دار الخلافة بحضوره[١] ويبدو كما ذكرنا سابقا أن الخليفة بين في رسالته للسلطان عن سوء الاحوال في بغداد ، ومشاكل الخلافة مع البويهيين المتنفذين ، كما يرجح أنه طلب مساعدة السلاجقة في تخليص الخلافة العباسية السنية من التحكم الشيعي البويهي ، ودخل طغرلبك بغداد سنة **٤٤٧هـ/١٠٥٥م** ، وحمى الخليفة العباسي وابعد عنه المخاطر وقضى على جميع مناوئي الخلافة العباسية ، وأظهر للخليفة التقدير والاحترام ، فمن أمثلة ذلك أن طغرلبك لما وصل بغداد سنة **٤٤٩هـ/١٠٥٧م** ، طلب الاذن بمقابلة الخليفة ، فأذن له في ذلك وجلس الخليفة يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة جلوسا عاما وحضر وجوه عسكر السلطان وأعيان بغداد وحضر السلطان في الماء وأصحابه في السميريات[٢] ، فلما خرج من السميرية أركب فرسا من مراكب الخليفة ، فحضر عند الخليفة والخليفة على سرير عال من الارض نحو سبعة أذرع وعليه بردة النبي صلى الله عليه وسلم وبيده القضيب الخيزران فقبل السلطان الارض وقبل يده وأجلس على كرسي فقال الخليفة لرئيس الرؤساء : قل له ، أن أمير المؤمنين شاكر لسعيك ، حامد لفعلك مستأنس بقربك وقد ولاك جميع ماولاه الله من بلاده ، ورد عليك مراعاة عباده ، فاتق الله فيما ولاك وأعرف نعمته عليك

---

(١) السميرية : مفرد سميريات وهى ضرب من السفن الصغيرة التى تعد للنزهة .

(٢) راحة الصدور : ص١٦٩
تاريخ كزيدة ص٣٥٤

فى ذلك واجتهد فى نشر العدل وكف الظلم واصلاح الرعية • فقبل الارض وأمر بافاضة الخلع عليه فقام الى موضع لبسها فيه وعاد وقبل يد الخليفة ووضعها على عينيه وخاطبه الخليفة بملك المشرق والمغرب ،وأعطى العهد وخرج وأرسل الى الخليفة خدمة كثيرة منها خمسين ألف دينار وخمسين مملوكا اتراكا من أجود مايكون ومعهم خيولهم وسلاحهم الى غير ذلك من الثياب وغيرها[1] •

هذه صورة الاحترام المتبادل بين الخلافة والسلطنة ، والسلطان السلجوقي وهو يعلم ان مهمته لم تنته بعد وانه وخلفاؤه من بعده سيصطدمون حتما بدول اجنبية غير اسلامية من أجل توسيع رقعة الدولة ، كما ان السلاجقة وهم من أشد المنافسين والمعارضين للمذهب الشيعي ، فالمصلحة تقضى ان يبقى الخليفة العباسى بأى صورة كانت والاستفادة من الاعتراف الذى يمنحه الخليفة للسلطان السلجوقى اذ بذلك الاعتراف يحصل على التأييد الشعبي من العالم السني كافة • وبالطبع فان السلطان السلجوقي يود ازاحة الخليفة العباسي ، ولكن السلاجقة يدركون انهم اتراك أعاجم ، فلا تصح خلافتهم لافتقارهم الى شرط مهم من شروط الخلافة وهو شرط النسب ، ولكن يبدو لنا انهم بدأوا محاولة جديدة وهى محاولة المصاهرة وربط البيتين العباسي والسلجوقي عن طريق الزواج ، فقد طلب السلطان طغرلبك الزواج من ابنة الخليفة القائم العباسي[2] ، وقد حاول الخليفة ان يمانع ويرفض مثل هذا الزواج ، ولكن

---

(١) الكامل : حوادث سنة ٤٤٩هـ

(٢) ابن الاثير : حوادث سنة ٤٥٤هـ
آل سلجوق ص١٩
الاصفهاني : زبدة النصرة ص١٩ـ٢٢

السلطان هدد الخليفة ، ولما كان الخليفة يحس بضعفه وعدم قدرته على الاصرار ، وافق على ذلك الزواج الذى لم يكتب له النجاح والسعادة ، اذ توفى طغرلبك بعد مضى سنة تقريبا[1] ، أليس من الجائز أن يكون طغرلبك قد فكر بعيدا فى نتائج هذا الزواج ، وأنى لارجح ان طغرلبك كان يأمل أن ينجب ولدا من ابنة الخليفة يكون له من شرعية النسب العباسي وقوة ونفوذ السلاجقة مايوصله الى عرش الخلافة العباسية .

وان سؤالا آخر يتبادر الى ذهن الباحث جدير بالعرض والتعقيب ، هو ، لماذا لم يعمل السلاجقة على تقوية مركز الخلافة العباسية ؟ قلنا ان السلاجقة كانوا قوما فاتحين يريدون السيطرة والنفوذ وبناء دولة كبيرة ، وبالطبع انهم يسعون الى اضعاف جميع القوى المحيطة بهم ، وانهم وان كانوا من السنة ويعطفون على الخليفة العباسي ، الا انهم لا يرفضون التنازل عن نفوذهم وامتيازاتهم ، وانهم انما ارادوا الابقاء على الخلافة كمظهر ديني يكسبون بها عطف الجماهير الاسلامية ، فالسياسة التى اتبعها السلاجقة فى أوائل حكمهم ، هى سياسة على ما أرى كانت سليمة وحكيمة ، انهم طلاب سيطرة ونفوذ ، فليس من المعقول ان يتنازلوا عن جميع امتيازاتهم ونفوذهم للخليفة العباسي ، وانهم وقد بلغوا تلك السيطرة والسعة والقوة بعد جهود مضنية وتضحيات كبيرة ، ولم يكن من اهدافهم فى وحدتهم وفتوحاتهم انقاذ الخلافة العباسية والتنازل لها عن كل ما امتلكوه وسيطروا عليه على العكس انهم لولا الشعور الاسلامى العام لقضوا على الخلافة وسيطروا

---

(١) راحة الصدور : ص١٧٨

زبدة النصرة ص٢٦

عليها • ولم ترد اشارة لمحاولة بدرت من احد السلاطين السلاجقة الى فعل ذلك بل الذى لمسناه ، ان السلاجقة عملوا على جعل الخليفة العباسي تابعا لهم لا حول له ولا قوة ، وأصبح الخليفة من الضعف الى حد كان يخشى وزراء السلاجقة ويأتمر بأوامرهم ، ومن امثلة ذلك ان الخليفة المقتدى بأمر الله عزل أبا نصـــر بن جهير من الوزارة بنـــاء على طلب الوزير السلجوقي نظام الملك[1] ، والاعجب من ذلك انه بعد فترة قصيرة ، وردت رسالة من الوزير نظام الملك الى الخليفة المقتدى يطلب فيها اعادة الوزير السابق الى وظيفته كوزير ، فأعيد[2] •

وسنرى ان التدخل في شؤون الخلافة والعمل على اضعافها واضاعة هيبتها ، يأخذ بشكل سافر منذ سنة ٤٨٥هـ ، ففى هذه السنة على مـا يبدو حصلت جفوة بين السلطان ملكشاه والخليفة المقتدى بأمر الله العباسي ، وبعث ملكشاه الى الخليفة يقول : لا بد ان تترك لي بغداد وتنصرف الى أي البلاد شئت ، فانزعج الخليفة من هذا انزعاجا شـديدا[3] ، وبدأت امارات الضعف على الخليفة وراح يتوسل الى السلطان ملتمسا منـه ان يمهله شهرا ، ولكن السلطان كان شديدا على الخليفة حيث أجابه : لايمكن ان تؤخر ساعة ، ثم التجأ الخليفة الى وزير السلطان ، وطلب منه انيسأل سلطانه ، بتأجيل موعد خروجه من بغداد عشرة أيام ، ليتسنى له الاستعداد

---

(١) المنتظم : جـ٨ ص٣١٨
ابن الاثير : حوادث سنة ٤٧١هـ
الفخري : ص٢١٨
(٢) المنتظم : جـ٨ ص٣١٩
ابن الاثير : حوادث سنة ٤٧١هـ
(٣) الفخري : ص٢١٧
المنتظم : جـ٩ ص٦٢

للانتقال[1] ، ولكن وفاة السلطان المفاجئة غيرت الموقف ، وانقذت الخليفة من مصيبته حيث توفى هذا السلطان فى السادس عشر من شوال سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م[2] ، ومن ثم مات الخليفة المقتدى بأمر الله فجأة[3] ، ومن الجائز ان المقتدى بأمر الله مات مسموما ، فقد قيل ان جاريته شمس النهار سمته[4] ، وبويع لولده المستظهر بالله وله من العمر ست عشرة سنة وقد عاصر هذا الخليفة حوادث خطيرة فى تاريخ السلاجقة كما كان يتأرجح فى تيارات الانقسامات السياسية ففى سنة ٤٩٣هـ/١٠٩٨م قوى أمر السلطان محمد بن ملكشاه ، وقدم بغداد سعد الدولة كوهرائين وطلب من الخليفة ان يخطب لمحمد ، وكانت الخطبة لبركيارق فوافق الخليفة على هذا المطلب وكان من قبل قد وافق بالخطبة لتتش بعد انتصاره على بركيارق[5] وفي سنة ٤٩٣هـ/١٠٩٩م أعيدت الخطبة للسلطان بركيارق ، ثم أعيدت الخطبة فى نفس السنة لمحمد ، ثم دخل بركيارق بغداد سنة ٤٩٤هـ/١١٠٠م فأعيدت الخطبة له وفى نفس السنة دخل محمد بغداد ، ورحل عنها بركيارق فخطب لمحمد ، وقامت عدة حروب بين بركيارق

---

(١) دولة آل سلجوق : ص٦٥
المنتظم : جـ٩ ص٦٢

(٢) راحة الصدور : ص٢١٠
آل سلجوق : ص٧٥
المنتظم : جـ٩ ص٦٢
ابن الاثير : حوادث سنة٤٨٥
اخبار الدولة السلجوقية : ص٧١

(٣) المنتظم : جـ٩ ص٨١
ابن الاثير : حوادث سنة ٤٨٧هـ

(٤) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص٤٢٦

(٥) ابن الاثير : حوادث سنة ٤٩٢هـ

ومحمد[1] ، أدت الى اضعاف المعسكرين المتخاصمين ، والخليفة العباسي كان موقفه موقف المتفرج ولم يحاول التدخل فى تلك الخصومات أو الاستفادة من تلك الظروف ، والعمل على التخلص من نفوذ السلاجقة •

ومات بركيارق سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م وكان قد مرض بأصبهان بالسل والبواسير ، فسار منها فى محفة طالبا بغداد فلما وصل الى بروجرد ، ضعف عن الحركة ولما اشتد عليه المرض ، خلع على ولده ملكشاه ، ودفن بأصبهان[2] واستمرت الاحوال مضطربة والدولة تشكو الانقسام والتجزؤ• فالاجزاء الشرقية من الدولة كانت تخضع لحكم سنجر بينما تخضع الاجزاء الشمالية لسيطرة أخيه محمد وبلاد الشام فى قبضة ابناء تتش ، وكانت آسيا الصغرى تحت حكم أبناء سليمان بن قتلمش ، اضافة الى سيطرة ولاة الاقاليم بعضهم على أقاليم البعض الآخر • واستفحل أمر الباطنية واشتدت الحروب الصليبية واحتل الصليبيون أجزاء مهمة وكبيرة فى فلسطين ، فقد انتزعوا انطاكية من أيدى السلاجقة فى عام ٤٩١هـ/١٠٩٧م[3] كما استولوا على معرة النعمان[4] ، وقد حاول كربوقا أمير الموصل ان ينقذ مدينة انطاكية ولكنه لم يتمكن من ذلك حيث انهزم جيشه وخاب فى

---

(١) ابن الاثير : حوادث سنة ٤١٤هـ

(٢) المنتظم : جـ٨ ص١٤١ـ١٤٤
ابن الاثير : حوادث ص٤٩٨

(٣) ابن الاثير : حوادث سنة ٤٩١هـ
ابو الفداء : جـ٢ ص٢٢٠
ابن خلدون : التاريخ جـ٥ ص٢٠

(٤) ابن الاثير : حوادث سنة ٤٩١هـ

مسعاه[1] واستمر النزاع بين السلاجقة على العرش ولكن الخليفة المستظهر العباسي لم يحاول ان يستغل الفرص لاسترداد هيبة الخلافة والعمل على اطاحة النفوذ السلجوقي ، ومات المستظهر سنة ٥١٢هـ/١١١٨م ، وبويع لولده المسترشد بالله بن المنصور وكان رجلا فاضلا[2] ، وذا همة عالية وشهامة زائدة واقدام ورأي وهيبة شديدة ، ضبط امور الخلافة ورتبها أحسن ترتيب[3] .

ويمكننا القول ان الكفاح من أجل استرداد هيبة الخلافة والعمل على التخلص من الحكم السلجوقي بدأ في عهد المسترشد بالله الخليفة العباسي ، ويبدو لنا ان استمرار الاضطرابات وشدة التدخل السلجوقي في خلافة العباسيين وضياع هيبة الخلافة ، من سوء تصرف السلاطين السلاجقة كانت عوامل أساسية في ان تحفز هذا الخليفة وتبعث فيه روح الثورة ضد تلك الاحوال والعمل على استرداد الحقوق المسلوبة من الخلافة التي من مقوماتها ، القوة والاستقلال والسيادة ، وكانت الانقسامات التي ابتليت بها السلطنة السلجوقية والمنازعات الشديدة المستمرة بين السلاطين والأمراء السلاجقة من العوامل المشجعة للخليفة الجديد ، ونلمس من حياته في الخلافة انه رجل مرهف الحس مدرك للظروف وانه على جانب من الفطنة والشجاعة والذكاء ، أقول انه مرهف الحس ، لانه كما اعتقد أحس بالظلم والآلام الشديدة التي يعانيها الشعب الاسلامي

---

(١) ابن الاثير : حوادث سنة ٤٩٥هـ
ابو الفداء : جـ٢ ص٢٢١

(٢) الفخري : ص٢٢١

(٣) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص٥٣١

من الحكـم المضطرب القلق المستبد ، وأحس بانحراف السـلاجقة عن مقاصدهم الحسنة ان كانت لهم تلك المقاصد حين فوض العباسيون امورهم الى السلاجقة ، ومن مأثور قول الخليفة المسترشد بالله ، قوله : فوضنا امورنا الى آل سلجوق ، فبغوا علينا ، فطال عليهم الامد ، فقست قلوبهم ، وكثيرا منهم فاسقون[1] ، ان هذا النص دليل قوي على تفهم عميق وادراك بالغ لما وصلت اليه الامور من التحكم الاستبدادى والظلم والفساد .

ويبدو كذلك ان الخليفة المسترشد بالله العباسي ، حريصا كل الحرص على ابعاد كل خطر عن الخلافة والقضاء على كل حالة جديدة تسبب اضعافها أو الى احداث المخاطر لهـــا ، ففى أول يوم يبـايع فيه المسترشد بالخلافة تسلل أخوه الامير أبو الحسن بن المستظهر ومعه ثلاثة نفر وانحدر الى المدائن ، وسار منها الى دبيس بن صدقة بالحلة[2] ، فلما علم الخليفة الجديد بخبر اخيه ، اتخذ موقفا حازما ضده خشية ان يتفاقم أمره ويسعى الى اثارة الفتن فأرسل الخليفة نقيب النقبـاء على بن طراد الزينبي ، الى الحلة وأمره ان يأخذ البيعة من دبيس ويطلب منه أن يسلم اليه الامير أبا الحسن ، والظاهر ان دبيس بن صدقة طلب الامان للامير أبي الحسن من الخليفة وابقاه عنده الا أن الامير أبا الحسن خرج على حقوق الجوار وطمع بأملاك الخليفة فغضب عليه دبيس وأرسل اليه من يتعقبه فى أراضى واسط حتى تمكن أنصار دبيس من القبض عليه وتسليمه اليه

---

(١) النظامي العروض السمرقندي : چهار مقالة ص٣١ ترجمـة عبدالوهاب عزام ويحي الخشاب .

(٢) المنتظم : حـ٩ ص١٩٨
ابن الاثير : حوادث سنة ٥١٢
الفخري : ص٢٢١-٢٢٢

وسلمه دبيس بدوره الى الخليفة المسترشد وعاش الامير أبو الحسن بقية حياته محجوزا في احدى دور الخليفة يعيش عيشة جميلة[1] الا ان ابن الجوزي يذكر انه قتل في الحبس[2] . المهم في هذه الحادثة ان الخليفة كان حذرا وشديد الانتباه ويأخذ لكل حالة الاستعداد والتدبير ، وعرف عن المسترشد انه كان شديد التمسك بأهداب الدين واصوله وحربا على المنكرات وملاحقا دور الخمر والسعي الى نشر العدل والامن فى ربوع بلاده ، وهناك الكثير من الاخبار التى ذكرها المؤرخون ما يفيد الى ملاحقة الخليفة لحانات الخمر ففى سنة **٥١٤هـ/١١٢٠م** تقدم باراقة الخمور التى بسوق السلطان ونقض بيوتهم[3] ، ان موقف الخليفة هذا ، من الخمر بالطبع دافعه الرئيس دينيا ، وأرجح ان الخليفة كان يقصد من اراقة خمور الحانات وتهديمها غرضا اجتماعيا آخر ، ذلك هو محاولة ابعاد الناس عن هذا المخدر الذي يسمم الافكار ويضعف الاجسام ، فالخمرة على ما يبدو كانت منتشرة انتشارا كبيرا الى حد جعلت الناس معظمهم يرتادون دورها ويحتسونها ليلا ونهارا وبذلك ضعفت القابليات كما ضعف العامل الدينى ، والخليفة على ما اعتقد كان يريد ان يبعث فى النـــاس روحا تدفعهم الى التخلص من ربقة السيطرة السلجوقية وتنشلهم من حالتهم السيئة ، ولكى تكون افكاره وتوجيهاته مسموعة ومقبولة ، بل وذات أثر فلا بد من تحطيم عوامل الشر ومظاهر الفسـق والفجور ، ويساعده على ذلـك ان الدين

---

(١) ابن الاثير : حوادث سنة ٥١٣هـ
الفخري : ص٢٢٢
(٢) المنتظم : حـ٩ ص٢٠٥
(٣) المنتظم : حـ٩ ص٢١٨

الاسلامي يحارب الخمرة وشاربيها ، لذا نرى هذا الخليفة الذى تتمثل فيه الروح الدينية قوية وشديدة ، يندفع بحماس الى محاربة هذه الامكنة ، ونال رضا الفقهاء ورجال الدين والذين يعطفون على صيـــانة المجتمع الاسلامى من الفساد •

كما ان الخليفة المسترشد بالله أراد التخلص من كل خطر يهدد كيان الخلافة ، ومن مصادر القلق والخطر فى الدولة ، دبيس بن سيف الدولة صدقة بن منصور الازدي صاحب الحلـــة ، وكان كثيرا ما يثير القلاقل للدولة العباسية ، كمـــا كان مصدرا للفتنة ، وفى سنة **٥١٧هـ/ ١١٢٣م** أثار دبيس بن صدقة فتنة جديدة فانه اطلق عفيفا خادم الخليفةوكان مأسورا عنده وحمله رسالة فيها تهديد للخليفة ، فاغتاظ الخليفة وغضب وجهز الجيوش وقام لحرب دبيس وانتهت بانتصار الخليفة وهروب دبيس الى الملك طغرل بن السلطان محمد[١] •

وأخذ الخليفة المسترشد يستعد لطوارىء الحرب التى قد تقع بينه وبين السلاجقة ، وبدأ ببناء السور[٢] ، سور بغداد الشرقية ، الذى يعتبر من الاعمال الجليلة للخليفة المسترشد وسيحمي هذا السور مدينة بغداد من الغارات والاعتداءات •

ووجد الخليفة المسترشد ما عليه الملوك الســلاجقة من الخـلافات فاستغل الفرصة ، فقد كان طغرل الملك مناوئا للسلطان محمود وكان هذا

---

(١) المنتظم : حـ٩ ص٢٤١ـ٢٤٣
ابن الاثير : حوادث سنة ٥١٧هـ
(٢) المنتظم : حـ٩ ص٢٤٣
ابن الاثير : حوادث سنة ٥١٧هـ

الاخير يطمع بالسلطنة ويستأثر بها دون سنجر ، وقد حاول الملك طغرل بمعاونة دبيس بن صدقة السيطرة على بغداد فوقف الخليفة موقفا مشرفا وسيطر على الموقف وتمكن من احداث الهزيمة بدبيس ، وأصيب الملك طغرل بمرض أقعده عن التنفيذ[1] وخرج السلطان محمود وكاتب الخليفة وتعاهد معه متفقا واياه على سنجر[2] ولكن سنجر على ما يبدو قد أحس بنية الخليفة ، فأخذ يحذر السلطان محمود من نيات الخليفة المسترشد ، وقال له : انت يميني والخليفة قد عزم على ان يمكر بي وبك فاذا اتفقتما على ، فرغ مني وعاد اليك فلا تلتفت اليه[3] ، وفي هذه الاثناء خرج «برنقش» شحنة بغداد الى السلطان محمود يشكو من الخليفة واوغر صدر السلطان عليه وخوفه ، ان الخليفة يستعد لحربه والتخلص منه ، فتوجه السلطان محمود سنة ٥٢٠هـ/١١٢٦م نحو بغداد ، فأحس الخليفة بعزم السلطان فجمع العساكر واستعد لمقابلته وأصاب بغداد الضيق والغلاء الشديدين ، ودارت مناوشات بين الجانبين انتهت بالمصالحة ورجع السلطان محمود عن بغداد[4] .

توفى السلطان محمود سنة ٥٢٥هـ/١١٣١م[5] ، واستمر الخصام بين السلاجقة طمعا فى السلطة والنفوذ ، وتمكن السلطان مسعود من ان

---

(١) المنتظم : حـ٩ ص٢٥٢ـ٢٥٣
(٢) المرجع السابق : حـ٩ ص٢٥٤
(٣) المرجع السابق : حـ٩ ص٢٥٤
(٤) راحة الصدور : ص٣٠٢
ابن الاثير : حوادث سنة ٥٢٠هـ
(٥) راحة الصدور : ص٣٠٠
المنتظم : جـ١٠ ص٢٠
ابن الاثير : حوادث سنة ٥٢٠هـ

يجعل السلطنة مستقرة له فى العراق[1] ، ثم وقعت الحرب بين السلطان مسعود وعمه السلطان سنجر ، وحاول عمادالدين زنكي وحليفه دبيس ابن صدقة ، احتلال بغداد ، فوقف الخليفة موقفا حازما،وصد تلك المحاولة بشدة ويقظة وأوقع هزيمة بجيش دبيس ، كما تفرقت جماعة عمادالدين زنكي الذى ولى منهزما[2] • وجرت حرب بين السلطان طغرل والملك داود فانهزم الاخير ولجأ الى الخليفة المسترشد فانزله الخليفة دار السلطان واكرمه[3] ودخل السلطان مسعود بغداد وخطب له فيها وخلع عليه[4] ، وفى سنة ٥٢٧هـ/١١٣٢م هاجم الخليفة المسترشد بالله مدينة الموصل ليثأر من زنكي على مافعل ببغداد حين هجم عليها مع حليفه دبيس ابن صدقة وحاصرها الخليفة ثلاثة اشهر ، توجه بعدها الى بغداد[5] •

نلاحظ لاول مرة بعد فترة خمود طويلة ، خروج خليفة عباسي على رأس جيش خارج دار ملكه ليحارب مناوئيه وان دل هذا على شيء فانما يدل على استعادة الخلافة لبعض حيويتها ونشاطها •

وفى سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م ، حدثت جفوة بين السلطان مسعود والخليفة المسترشد بالله ، واشتدت تلك الجفوة بينهما الى درجة ان سار

---

(١) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٢٦هـ
(٢) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٢٦هـ
المنتظم : جـ١٠ ص٢٦
(٣) ابن الاثير : حوادث ٥٢٦هـ
(٤) المنتظم : جـ١٠ ص٢٩
ابن الاثير : حوادث سنة ٥٢٧هـ
راحة الصدور : ص٣٢٩
(٥) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٢٧هـ
المنتظم : جـ١٠ ص٣٠

الخليفة على رأس جيش كبير لمحاربة مسعود ، وكان فى جيش الخليفة الكثير من السلاجقة الامراء الذين شجعوا الخليفة على القيام بحملة حربية ضد مسعود وقد تسلم الخليفة الكثير من المكاتبات من أصحاب الاطراف ، يبذلون فيها الطاعة والمساندة فى حربه للسلطان مسعود ، ولكن مسعودا بدهائه تمكن من استصلاح الكثير من اولئك الامراء الخارجين عليه كما نجح فى أن يجعلهم من أعوانه ، ولم يبق مع الخليفة المسترشد بالله الا عدد قليل من الجيش بلغت عدته خمسة آلاف مقاتل[(١)] • وتقابل جيش الخليفة مع جيش مسعود فى «دايمرج»[(٢)] ، ونلمس من تلك الوقعة ضعف الجيش الخليفي ومظاهر الخيانة والغدر ، فان ميسرة الخليفة انضمت الى جيش مسعود وقاتلت الميمنة قتالا ضعيفا ولكن الخليفة المسترشد جد فى تلك المعركة ، وانهزم معظم عسكره ووقع المسترشد بالله أسيرا بأيدي الاعداء[(٣)] ، وأمر مسعود بنصب خيمة للخليفة وان تدق له طبول النوبة ، وان ينزلوه فى احترام ووقار ويرتبوا له جميع وسائل المطبخ والمشرب[(٤)]، وفى السابع عشر من ذى القعدة سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م ، هجم على خيمة الخليفة المسترشد بالله العباسي ، جماعة من الباطنية فقتلوا الخليفة ومن

---

(١) المنتظم : جـ١٠ ص٤٤ـ٥٠
ابن الاثير : حوادث سنة ٥٢٩هـ

(٢) دايمرج : موقع ماء بالقرب من همدان

(٣) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٢٩هـ
المنتظم : جـ١٠ ص٤٥
السيوطي : تاريخ الخلفاء ص٤٣٢

(٤) راحة الصدور : ص٣٣٠ • النوبة : الفرصة أو الدولة (تاج العروس) •

معه[1] ، وبويع لولده، ابى جعفر المنصور الذي لقب «الراشد»، بالخلافة[2]، وهكذا سقط المسترشد بالله شهيدا كأول خليفة عباسي ، يجاهد من أجل استقلال الخلافة واعادة هيبتها ، وكان المسترشد خير مثل احتذى به الخلفاء الذين ساروا على نهجه في مقاومة السلاجقة واضعاف نفوذهم .

تولى الخلافة بعد المسترشد ، ولده الراشد بالله سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م[3] ، ومنذ ان تولى الراشد بالله وهو يحمل للسلاجقة العداء ويسعى الى الثأر ، من الذين فتكوا بوالده كما أخذ يعمل على تكوين حلف قوي يواجه به السلطان مسعود الذى أصبح له نفوذ عظيم بعد مقتل الخليفة المسترشد بالله ، وكانت الشرارة التى أدت الى احتكاك الخليفة الراشد بالله مع السلطان مسعود السلجوقي ، ان الاخير أرسل برنقش الزكوي ليطالب الخليفة مبلغا كبيرا من المال ، مقداره اربعمائة ألف دينار[4] ، فامتنع الخليفة عن اداء مثل ذلك المبلغ ، ووقف موقفا حازما ، ازاء ماعزم عليه رسول السلطان في التهجم على دار الخلافة وتفتيشها[5] ، واتصل

---

(١) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٢٩هـ
العماد الاصفهاني : زبدة النصرة ص١٧٧ـ١٧٨
(٢) الراوندي : ص٢٣١
المنتظم : جـ١٠ ص٥٠
ابن الاثير : حوادث سنة ٥٢٩هـ
ابن العبري : ص٣٥٦ـ٣٥٧
الفخري : ص٢٢٣
السمرقندي : چهار مقالة ص١٠٧
الدياربكري : تاريخ الخميس جـ٢ ص٢٦٢
(٣) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٢٩هـ
(٤) المنتظم : جـ١٠ ص٥٤ ـ ابن الاثير : حوادث سنة ٥٣٠ هـ ـ ابن العبري : ص٢٠٥
(٥) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٣٠هـ

الخليفة بالملك داود وتعاهد معـــه على حرب السلطان مسعود واتفقا مع عمادالدين زنكي صاحب الموصل على الغرض نفسه ، وانضم الى حلفهم اطراف كثـيرون ، وقطعت خطبـة مسعود في العراق وخطب لداود[١] ، واتجه مسعود نحو بغداد ، فحدث اضطراب في بغداد ، ولما وصل مسعود الى أطراف بغداد قام بحصارها ، فثار العيارون في المدينة ، وأحدثوا فيها الفوضى والمتاعب الكثيرة وافسدوا الامر على الخليفة وتنظيماته ، وأخذ بعض الامراء المحالفين للخليفة بالتفرق ، مما اضطر الخليفة الى مغادرة بغداد صحبة عمادالدين زنكي الى الموصل ، تاركا بغداد للسلطان مسعود ، وانهزم داود الى بلاده[٢] ، وكعادة كل فاتح غريب عن اهل البلد اخذ مسعود في تلطيف الجو السياسي ببغداد الغاضبة ، فأظهر العدل ، والتقرب من الفقهاء والعلماء ووجهاء البلد ، ولجأ الى لعبة جديدة ، أراد بها ان يشوه سمعة الخليفة الراشد اولا ومن ثم استبداله بخليفة آخـر يـكون طواعية له ، فجمع العلماء والفقهاء والقضاة والشهود والاعيان ، واخرج السلطان كتابا ادعى ان الخليفة الراشد خطه بيده معترفا فيه « انني متى جندت او خرجت فقد خلعت نفسي من الامر »[٣] ، ويذكر ابن الجوزي: ان الوزير علي بن طراد احكم النوبة واحضر الفقهاء والقضاة وخوفهـم وهددهم ان لم يخلعوا الخليفة الراشد[٤] ، وكتب الحاضـرون محضرا شهدوا بظلم الخليفة الراشد ونهبه الاموال وسفكه الدماء وشربه الخمر[٥].

---

(١) المنتظم : جـ١٠ ص٥٥
ابن الاثير : حوادث سنه ٥٣٠هـ
(٢) ابن الاثير : حوادث سنة ٣٥٠هـ
(٣) المنتظم : جـ١٠ ص٦٠ ـ ابن الاثير : حوادث سنة ٥٣٥هـ
(٤) المنتظم : جـ١٠ ص٦٠
(٥) المنتظم : جـ١٠ ص٦٠
ابن الاثير : حوادث سنة ٥٣٠هـ

وحكم قاضي بغداد ابن الكرجي بخلع الخليفة الراشد بالله ، فقطعت خطبته وبويع بالخلافة محمد بن المستظهر ولقب « المقتفى لامر الله »[1].

هرب الراشد بالله مع عمادالدين زنكي الى الموصل ومن هناك سار الى اذربيجان ، ثم الى مراغة فاجتمع فيها بالملك داود والامير «منكوبرس» صاحب فارس وبعض الامراء الآخرين واتفقوا على حرب مسعود ، فلما أحَسَّ السلطان مسعود بتجمعهم ونشاطهم فسار لقتالهم وتمكن جيش الخليفة وحلفاؤه من الحاق هزيمة منكرة بالسلطان مسعود ، واتجه جيش مسعود الى اذربيجان بينما قصد الملك داود همدان وكانت الهزيمة قد الحقت بجيش مسعود وداود ، وهذا من اعجب الاتفاق كما يقول ابن الاثير[2] ، وبقى الخليفة وحده فى جماعة من العساكر العجم فاتجه الى اصفهان ، وفى الخامس والعشرين من رمضان سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م ، وثب عليه نفر من الخراسانيين من الذين كانوا فى خدمته فقتلوه ، ويعتقد ابن الجوزي ان الذين اغتالوا الراشد كانوا من الباطنية[3] .

ان مقتل الراشد بالله كان له اثر كبير فى نفوس المسلمين عامة والعراقيين خاصة وان استشهاده من أجل تثبيت دعائم الخلافة العباسية ، حفز النفوس وايقظها ، بل وألهب الحماس الوطني والديني في صدور

---

(١) راحة الصدور : ص٣٣٢ ـ المنتظم : جـ١٠ ص٦٠ ـ ابن الاثير : حوادث سنة ٥٣٠هـ ـ الفخري : ص٢٢٧ ـ السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٤٣٦ ـ ابن العبري : ص٢٠٥

(٢) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٣٢هـ

(٣) المنتظم : جـ١٠ ص٧٢ ـ ابن الاثير : حوادث سنة ٥٣٢هـ السيوطي : تاريخ الخلفاء ص٤٣٦ـ٤٣٧ الفخري : ص٢٢٧

الخلفاء والأمراء والعامة ، وسنرى لهذا النزاع الذى نشب بين السلاجقة والخلافة تأثيره الكبير فى دعم الخلافة وتقويتها وفى اضعـاف السلاجقة وانهيارهم .

وذكرنا ان السلاجقة نصبوا المقتفى خليفة فى بغـداد ، ولم يكن المقتفى الا نموذجا حيا للتفكير السليم فى انتهاج سياسة عظيمة وفى اتخاذ الخطوات الناجحة والتدابير المحكمة من أجل تخليص الخلافة من حكم السلاجقة ، والعمل على استغلال الفرص من أجل الايقاع بالسلاجقة ، وصار يرقب المنازعات والمخاصمات التى استعرت بين أمراء السلاجقة وأدت الى اضعافهم واضمحلالهم ففى سنة ٥٣٢هـ/١١٢٧م ، وقعت الحرب مجددا بين الملك داود والسلطان مسعود[١] ، كما انهزم السلطان سنجر امـام الاتراك الخطا سنة ٥٣٦هـ/١١٣١م[٢] « والخطا » قبائل تركية كانت تسكن شمالى ايران وتمكنت من تأسيس دولة فى عام ٥١٨هـ/١١٢٤م ، واتخذت مدينة (بلاساغون) عاصمة لها ، وكان يطلق على ملوكها «كورخان»[٣] ، وفى هذه السنة اعني سنة ٥٣٦هـ التى انهزم فيهـا سنجر وقعت زوجته اسيرة في أيدى الخطا[٤] ، وكان لهـذه الحرب اثرها الـكبير في اضعـاف نفوذ سنجر وانهياره ، كمـا اتفق صاحب فارس (بوزابـة) والامـير «عباس» ، أمير الرى ومعهما الملك محمد بن السلطان محمود والملك

---

(١) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٣٢هـ
(٢) المنتظم : جـ١٠ ص٩٦
ابن الاثير : حوادث سنة ٥٣٦هـ
(٣) راحة الصدور : ص٢٦٢ الحاشية
(٤) المنتظم : جـ١٠ ص٩٦ـ٩٧
راحة الصدور : ص٢٦٤
ابن الاثير : حوادث سنة ٥٣٦هـ

سليمان شاه بن السلطان محمد ، اتفقوا على الخروج عن طاعة السلطان مسعود[1] ، وهذا الاتفاق أو التمرد على السلطان وان لم يؤد الى نزاع كبير الا انه مظهر من مظاهر الفوضى والقلق وصورة من عدم الوحدة والانسجام فى الدولة السلجوقية ودليل واضح على النيات التى يبيتها الأمراء أعمدة الدولة السلجوقية لسلطانهم الذى يطمعون فى املاكه •

كان الخليفة المقتفى لامر الله العباسى ، يرقب الحوادث ، ويرى بأم عينيه الانهيار الذى يصيب السلاجقة اعداء الخلافة العباسية والسلاجقة هم الذين نصبوا المقتفى لامر الله خليفة ، وما دروا انه من الدهاء والعقل ما ستكون نهاية نفوذهم فى العراق على يديه ، والخليفة المقتفى لامر الله ، كان قد حمل فكرة سيئة عن حكم السلاجقة وسياستهم تجاهه ، فهم الذين جردوه من كل مايملك من الخيول والممتلكات ، كى يكون تحت رحمتهم وأسيرا عندهم[2] ولكن الخليفة وقف موقفا حازما امام مطلب السلطان عندما اراد منه ان يمده بمائة ألف دينار ، فبعث المقتفى الى السلطان :ــ ما رأينا أعجب من امرك ، أنت تعلم ان المسترشد سار اليك بأمواله فجرى ما جرى وان الراشد ولى ففعل مافعل ، ورحل وأخذ ماتبقى ولم يبق الا الاثاث فأخذته كله ، وتصرفت فى دار الضرب وأخذت الزكاة ، ففى أى وجه نقيم لك هذا المال ، وما تبقى الا ان نخرج من الدار ونسلمها ، فاني عاهدت الله ان لا آخذ حبة ظلما[3] ، وكانت سياسة

---

(١) راحة الصدور : ص٣٣٧ــ٣٣٨
ابن الاثير : حوادث سنة ٥٣٦هـ
(٢) المنتظم : جـ١٠ ص٦٦
السيوطي : تاريخ الخلفاء ص٤٣٧
(٣) المنتظم : جـ١٠ ص٦٦

مسعود ، سياسة الضغط الشديد على الناس من اجل جمع الأموال ، ومن أعماله المجحفة ، والتي استاء منها الناس عامة ، وضعه مكس البيع الذي كان أثره الكبير في انهيار سمعة مسعود في العراق ، وان كان هذا قد أزال هذا المكس سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م الا ان الناس في بغداد ضجوا من غلاء الاسعار وفقدان العدل وانعدام النظام ، وتولى الامور رجال عرفوا بعدم النزاهة والاخلاص ، ففي سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م بلغ الكر الشعير اربعين دينارا والحنطة ثمانين دينارا ، ولكن الشحنة نادى في الاسواق والدروب ان لا تباع «الكارة» الدقيق الا بدينار فأدى هذا الاجراء الذى يبدو ارتجاليا الى غلق الدكاكين وانعدام الخبز عن الاسواق أربعة أيام واستمر شهرا حتى عادت الاسعار تتراخى[١] .

كل هذا يحدث وهو من علائم الانهيار والاستياء العام ، والخليفة المقتفى لامر الله كان يعمل بفكره السليم ويدبر للامور تدبيرها المحكم ، فأخذ في تقوية مركز الخلافة وعمل على تقوية الجيش الذى كان يرعاه ويستعرضه في كل مناسبة ، وأمر بحفر الخنادق ببغداد ، كما نادى بأن يلبس العوام السلاح ، أى يستعدوا للطوارىء ويكونوا قادرين على دفع العدوان عن أنفسهم وأموالهم[٢] ، كما أمر باصلاح السور ، ذلك ان السور حدثت به ثلم وخرج العوام بالآلات فعمروه وحفروا خندقا[٣] ، هذا جانب من الاستعدادات وصورة من تجاوب العامة في بغداد وتعاونهم مع خليفتهم الذي لمسوا فيه الاخلاص والهمة من أجل انقاذ خلافتهم من حكم السيطرة السلجوقية .

---

(١) المنتظم : جـ١٠ ص١٢٥

(٢) المنتظم : جـ١٠ ص١٣٣

(٣) المنتظم : جـ١٠ ص١٣٣
ابن الاثير : حوادث سنة ٥٤٣هـ

واصبح السلطان مسعود فى سنيه الأخيرة ضعيفا فقد انهكته الحروب والمنازعات كما اصاب سنجر العجز والانهيار أيضا ، وبدأ الخليفة المقتفى في القوة والمنعة[1] ، وفي سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م ، اجتمع خلق كبير من التركمان مع ملكشاه بن محمود وطرنطاى وعلى بن دبيس واتجهوا نحو بغداد ، ولما أصبحوا على بعد ثلاثة فراسخ عنها ، بعثوا الى الخليفة يطلبون الخطبة لملكشاه ولم يجبهم[2] ، وأراد ان يلعب لعبة بارعة ، ان يبعث للسلطان مسعود يعلمه ان هؤلاء انما جاؤا يطلبون الخطبة التى هى له وحده ، وذلك ليتلاحم السلاجقة فيما بينهم وهذا بالطبع سيؤدى الى اضعاف جبهتهم ، علما ان الخليفة اتخذ جميع الاستعدادات والاحتياطات لمواجهة الاعداء • وفعلا قدم (مسعود) الى العراق وما ان سمع الاتراك بقدومه الا وأصابهم هلع وفزع وهرب طرنطاى الى النعمانية والقى «علي ابن دبيس» بين يدي السلطان يطلب العفو[3] ، وانتهى الامر ورجع السلطان الى همذان[4] • وفي هذه الفترة ، نلمس بوضوح قوة ونفوذ الخليفة ، وقبيل وفاة السلطان مسعود السلجوقى ، بدأ الخليفة يستعيد الامتيازات التى فقدها الخلفاء العباسيون بحكم اضياعهم وضعفهم ، ومن مظاهر ذلك انه فى المحرم فى سنة ٥٤٥هـ/١١٥٠م ، جلس يوسف الدمشقى مدرسا للنظامية ببغداد وكان جلوسه بغير أمر الخليفة ، فمنع يوم الجمعة من دخول الجامع وصلى فى جامع السلطان ، ومنع من التدريس فتقدم السلطان مسعود الى الشيخ أبي النجيب السهروردي بأن يدرس فيها

---

(١) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص٤٣٨
(٢) المنتظم : جـ١٠ ص١٣٧ـ١٣٨
ابن الاثير : حوادث سنة ٥٤٤هـ
(٣) المنتظم : جـ١٠ ص١٣٨
ابن الاثير : حوادث سنة ٥٤٤هـ
(٤) راحة الصدور : ص٣٥١

فامتنع بغير أمر الخلافة فاستخرج السلطان اذن الخليفة فى ذلك فدرس منتصف المحرم من السنة نفسها[1] ، هذا الخبر يدل دلالة واضحة على التحول الكبير في حياة الخلافة ونفوذها ، فبعد ان كان السلطان هو المتصرف فى كل شيء ، فى تعيين الوزراء والمدرسين والقضاة وغيرهم من الموظفين والمستخدمين ، أصبح الخليفة المقتفى يملي ارادته على السلطان ولا يرضى بانتقاص حقوق الخلافة ، وبالطبع سيكون لهذا أثره الكبير فى نفوس الشعب ويبعث فيهم الروح المعنوية القوية ويعيد اليهم الثقة بامكانياتهم ، ولا يفوتنا اثر التعاون الذى بدا واضحا من معظم الفقهاء والعامة مع الخليفة العباسى ، فموقف ابي النجيب السهروردي وامتناعه عن التدريس دون اذن الخليفة دعم لارادة الخليفة وتقوية للرغبات المخلصة التى ابداها المقتفى لامر الله .

وفى سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢م توفى السلطان مسعود فى همدان وكان قد مرض بالحمى[2] وبوفاته فقدت الدولة السلجوقية ركنا كبيرا وأخذت هذه الدولة تتداعى ، وتموج فى خضم من المنازعات والفتن وقوى جانب الخليفة وأصبح هو السيد المطاع فى دولته ، وله الكلمة النافذة ، وزادت هيبته وعلت كلمته ، وكان الخليفة قد استوزر شخصية قوية عرفت بالعلم والادب والحكمة وبعد النظر ، تلك هى شخصية ابن هبيرة ، عون الدين

---

(١) المنتظم : جـ١٠ ص١٤٢
ابن الاثير : حوادث سنة ٥٤٥
السبكي : طبقات الشافعية جـ٤ ص٢٥٦
ابن خلكان : جـ٢ ص٣٧٣

(٢) المنتظم : جـ١٠ ص١٤٧
راحة الصدور : ص٣٥٤
اخبار الدولة السلجوقية : ص١٢٩

وابتدأت وزارته للخليفة المقتفى لامر الله سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م وقام هذا بواجباته أحسن قيام ، وكانت له الخدمات الجليلة التى أعادت على الدولة العباسية بالخير والقوة ، وتقلد الوزارة للخليفـــة المقتفى وولده المستنجد بالله فبقى فى منصبه حتى توفى ببغداد سنة ٥٦٠هـ/١١٦٥م[١] ، وسنتلمس فى اخباره وافعاله الحسنة من الحوادث ومجرياتها فيما سنذكره من الوقائع التى حصلت فى بغداد على أيامه ماتدل على حسن ادارته وعظيم حنكته .

اغتنم الخليفة المقتفى فرصة وفاة السلطان مسعود وضعف الامكانيات السلجوقية فى العراق وتفرق كلمتهم فى العالم الاسلامى ، وكان شحنة بغداد (مسعود بن بلال) قد هرب الى تكريت عند ســـماعه بخبر وفاة السلطان مسعود ، فاقتحم الخليفة دار الشـحنة ودور اصحاب السلطان مسعود التى ببغداد ، واخذ كل ما لهم فيها ، وأمر باراقة الخمور من مساكن اصحاب السلطان وقبض الخليفة على الكثير من أصحاب السلطان ، وكان السلطان الجديد ملكشاه قد سير (سلاركرد) فى عسكر الى الحلة فدخلها ، ومن ثم سار اليها (مسعود بن بلال) شحنة بغـــداد واتفق مع سلاركرد ، الا ان مسعود بن بلال قبض على (سلاركرد) وغرقه فى نهر الفرات واستبد بالحلة وسيطر عليها[٢] ، فجهز الخليفة جيشا بقيادة (يحي

---

(١) المنتظم : جـ١٠ ص١٣٧
ابن خلكان : جـ٥ ص١٧٤
ذيل طبقات الحنابلة : جـ١ ص٢٥١ طبعة الفقي
الروضتين : جـ١ ص١٤١
الشذرات : جـ٤ ص١٩١
النجوم الزاهرة : جـ٥ ص٣٦٩
مرآة الزمان : جـ٨ ص٢٥٥

(٢) المنتظم : جـ١٠ ص١٤٨
ابن الاثير : حوادث سنة ٥٤٧
اخبار الدولة السلجوقية : ص١٣٠

ابن هبيرة) وزيره واتجه الجيش نحو الحلة فلما علم مسعود بن بلال عبر نهر الفرات وتقابل مع جيش الخليفة وفى أول الامر كان النصر لمسعود ابن بلال ولكن الوزير ابن هبيرة تمكن في النهاية من الحاق الهزيمة بمسعود بن بلال وهروبه الى همدان[1] .

ويبدو ان الخليفة المقتفى أخذ فى السيطرة على الاقطاعات التى كان يملكها الامراء السلاجقة ، وقد اجتمع هؤلاء الامراء بالسلطان محمد وبينوا له ان ارزاقهم قد قطعت وان اقطاعاتهم قد فقدت ، وطالبوا السلطان بمعالجة الحالة الخطيرة التى أصابتهم[2] ، ولكن ماذا يعمل السلطان وهو الذى طلب ملتمسا من الخليفة ان يخطب له فلم يجب ، رغم اظهار خضوعه الشديد وطاعته العظمى[3] ، فطلب منهم التأني وعدم مخالفة الخليفة لانها لا تجدي نفعا[4] . وهكذا نرى قوة الخلافة العباسية تزداد قوة كلما قام نزاع بين السلاجقة انفسهم أو بينهم وبين الاقوام الاخرى ، وفى سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م انهزم سنجر أمام الغز ، الذين دخلوا نيسابور ونهبوها نهبا مجحفا وجعلوها قاعا صفصفا ، وقتلوا الكبار والصغار ، وأحرقوها وقتلوا القضاة والعلماء في البلاد[5] ، وتمكن الغز من اسر السلطان سنجر وهاجموا مرو فاستسلم أهلها بعد قتال شديد ونهبها الغز

---

(١) المنتظم : جـ١٠ ص١٤٨ـ١٥٢
ابن الاثير : حوادث سنة ٥٤٧
اخبار الدولة السلجوقية : ص١٣٠
آل سلجوق : ص٢١٥
(٢) آل سلجوق : ص٢١٦
(٣) اخبار الدولة السلجوقية : ص١٣١
(٤) آل سلجوق : ص٢١٧
(٥) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٤٨هـ

للمرة الثانية[1] ، وظل السلطان سنجر أسيرا ثلاث سنوات ثم هرب من الاسر سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م ولكنه مات سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م ، بعد أن أصبح كبيرا في السن[2] . وبوفاة سنجر ازدادت الخلافة قوة ونفوذا .

ويبدو ايضا ان تكريت كانت معقلا من معاقل السلاجقة وانها كانت مصدر خطر على بغداد وفي سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م أرسل الخليفة رسولا الى والي تكريت بسبب الاسارى ، ولكن المسؤولين في تكريت قبضوا على رسول الخليفة ، فسير الخليفة جيشا الى تكريت ووقف أهلها يمنعونه من الدخول الى البلد ، فسار الخليفة بنفسه ودخل تكريت ، ونصب على قلعتها ثلاثة عشرة منجنيقا ، وحصل فيها قتال شديد ورجع الخليفة الى بغداد وترك وزيره ابن هبيرة على حصارها ، ووصل في السنة نفسها مسعود ابن بلال الى شهربان ومعه بعض الامراء الاتراك ، ورجع ابن هبيرة الى بغداد وأرسل مسعود بن بلال الى تكريت مَن أخرج منها (الملك ارسلان ابن السلطان طغرل بن محمد) وكان محبوسا فيها وعاد مسعود مع الملك ارسلان الى بكمزا بالقرب من بعقوبة حيث دارت معركة شديدة بين جيش الخليفة والسلاجقة وتمكنت الجنود السلجوقية من الحاق الهزيمة بالجيش العباسي ولكن الخليفة المقتفي لامر الله وقف بعناد وصار يشجع المقاتلين حتى تم له النصر والغلبة ، وانهزم (مسعود بن بلال) الى واسط وأحدث فيها القلق والاضطراب فوجه الخليفة وزيره (ابن هبيرة) ، الذي تعقبه وتمكن من طرد الاعاجم ، ورجع الوزير الى بغداد[3] .

---

(١) راحة الصدور : ص٢٧١ـ٢٧٢
ابن الاثير : حوادث سنة ٥٤٨هـ

(٢) راحة الصدور : ص٢٧٨

(٣) المنتظم : جـ١٠ ص١٥٥ـ١٥٨
ابن الاثير : حوادث سنة ٥٤٩هـ
اخبار الدولة السلجوقية : ص١٣٢ـ١٣٣
آل سلجوق : ص٢١٦

واستمرت المنازعات والحروب بين السلاجقة والعباسين ، وظل العباسيون يتحينون الفرص لاضعاف النفوذ السلجوقي ، وستصيب الخلافة نجاحا كبيرا بتسديدها ضربة شديدة للسلطان محمد بن محمود بن محمد ابن ملكشاه ، الملقب بقسيم أمير المؤمنين[1] ، فقد طمع السلطان محمد بأن يخطب له ، ولكن الخليفة المقتفى لم يقبل ورفض الطلب[2] .

وكان الخليفة العباسى ، قد اتبع سياسة جديدة لتفريق صفوف السلاجقة ، وانه استمال أحد أقطاب البيت السلجوقي سليمانشاه بن محمد، عم السلطان محمد بن محمود بن محمد ، وكان سليمانشاه قد حضر قصر الخليفة وحلف له على النصح والموافقة ولزوم الطاعة وانه لا يتعرض الى العراق بحال ، فلما حلف خطب له ببغداد ومنح القاب ابيه ، وجهزه الخليفة بثلاثة آلاف فارس ، وكتب الخليفة الى ملكشاه بن السلطان محمود اخي السلطان محمد صاحب همذان ، يدعوه الى موافقته ، وقدم في ألفى فارس ، واتفق لسليمانشاه وملكشاه على أن يكون ملكشاه ولي عهد (سليمانشاه) ، ولما سمع السلطان محمد بخبرهم ، جهز جيشا وسار الى ملاقاتهم ودارت بين الطرفين مقتلة كبيرة ، وانتهت بهزيمة (سليمانشاه) ومن ثم وقوعه أسيرا في أيدى عساكر الموصل حلفاء السلطان محمد وكانوا بقيادة (زين‌الدين علي)[3] .

---

(١) راحة الصدور : ص٣٧١
(٢) المنتظم : جـ١٠ ص١٦٨
ابن الاثير : حوادث سنة ٥٥٢هـ
(٣) المنتظم : جـ١٠ ص١٦٥
ابن الاثير : حوادث سنة ٥٥١
اخبار الدولة السلجوقية : ص١٤٢ـ١٤٣
راحة الصدور : ص٣٨٣

وفي ذي الحجة من سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م حاصر السلطان محمد بغداد وتقدمت للسلطان محمد مساعدات من صاحب الموصل اتابك قطب‌الدين ونائبه زين‌الدين علي ، وقد استعد الخليفـة المقتفي لامر الله واستنفر الناس واشتدت الحرب بين السلاجقة وجند الخليفة ، وكان جند الموصل، غير مجدين في القتال وقيل ان (محمد بن زنكي) وهو اخو (قطب‌الدين) صاحب الموصل أرسل الى زين‌الدين يلومه على قتـال الخليفة ، ففتر وأقصر[١] ، وقد دافع أهل بغداد دفاعا مجيدا ووصلت الى السلطان محمد الاخبار ان أخاه ملكشاه وايلدكز صاحب اران والملك ارسلان بن الملك طغرل قد دخلوا همذان واستولوا عليها وحاول السلطان محمد ان يجد في القتال عله يصل الى نتيجة مرضية أو نصر يبلغه مبتغاه ولكنه فشل في مسعاه وترك ميدان القتال في بغداد متوجها نحو همذان[٢] ، وكان انسحاب السلطان محمد غير منتظم وكانت الفرصة سانحة لجيش بغداد في مطاردته وتمزيقه ، ولكن يبدو انه لم تكن لديه القوة الكافية لتحقيق ذلك[٣] .

سار محمد لمحاربة أعدائه وانقاذ همذان ، وبعد حرب شديد انتهت بانتصاره ودخوله همذان ولكن بعدها أصيب بمرض السل ومات سـنة ٥٥٤هـ/١١٥٩م[٤] ، وبموت محمد تنفست الخـلافة العبـاسية الصعداء

---

(١) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٥١هـ
راحة الصدور : ص٣٨٥
(٢) المنتظم : جـ١٠ ص١٦٩ـ١٧٠
راحة الصدور : ص٣٨٥
ابن الاثير : حوادث سنة ٥٥٢هـ
اخبار الدولة السلجوقية : ص١٤٠
(٣) راحة الصدور : سنة ٣٨٥هـ
(٤) المنتظم : جـ١٠ ص١١١ ـ ابن الاثير : حوادث سنة ٥٥٤هـ
راحة الصدور : ص٣٨٧

وانقسم السلاجقة فيما بينهم ، كل أمير يريد السيطرة وتنازع على السلطنة ملكشاه أخو السلطان محمد وعمه (سليمانشاه) ، وكذلك (ارسلان بن طغرل ، وكان لكل واحد من هؤلاء من يؤازره ويؤيده ، وسيطر ملكشاه على خوزستان ومضى الى اصفهان فلما قاربها أرسل الى ابن الخجندي وأعيان البلد في تسليم البلد فامتنعوا عن ذلك وقالوا : لأخيك في رقابنا يمين ولا نغدر به ، ولذا شرع ملكشاه فى الفساد والمصادرة بأهل القرى[1] ، وسار (سليمانشاه) الى همذان ، ولكن الاقدار غيرت الموقف فمات ملكشاه مسموما سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م وتوفى كذلك (سليما نشاه) سنة ٥٥٦هـ/١١٦٠م[2] ، وكان (سليما نشاه) على مايبدو ميالا الى اللهو والمجون ، تاركا شؤون دولته[3] .

وفى سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م توفى الخليفة المقتفى لامر الله بعد أن حكم أربعا وعشرين عاما ، قضاها بمناهضة السلاجقة وتدبير الملك ، وتوحيد الصف وبعث الهمة والعزيمة فى نفوس المسلمين كما كان عاملا مهما وكبيرا فى التطويح بكثير من المظاهر السلجوقية ، ووقف باصرار وعناد أمام السلاطين والملوك السلاجقة وانه كان أول خليفة تمكن من الخلافة وحكم على عسكره وأصحابه فى حين تحكم المماليك على الخلفاء من عهد (المنتصر) الى خلافته[4] ، وبويع بالخلافة ولده (المستنجد بالله)[5] ، وبرزت في عهد المستنجد بالله ، شخصية «ايلدكز» السلجوقي

---

(١) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٥٥هـ
(٢) راحة الصدور : ص٣٩٩ ـ ابن الاثير : حوادث سنة ٥٥٦هـ
المنتظم : ص١٩٨
آل سلجوق : ص٢٢٢
(٣) راحة الصدور : ص٣٩٦ ـ ابن الاثير : حوادث سنة ٥٥٦هـ
(٤) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٥٥هـ
(٥) المنتظم : حـ١٠ ص١٩٢

الذي كان اتابكا لارسلان بن طغرل ، الذي خطب له بالسلطنة بعد وفاة سليما نشاه وبما أوتي (ايلدكز) من قوة النفوذ ان جعل السلطان رمزا يملك ولا يحكم[1] ، وأرسل (ايلدكز) الى بغداد يطلب الخطبة (لارسلان شاه) وان تعاد القواعد الى ماكانت عليها ايام السلطان مسعود فأهين رسوله وأعيد اليه على أقبح حالة[2] ، وفي سنة ٥٥٧هـ/١١٦١م ، استولى الخليفة المستنجد بالله على قلعة (الماهكي)[3] ، وهي قريبة من بلدة البندنيجين[4] ، وكانت هذه القلعة بأيدي الاتراك والاكراد منذ عهد المقتدر[5] ، ولم يكتف الخليفة بمطاردة السلاجقة بل صار يلاحق أعوانهم ومن يقوم بمساعدتهم وتقديم العون اليهم ، ففي سنة ٥٥٨هـ/١١٦٢م أمر الخليفة بقتال بني اسد أهل الحلة لمساعداتهم التي قدموها للسلطان محمد عند حصاره لبغداد ولما ظهر من فسادهم واحداثهم القلاقل للدولة العباسية ، فشن عليهم الحرب وقتل منهم العدد الكثير وتفرق الباقون في انحاء مختلفة ، وبذلك تخلصت الخلافة العباسية من مصدر كان كثيرا ما يثير الفتن والمشاكل لها[6] .

ان الخلافة العباسية وقد قطعت مرحلة كبيرة من مراحل النزاع بينها وبين السلاجقة وأعوانهم ، فان محاولات الخلفاء المسترشد والراشد والمقتفي والمستنجد أتت ثمارها وأصبحت الدولة العباسية ذات مركز

---

(١) تاريخ كزيده : ص٤٧٠
(٢) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٥٦هـ
(٣) المرجع السابق : حوادث سنة ٥٥٧هـ
(٤) البندنيجين : تعرف اليوم باسم مندلي على نحو ٩٣ كيلومترا عن بعقوبة . (الدكتور مصطفى جواد في تحقيق تكملة اكمال الاكمال ص٣٧٣)
لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ص٨٨
(٥) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٥٧هـ
(٦) المرجع السابق : حوادث سنة ٥٥٨هـ .

مرموق وصار ينظر الى الخليفة نظرة هيبة وتقدير ، ومن الشخصيات التى كان لها أثر كبير فى اسناد الخليفة وتقديم المشورة الصادقة والمعونة السديدة شخصية الوزير العباسى الكبير (يحي بن هبيرة) ، الذى وزر للخليفة المقتفى لامر الله والخليفة المستنجد بالله ، فقد كانت لهذا الرجل يد قوية وحيل مرضية فى قمع الدولة السلجوقية[1] وقد لعب دورا مهما فى ملاحقة أعداء الدولة وكان موقفه جد عظيم فى أثناء الحصار الذى ضربه السلطان محمد ، على بغداد سنة **٥٥١-٥٥٢هـ/١١٥٧-١١٥٨م** ، ذلك الموقف الذي سند الخلافة وشجع أهل بغداد على رد عدوان السلجوقيين اضافة الى كونه عالما فاضلا وشاعرا مبدعا[2] .

وأهم مانلاحظه فى هذه السنين الاخيرة التى بدأ فيها سلطان الخلافة فى القوة والثبات ، الهدوء الذى شمل بغداد وقلة الحوادث الاجرامية وندرة المنازعات بين المحال في المدينة ، وسبب ذلك على ما ارجح ، شعور الناس بقوة الخليفة وهيمنة جهاز حكمه على أجهزة الدولة وملاحقة المجرمين والخارجين على النظام العام ، ففى عصور الخلفاء الذين عاشوا فى العصرين البويهى والسلجوقى حتى خلافة المسترشد يندر ان نجد سنة لم تحدث فيها الحوادث الدامية بين المحال والناس ، خاصة الحوادث التي سببها الخلافات المذهبية ، فالشافعية كثيرا ماهاجمت الحنفية ، وشن الحنابلة الهجمات

---

(١) الفخرى : ص٢٢٩
(٢) المنتظم : جـ١٠ ص٢١٤-٢١٧
ابن الاثير : حوادث سنة ٥٦٠هـ
الشذرات : جـ٤ ص١٩١
ذيل طبقات الحنابلة : جـ١ ص٢٥١-٢٨٩
النجوم الزاهرة : جـ٥ ص٣٦٩
مطالع البدور : جـ٢ ص١١٤
وفيات الاعيان : جـ٥ ص٢٧٤

على الشافعية ، والسنة والشيعة ثار بعضهم على البعض الآخر ، وهكذا عاشت بغداد في دوامة من القلق والفوضى سنين عديدة سببت ازهاق الكثير من الارواح ، فأتلفت الكثير من البيوت والاسواق مما أدت الى اضعاف الروح المعنوية لدى الشعب ، كما سببت كساد الاسواق وتجميد الحياة الاقتصادية ، وفقد الناس الثقة بحكامهم ورؤسائهم وصار كل فرد يسعى الى أن يتسلح ليدافع عن نفسه وأمواله ، وعاش معظم أهل بغداد فى قلق واضطراب ، وبالطبع ان هذه الحوادث من الفتن والاضطرابات استغلها الشقاة من العيارين والشطار ، وكان يغذيها أصحاب المصالح الذين يستفيدون من تلك البلبلة والفوضى خاصة مَن تبقى من البويهيين والمتنفذين من السلاجقة ، وفى أيام المقتفى والمستنجد بشكل خاص ، وبعد ان علا شأن الخليفة وقويت اركان الخلافة وصار بمقدور المسؤولين ملاحقة ومعاقبة المسيئين نجد ان حوادث العنف والسطو اصبحت نادرة ، وصار الناس يعيشون بأمن واستقرار واخذت الاسواق تنشط شيئا فشيئا لاهتمام الخليفة بأحوال الناس .

وفى سنة ٥٦٦هـ/١١٧٠م توفى الخليفة المستنجد بالله العباسى بعد مرض اشتد به[١] ، ويعتقد بعض المؤرخين ان (قطب الدين قيماز المقتفوى) وبعض الامراء قد تآمروا على الخليفة فأدخلوه كرهـا الى الحمـام وهو مريض واغلقوا عليه باب الحمام فمات خنقا[٢] ، وقد عرف عن المستنجد

---

(١) المنتظم : جـ١٠ ص٢٣٣
(٢) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٦٦هـ
الفخري : ص٢٣٢ـ٢٣٣
مرآة الزمان : جـ٨ ص٢٨٤
مرآة الجنان : جـ٣ ص٣٧٩
تاريخ الخميس : جـ٢ ص٣٦٣

انه من أحسن الخلفاء سيرة مع الرعية عادلا فيهم كثير الرفق بهم[1] وبويع بالخلافة ولده (الحسن) ولقب (المستضيء بأمر الله) •

ومن الحوادث المهمة في حياة الخلافة العباسية في هذا العصر ، سيطرة (صلاح الدين الايوبي) على الامور في مصر وقطعه الخطبة للفاطميين واقامتها للعباسيين سنة ٥٦٧هـ/١١٧١[2] ، وفي هذه الحادثة قوة واسناد للخلافة العباسية واستعادة لبعض حقوقها ، كما تدل ايضا على انتصار كبير للخلافة العباسية التي تدين بالمذهب السني على الخلافة الفاطمية التي كانت تدين بالمذهب الشيعي •

ان الخليفة (المستضيء بامر الله) الذي حكم حوالي تسع سنين ، لم تكن له المواقف التي تدل على مناهضته للسلاجقة ، ويبدو انه كان ميالا الى الدعة والهدوء ، ولكن مما لاشك فيه ان عهده كان لا يخلو من المشاكل التي تعطي صورة للاوضاع السائدة وقتذاك ، ومن اخطر مشاكل عهده أنه في اول خلافته قتل الوزير (ابن البلدي)[3] والقيت جثته في دجلة ، كما احدث قائد الجيش (قطب الدين قايماز) حركة مما دفع الخليفة الى الاستغاثة بعامة بغداد الذين هاجموا دار القائد ونهبوها ، ومات قطب الدين

---

(١) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٦٦هـ

(٢) المنتظم : جـ١٠ ص٢٣٧
ابن الاثير : حوادث سنة ٥٦٧هـ
ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص٣٥
ابو الفدا : جـ٣ ص٥٣

(٣) ابن البلدي : شرف الدين ابو جعفر احمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن البلدي كان ناظرا بواسط ، أبان في ولايتها عن كفاية عظيمة فاحضره الخليفة المستنجد بالله واستوزره • وفي سنة ٥٦٦هـ أمر (المستضيء بامر الله) بقتله • (المتنظم : جـ١٠ ص٢٣٣) •

وهو في طريقه الى الموصل ، هزوبا من العامة ، وغضب الخليفة[1] ، كما قتل وزير الخليفة ، (عضد الدين محمد بن عبدالله بن رئيس الرؤساء) سنة ٥٧٣هـ/١١٧٧م ، فهذه الحوادث ان دلت ، انما تدل على عدم استقرار الامور في بغداد •

اما حال السلطنة السلجوقية ، فقد استمرت مضطربة ، وفي سنة ٥٦٨هـ/١١٧٢م ، توفي (ايلدكز)[2] ، الذي كان اتابكا للسلطان ارسلان ، واصبح له النفوذ الاكبر في الدولة ، يصرف الامور برأيه ، اما السلطان ارسلان فقد صار رمزا يملك ولا يحكم ، وبعد وفاته اصبح ولده (جهان بهلوان) مكانه ، وخلفه في نفوذه[3] ، وكانت له شخصية قوية غلبت شخصية السلطان (ارسلان) فاستبد بالحكم دونه[4] ، وتوفي السلطان (ارسلان) سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م[5] ، وتولى مكانه الطفل الصغير طغرل بن ارسلان بن طغرل بن محمد ، واصبح المتنفذ في الامور والمسيطر على اجهزة السلطنة الاتابك جهان بهلوان ، وكان له نفوذ كبير في قلوب العساكر واصحاب الاطراف[6] ، وكان لجهان بهلوان اخ يدعى (قزل ارسلان) اعتمد عليه في استتباب الامور وقد انابه في ادارة اقليمي اذربيجان واران ، وحارب (جهان) اهل مراغة وسيطر على تبريز[7] ، كما حارب محمد بن طغرل بن

---

(١) الكامل : حوادث سنة ٥٧٠هـ

(٢) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٦٨هـ
اخبار الدولة السلجوقية ص١٦٨ يذكر وفاته سنة ٥٧٠هـ

(٣) اخبار الدولة السلجوقية : ص١٦٨

(٤) آل سلجوق : ص٢٧٦

(٥) راحة الصدور : ص٤٣٠ ـ العماد الاصفهاني : آل سلجوق ص٢٧٦ يذكر ان اخاه سقاه السم •

(٦) اخبار الدولة السلجوقية : ص١٧١

(٧) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٧٠هـ

محمد بن ملكشاه عم الطفل طغرل عندما حاول الاغارة على العراق[1] ، وقتل (ابن شملة) حاكم (خوزستان) الذي تعاون مع (محمد بن طغرل) في تلك الاغارة سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م[2] ، واستمر (جهان بهلوان) يحـــكم باسم السلطان ، له الكلمة النافذة وساد الاستقرار في السلطنة ، ولم يـكن للسلطان من الامر شيئا ، انما حكم البلاد كان بيـد الاتابك (جهان)[3] ، حتى توفى سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م ، وكان قد اوصى اولاده الاربعـــة ، أن يكونوا بحكم عمهم (قزل ارسلان)[4] .

وفي سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م ، توفي الخليفة (المستضيء بامر الله) ، وولى الخلافة من بعده ولده (الناصر لدين الله)[5] ، وفي عهد الناصر لدين الله ، بلغت الخلافة العباسية في عصورها الاخيرة قمة مجدها من النفوذ والقوة ، وحكم هذا الخليفة ما يقرب من سبع واربعين سنة ، ويعتبر الناصر من دهاة الخلفاء العباسيين ، وكانت له حيل لطيفة ومكائد غامضة وخدع لا يفطـــن لها احد ، يوقع الصداقة بين الملوك متعادين وهم لا يشعرون ، ويوقـــع

---

(١) امير خواند : روضة الصفا جـ٤ ص٢٥
اخبار الدولة السلجوقية : ص١٦٩ـ١٧٠

(٢) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٧٠هـ
اخبار الدولة السلجوقية : ص١٢٦١ يذكر ان الاتابك ايلدكز قبض عليه وسجن .

(٣) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٨٢هـ

(٤) اخبار الدولة السلجوقية : ص١٧٢هـ

(٥) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٧٥هـ
دحيه : النبراس ص١٦٤
المقريزي : السلوك جـ١ ص٢١٧
ابن الدبيثي : المختصر المحتاج اليه ص١٧٩١
الفخري : ص٢٣٦

العداوة بين ملوك متفقين وهم لا يفطنون[1] ، وسيكون لهذا الخليفة نصيب الاوفر ، في القضاء على النفوذ السلجوقي ، وتحرير العراق نهائيا من الآثار البغيضة ومن اي مظهر من مظاهر السيطرة والنفوذ .

قلنا ان (جهان بهلوان) توفى سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م ، وبعد وفاته قامت في البلاد مشاكل وقلاقل كثيرة ، وقد جرت في اصفهان بين الشافعية والحنفية من الحروب والقتل والاحراق والنهب ما يَجِلّ عن الوصف ، وقامت فتنة في الرى بين الشيعة والسنة ادت الى تفرق اهلها وقتل الكثير منهم وتخريب المدينة[2] ، واستغل الخليفة الناصر تلك الفتن والمنازعات في سبيل اضعاف نفوذ السلاجقة كما انه تدخل في النزاع الذي قام بين السلطان (طغرل) و (قزل ارسلان) ، وفعلا أمَدّ الخليفة ، الملك (قزل ارسلان) بجيش سار من بغداد ليحارب جيوش (طغرل) ولكن هذا الجيش لم يفلح ، فأمَدّه الخليفة بجيش آخر ، ونجحت جيوش الخليفة (الناصر لدين الله) في دخول مدينة (همدان) وانهزم السلطان (طغرل) الى اصفهان بعد ان عجز في مقاومة جيش بغداد ، وامر الخليفة بتسليم مدينة همدان الى (قزل ارسلان) ليحكمها نيابة عن الخليفة (الناصر لدين الله)[3]، اما في بغداد فالخليفة الناصر لدين الله صار يلاحق انصار السلاجقة ويقضي على اثارهم ، وقد امر في سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م ، بنقض دار السلطنة الى الارض وعفى اثرها[4] ، وكان قد اتخذها السلاطين السلاجقة مقرا لهم ، هدمها الخليفة الناصر لدين الله اثر تحدى السلطان طغرل الثالث ومطالبته اياه بالخطبة السلجوقين ببغداد ، وهذه الدار كانت تقوم في (محلة

---

(١) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص٤٤٩
(٢) ابن الاثير حوادث سنة ٥٨٢هـ
(٣) اخبار الدولة السلجوقية ص١٧٨
(٤) ابن الاثير حوادث سنة ٥٨٣هـ

المخرم)[١] ، من محلات بغداد القديمة في الجانب الشرقي المعروف اليوم بجانب الرصافة ، بناها بهروز الخادم من انقاض دور الناس واستعمل في عمارتها اهل بغداد ، حتى القضاة والاشراف والاعيان .

بعد هزيمة (طغرل الثالث) امام جيوش بغداد ، اتجه الى (آذربيجان) واتفق مع (عز الدين حسن بن قفجاق) ، وصارا يهجمان على المدن والقرى وينهبانها ، فارسل اليهم (قزل ارسلان) ، جيشا لمساعدة الامراء العراقيين ، فحاربهم ذلك الجيش واوقع بجيش طغرل الهزيمة حيث لجأ طغرل وعزالدين حسن الى قلعة (الكرخاني) وهي قلعة الامير (ابن قفجاق) في الزاب[٢] ومن هناك راسل عزالدين حسن ، الخليفة (الناصر لدين الله) واستقاله في زلة السلطان (طغرل) في مقاتلة الوزير (جلال الدين بن يونس) ، وبين (عز الدين حسن) في رسالته : ان السلطان (طغرل الثالث) ، كان مضطرا الى ما عمله ، وانه الآن مملوك الدولة ، وعبد الطاعة ان رسم امير المؤمنين ان يقصد الخدمة ، ويكون آمنا ، يجرى له ما يقوته فعل ، وان كان اهلا المنيابة في بعض المواضع انقاد الى اوامره الشريفة ، وارسل ولده ليكون رهينة لطاعته الى بغداد[٣] .

ونزل طغرل في (اذربيجان) وسار اليه (قزل ارسلان) بجيش للقضاء

---

(١) المخرم : محلة كانت ببغداد بين الرصافة ونهر المعلى وفيها الدار التي كان يسكنها السلاطين البويهية والسلجوقية خلف الجامع المعروف بجامع السلطان خربها الامام الناصر لدين الله امير المؤمنين ابو العباس احمد (ياقوت الحموي ج٤ ص٤٤١) . • ذكر مترجما كتاب (بغداد مدينة السلام) تأليف ريجاردكوك : ان المخرم هي العلوازية (العيواضية) الحالية ص١٤٩ .

(٢) اخبار الدولة السلجوقية ص١٧٩

(٣) المرجع السابق ١٧٩ـ١٨٠

عليه ولكن (طغرل الثالث) انحاز الى همدان ، فجوبه بجيش كثيف هناك ، ولحق (قزل ارسلان) بهمدان فلما وجد (طغرل الثالث) شدة الجيوش وكثرتها وعلم ان الخليفة (الناصر لدين الله) أمد جيوش قزل ارسلان بجيش كامل العدد وجهزه بقاذفات اللهب والنبال والجرارات وجميع ادوات القتال[1] ، ودارت الحروب بين طغرل الثالث وجيوش الخليفة التي كانت كامدادات لجيوش (قزل ارسلان) وقد تبادل الطرفان النصر والهزيمة مرات عديدة حتى وقع السلطان طغـــرل الثالث في نهايتها أسيرا ، بيـــد (قزل ارســلان) ، واعتقله هذا في قلعة باذربيجان قريبة من تبريز[2] . وصار (قزل ارسلان) يحكم بالاستبداد واستولى على جميع البلاد التي كانت للسلطان طغرل الثالث ولكنه على ما يبدو ، صار يميل الى شرب الخمرة وارتياد اللهو مما اغضب زوجته (اينانج خاتون) فاغرت بعض غلمانه فقتلوه وهو سكران[3] ، وكان ذلك سنة ٥٨٧هـ/١١٩٠م .

وهكذا انتهت حياة (قزل ارسلان) الذي علا نجمه وبلغ نفوذه حدا كبيرا ، وبعد مقتله حدثت مشاكل كثيرة حيث تنازع الامراء فيما بينهم وادى تنازعهم وانشغالهم الى هروب السلطان طغرل الثالث من معتقله وتمكن من جمع الجيوش والاتفاق مع بعض الامراء ، الا ان امراء العراق لم يقابلوا

---

(١) راحة الصدور ص٤٨١

(٢) اخبار الدولة السلجوقية ص١٨٠
راحة الصدور ص٥٠٠ وفيها يذكر ان السلطان اسر في قلعـــة دزمار وهي قرية حصينة من نواحي اذربيجان قرب تبريز .
مراصد الاطلاع ص٥٢٦ .

(٣) اخبار الدولة السلجوقية ص١٨١
راحة الصدور ص٥٠٢
ابن الاثير حوادث سنة ٥٨٧

حركة طغرل بجدية كبيرة ، بل قاوموا حركته بهوادة وتراخي ، فاستطاع من ان يوقع هزائم في جيوشهم والدخول الى همدان ، والتربع على العرش فيها ، وتقدم اليه الاتباع بالخضوع والطاعة[1] وطبيعي فان هذه الحالة اغضبت الخليفة الناصر لانها كانت نتيجة سيئة لما كان سعى اليه •

وكان من منافسي طغرل الثالث الاشداء (خوارزم شاه علاء الدين تكش) ٥٦٨-٥٩٦هـ/١١٧٢-١١٩٩م ، ملك الدولة الخوارزمية ، والدولة الخوارزمية هي احدى الدول التي نشأت في قلب الدولة السلجوقية بدأت بالنهوض والسيطرة منذ عهد (أتسز خوارزمشاه) ، ٥٢١-٥٥١هـ/ ١١٢٧-١١٥٦م ، وقد كان يغتنم الفرص للحصول على نفوذ اكبر على حساب المناطق الضعيفة ، وقد بلغت الدولة الخوارزمية قوتها الكبيرة على عهد (علاء الدين تكش خوارزمشاه) الذي كما قلت كان من اشد المنافسين والمناهضين لطغرل الثالث فقد اتجه خوارزمشاه الى الري يريد الاستيلاء عليها ، فاستولى على قلعة (طبرك) ولكن طغرل الثالث جهز جيشا ، سار به نحو (الري) فدخلها وقتل (طمغاج الخوارزمي) الذي كان حاكما عليها[2] ، وجرت منازعات وحروب بين الخوارزميين وطغرل الثالث وقتل من الطرفين عدد كبير ، وارتأى الناصر لدين الله ضرورة الاتصال بالخوارزميين واثارتهم ضد السلاجقة ، فارسل الخليفة رسالة الى (خوارزمشاه علاء الدين تكش) يشكو فيها من طغرل الثالث ويطلب منه قصد بلاده ، ومعه منشور باقطاعه البلاد ، فسار (خوارزمشاه) من نيسابور الى الري فتلقاه (قتلغ اينانج) ومن معه بالطاعة ، ولما سمع السلطان (طغرل) بوصوله ، جهز جيشا لم يكن يتميز بوحدة الصف بل كان متفرقا[3] ، والتقى طغرل الثالث بجيش

---

(١) الراوندى ص٥٠٢-٥٠٣
ابن الاثير حوادث سنة ٥٩٠هـ

(٢) راحة الصدور ص٥٠٥-٥٠٦

(٣) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٩٠

خوارزمشاه ، وكانت معركة شديدة والتقى طغرل الثالث بنفسه في وسط المعركة ، وكان على ما يبدو مغرورا بقوته الجسمانية وتراجع فجأة واصبح وحيدا في وسط اعدائه[1] وقتله الخوارزمية وارسلوا برأسه الى الخليفة العباسي الناصر لدين الله[2] ، وكان ذلك سنة ٥٩٠هـ/١١٩٣م ، وكان الناصر قد ارسل مددا الى خوارزمشاه كما سير اليه الخلع السلطانية ، مع وزيره (مؤيد الدين بن القصاب)[3] .

وهكذا انتهت بمقتل طغرل الثالث الدولة السلجوقية في العراق ، وزال نفوذها نهائيا وان كان الخوارزميون صاروا يدعون انهم ورثة السلاجقة ، الا انهم لم يبلغوا نفوذ سابقيهم ، ولا تنكر ، انهم اصبحوا اصحاب نفوذ في ايران ، وانهم استولوا على كثير من مدنها[4] ، وللخوارزميين آثار خالدة في المشرق ، فيعود لهم الفضل في القضاء على (دولة الخطا) الوثنية ، كما استردوا من الخطا ثغور ما وراء النهر ، وانهم واجهوا الخطر المغولي الجارف اذ لولا هذا الزحف الكبير للمغول لكان للخوارزميين شأن مع الدولة العباسية ، ومهما تكن الظروف فان الخلافة ، بعد مقتل طغرل الثالث صارت في حل من اى ارتباط مع السلاجقة ، وتمتعت الخلافة باستقلال تام ، وانصرف الخليفة الى الاعمال الحضارية لعمران البلد ثقافيا واقتصاديا وعسكريا وعمرانيا ، واصبح للخليفة الناصر لدين الله نفوذ كبير ، وخطب له ببلاد الاندلس وبلاد الصين[5] .

---

(١) راحة الصدور ص٥١٣

(٢) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٩٠
راحة الصدور ص٥١٤
السلوك جـ١ قسم ١ ص٤٠

(٣) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٩٠

(٤) ابن الوردي : جـ٢ ص١٣٤

(٥) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص٤٥٠

واشتهر الخليفة الناصر لدين الله انه احيا سنن (الفتوة) ومعالمها وجمع ما تشتت من نظامها وشيد ما تعطل من احكامها ، واقتدى به في ذلك زعماء البلاد والخواص من العباد[1] ، وذكر ابن واصل في مفرجه :ـ انه في سنة ٦٠٧هـ/١٢١٠م ، وردت رسل الخليفة (الناصر لدين الله) الى ملـــوك الاطراف ، ان يشربوا له كأس الفتوة ، ويلبســوا سراويلها ، ويـكون انتماؤهم اليه ، ورعية كل ملك يشربون لذلك الملك ويلبسون له[2] •

والفتى لغة الحدث ، كقوله تعالى : « انهم فتية آمنوا بربهم » وكقوله تعالى : « قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم » •

واهل الفتوه جماعة تجتمع في مجلس وتلبس الشخص منها لباس الفتوة ، وتدير بينها في المجلس نفسه شربة فيها ملح وماء ، ويقولون : ان رسول الله (ص) البس الامام علي بن ابي طالب (ع) لباس الفتوة ثـم امره ان يلبس من شاء • واذا احب احد الدخول في المذهب ، يجتمع القـــــوم ويقوم نقيب الفتوة الذي هو مصدر منحها ، والتشريف بها ، الى الشخص الجديد ، فينزعه اللباس الذي عليه بيد ويلبسه لباس الفتوة بيـد ، وهــو سراويل ، ولهم اسناد في الفتوة من طريق الخليفة الناصر لدين الله ، الى (عبدالجبار بن صالح البغدادي) الى (تمامة) الى (علي بن ابي طالب) (ع)، فالرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، ويشترط شيوخ الفتوة على كل فتى ، صدق الحديث واداء الامانة واداء الفرائض واجتناب المحارم ونصر المظلوم

---

(١) ابن المعمار البغدادي : الفتوة (تحقيق الدكتور فؤاد حسنين) ص ٢٠
ذكر المحقق اسم المؤلف (ابن عمار) والصحيح ابن المعمــار • وقد حقق المخطوط الدكتور مصطفى جواد وزملاؤه ونشروه في بغداد سنة ١٩٥٨ ـ ١٩٦٠

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب جـ٣ ص٢٠٦

وصلة الارحام والوفاء بالعهد والعفو عن المظالم واحتمال الاذى وبذل المعروف الذي يحبه الله ورسوله والاجتماع على السنة ومفارقة احدهما للآخر ، والتحالف في مصادقة الصديق في الحق والباطل ، وينصره على كل من يعاديه سواء كان الحق معه او مع خصمه[1] .

واهم ما يندب الفتى لفعلها ، الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاؤوا به ويخلص في عقيدته وعبارته ويحسن في ضميره وطويته ويحمد في سيرته وطريقته ويراقب الله في سره وجهره وعلانيته ويحافظ على فرائض دينه ، ينطق بالصواب ، يصل الارحام ويصلي والناس نيام ، يفي بالذمام ويزهد في الحرام ، يصنع المعروف ، ويحسن قرى الضيف ، وينشر الاحسان ويعين الاخوان ، يبار والديه ويحسن الى من اساء اليه ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر[2] .

والخليفة الناصر بتجديده لنظم (الفتوة) ورعايته لها ، انما اراد في ذلك نهضة الشباب الاسلامي ، وتعويدهم على العادات الطيبة وغرس المثل السامية في نفوسهم ، وتوحيد صفوفهم وبذلك يقوى الصف الوطني ، ويمكن بعد ذلك توجيه الفتيان الذين آمنوا بمبادىء الفتوة النبيلة ، وجهة صالحة لخدمة الدين والدولة العباسية ، وقد نجح (الناصر لدين الله) في ذلك نجاحا كبيرا مما ساعده على تحقيق اغراضه واهدافه خاصة ، تلك التي كان يعمل من اجلها وهي التخلص من الحكم السلجوقي واستعادة هيبة الخلافة واستقلالها . ولا يفوتنا ان نذكر ان لجهود المسترشد والراشد والمقتفي والمستنجد الاثر الكبير في كسب الانتصارات الرائعة ، فقد كان كل واحد من اولئك الخلفاء عظيما في موقفه ، جليلا في كفاحه ، من اجل استرداد حقوق الخلافة وازالة السيطرة السلجوقية .

---

(١) ابن الساعي الجامع المختصر جـ٩ ص٣٦٠
(٢) ابن المعمار البغدادي ص٧٤

العالم السلجوقي

شكل : (٣) العالم السلجوقي في القرن السادس الهجري

الفصل الخامس

نظـــم

الادارة والحكم في العصر السلجوقي

نظم الادارة والحكم في العصر السلجوقي

السلطان السلجوقي • طاعة الامراء للسلطان • الملوك السلاجقة • استقلالهم الذاتي • لكل ملك وزير • السلطان يشرف على جميع المملكة • اختلاف العواصم السلجوقية • الوزارة • توطئة في تطور الوزارة • الوزارة في العصر العباسي الاول • التدخل التركي في العصر العباسي الثاني • ضعف الوزراء • قوة الوزير في اواخر العهد السلجوقي • وزير الخليفة • وزير السلطان • القاب الوزير •

المستوفى • اختصاصاته • وظيفة الطغراء • وظيفة الاشراف • وظيفة العارض • قائد الجيش • الحاجب • الكاتب • العميد • الشحنة • الطشت دار • الاتابك • تعميم نظام الاقطاع • أهداف نظام الملك في توزيع الاقطاعات • نتائج سياسة نظام الملك الاقطاعية •

السلطـان السلجوقي :

دخل طغرلبك مدينة نيسابور سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م ،[١] وجلس على عرش مسعود بن محمود الغزنوى ، ولقب السلـطان المعظم ركن الدنيـا والدين ابو طالب [٢] ، وباعتلاء (طغرل) عرش (مسعود الغزنوى) بـدأت حياة السلطنة السلجوقية ، واخذ السلطان يحاول كسب رضا الخليفـة العباسي ، ليحصل منه على اعتراف بقيام الدولة السلجوقية كما يقر للسلطان بحق حكم المناطق التي استولى عليها •

وفي سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م ، دخل (طغرلبك) بغداد ، ولقبه الخليفـة لقب يمين امير المؤمنين[٣] ، وفي سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م ، لقبـه الخليفـة (القائم بأمر الله) لقب ملك المشرق والمغـرب ، وبذلك اصبـح (طغرلبك) هو السلطان الشرعي للسلاجقة كما صار له النفوذ الكبير في سياسة الدولة العباسـية •

فالسلاجقة اذن استطاعوا في عشرين سنة ٤٢٩ ـ ٤٤٩هـ ان يتحولوا من مجرد سلطنة اقليمية تحل مع السلطنة في اقاليمها حتى صاروا قـوة اسلامية كبيرة لها كيانها ولها تأييد الخلافة فى مشرق العالم الاسلامى وفى مغربه الواقع غربى العراق •

وأخذ السلاجقة يتكتلون فى بداية تكوينهم ويلتفون حول زعيمهم ، وتعاهد الزعماء الكبار على أن يحفظوا هـذه الدولة التى شيدوها ، وان

---

(١) الراوندي : ص١٥٨
ابن الاثير : جـ٩ ص١٥٨
البنداري : دولة سلجوق ص٧
(٢) الحسني : اخبار الدولة السلجوقية ص٩
(٣) الراوندي : ص١٦٩

يدينوا بالطاعة لزعيمهم (طغرلبك)[1] ، واتفق هؤلاء الزعماء ، على ان يكون لهذه الدولة رئيس واحد يحمل لقب سلطان وان يخضع الحكام الذين يعينهم السلطان خضوعا تاما ويحمل كل حاكم لقب ملك ، فأصبح (جغري بك) وكان كبير اخوة (طغرل) حاكما على مدينة (مرو) واختص بأكثر (خراسان) وكان يحمل لقب ملك ، وأصبح (موسى) حاكما على ولاية (بست وهراة وسجستان) وكان يحمل لقب ملك أيضا ، كما أصبح (قاورد) وهو اكبر اولاد (جغرى بك) حاكما على ولاية (الطبسين وكرمان)، بلقب ملك كذلك[2] . وكان (ابراهيم ينال) حاكمـــا على (قسهتان وجرجان)[3] .

وكان كل ملك من ملوك السلاجقة الذين أقرهم السلطان(طغرلبك) يتمتع باستقلال ذاتى فى تصريف شؤون ولايته الداخلية ، كما كان له الحق فى التوسع ان وجد فى ذلك ضرورة لمملكته ، ففى سنة ٤٣٩هـ/ ١٠٤٧م غزا (ابراهيم ينال) بلاد الروم وانتصر انتصارات رائعة وغنم غنائم كثيرة[4] ، وكان لكل ملك من هؤلاء الملوك وزير ، فابراهيم بن ينال كان له وزير يدعى (احمد بن طاهر)[5] ، كما كان (نظام الملك) وزيرا لالب ارسلان عندما كان حاكما على خراسان[6] .

ان (طغرلبك) أول سلاطين الدولة السلجوقية انتخب لهذا المنصب

---

(١) الراوندي : ص١٦٥

(٢) المرجع السابق : ص١٦٧

(٣) اخبار الدولة السلجوقية ص١٧ لم يرد عن ابراهيم ينال انه تلقب بلقب ملك .

(٤) ابن الاثير : حوادث سنة ٤٣٩هـ

(٥) المرجع السابق : حوادث سنة ٤٤٠هـ

(٦) المرجع السابق : حوادث سنة ٤٥٦هـ

على نحو ماينتخب الزعماء لما تحلى به من المقدرة وقوة الشخصية والشجاعة النادرة ، وانه وان كان السلطان يوصى بعهد منه قبيل وفاته بتولى من يسميه من أفراد العائلة ، الا ان التنافس على العرش والشعور بأحقية السلطنة دفع الكثير من الملوك والامراء الى انتزاع العرش من الذين كان العهد لهم بالسلطنة ، فقد عَهَد السلطان طغرلبك بالسلطنة لسليمان بن داوود ، فنافسه على ذلك (الب ارسلان) وقد أيده كثير من الامراء وكان سليمان طفلا صغيرا ، ونجح الب ارسلان اخيرا فى تولى عرش السلطنة[1] .

والسلطنة من الناحية الفقهية تتمتع بعموم الولاية وهى نظريا مستمدة من تفويض صادر من الخلافة ، أما من الناحية الفعلية فهى زعامة قامت بأمر ناحية من النواحى ، وصارت ولاية استيلاء وتغلب .

ومن الجدير بالذكر ان السلاطين السلاجقة كانوا يرون انهم ظل الله فى الارض ، فى الوقت الذى كان الخليفة العباسى يرى فى نفسه هذه الصفة نفسها . وقد سبق السلاجقة فى هذا الادعاء ، الادارسة فى المغرب والفاطميون فى تونس .

فالسلاجقة اعتقدوا بأن حكم سلاطينهم مستمد من الله ، فهم يقولون بنظرية الحق الالهى فى الحكم ، قال نظام الملك : اختار الله السلطان وميزه على عباده وجعلهم جميعا خاضعين له ، منه يستمدون نفوذهم ودرجاتهم ، أما هو فيستمد قوته من ربه الذي جعله أمينا على عباده ، وكفاه أن يكون له على سائر الملوك فخرا وفضلا ان يتحلى بطيب الخلق وحميد

---

(١) الراوندي : ص١٨٥
ابن الاثير : حوادث سنة ٤٥٦هـ

الخصال[1] .

وقد أوضح السلطان الب ارسلان عن ذلك الاعتقاد فى قوله عند تفويض نظام الملك بالوزارة : (وان نعده ونهيئه لنعمة الملوكية المفوضة من الله تعالى والتى حصلها بواسطة تربيتنا له)[2] .

ان هذين النصين المهمين يوضحان للباحث نظرة السلطان ،والوزير الى روحية الحكم فالسلطان يقول صراحــة ان الملوكية مفوضة من الله لسلاطين السلاجقة ، والوزير يؤكد ان الله اختار السلطان وميزه على عباده ، معنى هــذا ان السلاجقة صبغوا على نوعيــة حكمهم صبغة الهيــة ـ دينية ـ فالاختيار واقع من الله عز وجل أنْ يكُنْ طغرلبـك والب ارسلان وملكشاه سلاطين يحكمون الناس ، فما على الناس الا الطـاعة والاحترام[3] .

ويؤيد هذه الاقوال ماذكره الراوندى ، اثر انتصارات طغرلبك ، قوله : فاشتد بأسهم وازدادت قوتهم ولاحت على صفحات احوالهم امارات الملك المؤيد بالتأييد الالهى . وعلامات الحكم الموفق بالعون الازلى[4] . ويقول فى حق السلطان ملكشاه : كان السلطان ملكشاه ملكا جبارا نافذ السلطة .... مؤيد بالتأييد الالهى ويقرن قوله بحكمة جاءت فى كتاب

---

(١) نظام الملك : سياسة نامه ص٦٢ـ٦٣

(٢) مجموعة رقم ٧ ـ رسائل متفرقة برقم ٤٥/دار الكتب ـ القاهرة

(٣) راجع الملحق الخاص بتعيين نظام الملك وزيرا من قبل السلطان الب ارسلان .

(٤) راحة الصدور : ص١٥٧

الفرائد والقلائد للثعالبي : « ان السلطان خليفة الله في ارضه »[1] • وذكر الراوندى في ذكر السلطان ابى الفتح كيخسرو بن السلطان قلج ارسلان : وحيث ان الملك ظل الله فى الارض ، وبلاطه بمثـابة ملجأ للعالمين[2] • وغيرها من الاقوال التى تؤيد ماذهبنا اليه فى نظرة السلاجقة الى السلطان وشرعية حكمه وكونه يستمد سلطته من الله تعالى •

وكان السلطان يشرف على جميع المملكة ويتمتع بصلاحيات واسعة ، وهو المسؤول الاول عن السياسة العامة ، واعلان الحرب وقيادة الجيوش وتعيين الحكام والقواد وهو الذى يأمر باقطاعهم الاراضى كما يأمر بوضع الضرائب أو ازالتها •

والسلطنة مقترنة دائما بقيادة الجيوش لانها استمرار للاصل الذى نَبَعَتْ عنه ، وهو رياسةالقبيلةوقيادةقواتها المقاتلة•ولهذا نجد كل سلطان من سلاطين السلاجقة يقود الجيوش بنفسه أو يعهد ذلك الامر لاولاده أو أحد أقربائه ، ولا يمنح القيادة لاحد الا فى حالات خاصة مثل صاحب الشحنة أو الاتابكة المقترنة اسماؤهم بأحـد افراد البيت السلجوقى أو العمداء •

وللسلطان عاصمة يتخذها دار ملكه ، ومن الملاحظ ان السلاطين لم يتخذوا بغداد مركزا لهم[3] ، واختلفت العواصم السلجوقية فطغرلبك اتخذ مدينة (نيسابور) عاصمة له بينما حكم الب ارسلان فى مدينة (مرو) ،وحكم ملكشاه ومحمود وبركيارق فى (اصفهان)[4] ، كما اتخذ السلطان محمد

---

(١) راحة الصدور : ص١٩٧
الثعالبي : الفرائد والقلائد ورقة (١٥) أ
(٢) المرجع السابق : ص٣٠٣
(٣) Hitti : History of the Arabs, p. 476
(٤) Sanaullah : The decline of the Seljugid Empire, p. 39

ابن السلطان محمود ٥٤٨ـ٥٥٥هـ/١١٥٣ـ١١٦٠م ، مدينة (همـدان) عاصمة له[١] •

وظيفـة الحـاجب :

ومن الوظائف المهمة فى الدولة السلجوقية ، وظيفـة الحاجب ، والذى يتولى هذه الوظيفة يطلق عليه « الامير الحاجب الكبير » ويبدو ان هذا الموظف هو الذى يتصـل بالسلطان ويكون صلة الوصل بينـه وبين الوزير ، وهو وحده الذى يتلقى أوامر السلطان الشفهية[٢] ، وهو وحده أيضا الذى يستطيع ان يوصـل الاوامر والنواهى السلطانية الى الوزير للقيام بتنفيذها[٣] • أى انه الشخص الوحيد المخول بنقل مطاليب السلطان، معنى ذلك ان كلام الحاجب هو كـلام السلطان وعلى الوزير وغيره من موظفى الدولة تنفيذ اقواله[٤] •

ويبدو ان من اختصاصات الحاجب ، الاتصال بالسلاطين والملوك ، وعرض وجهات نظر السلطان الذي يقوم الحاجب بخدمته ، وقد ارســل (علي بار) الذي كان حاجب (الملك محمود) ، نائبه (أبا القاسم الآنساباذي) الى السلطان سنجر ، ملتمسا المعذرة على لسان محمود ••[٥] • ويتوضـح لنا من هذا النص ان هناك وظيفة (نائب حاجب) يقوم على ما ارجح بمعاونة الحاجب الكبير وتصريف اعماله •

ولم يكن الحاجب ليتخذ من قصر السلطان او الملك مقرا دائما له ،

---

(١) الراوندي : ص٣٧٢
(٢) آل سلجوق : ص١٠٧
(٣) عباس اقبال : ص٣٢
(٤) راجع الملحق الخاص بمن تولى الحجابة فى القصر السلجوقى
(٥) الراوندي : ص٢٥٩

بل كان على ما يظهر من مجريات الحوادث وأدلة النصوص التاريخية ، انه (أي الحاجب) يساهم مع السلطان في حروبه خارج عاصمته ، وكثيرا ما كان الحاجب يقود الجيوش لمحاربة اعداء السلطان • فقد سار الامير الحاجب الكبير نصرة الدين بهلوان ، (حاجب السلطان ارسلان بن طغرل ابن محمد) والامراء الذين كانوا في حضرة السلطان الى الري ، لمحاربة اينانج حسام الدين ، والى (الري) ، فدارت معارك عنيفة انتهت بانتصار الحاجب نصرة الدين بهلوان ومقتل اينانج ، واسند السلطان امر الرى الى الامير الحاجب بهلوان[١] •

وظهر بين مَنْ تولى الحجابة ، من ناهض السلاطين وخالفوا اوامرهم بل عملوا على قلب السلطنة والقضاء عليها[٢] ، كما ان هذه الوظيفة السامية لم تخلو من المنافسين والحاسدين ، فقد قرب السلطان مسعود حاجبه (خاصبك ارسلان بن بلنگري) ، فشق ذلك على امراء حضرته واخذوا يدبرون المكائد لقتله[٣] ، وحصل مثل ذلك ، عندما اخذ الحاجب (جمال الدين أى أبه) و (سيف الدين روس) يتحكمان ويسيطران على كل الشئون ، فحاول الامراء الآخرون اقصائهما وقهرهما ، ثم اراد الحاجب (جمال الدين أى ابه) ان يزيح (روس) من طريقه حتى يعظم نفوذه في مملكة السلطان ، فوشى به الى السلطان ، وقبض على (روس) وهو نائم في منزله ثم اغار على املاكه[٤] •

ولم يعد منصب الحجابة ، ليصلح في خضم الحوادث العنيفة المتعاقبة التي واجهتها الدولة السلجوقية ، وفي جو المنازعات والمؤامرات التي تعرضت

---

(١) الراوندي : ص٤٢٣ـ٤٢٥
(٢) المرجع السابق : ص٣٣٧
(٣) المرجع السابق : ص٣٣٨
(٤) المرجع السابق : ص٤٧٩

لها في عصورها المتأخرة بشكل خاص ، وكان ذلك صاحب ذلك المنصب الكبير مصدر خطر على السلطان ، نتيجة المنافسات الشديدة على منصب الحجابة[1] .

ان الحجابة على ما يبدو ، كانت مصدر اثراء لمن يتولاها ، فالحاجب (خاص بك) كان في الاصل صبيا من التركمان ، قربه السلطان (مسعود بن محمد بن ملكشاه) وقدمه على جميع الامراء واتخذه حاجبا ، وصار له من المال مالا يحصى ، وكانت له تركة عظيمة في جملتها سبعون الف ثوب اطلس[2] .

ومن الجدير بالذكر ان العباسيين اتخذوا الحجابة وكان لكل خليفة حاجب ، وهو الذي ينظم المقابلات المهمة بين الخليفة والناس ، كما ان من وظيفته المحافظة على شخص الخليفة ، وقد اخذ بعض الحجاب يتدخلون في شؤون الدولة ، وكثيرا ما اصطدم الحاجب بنفوذ الوزير ، فنشب من جراء ذلك نزاع ادى الى خروج احدهما ، فقد حصلت نفرة بين الوزير ابى علي بن مقلة والحاجب محمد بن ياقوت الذي استبد بالامر وصار يتدخل فى شؤون الوزارة فتمكن الوزير ابن مقلة من تدبير مؤامرة اطاحت بالحاجب ابن ياقوت واودع بالسجن[3] . كما حدثت نفرة بين الوزير ابن هبيرة ومحمد بن عبدالله المعروف بابن المسلمة الحاجب والذي اتهم بوضع السم للوزير ابن هبيرة ذلك السم الذى سبب وفاته سنة ٥٦٠هـ[4] .

---

(١) ابن الجوزي : حـ١٠ ص١٥٣ في ترجمة الحاجب خاص بك ما يشير الى تصرفات الحاجب .
الراوندي : ص٣٧٩

(٢) ابن الجوزي : ص١٥٣ـ١٥٤
الراوندي : ص٣٣٨

(٣) مسكويه : تجارب الامم حـ١ ص٣١٩

(٤) المنتظم : حـ١٠ ص٢٨٠ : مرآةالزمان : حـ٨ ص٢٢٠

وكيلدر السلطان :

وهناك وظيفة شبيهة بوظيفة الحاجب تعرف بـ (وَكيلدر السلطان) ، ومنزلة هذا الموظف أخص من منزلة الحجاب ، ومن المؤهلات التى يجب توافرها في مَنْ يتولى هذه الوظيفة ، ان يكون منطيقاً بليغاً ، متجرعاً في مضايق الكلام الغصص مسيغا ، مستقلا باقامة الحجة عند الحاجة ، متجنبا للسماجة ، عارفا بأخلاق السلطان فى أوقات رضاه وسخطه ، وقبضه وبسطه ، فاذا وجده منقبضا تلطف فى تنشيطه مما ينفق عليه من الحديث الرائق ، حتى اذا رأى منه سيماء القبول ، حدّثه بمقصوده ، والا جرى في الامساك بمعهوده[1] • ومن تولى منصب (وَكيلـدر السلطان) ، اميرى القزويني المعروف بازكى[2] ، زمن السلطان محمد بن ملكشاه ٤٩٨ – ٥١١هـ/١١٠٤ – ١١١٧م •

الـــوزارة :

كان يساعد السلطان السلجوقى موظفون كثيرون ، واكبر اولئك الموظفين درجة واكثرهم اهمية هو الوزير وكان يعرف باسم «الصدر» ، أو بالسيد الاكبر أو الدستور ومن المفيد ان نتعرف على اهمية الوزير فى الدولة العباسية ، متتبعين هذه الوظيفة منذ العصر العباسى الاول حتى العصر السلجوقى •

كان العراق مركزا للدولة العباسية ، كما كانت بغداد عاصمتها ، وبالطبع كانت هناك تنظيمات ادارية وسياسية وثقافية معروفة وسائدة خاصة

---

(١) آل سلجوق : ص٨٦
(٢) المرجع السابق : ص٨٥

في بغداد ، وفي اول قيام الدولة العباسية بالكوفة قلّد (ابو سلمة الخلال) ، الوزارة ويعتبر هذا اول وزير في الخلافة الاسلامية ، ثم تتابع بعد ذلك أمر تعيين الوزراء وكانت وظيفتهم الرئيسة مساعدة الخليفة في ادارة شؤون الدولة بعد ان استفحل الملك وعظمت مراتبه[1] ، كما كان الوزير وسيطا بين الخليفة والرعية[2] ، وكان الخليفة العباسى فى العصر الاول قويا مهابا والدولة فى عنفوان شبابها وقوتها ، وعوامل التماسك والنشاط فعالة مؤثرة ، الامر الذى جعل من الوزير شخصا مطيعا ، والسيطرة والنفوذ للخليفة الذى كان يعترف بسلطته الروحية والدينية معظم المسلمين.

وقد حاول الخلفاء العباسيون المحافظة على نفوذهم وسيطرتهم طيلة العصر العباسى الاول بالسياسة والقوة ، ونجحوا الى حد بعيد فى مد نفوذهم الى حد كان الوزراء يخافون من بطش الخليفة وعقابه ، لذا كانوا يعملون جهدهم الى كسب رضاه والعمل بجد واخلاص لينعموا بقربه ووده، وكان (خالد البرمكى) ، وزيرا للسفاح ومن المخلصين للخليفة وله منزلة عظيمة عنده ، ومن النوادر المروية «ان السفاح قال له يوما : ياخالد مارضيت حتى استخدمتني ؟ ففزع (خالد البرمكى) وقال : كيف ياأمير المؤمنين وأنا عبدك وخادمك ، فضحك السفاح وقال : ان (ريطة) ابنتي تنام مع ابنتك فى مكان واحد فأقوم بالليل فأجدهما وقد سرح الغطاء عنهما ، فأرده عليهما ، فقبل (خالد البرمكى) يده ، وقال : مولى يكتسب الاجر في عبده وأمته[3]، هذه اشارة لطيفة لمكانة الخليفة فى العصر العباسى الاول ، وسار على ذلك النهج الخلفاء الذين اعتلوا عرش الخلافة ، كالمنصور والمهدى والهادى

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ص٢٠٧
(٢) الفخري : ص١١٠
(٣) المسعودي : مروج الذهب جـ٢ ص٢٥٢
الفخري : ص١١٣ـ١١٤

والرشيد والامين والمأمون والمعتصم ، وكانوا اشد ما يكونوا حرصاً في الحفاظ على اصول الخلافة ومظاهرها .

في العصر العباسي الثاني ٢٣٢-٣٣٤هـ/٨٤٧-٩٤٦م ، الذي يعرف بعصر التدخل التركي ، ذلك ان المعتصم استخدم الكثير من هؤلاء الاتراك في صفوف الجيش ، الذين اخذوا بمرور الزمن يتقلدون المناصب العالية حتى اصبح لهم نفوذ كبير في ادارة الدولة واخذ الخلفاء في الضعف والاستكانة ، ومن الطبيعي فان الوزارة تكون قوية مادامت الخلافة مهابة قوية ، ذلك لان الوزارة تستمد روحيتها وهيبتها من قوة الخلافة وعظيم نفوذها . وفي هذا الدور سيطر الاتراك ، وصاروا يتدخلون في نصب الخلفاء وعزلهم ، فهم الذين نصبوا المستعين وانقلبوا عليه فخلعوه وقتلوه[1]، ونصبوا ابا عبدالله المعتز خليفة سنة ٢٥٢هـ/٨٦٦م ، ولما لم يتمكن هذا الخليفة المغلوب على أمره من ارضاء الاتراك وتحقيق اطماعهم ، فأمسكوا به واهانوه اهانة كبيرة ، وامروه بخلع نفسه ، ومن ثم دُفع الى من يعذبه فمنع عنه الماء والطعام ثلاثة ايام ، ثم ادخلوه سردابا وجصصوا عليه فمات[2] . وكذلك فعلوا بالخليفة المهتدي ٢٥٥هـ - ٢٥٦هـ/٨٦٩ - ٨٧٠م ، فقد هاج عليه الاتراك وشاغبوا ، فأسروه وعذبوه ، ليخلع نفسه فلم يفعل فخلعوه هم ومات[3] ، وهكذا كانت حال الخلافة في هذا العصر ، حالة ازدراء واهانة وخلع وقتل ، وفي هذه الظروف والاحوال عاش الوزراء العباسيون مع خلفائهم ، فدب في نفوسهم الضعف والخوف واختير لهذا المنصب من

---

(١) ابن الاثير : حوادث سنة ٢٥٢هـ
الفخري : ص١٨٠

(٢) ابن الاثير : حوادث سنة ٢٥٥هـ

(٣) الطبري : جـ١١ ص٢٠٣-٢٠٥
ابن الاثير : حوادث سنة ٢٥٦
الفخري : ص١٨٣

لا اهلية له ، بل اتبع بعض الوزراء سياسة التفريق بين الخليفة وجنده كما فعل ذلك الوزير ابن مقلة والذى عزل اخيرا وحبس بعد ان قطعت يده اليمنى[1] .

وفى سنة ٣٣٤هـ/٩٤٦م دخل البويهيون بغداد على عهد الخليفة المستكفى بالله ٣٣٣ - ٣٣٤هـ/٩٤٤ - ٩٤٦م ، واستبد البويهيون فيالحكم كما بحثنا ذلك فى الفصل الاول ، وزال نفوذ الوزراء ، «لان الوزارة صارت من جهة البويهيين»[2] ، وأصبح للخليفة كاتب فقط[3] .

فى سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م ، دخل السلاجقة بغداد ، فعاد نظام الوزارة وأخذ الخليفة فى تعين وزير له ، ووزر للخليفة القائم الذى دخل السلاجقةبغداد فيعهده ، (فخرالدولة محمد بن جهير)[4] ، ومنالملاحظان السلاجقة الذين سيطروا على اجهزة الحكم كانوا يتدخلون فى نصب وخلع الوزير ، فقد عرضنا فيما سبق ان السلطان ملكشاه طلب من الخليفة المقتدى عزل وزيره ابى شجاع الهمذانى ، فنفذ الخليفة مطلب السلطان فعزل الوزير[5] ، ولكننا نجد ان هؤلاء الوزراء العباسيين اخذوا في القوة والنفوذ خلال المواقف الرائعة التى وقفها الخلفاء العباسيون لمناهضتهم السلاجقة ، فقد وقف الوزير ، ابو على الحسن بن صدقة موقفا حازما ازاء تحركات سنجر الذياراد الوصولالى بغداد ، وانه توعد الخليفة،فكتباليه الوزير ابو على الحسن بن صدقة : والله لئن تحركت لاقطعن جميع ماوراءك عنك واقطعك عنه ، ولئن سرت فرسخا لاسيرن اليك فرسخين[6] .

---

(١) مسكويه : تجارب الامم جـ١ ص٣٣٨
الفخري : ص٢٠٥
(٢) الفخري : ص٢١٢
(٣) ابن الاثير : حوادث سنة ٣٣٤هـ
(٤) الفخرى : ص٢١٥
(٥) المرجع السابق : ص٢١٩
(٦) المرجع السابق : ص٢٢٤

فالوزارة كتنظيم ادارى كما لاحظنا كانت معروفة ومعمولا بهـا فى الدولة العباسية قبل دخول السلاجقة بغداد ، ولكن الذى حصـل ان السلاجقة عندما دخلوا العراق تنفس الخليفة العباسى الصعداء واسترجع الكثير من سلطاته واختصاصاته ، خاصة حقوقه فى اختياره وتعيينه لوزرائه .

وقد عرفنا ان للسلاجقة وزراء ، فالسلطان طغرلبك كان من وزرائه «ابو القاسم الكوبانى» و «ابو احمد الدهستانى» و «عميد الملك ابو نصر الكندرى»[1] . وكان منصب الوزارة اعلى مقام فى الدولة السلجوقية .

والوزير فى العصر العباسى على عهد السلاجقة ينظر فى امر الاموال وامر الاجناد ويسوسها على مايليق بها[2] ، ومن وظائفه ان ينظـر فى جميع الدواوين ويستعرض حساباتهم واعمالهم ويُقوّم معوجهم ، ويصلح فاسدهم[3] ، قال عمادالدين : حدثنى المشرف ابن حكيم ، قال : دخلنـا بالحساب الى الوزير عزالملك فأول ماوقع عينه فى المجموع ، على المبلغ المرفوع ، فقال : ماهذا ؟ فقيل : الرسوم التى أخذناها ، والمرافق التى اجتذبها . فضرب عليه بقلمه[4] . ان هذا النص يبين مراقبـة الوزير واشرافه الدقيق على سير المعاملات ، وتوخي العدالة في تصريف شـؤون الرعية . وكذلك الوزير فى عهد السلاجقة ، كان هو المساعد للسلطان يقدم النصح والمشورة له ، وكانت له سلطات واسعة ، فانه يشرف عـلى

---

(١) راحة الصدور : ص١٥٩
والعراضة فى الحكاية السلجوقية : لـم يذكـر ابى احمـد الدهستانى من جملة وزراء طغرلبك ص٤٥
عباس اقبال : وزارت در عهـد سلاطين بزرك سـلجوقى ص٣٩ ـ ٤٣
(٢) تحفة الوزراء : ورقة ١٤ مخطوط منسوب للثعالبى
(٣) المرجع السابق : ورقة ١٥
(٤) آل سلجوق : ص١٧٩

جميع الدواوين في الدولة السلجوقية[١] ، ويبدو ان الوزير كان يُختار من الشخصيات الوجيهة والمثقفة و مَنْ عُرف بالعلم والاتزان والاخلاق الطيبة ، ومن الذين يعرفون قوانين المملكة ، ومن الملمين بتأريخ الملوك وسيرهم[٢] ، اذن كان للسلطان السلجوقي وزير والخليفة العباسى وزير ، ولكن كان الوزير السلجوقى اكثر نفوذا وسطوة خاصة على عهد السلاجقة العظام ، وذلك بالطبع يعود الى انه اى الوزير السلجوقى ، يستمد قوته ونفوذه من قوة ونفوذ الدولة السلجوقية ، وكان الوزير السلجوقى كثيرا مايتدخل فى أمر وزير الخليفة ، ففى سنة ٤٨٤هـ ، طلب الوزير نظام الملك من السلطانالكتابة الى الخليفة بعزلالوزير (أبي شجاع) ، فَعُزِلْ ، واستوزر الخليفة ، عميدَ الدولة (ابن جهير) ثم عُزِلَ هذا بعد مدة ، فتدخل نظام الملك في هذه المرة لاعادة ابن جهير الى الوزارة ، فاستوزره الخليفة المقتدى ، وفوّض الامور اليه فقال في ذلك الشاعر ابن الهبارية :

لولا صفية ما استوزرت ثانية　　فاشكر حرا صرت مولانا الوزير به

قل للوزير ولا ترهبك هيبته　　وان تجبـــر واستعلى بمرتبــــــه

وصفية التى يقصدها الشاعر هى ابنة نظام الملك التى تزوجها الوزير (عميد الدولة محمد بن محمد بن محمد بن جهير)[٣] .

وأخذ الوزراء العباسيون يتلقبون بألقاب جديدة مضافة الى اسمائهم ولم يكن وزراء بنى العباس من قبل قد ألفوا هذه الظاهرة فمعظم الوزراء

---

(١) چهار مقالة : ص٢٣
(٢) عباس اقبال : وزارت در عهد سلاطين بزرك سلجوقي ص٢٥
(٣) المنتظم : جـ٩ ص٥٦
الفخرى : ص٢١٨

العباسيين كانوا يعرفون بأسمائهم بدون لقب الا الوزير الاول فى الدولة العباسية الذي لقب بوزير آل محمد والوزير (الفضـــل بن سهل) وزير المأمون والذى الحق به لقب «ذى الرياستين» ، ولكن فى العصر السلجوقى صار الوزراء تلحق بهم ألقاب كثيرة ، فابن جهير وزير المقتدى لقب «فخر الدولة»[1] ، وهبة الله ابن محمد بن المطلب وزير المستظهر لقب « بابى المعالى »[2] ، وتلقب ابو على الحسن بن صدقة وزير المسترشد بألقــاب عديدة منها ، جلال الدين ، سيد الوزراء ، صدر الشرق والغرب[3] ، كما تلقب ابو القاسم على بن صدقة بلقب «مؤتمن الدولة» وكان وزيرا للخليفة المقتفى لامر الله[4] ، وتلقب ابو المظفـر يحى بن هبيرة وزير المقتفى بلقب «عونالدين» وامر ابن هبيرة الكتاب ، ان لا يكتبوا لقب سيد الوزراء فى القابه ، وقال : اننى افتكرت فى هذا ، فرأيت ان الله تعالى قد سمى هرون وزيرا حتى قال عز من قائل حكاية عن موسى عليـه السلام : «واجعل لى وزيرا منأهلي هروناخي اشدد بهازري»[5] ، وارجح ان العباسيين تأثروا بالسلاجقــة في تلقيب وزرائهـــم بهـــذه الالقــاب وغيرها ، فقد تلقب وزراء السلاجقة بألقاب مختلفة كلقب ، عميد الملك ونظام الملك ومؤيد الملك ومعين الدين وشهاب الدين وغيرها من الالقاب •

واننا اذا تذكرنا مايجرى فى العـــالم الاسلامى وجدنا ان الوزراء الفاطميين كانوا يـُلقـّبون بلقب ملك ، ولعل العصر كله كان يميل الى تفخيم منصب الوزير •

---

(١) الفخرى : ص٢١٨
(٢) المرجع السابق : ص٢٢١
(٣) المرجع السابق : ص٢٢٣
(٤) المرجع السابق : ص٢٢٨
(٥) المرجع السابق : ص٢٣٠

وخصص للوزير راتب فيذكر ان راتب ابن هبيرة وزير الخليفة المقتفى كان مائة ألف دينار سنويا[1] ، أما الوزير السلجوقى فكان يخصص له راتباً مقداره عشر ما تحصل عليه الدولة من واردات الاقطاعات[2] .

ان النظام فى الحكومة السلجوقية يختلف عنه فى الدولة العباسية ، فقد عرفنا ان منصب الوزارة أو الصدارة كما يعرف فى العصر السلجوقى هو اعلى منصب فى الدولة ، ويشرف الوزير على جميع مرافق الدولة ويقدم المشورة والنصيحة للسلطان وهو عونه ومساعده فى كل الامور ، وعندما يستقر رأى السلطان على شخص يرى فيه اهلية لمنصب الوزارة يستصدر بحقه منشورا ، وهو اشبه مايعرف باصطلاح العصر الحاضر بالمرسوم ، يبلغ به الشخص المنتخب[3] .

وكانت العادة المألوفة فى التعيين لمنصب الوزارة ، انه عندما يقع نظر الخليفة أو السلطان على شخص اتفق معه على ذلك يسجل حينئذ عقد يوقعه كل من الطرفين المتفقين ، وتختلف صيغة العقد باختلاف درجة المنصب[4] .

ويبدو ايضا ان الوزير هو الذى يضع صيغة المرسوم ويثبت الشرائط التى يريد تحقيقها والتي جرى التفاوض بشأنها والاتفاق عليها[5] ، واذا اختار الخليفة وزيره فعليه حينئذ ان يركب من داره الى دار الخلافة في لبس التشاريف ، وبين يديه الحجاب والقواد والغلمان ، بعد ان يحمل اليه

---

(١) الفخرى : ص٢٧٨

(٢) Lambton : Landlord and peasant in persia, p. 44

(٣) راجع الملحق الخاص بمنشور الوزارة

(٤) القلقشندى : جـ١١ ص١٠١

(٥) البيهقى : ص٢٩٧

مرسوم التعيين اميران من امراء الدولة[١] ، ويأتى راكبا بغلة خاصة بقماش من ذهب وسرج من حرير او اطلس مذهب وبوسطه جلد فهد ، يقودها الغلمان حتى وصوله دار الخلافة ، ثم يحضر الاعيان والقضاة واركان الدولة وينعقد الحفل ، ويتلى نص التقليد ، وبعد الانتهاء ، يقبل ويخدم ، ويقول : قبلت وتقلدت ، وربما قلده الخليفة بسيف وعقد له لواء[٢] .

ثم يعود الوزير الجديد فى موكبه الى داره ، فاذا وصل حضر الناس على طبقاتهم للسلام والتهنئة . وكان الخليفة يرسل الى الوزير مالا وثيابا وطيبا وطعاما واشربة[٣] ، وبعد ذلك يرسل الوزير ـ انهاء ـ الى دار الخلافة يتضمن الدعاء والثناء للخليفة واعلامه بعقوده وتسلمه منصبه .

وظيفة الطغراء :

ومن وظائف الدولة السلجوقية المهمة وظيفة «الطغراء» ، والمقصود به رئيس الديوان ، «السلطانى والبلاط» وكان يلقب بالطغرائى ، ومن الامتيازات التى لهذا الموظف انه يتمتع بصلاحيات الوزير حين يكون الوزير الاصلى خارج دار الملك مع السلطان في حرب أو صيد مثلا[٤] ، وكثيرا ما يعهد للطغرائى نيابة الوزارة[٥] ، ويشمل الديوان فروعا وشعبا تدخل كلها في تقسيمين هما ديوان الطغراء وديوان الرسائل والانشاء[٦] ،

---

(١) سيد امير علي : مختصر تاريخ العرب ص٢٥٥
(٢) تحفة الوزراء : الباب الرابع ورقة ١٣
(٣) آدم ميتز : جـ١ ص١٤٦
(٤) آل سلجوق : ص٩٢
(٥) عباس اقبال : ص٢٩ ـ ٣٠
(٦) آل سلجوق : ص٩٢

ويعمل فيهما عدد من الموظفين بأسماء كتاب الرسائل والمنشئين واضرابهم[١].

والطغرائى فى الادارة السلجوقية هو حامل الاختـــام ، ويتولى استصدار الاوامر السلطانية وبتبليغها الى الجهات موشحة بشعار الطغرى ، والختم السلطانى .ويعهد السلطان بمنصب الطغراء لمذى تتوفر فيــه مؤهلات معينة ، كأن يكون متميزا بالتدبير واصالة الرأى وقوة الشخصية ومن الطبقة المثقفة والمعروفة بالجاه والمال والدهاء[٢] ، لكى تتم له الاحاطة الكاملة باختصاصاته الدقيقة والتفرغ للعمل والمحافظة على كل المراسـيم والشروط[٣] ، وبعد التوثق من حسن ادارته ، يحظى الطغرائي بالمزيـد من العناية والثقة والرعاية من جانب السلطان .

ويبدو ان قوانين الدولة السلجوقية تلزم الصدور (الوزراء) والاكابر والامراء والرؤساء والاعيـان والوجوه والمشاهير وجميع الحشم والخدم ومختلف طبقات الناس اعتبار احترام الطغرائي ، على أساس انه المنتخب من قبل السلطان للعمل بديوان الطغراء ، وأن يعنوا به عناية شاملة ، ويعدوا احتشامه وتوقيره وتكريمــه من الامور الواجبة ويأمر بعض المنــاشير السلطانية بهذا فيقول مخاطبا جميع الموظفين : « وعلى هذا فلينهجوا ويعملوا ويعتمدوا »[٤] .

أما ديوان الطغراء فان اختصاصه لم يكن مقتصرا على عمل الطغرائى الذى يوصل الى السلطان مايرد اليه من الرسائل والكتب ويصدر عنـه

---

(١) عباس اقبال : ص٢٢ ـ ٢٩
(٢) آل سلجوق : ص٥٦
(٣) عباس اقبال : ص٢٩
(٤) المرجع السابق : ص٢٩

الاوامر الموقعة بتوقيعه والموشحة بالشعار الخاص بالسلطان ، وانما هناك جانب ثان من هذا الديوان ، هو ديوان الرسائل والانشاء وهو الديوان الذى يتولى تحرير الكتب والفرامين ، والرسائل والتبليغات ، ويدير هذا الديوان شخص يسمى بالرئيس أو الوزير أو (صاحب ديوان الرسائل) وهو يرأس عددا كبيرا من الكتاب والمحررين وكل منهم موضع الاعتماد من حيث الكتمان واللياقة ، اذ كثيرا مايختار صاحب الديوان ، الرسل الى الجهات من موظفى ديوانه وكتابه •

ونتبين مما سبق ان هذا الموظف كان يُختار من الذين يعتمد عليهم السلطان ويعتقد فيهم الكفاية والاهلية فى ادارة وتولية هذا الديوان ، فاذا ماوقع اختيار السلطان على أحد الثقاة لتولى ديوان الطغراء ، استصدر منشورا (مرسوما) في تعيينه • ولدينا مثل لهذا المنشور نقلناه في الملحق[1]• ومما يدل على اهمية هذا المنصب الادارى الكبير ، ان السلطان السلجوقى كان يختار له ، العناصر المعروفة بالقوة والجد ، ونقلا من مناصب ادارية كبيرة ، فالسلطان السلجوقى اراد اخراج (مختص الملك) من ديوان الطغراء فاختار لذلك المنصب الامير (محمد الجوزقانى) عميد بغداد ، وليس اكبر من هذا المنصب بعد الوزارة الا منصب الاستيفاء[2] • وتظهر اهمية هذا أيضا بأن منصب الطغراء كان كثيرا مايؤهل صاحبه لدست الوزارة ، فقد استوزر (مؤيد الدين المرزبان بن عبيدالله الاصفهاني) نقلا من الطغراء[3]•

---

(١) راجع الملحق الخاص بتعيين الطغراء

(٢) آل سلجوق : ص٩٢

(٣) المرجع السابق : ص١٧٨

الاســـــتيفاء :

هناك مقام ثان بعد مقام الوزير فى الحكومة السلجوقية ، هو مقام المستوفى[1] ، والاستيفاء وظيفة سامية فى الدولة السلجوقية لصاحبها النظر فى الامور المالية وهو أشبه مايكون بمقام وزير المالية وكان من واجباته الاشراف على حسابات الدولة وتدقيقها ، وكثيرا مايقوم بجولات تفتيشية لاجل ذلك ، فقد قام العميد شرف الملك ابو سعد مستوفى المملكة بزيارة العراق ودخل بغداد سنة ٤٥٩هـ ، وفى أثناء تلك الجولة امر ببناء مدرسة بجوار ضريح ابى حنيفة[2] ، ورتب لها مدرسا هو ابو طاهر الياس بن ناصر الديلمى ، وكان موصوفا بالصلاح وحسن التفهم ودقة الفكر ، وقد توفى سنة ٤٦١هـ/١٠٦٨م[3] ، وقد ذكر سبط بن الجوزى : ان العميد ابا سعد دخل بغداد فى عاشر جمادى الاولى من سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م ، وبرحها يوم الاثنين السابع والعشرين من جمادى الآخرة وبنى فى هذه المدة التى أقام بها ببغداد على قبر ابى حنيفة (رضى) قبة عالية عظيمة وانفق عليها اموالا كثيرة وعمل لها ملبنا وعلاه على مثال قبور آل ابى طالب فى المشاهد وعمل بين يديه رواقا وصحنا وجعله مشهدا كبيرا ، وعمل بازائه مدرسة لاصحاب ابى حنيفة ورتب لهم مدرسا وأوقف عليهم ضيعة يصرف مغلها اليها وفعل فى ذلك فعلة حسنة ولقب «العميد شرف الملك»[4] .

---

(١) عباس اقبال : وزارت در عهد سلاطين بزرك سلجوقى ص٢٢

(٢) ابن الاثير : حوادث سنة ٤٥٩هـ
اخبار الدولة السلجوقية : ص٦٩
آل سلجوق : ص٣١

(٣) المنتظم : جـ٨ ص٢٤٥
الجواهر المضية فى طبقات الحنفية جـ١ ص١٦٣

(٤) مرآة الزمان : الورقة ١٠٩ نسخة دار الكتب الوطنية بباريس رقم ١٥٠٦ : دليل خارطة بغداد ص١٥٦

ومن دراساتنا لمراسيم التعيين لهذه الوظيفة نرى ان اختصاصات هذا الموظف خطيرة وكثيرة ، فمن وظائفه ضبط الاموال التى تتعلق بالجيش السلجوقى وادارة ديوان الاستيفاء ، وضبط اموال المملكة والعمل على حفظها[١] ، ومن الشروط التى يجب ان تتوفر فى الشخص الذى يختار لهذه الوظيفة المهمة ، ان يكون شخصا معروفا بحسن السيرة والسداد ومن حيث الديانة يجب أن يكون من المتفق على تقواه ، عارفا بأسرار المعاملات وأساليبها لا يفوته ضبط الجزيء من حساباتها ، موصوفا بأنواع من القابليات والكفايات والخبرة التامة بالرسوم واصولها وبآداب خدمة السلطان ، ذا قلم وحكم موصوفين بالعدل وشاهد صدق معروف يحسن الفصل بين الحق والباطل وأهل للقيام بانجاز المصالح والامور السلطانية ليناط به حفظ أموال الدولة[١] .

وكان لكل مدينة مستوف ، مرتبط بالمستوفى الكبير ، وجاء فى أحد المراسيم (على ان يعتبر كل مديرى حسابات ديوان الحضرة السلطانية والمستوفين لاعمال المملكة وكتاب الوزارة نوابا عنه فلا ينبغى ان يخفى عنه شيء كثير كان أم قليل من أموال المملكة حتى النقير والقطمير وان يقدموا له كل ماتقتضيه لياقته ومعرفته التى نعهدها به فى جميع الفصول والابواب وان يراعوا نحوه جانب العدل والاستقامة فى كل الاحوال[٣] .

وكما كان تعيين الوزير أو الصدر بمنشور أو ما اصطلحنا عليه بالمرسوم ، فان المستوفى هو الآخر يصدر بحقه من ديوان السلطان مرسوم

---

(١) عباس اقبال : وزارت در عهد سلاطين بزرك سلجوقى ص٢٦
(٢) المرجع السابق : ص٢٦
(٣) المرجع السابق : ص٢٧

بتعيينه مستوفيا للمملكة[١] .

وظيفـــة الاشـراف :

ووظيفة الاشراف ، من الوظائف المهمـــة فى الدولة السلجوقية ، ورئيس هذا الديوان يعرف بالمشرف ، وهـــذا الديوان هو الذى يعنى بالمحاسبات والاشـــراف على ضبط الحسابات والصـادرات والواردات ، والموازنة بينهما ، وهو فى الحقيقة مكمل لديوان الاستيفاء وان مثل هذا المشرف كمثل المستوفى يستطيع ان ينيب عنه فى كل ولاية نائبا يســمى بالمشرف النائب ويكون بمثابة رئيس تفتيش مالى[٢] .

وهذه الوظيفة يصدر لشاغلها مرســـوم من قبـل السلطان يفوضه الاختصاصات التى عليه ممارستها لتمشية امور الديوان[٣] ، وبالطبع فان وظيفة المشرف لها علاقة بوظيفة المستوفى اذ ان المستوفى بطبيعة وظيفته يكون المراقب لهذا الديوان[٤] .

الكتـــــاب :

هذه هى وظائف الدولة الرئيسية فى الدولـة السلجوقية ، وكان يلحق بـكل ديوان من الـدواوين التى ذكـــرناها ، موظفون يعـرفون بالكتاب ، مثل كاتب الرسائل وكاتب الجند وكاتب الاستيفاء وكاتب الاشراف وغير ذلك ، ويختار لهذه الوظيفة الاشخاص الذين عرفوا بالطيبة والتدين

---

(١) راجع الملحق الخاص بتعيين المستوفى
(٢) عباس اقبال : ص٣١
(٣) راجع الملحق الخاص بوظيفة الاشراف
(٤) راجع الملحق الخاص بوظيفة الاستيفاء للتعرف علىاختصاصاته

وحسن الخلق والنزاهة والكتمان ومن الذين لهم ثقافة واسعة ويفضل منهم من كان ذا خط حسن جميل • وهناك أسماء كثيرة لعدد من الكتاب الذين اشتهروا في العصر السلجوقي ، منهم ، على بن الحسين الاردستاني، كاتب الرسائل وكان أوحد عصره ، ونسيج وحده ، وكان رجلا سكيتا حسن السمت كثير الأدوات ، موصوفات بالثبات[1] • كما اشتهر (محمد بن عبدالكريم الانباري) الملقب بسديد الدولة ، الذي انفرد بانشاء المكاتبات، وخدم الخلفاء والسلاطين وتوفي ببغداد سنة ٥٥٨هـ[2] ، ولعل اشهر اولئك الكتاب الذين خدموا السلاطين السلاجقة ، (منتجب الدين بديع اتابك الجويني) كاتب السلطان سنجر السلجوقي ورئيس ديوان الرسائل ، ومن أهم آثاره كتاب (عتبة الكتبة) وهو عبارة عن مجموعة مراسلات ديوان السلطان سنجر السلجوقي • ويحوي على مراسيم مختلفة وتواقيع متنوعة في أمر تعيين الوزراء والمستوفين والمشرفين والمدرسين والقضاة وغيرهم من الذين تولوا الوظائف في زمن السلطان سنجر[3] •

واتخذ العباسيون الكتاب في دواوينهم ، مثل كاتب الرسائل وكاتب الخراج وكاتب الجند وكاتب الشرطة وكاتب القاضي ، ويعتبر كاتب الرسائل في العصر العباسي من اهم الكتاب ، ووظيفته اذاعة المراسيم والبراءات وتحرير الرسائل الرسمية ووضعها في صيغتها النهائية وختمها بخاتم الخلافة ، بعد اعتمادها من الخليفة • وكان بعض الكتاب العباسيين

---

(١) آل سلجوق : ص٥٨
(٢) المنتظم : جـ١٠ ص٢٠٦
(٣) الجويني : عتبة الكتبة • تصحيح وتقديم محمد قزويني وعباس اقبال
(١) المنتظم : جـ١٠ ص٢٨٠/سبط بن الجوزي : مرآة الزمان جـ٨ ص٢٢٠

يحملون القابا كالوزراء ، فكاتب الانشاء ابن الأنبارى زمن المسترشد كان يلقب بسديد الدولة[1] ، وبذلك فشا استعمال الالقاب حتى شمل الكتاب والجند[2] .

الشـــحنة :

عند دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م ، وبعد ان استتب الامر لهم رجع السلطان طغرلبك وترك وزيره عميد الملـــك الكندرى ببغداد[3] ، وجعل السلطان ببغداد شحنةالامير (برسق)[4] ، كما ضمن بغداد (المظفر بن الحسين) مدة ثلاث سنوات بأربعمائة ألف دينار[5] ، و (الشحنة) وظيفة سلجوقية جديدة ، استحدثها السلاجقة ويعين صاحبها من قبـل السلطان ، وهذه الوظيفة أشبه ماتكون بوظيفة المتصرف أو محافظ المدينة فى عصرنا الحاضر ، يتمتع شاغلها بسلطات بوليسية وادارية ، وهو مسؤول عن ادارة المدينة والمحافظة على أمنها واستقرارها ، وملاحقة الخارجين على النظام ، ومعاقبة المسيئين ونحن نعرف أسماء عدد كبير من الشخصيات ممن تولى هذا المنصب[6] ، وندرك اهميــــة هــــذا المنصب من سير الحوادث ومجرياتها منذ سنة ٤٥١هـ/ ـ ٥٩٠هـ/١٠٥٦م ـ ١١٩٣م ، ونلاحظ ان بعض من ولى هذا المنصب كان يتعدى اختصاصاته ، ويقوم بأعمال عسكرية واسعة ، كما فعل (سعد الدولة كوهرائين) شحنة بغداد[7] ، وكان بعضهم

---

(١) الفخرى : ص٢٢٣
(٢) القلقشندى : ضوء الصبح المسفر جـ١ ص٣٣٩
(٣) آل سلجوق : ص١٧
(٤) ابن الاثير : حوادث سنة ٤٥١هـ
(٥) المرجع السابق : حوادث سنة ٤٥٢هـ
(٦) راجع الملحق الخاص بمن تولى شحنة بغداد
(٧) ابن الاثير : حوادث سنة ٤٦٦ ـ ٤٦٨ ، ٤٨١هـ

يتصرف تصرفات تسبب غضب الخليفة ، كما حصل زمن شحنة بغداد «ايتكين السليماني» الذى استخلف ابنه عند مسيره الى السلطان وجعله شحنة بغداد ، فقتل أحد المماليك الدارية ، فانزعج الخليفة لذلك وطلب من نظام الملك الوزير السلجوقى عزله ، وأصر الخليفة على ذلك حتى عزل الشحنة[1] .

العميـــد :

ومن المناصب التى عرفت فى بغداد زمن السلاجقة ، منصب العميد ، وهو يعين من قبل السلطان السلجوقي وسلطاته على ما يبدو كسلطات المدير أو المحافظ فى عصرنا هذا ووظيفته ادارية ، الا ان هذا لا يمنع من تعاون الشحنة والعميد فى ادارة الولاية والوقوف جنبا الى جنب على رأس قوات حربية اذا ماحدث شىء يعكر صفو الامن ، ففى صفر من سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م ، ثارت فتنة بين السنة والشيعة فى بغداد وقتل جماعة ، منهم ، أبو الحسن المهندس الخطيب ، وكانت الوقعة بين جامع المنصور والقنطرة العتيقة ، تولى قتال اهل السنة ، العميد والشحنة ، ثم حاصرا الطائفتين أياما فلم يقدر أحد أن يظهر ، فجبى لهما مال تولى جبايته النقيبان ، نقيب السنة ونقيب الشيعة فتقدم أمير المؤمنين بالقبض على النقيبين ، فأنكر الخليفة ما فعلا فألزم العميد والشحنة ردّ ما اخذا[2] .

وسلطات العميد اوسع من سلطات الشحنة ، فالعميد يشرف على العراق بأجمعه بينما الشحنة يعين للاشراف على مدينة كبغداد أو البصرة ،

---

(١) ابن الاثير : حوادث سنة ٤٦٤هـ
(٢) المنتظم : جـ٩ ص٢٦ـ٢٧
ابن الاثير : حوادث سنة ٤٧١

وأول عميد في العراق من قبل السلاجقة ، ابو نصر أحمد بن علي ، وقد قتله البساسيرى عندما استغل هذا وجود السلطان طغرلبك في الموصل سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م ، وكان هذا العميد ذا شجاعة وهو الذى بنى رباط شيخ الشيوخ في بغداد[١] .

ونلاحظ ان المسؤولين السلاجقة كانوا كثيرا مايتوجهون نحو العراق والى بغداد بالذات للتعرف على أحوالها ومشاكلها ، فالسلطان السلجوقى والوزير والمستوفى وغيرهم من كبار الموظفين ينحدرون من الشمال ، من اقليم الجبال ويترددون على الولاية باستمرار أما لمتطلبات شؤون الحكم أو زيارة الاضرحة أو التمتع بترف بغداد ، فقد كان بهاء المدينة يستهويهم وخاصة في الشتاء ، ونلاحظ ايضا ان السلاجقة لم يتخذوا بغداد مقرا لهم وذلك على مانعتقد ، لوجود الخليفة فيها وعدم تعود السلاجقة على عادات أهل بغداد ، كما انهم كانوا في أول أيامهم يجهلون اللغة العربية ، اذ كانوا يتكلمون اللغة الفارسية والتركية ، لذا نراهم يتخذون من ايران مستقرا لدولتهم وباعتبار أنهم انفردوا بالزعامة فيها يتصرفون بها كيفما شاؤوا ، بينما لو ارادوا اتخاذ بغداد أو العراق مستقرا لهم لوجدوا الخليفة منافسا قويا لهم ، وهذا مما جعلهم يكتفون بنيابة احد موظفيهم في العراق يدير شؤونه ويرتب اموره .

وظيفـة السـاقى :

ومن الوظائف المعروفة في البلاط السلجوقى ، وظيفة الساقى وهى وظيفة مهمة ، يشرف صاحبها على مد الاسمطة التى تقام في المواسم والاعياد وعند استقبال سفراء الملوك ، كما كان الساقى يشرف على تقطيع اللحوم وتقديم المشروبات والماء أثناء الطعام وبعده[٢] .

---

(١) ابن الاثير : حوادث سنة ٤٥٠هـ

(٢) القلقشندى : جـ٥ ص٥٦٩

وظيفة الطشتدار :

ومن وظائف السلاجقة المعروفة ، (الطشتدار) ، وصاحب هذه الوظيفة مسؤول عن صب ماء الغسيل للسلطان • وطبيعي ان السلطان بحاجة الى من يساعده في صب الماء عند قيامه بالغسيل صباحا وقبل وبعد وجبات الطعام ، أو عند دخوله الحمام ، ومن المرجح ان الشخص الذي يختار لتلك المهمة من العناصر المقربة والمخلصة للسلطان ، ذلك لاهمية وظيفته وانفراده مع السلطان ، وممن ورد انه تولى ذلك المنصب (قتلغ) ، واورد الراوندي : وذات يوم كان السلطان (طغرل بن ارسلان) يتفقد القلعة ، ويعظ المسجونين ويزجرهم ، فعجل (قتلغ) الطشت دار بنهايتهم ، اذ بدأ يخاطب السلطان بسفه وبكلام غير لائق ، ويقول : اقطع هذه الرؤوس وضعها حيث شئت فطالما اردت ان افعل برأسك مثلما فعلت برأس ابيك ، ولكن حظك كان اقوى من ارادتي • فرد عليه السلطان قائلا : ماذا كان بينك وبين ابي ؟ لقد كنت عبدا ذليلا فاشتراك وقلدك الملك • فاجاب قتلغ : نقدني (علاء الدولة) بموافقة (الاتابك محمد) عشرة آلاف دينار ، وكلفني ان أعطي اباك شرابا ساما في الحمام أخذا بثأر اخته التي كانت زوجة لابيك، فنفذت ما اشار علي به • ولقد اردت ان افعل بك ما فعلته بابيك • فلما سمع السلطان هذه القصة اشتد غضبه ، وامر على الفور بقتل جميع المعتقلين ، فقطعت هذه الرؤوس جميعها نتيجة لهذا الحديث[1] •

ان هذه الرواية التي رواها الراوندي ، وان كانت تحمل شيئا من التناقض والمبالغة ، اذ من غير المعقول ان يصرح انسان بجريمة كبيرة ارتكبها ويستحق عليها التقطيع والتمزيق ، يُصّرح امام ابن المجنى عليه وهو السلطان الكبير ، اللهم الا اذا كان ذلك الانسان قد اصيب بلوثة في

---

(١) الراوندي : ص٤٨٨

عقله او خلل في اعصابه ، اجل ان هذه الرواية على علاتها فانها توحـــي باهمية ذلك المنصب ودرجة خطورته .

وظيفة العارض والادارة العسكرية :

وهناك وظيفة لها اهمية كبيرة في الدولة السلجوقية هي وظيفة متقلـد ديوان عرض الجيوش ، ورئيس هذا الديوان كان يسمى العارض[1] ، ووظيفته الاشراف على ديوان الجيش وتنظيم سجلات الجند وصرف مرتباتهـــم وتهيئة الجيوش وتسليحها وتموينها . اما قيادة الجيش فـــكانت لشخص يعرف (اسفهسالار) وهو الذي يتقدم الجيش في القتال ويخرج الـــى الحروب ، ويختار من ذوي الشكيمة ومن المعروفين بالقوة والشدة ومـن تفننوا بالفروسية والمبارزة ولهم تجارب كثيرة في القتال .

اما الجيش السلجوقي ، فقد كان في اول امره مجموعة القبائل التي كانت تحيا حياة الغزو والتنقل ، وتأصلت في السلاجقة صفات الحـــرب والخشونة والجلد ، لطول ممارستهم لحياة البداوة القبلية ، ويبـدو أن كل ملك من ملوك السلاجقة المنتشرين في العالم السلجوقي كان له جيش من القبائل المختلفة ، يقوم بتسليحه وتموينه ، واقطاع الجنود اقطاعـــات تكون بديلا عن الرواتب التي كان يتسلمها الجنود في العصـور السابقة ، اعني بها العصور العباسية ، وانخرطت في صفوف الجيش السلجوقي القبائل التركمانية ، وعمل سلاطين السلاجقة على بذل الاقطاعات لزعماء هـــذه القبائل التركمانية ، ليكونوا فيها شبه مستقلين كما سعوا الى جذبهم اليهـــم بشتى الوسائل او بتعليم ابناء زعمائهم وتحميلهم المسؤوليات خاصة الوظائف

---

(١) عباس اقبـال ص٣٢

العسكرية ، وجعلوا لهم احيانا قيادة بعض الحملات ، ومثال ذلك ان (أرتق) ، زعيم جماعة الدوغر من التركمان والذي منح اقطاعا بحلوان على حافة الجزيرة ، نظير خدمته السلطان ملكشاه في الاناضول والبحرين والجزيرة ، غير انه سرعان ما انحاز الى تتش بالشام بعد ان ناوأه العقيليون في الجزيزة، وخشي بأس ملكشاه فتولى حكم بيت المقدس بالنيابة عن تتش[1] • فالتركمان ارتبطوا في خدمة الدولة السلجوقية وكانوا عنصرا مهما من عناصر الجيش السلجوقي • وكذلك استخدم السلاجقة في جيشهم الاكراد ، وكذلك المماليك واستخدمهم لميزاتهم الحربية وتعودهم على القتال •

ويعود الفضل في تثبيت الاقطاعيات الحربية لجميع الجند السلجوقي الى نظام الملك الوزير السلجوقي الكبير ، وادرك ان الفرسان المدرجين بديوان الجند لم يوزع عليهم الا اقطاعات قليلة مبعثرة في سائر الاقاليم ، وعارض نظام الملك فكرة انقاص عدد الجيش السلجوقي البالغ تعداده سبعين الف جندي ، ويذكر العماد الاصفهاني : ان الملك قد اختل نظامه والدين قد تبدلت احكامه في اواخر دولة الديلم (البويهيين) واوائل دولة السلاجقة ، وقد خربت الممالك بين اقبال هذه وادبار تلك ، ولم يكن لاحد من قبل اقطاع ، فرأى نظام الملك ، ان الاموال لا تحصل من البلاد لاختلالها ، ولا يصح منها ارتفاع لاعتلالها ، ففرقها على الاجناد اقطاعا ، وجعلها لهم حاصلا وارتفاعاً ، فتوافرت دواعيهم على عمارتها ، وعادت في اقصر مدة الى احسن حالة من حليتها ، وربما قرر لواحد من الجند الف دينار في السنة فوجه نصفه على بلد من الروم ونصفه على وجه في اقصى خراسان ، وصاحب القرار راض[2] •

---

(١) آل سلجوق : ص٧٠/ابن الاثير : حوادث سنة ٤٧٧ وسنة ٤٧٩

(٢) العماد الاصفهاني : آل سلجوق ص٥٥

ويتبين من تاريخ السلاجقة ان نظام الملك الوزير السلجوقي كان اول من نفذ النظام الذي نسميه بالاقطاع الحربي ، فقد فرق هذا الوزير الاراضي على شكل اقطاعات على الجند ، لانه رأى ان تسليم الاراضي للمقطعين يضمن عمارتها ، لاعتناء مقطعيها بأمرها[1] .

وقد يتبادر الى اذهاننا ان الاقطاع كان موجودا في العصر البويهي ، كما عرفنا ان النظام الاقطاعى البويهى الغير المنظم سبب فوضى كبيرة فى الكيان العباسى ، ونظام الملك نفسه لم يعترف بوجود الاقطاع الحربى قبله كما انه لم يزعم بابتكاره ، ذلك لان الاقطاع البويهى لم يكن عاما شاملا ، ولم يشمل كل العسكريين ، وكان الاقطاع البويهى امتلاك الارض اما فى العصر السلجوقي فان طبيعة الاقطاع فيه ، هو ان حق المقطع يتعلق بخراج الارض لا بالارض ذاتها ، وليست له سيطرة على المشتغلين بها ، كما انه يخضع لسلطة الحكومة وعليه ان لا يسيء استعمال اقطاعه ، كما يجوز نزع الاقطاع من المقطع اذا لم يقم بالالتزامات المفروضة عليه ، وكان الاقطاع السلجوقى محدود الامد ، فالتعديلات التى اجريت فى العصر السلجوقى زمن نظام الملك ادت الى تنظيم الاقطاع واستهدفت ضمان عدم الاساءة فى استخدامه[2] ، لهذا نرى ان المقطعين كانوا يعملون جهدهم الى تحسين اقطاعاتهم وتنظيمها والاستفادة منها وتنفيذ جميع الالتزامات المفروضة عليهم كى يكسبوا رضا الحكومة ويستمروا فى استثمارها .

والنظام الاقطاعى هو الاساس الذى قامت عليه الملكية فى عهد السلاجقة فزعماء السلاجقة يعتبرون انفسهم زعماء اقوامهم ويرون ان حكمهم

---

(١) المقريزى : الخطط جـ١ ص١٥٣ـ١٥٤

(٢) نظام الملك : سياست نامة : ص٣٢

يمتد حيث ارتحل قومهم فليس مرتبطا او محددا بمساحة معينـــة من الارض ، وكان لكل قبيلة نصيبها من المراعى ويتولى زعيم القبيلة توزيعها على بطون القبيلة وفق ما ينطق به العرف والتقليد • واصبحت ايران قاعدة للسلاجقة ، وفى ايران تأصلت التقاليد والعادات الفارسية ، فمن الجائز جدا ان يكون السلاجقة قد تأثروا كثيرا بما عرف عن الفرس الساسانيين بالحكم الاستبدادى ، فاعتبر السلاجقة المملكة ضيعة للسلطان يمتلكها نيابة عن قومه ، واخذ يقطع اراضى تلك المملكة على اقربائه ومؤيديه ، وقـــد حرص بعض المُقطَعين ، ان تكون هذه الاراضى ملكا لهم بفضل ما حصلوا عليه من امتيازات تتعلق باقطاعاتهم ، ففى منشور من السلطان الب ارسلان لاحد ابنائه باقطاع (جيلان) و (خوارزم) ، طلب منه ان يسهر على مصالح السكان ، وان يراعى النظم المعروفة فى جميع الضرائب ، ونصح السكان بالتزام طاعته واعتباره مالكا لهذه الجهات[١] •

وهذا التنظيم الاقطاعى لا يتعارض مع الملكية الفردية ولا يمســها لانه يتعلق بخراج الارض دون الارض •

ورغم شدة سياسة نظام الملك وسهره على تطبيق القواعد الصحيحة من قبل المقطعين ، فان الذين تملكوا الاراضى صاروا يميلون الى الاستغلال ، وكل اقطاعى اعتبر اقطاعه ملكا وراثيـا ، واخذوا فى الاساءة للفلاحين ومعاملتهم بالشدة واستولى البعض على امـــلاك الآخرين ممـا أدى الى استشراء الظلم وانتشار الفساد[٢] •

---

(١) العماد الاصفهانى : آل سلجوق ص٥٥ـ٥٦

(٢) المرجع السابق : ص٢٣٤ وص٢٥٢ـ٢٥٣

ويبدو لى ، ان الوزير وهو الشخص المسؤول عن الاقطاعات ومراقبتها اصبح يغض النظر في بعض الحالات التي يتميز فيها الجشع الاقطاعى ، ذلك لان الوزير حسب القاعدة السلجوقية المعروفة ، انه يتناول راتبه بمقدار عشر ايراد الدولة راتبا ، اى ان الوزير يكون نصيبه عشر ما تحصل عليه الدولة من واردات الاقطاعات[1] ، فالمهم عند الوزير ان تزداد ايرادات الاقطاعات ليزداد راتبه ، وهذا بالطبع سيؤدى الى فوضى جديدة ، والى تحكم الاقطاعيين بالفلاحين مما يؤدى بدوره الى النفور والاستياء الشديدين والى اضعاف الروح المعنوية ومن ثم الى ضعف المجتمع العام السلجوقى .

الاتابكيات :

ومن مظاهر الحكم السلجوقى فى العالم الاسلامى ظهور نظام الاتابكية ، والذى هو فى الحقيقة نتيجة للسياسة التى اتبعها السلاجقة فى النظام الاقطاعى ، وقد انتشرت الاقطاعيات فى العالم السلجوقى خاصة بعد وفاة السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥هـ/١٠١٢م ، والاتابكية ، هى امارة يقطعها السلطان السلجوقى لاحد خواصه المقربين ، ولكننا نلاحظ ان اكثر مماليك السلاجقة كان لهم نصيب وافر فى الحصول على مناطق نفوذ ، وان الذين شيدوا الاتابكيات كانوا من بلاد القفجاق[2] ، وهؤلاء المماليك كانوا يُجلَبون من تلك البلاد ، ويربى البعض منهم فى قصور السلاطين السلاجقة ويرقى بعضهم الوظائف الحكومية ، وكان يستخدم معظمهم فى الجيش السلجوقى لما عرف عنهم من قوة البدن والنظام البدوى الذى كانوا يعيشونه ، وقد وصل بعضهم الى مراتب عليا في الجيش والبلاط[3] .

---

1. Lambton : p.p. 66-67.
2. Lane-poole : The Mohammadan Dynasties, 159
3. Curtin : The Mongols History, p. 93

ان نظام الملك بتعميمه النظام الاقطاعى العام بشكل كامل يكون قد استهدف امورا مهمة يمكن تلخيصها بما يلى :ـ

أ ـ انه اراد ان يخفف بعض المتاعب الادارية والحربية عن الحكومة المركزية ، اذ اصبحت بعض الاقطاعيات والتى عرفت بالاتابكيات ، مستقلة بتنظيم احوالها وصد الاعتداء اذا ماوقع عليها اعتداء ، والتوسع اذا مااقتضى الامر التوسع •

ب ـ ان نظام الملك ادرك ان معظم الجيش السلجوقى هو من القبائل المختلفة العناصر ، فأراد ان يجعل تلك الجماعات تعيش فى أراضى تقطع لها لترتبط بالارض وتشعر بشعور المواطنة •

ج ـ وباستقرار تلك الجماعات فى اراضى محددة يمكن السيطرة عليها ومن ثم تخفيف حركاتها في الغزو والمنازعات فيما بينها •

د ـ واستهدف امرا مهما آخر هو ان هذه الجماعات بسكناها تلك الاراضى الزراعية تجد نفسها مدفوعة الى استصلاح الارض وزراعتهـــا والاستفادة من خيراتها وبذلك تزدهر الحياة الزراعية التى كانت فى ذلك العصر ، قوام الحالة الاقتصادية •

ويمكن ان نخرج بنتيجة اخرى من استقرار نظام الاقطاعات ثم نظام الاتابكيات من بعده هى ان نظام الملك كان يستهدف اتباع نظام اشـراك الاقاليم فى حكم الدولة السلجوقية ، اى ان الولاية تحكم نفسها بنفسها مع ارتباطها بالمركز فى الشؤون المهمة والخطيرة ، على ان تسير تلك الاتابكيات طبعا وفق مصلحة الدولة السلجوقية وخدمة السلطان الكبير •

ومن اشهر الاتابكيات فى العـالم السلجوقى (اتابكية الموصل) ، ومؤسس هذه الاتابكية ، (عمادالدين زنكى آقسنقر) وهو من المـماليك

الاتراك ، تربى برعاية السلطان (ملكشاه) وقد اقطعه السلطان ، حلب واللاذقية وحماه ومنبج ، اضافة الى مدينة تكريت وقد ضمها عماد الدين الى ممتلكاته بعد وفاة السلطان ملكشاه[1] ، وقد كان لهذه الاتابكية اثر كبير في مناهضة الصليبين الذين اشعلوا في الاراضى الاسلامية حربا استمرت ما يقارب القرنين من الزمان ، كما انه انقذ الكثير من المدن الاسلامية من ايدى الصليبين واستطاع ان يستولى على حلب وينقذها من الوقوع تحت الحكم الصليبى سنة ٥٢٢هـ/١١٢٩م[2] .

ومن الاتابكيات المهمة ، (اتابكية دمشق) ومؤسسها (طغتكين) مملوك السلطان (تتش بن الب ارسلان) ، وكان طغتكين من قواد الجيش السلجوقى ، عينه (دقاق بن تتش) اتابكا على دمشق ، وقد استولى (نورالدين زنكى) ، على هذه الاتابكية سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م[3] . وكذلك (اتابكية سنجار) والتى اسسها (عمادالدين زنكى بن قطبالدين مودود) والمعروف بعمادالدين زنكى الثانى ، سنة ٥٦٦هـ/١١٧٠م[4] وظلت هذه العائلة تحكم هذه الاتابكية حتى استولى عليها الايوبيون فى عهد الملك الاشرف سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م[5] .

واسس (ايلدكز) ، (اتابكية اذربيجان) ، وكان هذا من عبيد السلطان (مسعود السلجوقى) ، اشتراه من القفجاق[6] ، وهذا الرقيق يبين بجلاء كيف يترقى احد هؤلاء القفجاق من درجة الخدمة الخاصة حتى يصبح

---

(١) ابن الاثير : تاريخ الدولة الاتابكية ص١١ـ١٨
(٢) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٢٢هـ
(٣) ابن الاثير : تاريخ الدولة الاتابكية ص١٨٨ـ١٩١
(٤) تاريخ الدولة الاتابكية ص٢٧٦
(٥) الكامل حوادث سنة ٦١٧هـ
(٦) Lane-Poole : The Mohammadan Dynasties p. 171

فى مناصب الدولة العليا ، فكان فى اول امره مستخدما فى مطبخ السلطان (مسعود) ، والظاهر انه كان من ذوى المواهب ويتمتع بشخصية قوية حتى اصبح من الذين يتسنمون المناصب في البلاط السلجوقي[١] ، ثم ولاه السلطان (مسعود) ولاية مدينة (اران) ، واخذ يوسع نفوذه حتى شمل معظم منطقة (اذربيجان) ، وصار يزداد قوة وسعة ، حتى بلغ حدود نفوذه من (باب تفليس) الى (مكران)[٢] ، الا ان خلفاء ايلدكز لم يتمكنوا من الحفاظ على ذلك النفوذ الذى اخذ يتقلص حتى اقتصر على (اذربيجان) ، وقد قضى على هذه الاتابكية ، (جلال الدين منكبرتى)[٣] •

وهناك اتابكيات كثيرة منتشرة فى العالم السلجوقى ، مثل (اتابكية لورستان) و (اتابكية اربل) و (اتابكية ديار بكر) و (اتابكية ارمينية) و (اتابكية الجزيرة) و (اتابكية فارس) و (اتابكية كرمان) •

ومن الملاحظ ان هـذه الاتابكيات كانت تتقوى وتتوسع بسبب المنازعات والخصومات بين السلاطين السلاجقة ، وبسبب ضعف الخلافة العباسية • ان وجود هذه الاتابكيات وما دب فيها من ضعف بمرور الزمن ، زاد فى ضعف الدولة السلجوقية كما سبب لها المتاعب الكثيرة ، كما ان معظم الاتابكة ، كثيرا ما يحاولون التوسع على حساب امارة مجاورة او يتدخلون فى النزاع الذى قد يحصل بين ملك وملك او سلطان وسلطان من السلاجقة كما لمسنا ذلك خلال المخاصمات التى حدثت بين السلاطين السلاجقة •

واخيرا فان السياسة التى ابتدعها نظام الملك فى الاقطاع الحربى

---

(١) Malcolm : the history of persia, vol i, p. 231

(٢) الكامل : حوادث سنة ٥٦٨هـ

(٣) Malcolm : vol i, p. 232

الكامل شجع الأمراء المُقطَعين على الاستقلال والانفصال نهائيا عن الدولة السلجوقية ، وهذا من شأنه بالطبع ان يؤدى الى ضعف الدولة العـــام سياسيا واقتصاديا وحربيا ، وصار الاتابكة يتخذون الالقاب لانفسهم[1] ، وبمرور الزمن وبضعف السلاطين السلاجقة بسبب الخصومات المستمرة ، قوى نفوذ الاتابكة وابتعدوا عن الادارة المركزية السلجوقية ولكن لا بد لنا من ان نقر ان نظام الاقطاع كان له اثره البالغ فى النجاح ، فى بداية نشوء الدولة ، مادام السلاطين السلاجقة اقوياء ، ولم تكن هنـــاك بوادر الانقسام الخطير ، كما ان الحكام السلاجقة كانوا فى مراقبة مستمرة للذين اقطعوا ، كما ان من سياسة نظام الملك عدم تقوية اى اقطاع حتى لا يكون خطرا فى المستقبل وكان يبعثر اقطاعات الامراء ، كى لا يتركزوا فى اقطاع واحد كبير ، ونكرر هنا رواية العماد الاصفهانى « وربما قرر لواحد من الجند الف دينار فى السنة ، فوجه نصفه على بلد من الروم ونصفه على وجه فى ارض خراسان وصاحب القرار راض »[2] .

ولكن هذه السياسة كما ذكرنا ، أدت بمرور الزمن عكس ما كان يرجوه نظام الملك والسلاجقة المخلصون ، فقد شجعت هـذه الاقطاعات الكبيرة على انسلاخ الاجزاء الكبيرة واستشـــراء المطامع وزيادة التنافس والتنازع على الاقطاعيات كما سبب افلاس الدولة واستقلال المقاطعات التى ظلت تشتد حتى خنقت الدولة المركزية واودت بها الى السقوط والانهيار .

(١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص٢٨٤
(٢) آل سلجوق : ص٥٥

الفصل السادس

التعليـــم
والحركة المدرسية
في العصـــر الســلجوقي

بناء المدارس والمساجد والربط • تشييد المدرسة النظامية • تشييد مدرسة ابى حنيفة • سياسة السلاجقة التعليمية • نظام الملك ينشر المذهب الشافعى • الصراع بين المذاهب • نظام الملك يحارب المذهب الشيعى • تأسيس المدارس لمحاربة الافكار المناوئة للمذهب الشافعى • حاجة الدولة الى الموظفين • التوجيه الدينى وتأثير المدارس فى ذلك • مدارس نظام الملك • السياسة العامة فى تأسيس المدارس • التدريس فى النظـامية • وصف محاضرة فى المدرسة • عدد طلاب المدرسة • تعيين الطالب معيدا • خزانة الكتب فى المدرسة • اثر النظامية فى نشأة المدارس • المساجد تؤدى دورها فى التعليم • الربط واثرها فى نشر الثقافة والتعليم • القراءة والتحدث فى الربط • الموسيقى والغناء فى الربط • الخلاصة •



للسلاجقة آثار تاريخية في العراق ، قام بتشييدها السلاطين والوزراء وكبار رجال الدولة ولعل من اشهر الاعمال الجليلة التي قام بها السلاجقة ببغداد بناؤهم المساجد والمدارس والربط ، واول مدرسة شرع في بنائها ببغداد ، هي المدرسة الخالدة الذكر «النظامية» شيدها الوزير السلجوقي نظام الملك[(١)] ، ويقول «دونالد ولبر» ان نظام الملك قام بمجهودات متواصلة لترويج العلم ، ونشر الثقافة الدينية[(٢)] ، فبنى سلسلة من المدارس سميت بالمدارس النظامية[(٣)] ، الا ان هذا الكاتب زعم بعد ذلك بقوله « يبدو انها كانت اولى المنشآت المدنية وغير الدينية ، نشر التعليم في العصر الاسلامي ، وقد انشئت اولاها في دمشق عام ٤٥٨هـ/١٠٦٥م[(٤)] » . من المحقق ان (المدرسة النظامية) لم تكن اول المدارس في الاسلام ، فقد كانت (المدرسة البيهقية) بنيسابور قبل ان يولد (نظام الملك) ، و(المدرسة السعدية) بنيسابور ايضا بناها الامير (نصر بن سبكتكين) ، ومدرسة ثالثة بنيسابور بناها (ابو سعيد اسماعيل بن علي) ، ومدرسة رابعة بنيسابور بنيت لابي اسحق الاسفراييني[(٥)] ، ولا نكاد نجيز قول الاستاذ ولبر ان هذه المدارس مدنية بل انها كانت استمراراً للتعليم الديني القديم مع فارق واحد هو البناء ذو التخطيط المدرسي الخاص والمساكن ودفع الاجور للمدرسين والطلاب.

ومن الجدير بالذكر « ان اهمية عمل نظام الملك ترجع الى كونه بداية عصر جديد من الازدهار المدرسي اذ اصبح السلطان ورجال الطبقة

---

(١) وفيات الاعيان حـ١ ص٣٩٦

(٢) تصرفنا في النص لانه ذكر (نشر الدين) ذلك لان الاسلام كان قد نشر في العراق وغيره من الاقاليم قبل دخول السلاجقة .

(٣) دونالد ولبر : ايران ماضيها وحاضرها ص٦٠ ترجمة د. عبدالنعيم حسين

(٤) المرجع السابق : ص٦٠

(٥) السبكي : طبقات الشافعية جـ٣ ص١٣٧

العالية مولعين بتأسيس المدارس وان تكون المدرسة كما انشأها نظام الملك وما جعل بها من مساكن للطلبة ، اصبح فيما بعد نموذجا يحتذى به فى سائر المدارس التى انشئت فى الازمان التالية[١] » .

وقد انفق (نظام الملك) فى بنائها مئتى ألف دينار ، وكتب عليها اسمه وبنى حولها اسواقا تكون محبسا عليها وابتاع ضياعا وحمامات ومخازن ودكاكين اوقفها عليها[٢] ، وقال عنها ابن جبير : والمدارس بها (اى بغداد) نحو الثلاثين وهى كلها بالشرقية وما منها مدرسة الا ويقصر القصر البديع عنها واعظمها واشهرها (النظامية)[٣] .

وشيد العميد (شرف الملك ابو سعد) المستوفى مدرسة ، عندما زار (بغداد) فى الثامن عشر من صفر سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م[٤] ، وقد لاحظ ان العمل قائم لتشييد المدرسة النظامية لتكون مدرسة خاصة بالشافعية ، فدفعه حماسه المذهبي الى تشييد مدرسة للحنفية بجوار ضريح الامام الاعظم (ابى حنيفة) (رض) ، وانتهى العمل بصورة سريعة وفتحت للتدريس قبل المدرسة النظامية بأيام[٥] . كما بنيت فى هذا العصر المدرسة (البهائية) وكانت قريبة من النظامية[٦] ، وكذلك المدرسة (التاجية) المنسوبة الى تاج الملك ابى الغنائم بن خسرو فيروز[٧] ، الذى قتل سنة ٤٨٥هـ/

---

(١) Encyclopeadia of Islam, Art Masjid. p. 354

(٢) الطرطوشى : سراج الملوك ص١٢٨

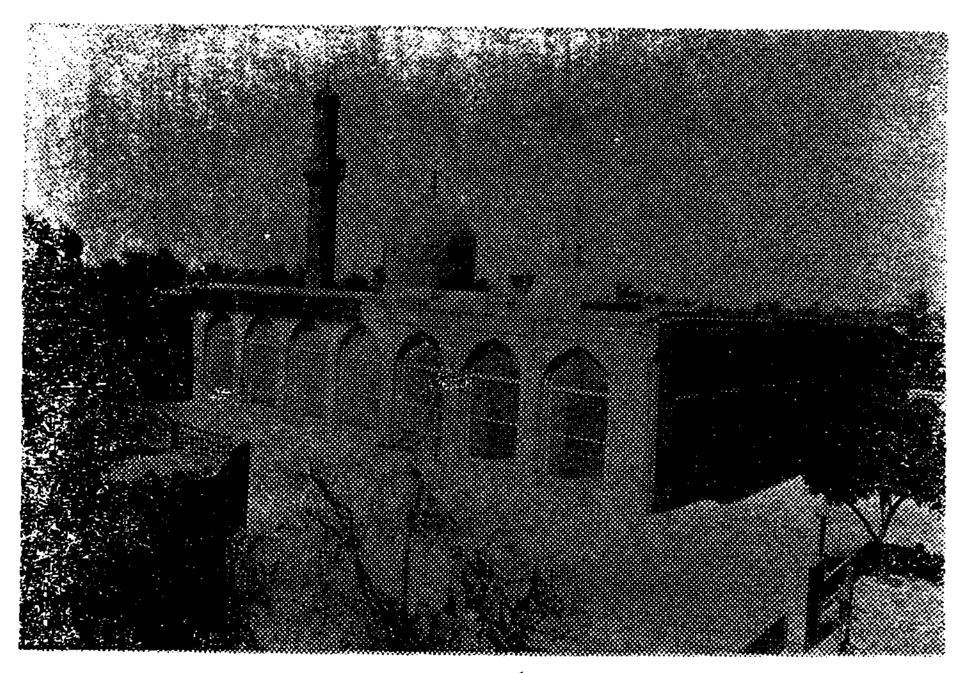
(٣) ابن جبير : الرحلة

(٤) المنتظم جـ٨ ص٢٤٥ ابن الاثير : حوادث سنة ٤٥٩هـ

(٥) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ورقة ١٠٩

(٦) ابن الدبيثى : المختصر المحتاج اليه جـ١ ص١١٦ (ونسبت هذه المدرسة علىمايرجع الى القائد بهاء الدولة)

(٧) ياقوت : معجم البلدان جـ١ ص٨١٠



شكل – ٤ –

مشهد ابى حنيفة /شيدت بجواره مدرسة للحنفية سنة ٤٥٩هـ

١٠٩٢م[١] ، وكان (تاج الملك) صاحب خزانة السلطان ملكشاه والناظر في امور دوره[٢] وغيرها من المدارس التى شيدت في بغداد وغيرها من المدن العراقية كالموصل والبصرة[٣] .

يعتبر العصر السلجوقى ، عصر انطلاقة الحركة المدرسية فى الاسلام، خاصة بعد أن تولى نظام الملك الوزارة ، كما نلاحظ ان بدء تشييد المدارس وتسابق المسؤولين فى تأسيسها يبدأ منذ سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٧م حيث كانت

---

(١) المنتظم : جـ٩ ص٧٤
(٢) الحسينى : اخبار الدولة السلجوقية ص٦٧
(٣) راجع الملحق الخاص بالمدارس التى شيدت فى هذا العصر

بغداد والعراق تحت حكم السلاجقة ، وكان الوزير (نظام الملك) الشخصية القوية المتنفذة في الدولة السلجوقية .

ان السياسة التعليمية التي انتهجها السلاجقة كانت سياسة تتطلبها واقعية الظروف السياسية العامة وقتذاك ، وان نظام الملك الذي يعتبر المسؤول الاول في توجيه سياسة الدولة لا بد وان يكون قد استهدف من سياسته في نشر التعليم ، غاية تخدم مصالح الدولة السلجوقية خدمة ذات نتائج مفيدة لها ، واننا لو امعنا النظر في تاريخ العصر الذي نشأ فيه الوزير نظام الملك ، لوجدناه عصرا يموج بالحركات الجبارة التي أخذت تقض مضاجع المسؤولين ، وكانت الخلافة العباسية ، قد ضعفت وكثر الدعاة وتكالب الزعماء على السلطة وأورثوا الشرق فوضى مابعدها من فوضى .

ومن المعروف ان السلاجقة كانوا سنة ومذهبهم ، المذهب الحنفي[1] ، وجدير بالذكر ان البويهيين الذين حكموا العراق من سنة ٣٣٤-٤٤٧هـ ١٩٤٦-١٠٥٥م ، كانوا شيعة متطرفين ، عملوا على اضعاف الخلافة العباسية السنية ، واضاعوا هيبتها وشجعوا على نشر كثير من معتقداتهم الشيعية ، وبفضل رعايتهم لتلك المعتقدات ظهرت الافكار الشيعية حرة طليقة في رائعة النهار[2] ، وبلغ التشيع درجة كبيرة ، عندما تمكن القائد الشيعي الثائر البساسيري من دخول بغداد والخطبة باسم الخليفة الفاطمي (المستنصر) سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م ، على منابر بغداد وادخل عبارة الفاطميين المألوفة في الآذان «حي على خير العمل»[3] ، وهو الجزء من الآذان الذي لا يزال يطلقه المؤذنون من على مآذن المساجد الشيعية .

---

(١) مرآة الزمان : ص١٥٠٦ مخطوط بدار الكتب الوطنية بباريس
السبكي : طبقات الشافعية جـ٢ ص٢٦٩

(٢) جولد تسيهر : العقيدة والشريعة ص٢٠٣

(٣) ابن الاثير : حوادث سنة ٤٥٠هـ ، المنتظم جـ٨ ص١٩٢

وكان نظام الملك شافعيا اشعريا ، أى من الناصرين والمؤيدين لمذهب أبى الحسن الاشعرى ، المتوفى سنة ٣٢٤هـ/٩٣٦م ، وكان الاشعرى من المعتزلة ومن تلامذة الجبائى المعتزلى ، ولكنه انفصل عن فرقة المعتزلة وصار يؤيد اهل السنة فى تفكيرهم ، واصبح مذهبه فى الوعد والوعيد والاسماء والاحكام والسمع والعقل مخالفا للمعتزلة من كل وجه ، وكان يقول : الايمان هو التصديق بالقلب أما القول باللسان والعمل على الاركان ففروعه[1] ، وكانت لآراء ابى الحسن الاشعري الاثر الكبير في دحر المعتزلة وانتصار مبدأ اهل السنة ، كما كان للغزالى الفقيه الشافعى الكبير الآثار البعيدة في اضعاف المعتزلة وتوقف نشاطهم .

وكانت الشافعية والاشاعرة بشكل خاص فى حرب مع الشيعة ، كما كانت الشافعية فى صراع مستمر مع الحنفية ، ولكنى أرجح ان الصراع الذى كان بين الشافعية والحنفية كان شكليا ويكاد ينحصر فى اختلاف فهم الاحكام الفقهية وتفسيرها ، وفي اسلوب تطبيقها ، ولكن العداء بين الشيعة والاشاعرة بشكل خاص وبين السنة والشيعة بشكل عام ، فقد كان على ما يبدو صراعا أشبه ما يكون بالصراع العقائدى ، صراعا ينتظر منه انتصار رأى على رأى ، ذلك الصراع الذى اساء الى وحدة الصف الاسلامى وادى الى فرقة المسلمين وتشتيت كلمتهم .

لقد حمل نظام الملك لواء الحرب على الشيعة وشن عليهم حملات واسعة ، وكان التعليم من اهم الوسائل التى اعتمد عليها فى محاربة التشيع ، والواقع ان هذه الوسيلة كانت أمرا لا بد منه لمناهضة مبادىء الشيعة والمعتزلة التى اخفتت صوت المذاهب السنية طيلة القرنين الرابع والخامس الهجريين ، وعلى الرغم من ان الطبقات المثقفة والارستقراطية ظلت محافظة

---

(١) الشهرستانى : الملل والنحل جـ١ ص١٣٢

على عقيدتها السنية الا ان العامة والطبقات الشعبية كانت كثيرا ما تميـــل وتؤيد الدعوة الشيعية والتى كان اساس مبدئهـــا اعادة الحق الى اهله ، والدفاع عن الضعفاء والجهاد من اجل ان تســـود العـدالة فى المجتمع الانساني • وقد أظهر دعاة الشيعة بشكل عام والاسماعيلية بشكل خاص نشاطا كبيرا فى كسب اعداد وفيرة من النـــاس على مختلف جنسياتهم وعناصرهم ، ونجحوا فى ذلك نجاحا بعيدا ، وفى ذلك يقول الغزالى : وانهم افلحوا فى استدراج العوام وضعفاء العقول(١) ، ومن الطبيعى ان ينعت الغزالى المتشيعين ، بالعوام وبأنهم ضعفاء عقول ، ذلك لان الغزالى كما نعرف كان شافعيا اشعريا ومناهضا للمذهب الشيعى •

وازاء ذلك النشاط الشيعى واستفحال خطر البـــاطنية فى العصر السلجوقى ادرك نظام الملك اثر وخطر ذلك فى مستقبل الدولة السلجوقية السنية ، فكان لابد وان يقوم بحركة قوية تناهض الحركات الشيعية عامة والباطنية بشكل خاص ، حفاظا على كيان الدولة ، وتوجيه رعيتها وجهة تتفق ومصالح حكامها ، لذا بادر فى انشاء امكنة لنشر نوع خاص من المعرفة فيه اصلاح الفرد واعداده لخدمة الدولة ، أو اعداده لقبول سلطتها واطاعة قوانينها ، تلك الامكنة هى التى عرفت بالمدارس (النظامية) •

ولعل من الاسباب التى حملت نظـــام الملـك الى تأسيس المدارس النظامية ، حاجة الدولة الى الموظفين من قضاة وعمال وكتاب ، يتخرجون من مدارس منهجية ، يتفهمون عقـائد الدين الرســمى ويتعودوا الطاعة والنظام ضمن مناهج الدرس ، وبذلك يكون نظام الملك قد ضمن الموظفين الاكفاء الذين يطيعون اوامره ، ويطبقون قوانين الدولة بنزاهة واخلاص ، والجدير بالذكر ، ان من شروط القبول فى المدرسة النظامية ، ان يكون الطالب

---

(١) الغزالى : المنقذ من الضلال ص١٩

شافعيا اصلا وفرعا[1] ، وقد انتشر طلاب المدرسة النظامية فى العالم الاسلامى وتولوا الوظائف المختلفة ، قال (ابو اسحق الشيرازى) ، من اوائل مدرسى المدرسة النظامية ببغداد : لما خرجت فى رسالة الخليفة المقتدى الى خراسان ، لم ادخل بلدا ولا قرية الا وجدت قاضيها او خطيبها من تلامذتي[2] • وهذا يؤيد ما ذهبنا اليه من أن المؤسس لهذه المدارس النظامية كان قد استهدف الحصول بعد مدة من الزمن ، على عدد كبير من الخريجين ممن تثقف بثقافة مرسومة ، الغاية منها خدمة جهاز الدولة وتطعيمه بعناصر فتية قوية تشعر بشعور الدولة وتطيع قوانينها وانظمتها ويعملون على نشر مبادئها وتثبيت سلطانها •

وهناك عامل آخر من المرجح انه كان من الدوافع التى حملت الوزير نظام الملك الى تأسيسه المدارس النظامية ، ذلك انه اراد من مقاومته للباطنية وانشائه للمدارس توجيه الناس وجهة دينية ترضى اصحاب المذهب السنى ، وتعمل على توحيد عقائدهم ، وقد كان نظام الملك اعجميا ، من شعب عريق الثقافة ، والسلاجقة اعاجم ، حديثو عهد بالثقافة الاسلامية فما احوج هؤلاء جميعا الى رضا الناس عنهم وعن حكمهم ، فليس هناك شك انه لا طريق اضمن للتوجيه وتوحيد المعتقد غير انشاء المدارس لتحقيق تلك الغاية • والعناية بالمدارس مصدرها ان التعليم هو الوسيلة الوحيدة الفعالة لتوحيد المذاهب على اساس ان القوة سبيل لا يوصل فى حال من الاحوال الى الوحدة العقائدية •

انشأ نظام الملك مدارس عديدة فى مدن كثيرة ، ببغداد والبصرة وبلخ ومرو وامل والموصل ونيسابور وهراة واصفهان ، وقيل انه انشأ

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم جـ٩ ص٦٦
(٢) العماد الحنبلى : شذرات الذهب جـ٣ ص٣٥٠

في كل مدينة في العراق وخراسان مدرسة[1] • ويفيد هذا النص المهم ان المدارس التى ذكرت بالاسم هي المدارس المشهورة فقط •

ومن اشهر تلك المدارس وابعدها اثرا فى نشر الثقافة والتعليم المدرسة النظامية ببغداد ، والتى شرع ببنائها سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٥م وافتتحت للتدريس فى ذى القعدة سنة ٤٥٩هـ[2] ، واحتفل بافتتاحها احتفالا كبيرا[3] •

السياسة العامة فى تأسيس المدارس

فالسياسة العامة من انشاء المدارس فى العصر السلجوقى ، النظامية بشكل خاص ، ترمى الى هدف هو توحيد كلمة اصحاب المذهب السنى عامة ، وتقوية المذهب الشافعى بوجه خاص وهو المذهب الذى اخذ على عاتقه فى العصر السلجوقى مهمة المحافظة والدفاع عن فكرة اهل السنة ، ومحاربة الافكار الشيعية ، وتخريج دفعات من الطلبة المثقفين المشبعين بفكرة الدولة السلجوقية وبمبادىء المذهب الشافعى وتعيين اولئك الخريجين بالوظائف الرسمية كقضاة وكتاب ووعاظ وأئمة مساجد وخطباء ومدرسين وغيرها من الوظائف الاخرى •

وقد نجحت فكرة نظام الملك وادت مدارسه واجبها بشكل مرضى وكانت لها نتائج بعيدة في تقوية المذهب الشافعي ، كما خدمت الثقافة العربية الاسلامية خدمة طيبة ، حيث تخرج في تلك المدارس الكثير من الطلاب

---

(١) السبكى : طبقات الشافعية جـ٣ ص١٣٧
(٢) ابن الجوزى : المنتظم جـ٨ ص٢٤٥
ابن الاثير : حوادث سنة ٤٥٧هـ
(٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ١ ص١٨٠

النابغين من الذين كان لهم شأن كبير في حقول الآداب والعلوم ونذكر على سبيل المثال لا الحصر ، بعض الذين كانوا من طلبة المدرسة النظامية وتفقهوا فيها ، امثال (ابي القاسم علي بن الحسن بن عساكـــر الدمشـــقي)[1] ، و (العماد الاصفهاني) الكاتب المشهور ، الذي تفقه على (الشيخ ابى منصـــور محمد بن عبدالملك) وغيره من اعلام المدرسين[2] ، و (بهاء الدين بن شداد) ومن اشهر من تتلمذ عليه في المدرسة النظامية (الشيخ رضى الدين القزويني) المدرس بالنظامية[3] ، و (كمال الدين ابى البركات بن ابي سعد الانباري) النحوي المشهور[4] ، و (ابن تومرت محمد بن عبدالله) المنعوت بالمهدي ، وقد رجع الى بلاده بعد أن تفقه في المدرسة النظامية[5] ، وغيرهم كثيرون تخرجوا من هذه المدرسة وكان لهم اثر كبير في الميادين الثقافية والاجتماعية والسياسية .

ومن الجدير بالذكر ان نظام الملك الذي حاول ارضـــاء طائفته في تفضيل المذهب الشافعي على جميع المذاهب الاسلامية ، فهو بذلك اوجـــد ثغرة كبيرة في تفريق الصف الاسلامي كما كانت مقاومته للمذهب الشيعي عاملا من العوامل المهمة في اضعاف الدولة السلجوقية ، وفي احياء المنازعات الطائفية التي فَتَّتَت وحدة المسلمين ، ونرى ان نظام الملك في حربه للباطنية كان محقا بل حصل على تأييد كافة المسلمين وعطفهم ، ذلك لان الباطنية غلو لا ترتضيه الشيعة الامامية المعتدلة والتي تمثل معظم اصحاب المذهب الشيعي في العالم .

---

(١) السبكي : طبقات الشافعية جـ٤ ص٢٧٣ـ٢٧٤
(٢) وفيات الاعيان : جـ٢ ص٩٧
(٣) المرجع السابق : جـ٢ ص٤٦٦ـ٤٦٧
(٤) ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب مخطوط ورقة ١٩٧
(٥) ابن الاثير : حوادث سنة ٥١٤
ابن خلكان : جـ٢ ص٥٠

التدريس في النظامية :

لقد عرفنا ان المدارس النظامية انشئت في عصر كان يمـــوج بالآراء المختلفة والافكار المتنوعة ، التي كان لها الاثر الكبير في عقول الناس عامـــة والعوام بصورة خاصة ، لذا كان هدف نظام الملك التأكيد في مواضيـــع الدراسة على افهام الناس عامة ومنتسبي النظامية خاصة ، اصول الـــدين الصحيحة ولما كان نظام الملك شافعيا ، كان يرى أن يدرس الفقه والاصول المستمدة من افكار وآراء الشافعية ، وكان من شروط النظامية ان يـــكون المدرس بها والواعظ ومتولى الكتب من الشافعية اصلا وفرعا[١] .

من الملاحظ ان السلاجقة معظمهم من اتباع المذهب الحنفي والسلطان السلجوقي نفسه كان حنفيا ولكننا نلمس في هذا العصر ، شدة نفوذ الوزير نظام الملك فكونه شافعيا جعل مدارسه المنتشرة في العالم الاسلامي تهتـــم وتؤكد في قبولها للطلاب وتعيينها للمدرسين وبرامج تعليمها وفق المـــذهب الشافعي ، كما شيدت مدارس كثيرة في هذا العصر كانت خاصة بالفقهـــاء الشافعية ، وبامكاننا ان نقول ان هذا العصـــر هو عصر ازدهار المـــذهب الشافعي في المشرق كما سيكون عصر ازدهار المذهب نفسه في مصر على عهد صلاح الدين الايوبي .

والتعليم في المدارس لم يكن الا امتدادا لحركة التعليم في المساجـــد لذا نرى ان التعليم في اول امره في مدارس نظام الملك ، كان قائمـــا عـــلى تلقى العلوم الدينية واللغوية ، وهذا على ما أرجح كان استجابة لـــروح العصر الذي شيدت من اجله المدرسة النظامية ، فكان اهتمام المدرســـة كبيرا في تدريس ونشر وتطبيق الفقه الشافعي وتدريس القرآن والحـــديث

(١) المنتظم : جـ٩ ص٦٦

والآداب واللغة ثم اخذت هذه المدرسة تتوسع يوما بعد يوم في ادخال مواضيع جديدة •

ومن اهم ما نلاحظ في نظام التدريس في المدرسة (النظامية) ، انها عنيت عناية كبيرة في موضوع الاختصاص ، أي ان المدرسة لا يقوم بتدريس الموضوع فيها الا من عرف في كبير اختصاص بذلك الموضوع ، فقد كان يشغل كرسي موضوع النحو ، الاديب واللغوي المشهور (ابو زكريا التبريزي) ، ولما توفي التبريزي سنة ٥٠٢هـ/١١٠٨م[١] ، عهد بتدريس الموضوع الذي شغر بوفاته الى النحوي الكبير ، (علي بن محمد الفصيحي)[٢] ، وكان هذا من ابرز طلاب الشيخ (عبدالقاهر الجرجاني) البلاغي المشهور ، وعرف بالفصيحي لكثرة دراسته لكتاب (الفصيح) لثعلب ، وقد توفي الشيخ (الفصيحي) سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م •

وكان العلماء يرغبون ويتمنون تولية التدريس في هذه المدرسة لعلو مكانتها وكبير شهرتها ، ولكونها تابعة للجهات الرسمية والتي على ما يبدو كانت تجزل الرواتب بالمشاهرات والمنح الدورية للمدرسين والوعاظ والموظفين في المدرسة النظامية ، وقد ظهر من العلماء من أبدل مذهبه في سبيل أن يتولى وظيفة التدريس فيها • فقد ورد ان (المبارك) الملقب بالوجيه النحوي ، كان متفقها حنفيا ، ولما شغر منصب تدريس النحو بالمدرسة النظامية ، وكما ذكرنا ان شرط الواقف ان لا يفوض التدريس في المدرسة الا الى شافعي المذهب ، لذا انتقل ابو المبارك النحوي الى مذهب الامام

---

(١) معجم الادباء : جـ١٩ ص٢٧
(٢) المرجع السابق : جـ١٥ ص٦٧

الشافعي ، وتولى تدريس موضوع النحو في المدرسة النظامية[1] . وفي تلك الحادثة سطر الشاعر (ابو البركات بن زيد التكريتي) ، الابيات التالية :

ومن مبلغ عني الوجيه رسالة
وان كان لا تجدى اليه الرسائل
تمذهبت للنعمان بعد ابن حنبل
وذلك لما اعوزتك المآكل
وما اخترت قول الشافعي تدينا
ولكنما تهوى الذي منه حاصل
وعما قليل انت لاشك صائر
الى مالك فأفطن لما أنا قائل

وبالطبع كان لكل موضوع في المدرسة شيخ مختص بتدريسه ، فكان هناك استاذ اللغة واستاذ للتفسير وآخر المحديث وغيرها من المواضيع التي تدرس في النظامية .

وقد زار (ابن جبير) المدرسة (النظامية) ، وحضر بعض دروس مشايخها وقد اعطانا صورة واضحة لمحاضرة حضرها في الخامس من صفر سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م .

قال ابن جبير « واول من شاهدنا مجلسه منهم الشيخ الامام رضى الدين القزويني رئيس الشافعية ، وفقيه النظامية ، والمشار اليه بالتقديم في العلوم الاصولية ، حضرنا مجلسه بالمدرسة المذكورة اثر صلاة العصر من يوم الجمعة[1] ومن الطبيعي ان المدرس كان يجلس على مكان عال وهو متطيلس (اي يرتدي الطيلسان) ، والطريقة المتبعة ان الطلاب يجلسون

(١) ابن جبير : الرحلة ص١٧٤

امام الشيخ على شكل نصف حلقة ، ويبدأ الطلاب بالقراءة ، « وكانـــوا يقرأون بتلاحين معجبه ونغمات محرجة مطربة[1] » ومن ثم يبدأ الشيخ بتفسير الدرس « ويتصرف في افانين العلوم من تفسير كتاب الله عزوجل وايراد حديث رسوله « صلى الله عليه وسلم » والتكلم على معانيه[2] .

يبدو ان الدرس الذي حضره (ابن جبير) كان درس تفسير القرآن ، وبعد ان ينتهي الطلاب من تلاوة الواجب المقرر وبعد ان يشرح الشـــيخ المقصود من الموضوع ، ويستعين على تفسير القرآن بالاحاديث النبويـــة ، ومستشهدا بآراء السلف وكبـار العلماء والتكلم على معانيها ، يبـادر الطلاب بتوجيه الاسئلة في المشاكل التي يراد فهمها وبعد ان تنتهي الاسئلة ، يبـدأ الشيخ بالاجابة على ما قدم اليه من الاسئلة التحريرية بقصاصات من الورق يجيب عليها الواحدة تلو الاخرى ، وفي ذلك يقول ابن جبير : « ثم رشقت شآبيب المسائل من كل جانب فأجاب وما قصر ، وتقدم وما تأخر ، ودفعت اليه رقاع فيها فجمعها جملة في يده وجعل يجاوب على كل واحدة منهـــا وينبذ بها الى ان فرغ منها وحان المساء فنزل وافترق الجميع ، فكان مجلسه مجلس علم ووعظ ، وقورا هينا ، ظهرت فيه البركة والسكينة[3] .

وكان مجال المناقشة مفتوحا امام الطلاب وكان الواحد منهم لا يقنع بمجرد السماع بل يعتني بالدراية والبحث والسؤال والمناقشة ، ليتمـكن من فهم جميع المسائل العلمية ، وكانت للمناقشة بين الاستاذ وطلابه آداب خاصة ، تكفل للاستاذ وقاره وهيبته ومكانته ، كما تحقق للطالب طريـــق الفهم والتعلم ، يقول الزرنوجي : « اعلم ان طالب العـلم لا ينال العـــلم ولا ينتفع به الا بتعظيم العلم واهله وتعظيم الاستاذ وتوقيره[4] ، ومن الآداب

---

(١) ابن جبير : الرحلة ص١٧٤
(٢) المرجع السابق والصفحة
(٣) المرجع السابق والصفحة
(٤) الزرنوجي : تعليم المتعلم ص١٨

التبعة في التعليم « ان لا يمشي الطالب امام استاذه ولا يجلس مكانه ولا يبتدىء الكلام عنده الا باذنه ولا يكثر الكلام عند ملالته ويراعى الوقت[1] » ويقول ابن عبد البر كلاما مقاربا للزرنوجي : « ان من حق العالم ان لا تكثر عليه بالسؤال ولا تعنته في الجواب والا تلح عليه اذا كسل ولا تأخذ بثوبه اذا نهض[2] » كما يجب على الاستاذ ان يحترم تلميذه ولا يهزأ برأيه » ولا يزدرى المساكين من طلابه ولا يختزن علمه[3] .

اما عدد الطلاب في المدرسة النظامية فلم يكن محددا كما ان هيئة المدرسة لم يرد في الاخبار التاريخية التي عثرنا عليها ، انها حددت عدد الطلاب ، بل كان القبول مفتوحا امام كل شافعي ، كما كان للطالب حق اختيار الاستاذ الذي يحضر دروسه ويستمع اليه ، لذا نلمس بعض اختلاف اعداد الطلاب الحاضرين عند بعض الاساتذة ، فالبعض يحضر حلقته عشرة طلاب والآخر تتكون حلقة درسه من مئات الطلبة ، وهذا على ما نرجح يعود الى شهرة الاستاذ ومقدار ثقة الناس به ورغبتهم في سماع دروسه ، وقد ورد ان حلقة امام الحرمين في المدرسة النظامية كانت تضم ثلثمائة طالب[4] .

اما تعيين المدرسين فكان من صلاحية الوزير في اول تأسيس المدرسة النظامية ويبدو لنا ذلك واضحا عندما عين نظام الملك ، ابا اسحق الشيرازي للتدريس في نظامية بغداد[5] ، وكما عين هو ايضا الامام الغزالي للتدريس

---

(١) الزرنوجي : ١٩
(٢) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص١٢٨
(٣) المرجع السابق ص١٣٧
(٤) المرجع المنتظم جـ٩ ص١٩
(٥) ابن الاثير : حوادث سنة ٤٥٩

في المدرسة المذكورة[1] وحين اصبحت الخلافة العباسية قوية ومتمكنة صار الخلفاء العباسيون يتصرفون في تعيين من يريدون ويعتقدون فيه المكانة العلمية المرموقة التي تؤهله لهذه المهمة الجليلة .

والمدرس هو المسؤول عن الدرس وتحضير المادة وترتيب المنهج ويساعده « معيد » ، يعيد الدرس بعد القاء المدرس المحاضرة على الطلاب ، « كأنه معين الشيخ على الطلبة »[2] وهذه الوظيفة أي وظيفة المعيد ظهرت في القرن الخامس الهجري ولم نعثر على اصطلاحها الوظيفي قبل هذا التاريخ وارجح ان هذه الوظيفة ظهرت وهي ذات علاقة وثيقة بوظيفة المدرس بعد تأسيس النظامية .

وبامكان « المعيد » ان يرقى الى درجة « مدرس » فجمال الدين ابو اسحاق الشيرازي المتوفي سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٣م رتب معيدا في حلقة الشيخ ابي الطيب الطبري ثم اصبح مدرسا للفقه في المدرسة النظامية[3] ، وكذلك الشيخ ابو علي بن يحي بن سليمان بن الربيع العمري الواسطي المتوفى سنة ٦٠٦هـ/١٢٠٩م ، كان معيدا في النظامية ثم رتب مدرسا بها[4] .

وكان الطالب المجد والذي يجد فيه الاستاذ كفاءة ، يعين معيدا فعلاء الدين ابو الحارث ، قدم بغداد وسكن النظامية واشتغل ودأب في علوم الفقه ورتب معيدا بها ثم عين مدرسا للنحو[5] ، كذلك تفقه كمال الدين ابو البركات بن ابي سعد الانباري في المدرسة النظامية وصار احد

---

(١) وفيات الاعيان جـ١ ص٥٨٧
(٢) ابن جماعة : تذكرة السامع ص١٥٠
(٣) وفيات الاعيان جـ١ ص٥
(٤) الكامل حوادث سنة ٦٠٦هـ
(٥) ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ص٢٠٦ مخطوط

المعيدين بها[1] .

ومن الملاحظ في تعيين المدرسين ، انه يجوز تعيين ، من كان اعمى ، مدرسا في المدرسة ، فقد كان (ابو بكر المبارك) المعروف بابن الدهان ضريرا ، وتولى تدريس النحو في النظامية[2] ، كما نلاحظ انه لم يكن هناك نظام لاحالة المدرس الى التقاعد فالشيخ (ابو اسحق الشيرازي) بلغ من العمر الثلاث والثمانين سنة وهو يدرس في المدرسة النظامية .

وكان (ابو اسحق الشيرازي) من أكابر المدرسين ، وله شهرة عظيمة ومما يدل على تلك الشهرة ، ان الخليفة المقتدى بامر الله حمله رسالة الى السلطان ملكشاه ونظام الملك تتضمن الشكوى من العميد (ابى الفتح بن ابي الليث) عميد العراق ، فسار ابو اسحق بتلك الرسالة فكان كلما وصل الى مدينة من بلاد العجم يخرج اهلها اليه بنسائهم واولادهم يتمسحون بركابه ويأخذون تراب بغلته للبركة وكان في صحبته جماعة من اعيان بغداد منهم الامام ابو بكر الشاشي وغيره ولما وصل الى ساوة خرج جميع اهلها وسأله فقهاؤها كل منهم ان يدخله بيته فلم يفعل ، ولقيه اصحاب الصناعات ومعهم ما ينثرون على محفته فخرج الخبازون ينثرون الخبز وهو ينهاهم فلم ينتهوا وكذلك اصحاب الفاكهة والحلواء وغيرهم ، وخرج اليه الاساكفة وقد عملوا مداسات لطافا تصلح لارجل الاطفال ونثروها ، فكانت تسقط على رؤوس الناس ، فكان الشيخ يتعجب ويذكر ذلك لاصحابه بعد رجوعه ويقول : ما كان حظكم من ذلك النثار . فقال له بعضهم : ما كان حظ سيدنا منه . فقال : اما أنا فغطيت بالمحفة وهو يضحك ،

---

(١) ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ص٢٠٦ مخطوط .

(٢) وفيات الاعيان جـ٣ ص٢٩٩ الترجمة ٥٢٧

(٣) المنتظم : جـ٩ ص٧ـ٩

فاكرمه السلطان ونظام الملك ، وجرى بينه وبين امام الحرمين أبي المعالى الجويني مناظرة بحضرة نظام الملك[1] .

وكان الطلاب يقيمون في المدرسة وتصرف عليهم جميع متطلباتهم ومستلزماتهم من مأكل ومشرب وملبس وأدوات الكتابة والدرس ، كما يتقاضى الطالب راتبا شهريا تحدده شروط وقفية المدرسة ، لتغطية بعض نفقات الطالب الخاصة . اما كم يبقى الطالب يتعلم في هذه المدرسة وغيرها من المدارس المعاصرة في العصر السلجوقي ؟ فالحقيقة لم ترد اشارة الى التحديد ، ولكن ذكر : أن (ابا عمران موسى بن حمود بن حمدان المالكي) تفقه في النظامية قريبا من سبعة عشر سنة[2] .

وكان لكل مدرسة خزانة كتب ، تحوى نفائس المخطوطات في مواضيعها المختلفة ، وللمكتبة خازن ومشرف ومناولون .

والخلاصة ان حركة (نظام الملك) في انشاء المدارس كانت لها نتائجها البعيدة فقد حققت اغراضا كثيرة ، فانها ساعدت على نشر الثقافة والعلم بشكل عام وعملت على تلقين مفاهيم المذهب الشافعي بشكل خاص كما أمدت اجهزة الدولة بالعناصر المتعلمة تعليما منظما وفق مناهج مرتبة ونظم معينة ، فكانت تلك العناصر قد اعدت اعدادا موجها لخدمة الدولة السلجوقية وتحمل المسؤوليات الرسمية .

وكانت لحركة انشاء المدارس (النظامية) اثر كبير في بغداد والعراق فقد انشئت مدارس عديدة في بغداد والعراق ، تلك المدارس ترمى الى

---

(١) ابن الاثير : الكامل حوادث سنة ٤٧٥

(٢) الاسنوى : طبقات الشافعية ، مخطوط ورقة ٢٦٦

تحقيق نفس اغراض نظام الملك ، ومن الجائز جدا ان يكون السلطان (صلاح الدين الايوبي) قد سار على النهج نفسه في انشائه للمدارس الايوبية في مصر والشام ، فقد أنشأ صلاح الدين المدرسة الناصرية بجوار الجامع العتيق بمصر برسم الفقهاء الشافعية • واول من ولي التدريس فيها (زين التجار)[1] ، وهو ابو العباس احمد بن المظفر بن الحسين الدمشقي المعروف بابن زين التجار ، وهي بجوار الجامع العتيق ايضا وجعلها خاصة بالفقهاء المالكية[2] ، والمدرسة الصلاحية التي يقول عنها السيوطي : انها اعظم مدارس الدنيا على الاطلاق لشرفها بجوار الامام الشافعي بناها السلطان صلاح الدين سنة ٥٧٢هـ/١١٧٦م[3] ، وكانت فكرة صلاح الدين على ما نرجح من انشائه لتلك المدارس ، فكرة استهدف فيها محاربة الفكرة الفاطمية والمذهب الشيعي والعمل على نشر المذهب الشافعي بشكل خاص في مصر •

واخذ السلاطين والامراء في بناء مدارسهم على طراز النظامية ونظامها التعليمي والمعاشي للطلاب ، فاصبح للمدرسة بناء ، يحتوي على فناء وغرف المدراسة ومكتبة ومساكن للطلاب ومطبخ وحمام ، واوقاف توقف على المدرسة • فالمدرسة النورية التي انشأها (نور الدين محمود زنكي) ، سنة ٥٦٣هـ/١١٦٧م[4] ، وتقع في حي الخياطين بدمشق في الوقت الحاضر ، تحتوي على صحن مربع وايوان كبير ، وفي المدرسة مسجد للطلاب ، وحجر لسكنى الطلاب ، وحجرتان لاستراحة المدرسين وباقي مرافق المدرسة • ومن يدري فمن الجائزان يكون نور الدين زنكي قد تأثر بمدارس نظام

---

(١) المقريزي : الخطط حـ٤ ص١٩٣
(٢) المرجع السابق جـ٤ ص١٩٥
(٣) السيوطي : حسن المحاضرة حـ٢ ص١٨٦
(٤) الروضتين : جـ١ ص٢٢٩

الملك وخاصة بنظامية بغداد •

والحركة المدرسية التي انبثقت في العصر السلجوقي في العراق كانت لها نتائج طيبة فقد انتشر خريجو المدرسة النظامية في البلاد الاسلامية وتولوا المناصب المهمة ، فاسماعيل بن محمد حسان الاسواني ، رحل الى (بغداد) وتفقه بالنظامية ورجع الى بلاده واقام باسوان حاكما ومدرسا ومات بالقاهرة سنة ٥٩٦هـ/١١٩٩م(١) وعبدالسلام بن علي بن منصور الدمياطي ، رحل الى بغداد وتفقه بالنظامية ورجع الى بلاده فأقام بها قاضيا ثم مدرسا ثم ولى قضاء مصر والوجه القبلي ، وتوفى سنة ٦١٩هـ/١٢٢٢م(٢) وكذلك (ابن عساكر) الذي تفقه بالنظامية وعاد الى (دمشق) ودرس بدار الحديث النورية(٣) ، و (العماد الاصفهاني) ، هو الآخر تفقه في النظامية ، واصبح كاتبا للسلطان صلاح الدين كما اصبح من الشخصيات الكبيرة في الدولة الايوبية ، وغير هؤلاء الكثير من الطلاب النجباء الذين اكملوا تحصيلهم في مدارس بغداد في العصر السلجوقي وكانوا خير رسل للثقافة والعلم •

فالمدارس السلجوقية العربية الاسلامية في بغداد والعراق كانت ذات فوائد كبيرة وانها بالاضافة الى ما ذكرنا من فوائدها ومحاسنها ، انها أمدت المدارس التي انشئت بعد ذلك بالمدرسين والاساتذة الكبار كما خلقت جوا ثقافيا في العراق ، واصبحت بغداد مركز الحركة والانتشار الثقافي ، فالرحلات التي يقوم بها الطلاب للاقطار المختلفة كمصر وسوريا والحجاز والمغرب وفارس ، وورود طلبة العلم اليها من شتى الاقطار ورجوعهم الى اوطانهم مزودين بالعلم والمعرفة ، كان لذلك الاثر البعيد في نشر ثقافات

---

(١) حسن المحاضرة : جـ١ ص١٩٠
(٢) المرجع السابق : جـ١ ص١٩١
(٣) طبقات السبكي : جـ٤ ص٢٧٣ـ٢٧٧

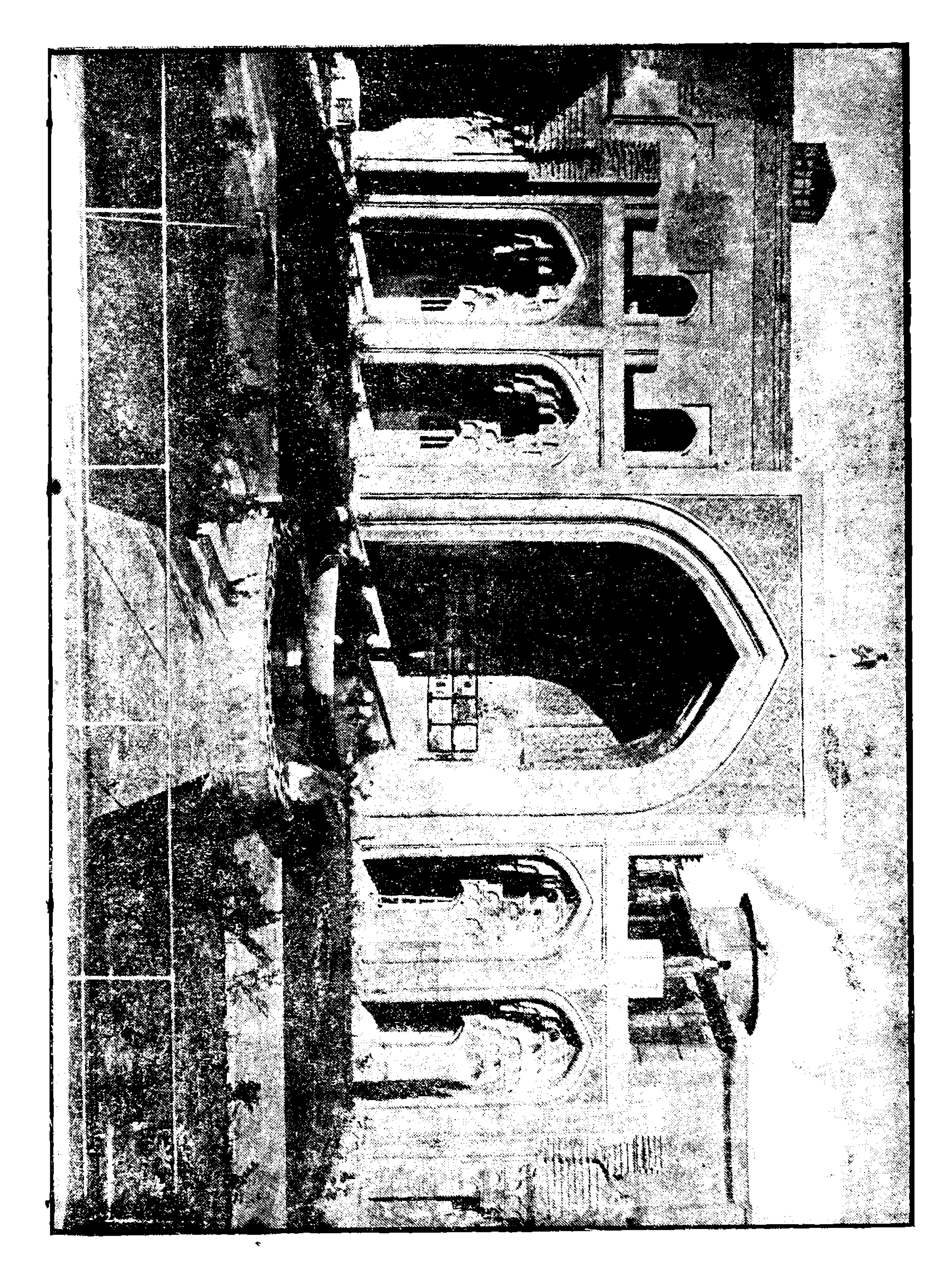
ومفاهيم المدارس البغدادية ، كما انتشرت مؤلفات وابحاث وفتاوي المدرسين المشهورين كالشيرازي والغزالي وغيرهما من اعلام الفكر الاسلامي ، كذلك فان علوم اللغة والادب والفقه والتفسير والحديث والاصول والكلام والقراءات والفرائض ، تلك التي دُرِّسَت في (النظامية) طرأ عليها التعمق والتوسع نتيجة البحث والاستقصاء والمناظرة التي قام بها اساتذة المدارس البغدادية اثناء تعليمهم بها ، ونتج تبعا لذلك ازدهار وتوسع الثقافة الدينية والادبية واللغوية .

ومن الطبيعي فان المساجد في العصر السلجوقي كانت مستمرة في وظيفتها التعليمية اضافة الى كونها امكنة للصلاة ومما لاشك فيه ان المساجد في الاسلام هي المعاهد الاولى للتعليم في العصر الاسلامي الاول ، وقد انشأ السلاجقة في (بغداد) عدة مساجد ساهمت هي الاخرى في نشر الحركة الثقافية في هذا العصر اسهاما كبيرا .

وقد الحقت في الكثير من تلك المساجد خزائن الكتب التي اوقفها محبو العلم لينتفع بها الناس ، وكانت تلك المكتبات دور علم يؤمها الادباء ورواد الثقافة ينتهلون من آدابها وعلومها ، وكانت لها آثار طيبة في نشر التعليم وتيسير ظروف المطالعة للراغبين ، ومن اشهر المكتبات التي خدمت الثقافة خدمة بعيدة الاثر ، خزانة الكتب التي انشأها (الناصر لدين الله) ، وعرفت بنايتها بدار المسناة والتي تسمى ارتجالا في العصر الحديث بالقصر العباسي ، فان هذه البناية وما حوت من ايوان وغرف جميلة ورواق بديع ، تمثل اقصى ما بلغه المعمار العراقي من سمو الفن ودقة العمل وجمال الريازة، ويمتاز البناء بزخارف آجرية بديعة ، فهي في طراز بنائها وما احتوته من الغرف والايوان والرواق وموقعها الجميل على دجلة يوحي للمحقق ان هذا المكان انما انشيء ليكون دار علم(١) .

---

(١) للدكتور مصطفى جواد بحث رائع في هذا الباب في مجلة كلية الآداب سنة ١٩٦١ .



ومن الجدير بالذكر ان نبين ونظهر أثر أمـكنة كانت لها مـكانة مرموقة ومنتشرة انتشارا كبيرا ، ولها نتائج بعيدة ، تلك الامـكنة هـي « الربط » ومفردها رباط ، وهي دار لسكنى المتصوفة ، موقوفة عليهم للاقامة والعبادة والتزهد ، والطعام واللباس ، وقد انتشرت كلمة الرباط في العراق بينما انتشرت كلمة « خانقـاه » التي هي اللفظ الفارسي لكلمة « رباط » العربية في بلاد الفرس والشام ومصر •

واقدم رباط في بغداد هو رباط الزوزني كان مقابلا لجامع المنصور في الجانب الغربي من بغداد ، والزوزني هو (علي بن محمود بن ابراهيم ابن ماخرة ابو الحسن) المتوفى سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م[١] •

ان الربط التي كانت هي في الاصل دور عبادة وزهد ، لم تقتصر على هذا بل اصبحت مواضع للتأليف والتصنف والاقراء والتثقيف والاجـازة والمحاضرات ، والعصر الذي نحن في صدد دراسته ، اشتهر بكثرة الربط ، بل يبدو ان العالم الاسلامي في هذا العصر كانت الربط قد شيدت فيـه بشكل كبير •

أقول ان هذه الربط اصبحت بحق دور علم وتثقيف وأدت خدمـات جليلة في نشر الثقافة العربية الاسلامية ، فالربط كانت مجـمعا للزهـاد والمتصوفة والمنقطعين لعبادة الله ، وكان في كل رباط مكتبة عامرة ، يرتادها المتصوفة الساكنون في الرباط ، ومن يتردد على الرباط من الزهاد والراغبين والمريدين ، يدرسون ويتدارسون ، ذكر ابن النجار : ان (ابا الحسن علي ابن احمد المؤدب المقرىء) ، كان يتولى خزانة الكتب برباط (الزوزني) ،

---

(١) المنتظم : جـ٨ ص٢١٤
الشذرات جـ٣ ص٢٨٨

قال عنه : « سمع الحديث النبوي منه جماعة من المتصوفة برباط الزوزني ، وختم عليه خلق ، كتاب الله ، ورأيته فيه ، وسألته ان يجيز لي ، رواية عنه فأجاز لي وكتب خطه بذلك سنة ٥٩٢هـ/١١٩٥م[1] . وذكر ابن الجوزي « انه سمع الحديث برباط (بهروز) ، على شيخ الرباط (ابى نصر أحمد بن منصور الهمذاني الصوفي) المتوفى سنة ٥٣٦هـ/١١٤١م[2] .

ولتوفر الكتب والعلماء في الاربطة فقد اضحت تلك امكنة صالحة لقراءة الكتب وسماعها ، يذكر ابن الفوطي : ان (جمال الدين ابا الفضل محمد بن الدياب البغدادي) ، قرأ كتاب (الغنية) لطالب طريق الحق ، تأليف الشيخ الزاهد (عبدالقادر الجيلي) ، على (فخر الدين ابى العباس احمد بن مطيع الباجسرى) ، برباط (الاخلاطية) وان ابن الفوطي سمع الكتاب في اثناء القراءة المذكورة على طريقتهم المألوفة اذ ذاك[3] .

وكانت الربط تعنى عناية فائقة بالدراسة ، ونذكر على سبيل المثال رباط (ابن النعال) بباب الازج ، فقد كان مجمعا للفقراء وأهل الدين والفقهاء الغرباء ولا سيما الحنابلة ، الذين كانوا يرحلون الى (ابى الفتح ابن المنى) الفقيه الحنبلى البغدادي ، المتفقه عليه ، فكانوا ينزلون في الرباط ، حتى كان الاشتغال فيه بالعلم اكثر من الاشتغال في سائر المدارس ، وذكر ابن رجب : « وكان الرباط ، شعث الظاهر عامرا بالفقهاء والصالحين ، سكنه الشيخ موفق الدين المقدسي والحافظ عبدالغني واخوه الشيخ العماد ، والحافظ عبدالقادر الرهاوى ، وغيرهم من أكابر الرحالين لطلب العلم ، وقال ابو الفرج عبدالرحمن بن نجم المعروف بابن الحنبلي الدمشقي :

---

(١) ابن النجار : تاريخ بغداد ورقة ١٥٣ مخطوط مصور في المجمع العلمي العراقي .
(٢) المنتظم : جـ١٠ ص٩٩
(٣) ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب جـ٤ ص٢٢٥

لما قدمت بغداد سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة نزلت الرباط المذكور ولم يكن فيه بيت خال ، فعمرت فيه بيتا وسكنته[1] .

وظهرت في الربط التآليف والتصانيف المهمة ، فقد انقطع الكثير من المرابطين الى المطالعة والدرس ، « فكان (ابو بكر الحازمي) يقيم في رباط (البديع) ، وكان يدخل بيته (اي حجرته) بالرباط في كل ليلة يطالع ويكتب الى الفجر[2] ، وقد صنف الحازمي في ذلك الرباط كتاب «الناسخ والمنسوخ» في الحديث النبوي الشريف[3] ، وكتاب « عجالة المبتديء » في الانساب وكتاب « المؤتلف والمختلف » في الانساب ايضا وكان زاهدا ورعا لا يعرف الا الخلوة والتصنيف وبث العلم[4] .

ومن الكتب التي ألفت في الربط « التاريخ المجاهدي » الفه (وجيه الدين ابو حفص عمر بن محمد بن عبدالله بن عموية السهروردي) ، وكان شيخ الصوفية برباط (أبي الحسن سعادة بن عبدالله الرومي) ، الذي كان على دجلة ، ويعرف برباط (سعادة)[5] ، فصنف تاريخا على السنين ذكر فيه الحوادث من ابتداء الدنيا الى سنة ٥٢٤هـ وأهداه الى (مجاهد الدين بهروز والى العراق يومئذ والنائب عن السلطان ببغداد ، وسماه (المجاهدي) وكانت وفاة (وجيه الدين السهروردي) سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م وصلى الناس

---

(١) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة : مخطوط بدار الاوقاف ورقة ٣٣٧

(٢) الذهبي : تذكرة الحفاظ جـ٤ ص١٥٣

(٣) طبع الكتاب في مطبعة دائرة المعارف العثمانية

(٤) الذهبي : تذكرة الحفاظ جـ٤ ص١٥٢

(٥) رباط سعادة : يرجح الدكتور مصطفى جواد ان موقعه مكان المحاكم المدنية على الشط ، ونحن نؤيد الاستاذ الدكتور مصطفى جواد في ترجيحه ذلك .

عليه برباط سعادة ثم دفن في صفة (رويم)[1] الزاهد بالجانب الغربي من بغـــداد[2] .

ومن التآليف المهمة والشهيرة التى الفت فى الربط البغدادية كتـاب «عوارف المعارف»[3] فى التصوف للشيخ (شهابالدين عمر بن محمـد البكرى السهروردى) المتوفى سنة ٦٣٢هـ/١٢٣٤م .

ولم تكن الربط تقتصر على العبادة والزهد وتأليف الكتب والاقراء والتثقيف والمحاضرات بل تنوعت واختلفت تنوع الرجال واختلاف العصور بحيث صارت عالما ثقافيا ، له خصـائصه الواضحة المتميزة فى الحضـارة الاسلامية ، فقد نشأت فى الربط الحان خاصة من الموسيقى والغناء ، تلك الالحان التى تتناسق وتتجاوب مع نفوسهم فى ورعهم وخشوعهم وذكرهم ، وقد بقى الى اليوم لحن السماعى[4] ، وانما هو لحن من الحان الصوفية فى اثناء اقامة السماع فى ربطهم ، فأبو حفص عمر بن محمد الفرغانى فقيه الحنفية الذى اقام بسنجار مدة يقرىء بها الفقه والادب والاصول ثم عاد الى بغداد فأقام بها الى ان فتحت المدرسة المستنصرية فرتب فيها مدرسـا فأجاب بعد امتناع شديد وكان يحضر السماعاتويسمع «الدف والشبابة»[5]،

---

(١) رويم : هو رويم بن احمد بن يزيد وكنيته ابو محمد وهـو من اهل بغداد ، من جلّة مشايخهم ، ويعتبر من كبار متصوفة بغداد ، توفى سنة ٣٠٣هـ .
السلمى : طبقات الصوفية ص١٨٠

(٢) ابن النجار : تاريخ بغداد ورقة ١١٩ نسـخة دار الـكتب الوطنية بباريس
نسخة مصورة فى مكتبة المجمع العلمى بالعراق

(٣) طبع الكتاب فى بغداد

(٤) لحن السماع : السماع هو الغناء وهو اللحن الذى ينشده المتصوفة فى حلقات الذكر

(٥) الخزرجى : تاريخ الخزرجى ورقة ١٥٠ مخطوط مصور بمكتبة المجمع العلمى العراقى
الشبابة نوع من المزمار

ولا غرابة في ذلك فقد ذكر ان (عمر بن الفارض) الشاعر الكبير والزاهد الشهير ، كانت له جوار بمدينة (البهنسا) من الصعيد الادنى غربى النيل فكان يذهب اليهن فيغنين له بالدف والشبابة وهو يرقص ويتواجد ، قال ناقل الخبر : « وليس سماع الفساق كسماع سلطان العشاق » وانما سمو ابن الفارض سلطان العشاق لانه كان يعشق مطلق الجمال حتى لقد عشق برنية اى بستوكة (زير) كانت بدكان عطار[1] ، ومثال ذلك في العصر البويهى ماذكره ابو حيان التوحيدى من شدّة طرب ابى الوزير الصوفى المقيم في دار القطان (اي رباط الزوزني) على صوت المغنية « قلم » اذا تناوأت في استهلالها وتضاجرت على ضجرتها وتذكرت شجوها الذي اضناها وانضاها وسلبها من نفسها ونساها اياها ، ثم اندفعت وغنت بصوتها[2] :

اقول لها والصبح قد لاح نوره كما لاح ضوء البارق المتألق

شبيهك قد وافى وحان افتراقنا فهل لك فيصوت ورطل مروق

فقالت حياتى فى الذى ذكرته وان كنت قد نغصته بالتفرق

وهناك امثلة كثيرة متواترة لوقائع مشابهة ، تفيد بوجود هذا اللون من اللحن وتداوله فى الربط ، ولا عجب فالصوفى والزاهد والمتعبد انسان تحركه العواطف ويستجيب للمؤثرات ولكن تلك الحركة والاستجابة يكون ردهما وانعكاسهما بشكل يختلف عنه عند باقى الافراد فى المجتمع ، فطرب ووجد عمر بن الفارض وعمر السهروردى هو على ما ارجح شكل من اشكال التسامى فى الحب الالهى والانسجام مع المعانى الجليلة السامية للحياة الصوفية وروحية الزهد والعبادة ، وهى حالة فيها من سمو المعنى وبراءة القصد ما يجعلها جديرة بالتقدير والاعجاب •

---

(١) شذرات الذهب حـ٥ ص١٥١

(٢) التوحيدى : الامتاع والمؤانسة جـ٢ ص١٦٨

اذن كانت الربط فى العصر السلجوقى كما لاحظنا منازل للعلماء الرحالين من بلد الى بلد ومن قطر الى قطر فى طلب العلم او نشره ، وكما لاحظنا ان هذه الربط كانت تحوى على خزانات الكتب ، وانها كانت مكانا لتلقى العلوم والآداب ، وساهمت مساهمة فعالة جدية فى تطوير وازدهار الحركة الثقافية والصوفية فى العراق[1] .

والخلاصة ان حركة التعليم فى العصر السلجوقى كانت حركة طيبة وقد بذل السلاجقة والعباسيون جهودا كبيرة فى انشاء امكنة التعليم الى جانب المساجد ، وقد عملت كل من المساجد والمدارس والربط ودور العلم (المكتبات) على نشر الثقافة العربية الاسلامية ، فكانت نتائجها كبيرة ، فارتفاع المستوى الثقافى وانتشار العلماء فى الآفاق وازدياد حركة التأليف والتصنيف لم يكن ذلك الا بالجهود الطيبة المخلصة التى عملت على انشاء تلك الامكنة والتى تضافرت على خدمة الدين وعلومه ونشر الثقافة بين الناس .

---

(١) للدكتور مصطفى جواد بحث قيم فى موضوع الربط البغدادية، نشر في مجلة سومر سنة ١٩٥٤ ، وقد رجعنا اليه عند كتابتنا هذا الموضوع من هذا الفصل .

الفصـــل الســـابع

السياسة العامة للدولة السلجوقية

السياسة العامة للدولة السلجوقية

١ ـ التوســـــع

٢ ـ الجهاد في أرمنية وآسيا الصغرى والشام

٣ ـ محــاربة المذاهب المعــــادية

٤ ـ التنافس في سبيل السيطرة على العـــراق

٥ ـ دفاع السلاجقة عن الثغور الاسلامية الشرقية (ثغور ماوراء النهر)

٦ ـ علاقــة السلاجقة بالخوارزمية

الدولة السلجوقية ، من الدول الاسلامية التى برزت على مسرح التأريخ ، وكان لها أثر بعيد فى السياسة والعمران والحياة الثقافية ، فقد اختطت هذه الدولة لنفسها سياسة انتهجتها فى التوسع واقامة العلاقات مع الدول المعاصرة • والسلاجقة منذ ان تعرفنا عليهم من تاريخهم الطويل ، وهم في حركة دائبة من التوسع ، ويمكننا أن نحدد اسباب ذلك التوسع السلجوقي بعاملين اساسيين ، اولهما ضيق أراضيهم التي يقيمون فيها والتي لا تسد حاجتهم من المراعي والاراضي الخصبة ، وثانيهما محاولة التوسع على حساب الدول المجاورة بقصد السيطرة واضعاف القوى التاخمة لدولتهم •

ونقطة جديرة بالملاحظة ان التوسع والزحف السلجوقي كان يتجه من مركز انتشارهم نحو الغرب في معظم تأريخ تقدمهم ، وفي بداية القرن الخامس الهجري ، استقر السلاجقة في بلاد (ما وراء النهر) بعد هجرتهم من منطقة التركستان[١] • وذكرنا ان الدولة السامانية قد انهارت واقتسم املاكها الغزنويون والخانيون ، وذكرنا ايضا ، توسع السلاجقة وتقدمهم وانتصارهم الاخير على الدولة الغزنوية ٤٢٩هـ/١٠٣٧م ، ودخولهم (نيسابور) واعلانهم بقيام دولتهم وتنصيب (طغرلبك) أول سلطان لهم •

وبينا كذلك تقرب السلاجقة من حضرة الخلافة ومراسلتهم للخليفة (القائم بامر الله العباسي) ، وانهم اكدوا في تلك المراسلة طاعتهم للحضرة النبوية المقدسة واصرافهم للجهاد في غزو الكفار[٢] ، وذكرنا ان الخليفة القائم ارسل بدوره رسالة اليهم فيها دعوة وترحيب للسلطان طغرل[٣] ،

---

(١) تاريخ كزيدة ص٤٣٤

(٢) الراوندي : ص١٦٦ـ١٦٧
زبدة النصرة : ص٧ـ٨
طبقات ناصرى : ص١٣٢

(٣) راحة الصدور : ص١٦٨ـ١٦٩
تاريخ كزيدة : ٣٥٤

ودخل السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م ، كما مر معنا سابقاً .

وقد عرضنا من قبل جزءا من السياسة التوسعية التي انتهجها السلاجقة ولاحظنا انهم حاولوا تحطيم كل القوى المجاورة لهم ، ولم يدعوا قوة معاصرة لهم تنافسهم ونححوا الى حد بعيد في كسب رضا الخليفة العباسي ، وضمنوا الاعتراف الديني والرسمي باقرار حكمهم ، وبذلك صبغوا حكمهم بصبغة شرعية ، وتولى أمر السلاجقة بعد (طغرلبك) السلطان(ألب ارسلان) الذي عرف بالقوة وشدة الطموح ، وكان يساعده في ادارة المملكة وزير محنك داهية ، هو (نظام الملك ابو علي بن اسحق الطوسي) ، وبدأ السلطان (الب ارسلان) ، ووزيره في رسم الخطط من اجل توسيع الدولة السلجوقية على حساب الدول المجاورة ، ويكون التوسع دائما باسم مبدأ يحقق المصالح الاسلامية العامة كالوحدة أو الجهاد أو نحو ذلك ، وقد اختار السلاجقة ميدان توسعهم من ناحية املاك الدولة البيزنطية المتاخمة لاملاكهم ، وكان القصد من ذلك التوسع ، اضعاف القوى البيزنطية والسيطرة على ممتلكاتها ، وكسر شوكة هذه الدولة التي قد تكون في المستقبل ، مصدر خطر على الدولة السلجوقية ، وعلى أمن الثغور الاسلامية ، وبقيام الحركات العسكرية على حدود البيزنطيين وداخل امبراطوريتهم ، يكون السلاجقة قد كسبوا عطف العالم الاسلامي في تلك التوسعات التي اتخذت صبغة الجهاد في سبيل الاسلام ورفع لوائه في الاراضي التي استولى عليها المسيحيون البيزنطيون ، ومن الجدير بالذكر ان عمليات السلاجقة في التوسع على حساب الدولة البيزنطية بدأت منذ سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م ، أي قبل دخول السلاجقة (العراق) ، فقد قام (ابراهيم ينال) بحركات عسكرية في داخل الاراضي البيزنطية ووصل الى (ملاذكرد) و (أرزن) حتى بلغ مدينة (طرابزون) ، وقامت بين السلاجقة والروم وقائع عديدة تبادل الطرفان فيها النصر والهزيمة ، واخيرا انتصر (ابراهيم ينال) وغنم غنائم كثيرة[١] .

---

(١) ابن الاثير : حوادث سنة ٤٤٠هـ

وكذلك قام السلاجقة في سنة ٤٤٦هـ/١٠٥٤م ، بحركات عسكرية واسعة بقيادة السلطان (طغرلبك) ادت الى احتلال عدة مدن بيزنطية وحصار (ملاذكرد) والتضييق على اهلها ونهب ما جاورها من البلاد ، ولما حل الشتاء رجع عنها الى (الرى)[١] •

في سنة ٤٦٤هـ/١٠٧١م ، استولى بعض افراد السلاجقة على (القدس) و (الرملة) وانتزعوها من الفاطميين[٣] ، وكان يعاصر السلطان السلجوقي (الب ارسلان) ، الامبراطور البيزنطي (رومانوس ديوجين) ، وكان طموحا لاستعادة قوة الامبراطورية البيزنطية ، فعمل على تقوية جيشه الذي اصابه الضعف نتيجة تقلص اعداده • وكان (الب ارسلان) قد اخذ في غزو البلاد المجاورة المسيحية له ، وتمكن من الاستيلاء على الجزء الاكبر من البلاد الواقعة بين بحيرتي (وان) و (أورمية) وسيطر على قلاعها كما فتح (جورجيا) ، وبلاد (الارمن) ، ولبلاد الارمن اهمية استراتيجية كبرى في علاقة الدولة الاسلامية ببيزنطة وقد كانت الدول الاسلامية المتعاقبة لا تفرط فيها حتى انتزعتها الاسرة المقدونية من أيديهم ، وبذلك اخذت غزواته تلك تصطبغ بصبغة دينية ، تتميز بطابع الجهاد في سبيل الله والعمل على نصرة دينه ، وكانت للعمليات الحربية تلك اثرها الكبير في نفسية امبراطور بيزنطة (رومانوس ديوجين) الذي قام بعملية معاكسة فسار على رأس جيش بيزنطي لغزو بلاد (الشام) وتمكن من التغلب على امير حلب ، الذي كان يدين بالولاء للخليفة الفاطمي في (مصر) •

ووجه (الب ارسلان) جيشا بقيادة ولده (ملكشاه) لفتح بلاد (الشام)، وارى ان (الب ارسلان) اراد بذلك تحقيق رغبات ثلاث :

---

(١) ابن الاثير : حوادث سنة ٤٤٦هـ

(٣) ابن القلانسي : ص٩٨ـ٩٩

المقريزي : السلوك جـ١ ص٣٣

أ ـ توسيع الدولة •

ب ـ التمركز في الشام وعدم فسح المجال لقوى بيزنطة من الاستيلاء عليهـــا •

ج ـ ضرب وتحطيم القوى الفاطمية في هذه البلاد ، وفعلا نجـــح الب ارسلان في هدفه فاطاح بالنفوذ الفاطمي واقيمت الخطبـــة في حلب للخليفة العباسي كما تمكن السلاجقة من السيطرة على دمشق في ســـنة ٤٦٨هـ/١٠٧٥م ، وخطب للخليفة العباسي (المقتدي بامر الله) بها[١] •

أيقن الامبراطور (رومانوس ديوجين) ان السلاجقـــة يهدفون الى القضاء على الدولة البيزنطية واحاطتها من الشـــرق والجنوب ، لذا نراه يسرع في اعداد جيش كبير من المرتزقة وكانت غالبيتهم من العنصـــــر التركماني ، واتجه الامبراطور بجيشه الى (ملاذكرد) Malazgart او (منزيكرت) **Manzikert** من اعمال الخلاط في مدخل اسيا الصغرى، وتواترت الاخبار الى سمع السلطان (الب ارسلان) بمحاولة الامبراطـور البيزنطي ، وتقدمه بذلك الجيش الكبير ، وادرك شدة الخطر ، فاتجـــه توا لمقابلة الأعداء ، وكان معه حوالى خمسة عشر الف مقاتل ، والتحـــم الفريقـان في معـركة ضـارية ، انتهت بانهـزام قوى البيزنطين ووقوع الامبراطور (رمانوس ديوجين) اسيرا[٢] وتعتبر معـركة (ملاذكرد) مـن المعارك الفاصلة في التاريخ ويسميها بعض المؤرخين باسم الملحمة الكبرى وتُعَد اكبر نكبة في تاريخ الامبراطورية البيزنطية[٣] • واصبحت امـلاك البيزنطين تحت رحمة السلاجقة ، وبذلك يكون السلاجقة قد تابعوا الكفاح

---

(١) ابن الاثير : حوادث سنة ٤٦٨

(٢) الراوندي : ص١٨٩

ابن القلانسي : ٩٩ـ١٠٥

ابن الاثير : حوادث سنة ٤٦٤هـ

(٣) تركستان قلب آسيا ص٥٦

الذي قام به العرب المسلمون ضد الروم ، ونحس هنا ان حركات السلاجقة وجهادهم في الاراضي البيزنطية ، انما هو استمرار لجهاد العرب المسلمين من قبلهم ، من اجل فتح هذه المنطقة والقضاء على المتنفذين فيها ، لـكي لا يكونوا خطرا محدقا بالمسلمين •

ان موقعة (ملاذكرد) كانت لها نتائج خطيرة في منطقة بلاد آسيا الصغرى فقد انفتح امام السلاجقة باب التقدم الى قلب آسيا الصغرى ، وابتدأ منذ هذا التاريخ تدهور الامبراطورية البيزنطية وتوقف انتشار الحضارة اليونانية والآداب المسيحية المتأصلة في هذه المنطقة ، وأخذ نفوذ البيزنطيين ينحسر شيئا فشيئا واخذت أجزاء كثيرة تفلت من ايديهم وتنضم الى العالم الاسلامي ، وتبع ذلك حلول الحضارة الاسلامية محلها ، التي جاءت بعقائدها ونظمها وآدابها وجميع مظاهرها ، فاخذ الاسلام والحضارة الاسلامية ينتشران في تلك البلاد[١] •

واخذت الدولة البيزنطية تتذرع بحجج مختلفة لاثارة الدول المسيحية في اوربا ، من اجل شن هجوم على السلاجقة على اعتبار انهم قد سيطروا على الاراضي المقدسة ويضطهدون المسيحيين ويعرقلون مساعي الحجاج النصارى وغيرها من الادعاءات التي لاقت قبولا واستحسانا من بعض من كان متعطشا للحرب والاستيلاء على موارد الشرق وخيراته •

اخذ السلاجقة يتوغلون في آسيا الصغرى ويستولون على الاراضي البيزنطية يساعدهم الضعف العام الذي اصاب الدولة البيزنطية وانهيار جيشها وشدة المنازعات بين امرائها وقادتها ، وسيطر (سليمان بن قطلمش) على أجزاء كثيرة من بلاد الاناضول بعد اتفاق بين سليمان واحد القواد الذين خرجوا على الامبراطور (الكسيس كومنين) كما سيطر السلاجقة

---

(١) عبدالمنعم حسنين ص٥٩

على بلاد الشام ودخل (تتش) مدينة دمشق سنة ٤٧١هـ/١٠٧٩م[١] .

اذن كانت السياسة التوسعية للسلاجقة كما هو واضح من تاريخ تحركاتهم ترمي الى الحصول على اكبر مساحة من الاراضي الواقعة الى غربي نقطة تحركهم الاول .

وتتميز هذه السياسة هنا بمحاولة (الروم) من الشرق والجنوب وتدعيم الأمن في الجهة الاسلامية البيزنطية غير ان السلاجقة عجزوا عن الاستمرار في القيام بهذا الدور المجيد بسبب ما ترددوا فيه من الخلافات الداخلية وخاصة لسبب تنافس ملوكهم في سبيل الاستيلاء على العراق .

التنافس في سبيل السيطرة على العراق :

كان السلاجقة عند فتحهم أية مدينة يجعلون احد المقربين من افراد البيت السلجوقي حاكما عليها ، كما ينصبون على البلاد المفتوحة أحد اصهارهم واقربائهم المقربين ، حكاما عليها بلقب ملك ، وكانت للملك على ما يبدو صلاحيات التوسع والدفاع عن مملكته ، فقد وجدنا (سليمان بن قطلمش) يتوسع في آسيا الصغرى ، وكذلك الملك (تتش) يتوسع في اراضي الشام ، ويعتبر السلطان ملك الملوك ، وهذا النظام كما رأينا سابقا سبب متاعب كثيرة للسلاجقة وكان عاملا من عوامل ضعف دولتهم ، فبعض الملوك كان يأنس في نفسه القوة والمقدرة على تولي الأمر فتطمع نفسه الى منافسة ولي العهد أو منافسة آخر ، فتقوم بذلك المنازعات والحروب التي انهكت قوى السلاجقة وسببت انهيارهم .

لقد برزت سياسة السلاطين السلاجقة بالنسبة للعراق بشكل واضح بعد وفاة السلطان (محمود) سنة ٥٢٥هـ/١١٣٠م ، تلك السياسة كانت تستهدف السيطرة على العراق برغم ظهور سلطنة سلجوقية عراقية خاصة بالعراق فصار كل سلطان او ملك يسعى الى هذا الهدف على أساس ان من

---

(١) ابن القلانس : ص١١٢

يسيطر على العراق ينال اعتراف الخليفة بولايته وسلطنته ، ويصبح له مقاما كبيرا بين جميع ملوك السلاجقة ، فلأجل ذلك بدأت المنافسات والمنازعات بين السلاطين والملوك على امتلاك العراق ، واخذت شكلا خطيرا ، فقد تنازع (داود بن السلطان محمود) مع عمه (مسعود) ، ثم بدأ نزاع آخر بين (سلجوقشاه) واخيه (مسعود) واصطلحا على اساس ان يصبح مسعود سلطانا على سلاجقة العراق ويكون سلجوق شاه وليا لعهده[1] .

واشتبك السلطان (سنجر) مع جيش (مسعود) في حرب عام ٥٢٦هـ/١١٣١م ، وكانت نتيجة الاشتباك هزيمة (مسعود) ، وأن أجلس سنجر ، ابن أخيه (طغرل بن محمد) سلطانا على سلاجقة العراق[2] ، وفي سنة ٥٢٧هـ/١١٣٢م ، حارب (مسعود) أخاه (طغرل) واستولى على (بغداد) وبذلك اصبح سلطانا لسلاجقة العراق .

هذه صورة من المغامرات المستمرة التي كانت تبرز في معظم عهود سلاطين السلاجقة ، والتي توضح مطامع ومطامح الملوك الى التنفذ والسيطرة والتوسع ولو كان على حساب ضعف الملوك الآخرين واضعاف المجموعة السلجوقية . ان تلك السياسة التي اتبعها السلاجقة من اجل السيطرة على العراق وانشغالهم في حروب مستمرة كانت عاملا كبيرا في اضعاف الجهود التي كان يجب ان يبذلها اولئك السلاطين مساهمين في الحروب الصليبية ، في وقت كان الصليبيون فيه يحتلون المدن الاسلامية الواحدة تلو الاخرى ، كما ان تلك المنازعات المستمرة ادت الى فتور روح الجهاد والى اضعاف الشعور الديني والقومي عند العراقيين بشكل عام والبغداديين بشكل خاص، فمن النادر الاندر أن نعثر على خبر فيه للعراقيين اسهام كبير وواضح في الحروب الصليبية ، ومن الأمثلة التي تظهر ضعف العامل الديني والقومي ،

---

(١) ابن الاثير : الكامل حوادث سنة ٥٢٦هـ
(٢) مختصر آل سلجوق : ص١٥٨

أنه في اول سنة ٥٠٤هـ/١١١٠م تجهز جماعة من البغادة من الفقهاء وغيرهم ومنهم ابن الزاغوني[1] ، للخروج الى الشام لاجل الجهاد وقتال الفرنج ، حين بلغهم انهم فتحوا مدنا عديدة ، من ذلك صيدا وغيرها من المدائن ، ثم رجع كثير منهم حين بلغهم كثرة الفرنج[2] !! فلنتصور الشعور الوطني الى اي درجة بلغ من الانهيار والضعف ، رجال منهم فقهاء يخرجون للجهاد ولكنهم يعدلون عن ذلك لسماعهم بكثرة الفرنج ، ويذكر ابن الأثير ، كيف ان وفدا من الشام جاء مستغيثا بالمسؤولين في بغداد سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م ، وشرح هذا الوفد الخطر الذي دهم المسلمين في بلاد الشام وما حل بالبيت المقدس ولكنهم عادوا الى اوطانهم بخفى حنين[3] ، ومثل هذا يقول ابن كثير : انه في سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م ، قدم بغداد وفد من الشام الى العراق مستغيثين على الفرنج الى الخليفة والسلطان ، منهم القاضي ابو سعد الهروي ، فلما سمع الناس ببغداد هذا الأمر الفظيع هالهم ذلك وتباكوا ، وندب الخليفة الفقهاء الى الخروج الى البلاد ليحرضوا الملوك على الجهاد ، فخرج ابن عقيل وغير واحد من اعيان الفقهاء فساروا في الناس فلم يفد ذلك شيئا[4] .

ومن جدير القول ان نذكر ، ان (لعماد الدين زنكي) المواقف الرائعة وكان عماد الدين قد تولى الموصل والجزيرة ونصيبين ، وفي زمنه استفحل امر الصليبيين ، وكانت آمال الناس وقلوبهم متجهة اليه لينقذ ما يمكن انقاذه من الاراضي الاسلامية التي استولى عليها الفرنجة[5] ، وفي سنة

---

(١) علي بن عبيد الله الزاغوني ابو الحسن توفي ببغداد سنة ٥٢٧هـ/١١٣٢م ، وكان واعظا ومحدثا وعالما بالقراءات .
المنتظم : جـ١٠ ص٣٢

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٢ ص١٧٢

(٣) ابن الاثير : حوادث سنة ٤٩٢هـ

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٢ ص١٥٦

(٥) ابن الاثير : تاريخ الدولة الاتابكية ص٥٩

٥٢٢هـ/١١٢٨م ، تمكن (عماد الدين زنكي) من المحافظة على (حلب) من ان يسيطر عليها الصليبيون[١] ، واستمر عماد الدين يجاهد في سبيل تخليص المناطق الاسلامية حتى تمـــكن من انقـــاذ مدينـــة (الرها) سنة ٥٣٩هـ/١١٤٤م[٢] ، وقد كان لاستيلاء عماد الدين زنكي على هـــذه المدينة أثره الكبير في مجرى الحروب الصليبية ، وظل هذا الرجل يجاهد الصليبين حتى قتل سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م ، وخلفه اولاده الذين وحـــدوا جهودهم لمقاتلة الصليبين •

هذا ما كان يدور في المشرق والعراق في الوقت ذاته كانت (مصر) تحت حكم الفاطميين ، وتعاني ضعف الخلفاء والحكام ، وقد استغل ذلك الظرف (صلاح الدين الايوبي) وتمكن من الاستيلاء على الامور فى مصر ، ونجح فى تقوية جيوشه ومواجهة الصليبين فى معارك عديدة ، وكان لجهاد صلاح الدين الايوبي الأثر الكبير في ايقاف نشاط الصليبين واضعافهم ، كما عمل على توحيد القوى الاسلامية في الشرق الادنى وتوجيهها ضد الصليبين[٣] •

يتبين لنا انه لولا وجود عماد الدين زنكى ووقوفـه امـام الصليبين وظهور البطل صلاح الدين الايوبي وجهاده العنيف لكانت المدن الاسلامية بأجمعها قد احتلت من قبل الصليبين ، فى الوقت الذى كان فيه السلاجقة فى خصومات وحروب داميـة فيمـا بينهم من أجل الوصول الى السلطنة والنفوذ • وآل زنكي ، من مماليك السلاجقة ، واتابكتهم وقد قدر لهؤلاء المماليك ان يقوموا بما عجز عنه سادتهم •

موقف السلاطين من حركة الاسماعيلية :

ذكرنا فيما سبق ان سياسة السلاجقة التعليمية كان من الدوافع لهـا

(١) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٢٢هـ Barker : The Crusades, p. 34

(٢) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٣٦هـ Barker : p. 51

(٣) Lane -- Poole : A History of Egypt in the Middle Ages ; p 206.

تهيئة مثقفين يؤمنون بالدين الاسلامى ويتمذهبون بالمذهب الشافعي ، ويكوّنون طبقة متعلمة قوية تقف أمام الاسماعيلية وتبادلهم الحجة بالحجة. واضافة الى مجهود الدولة الثقافى وتوجيهه لمحاربة الاسماعيلية ، فان الدولة ترمى من سياستها التوسعية الى اضعاف واخضاع جميع القوى المنافسة ، وبما ان حركة الاسماعيلية كانت حركة سياسية وفكرية خطيرة بالنسبة للدولة السلجوقية فان السلاجقة عبأوا معظم امكانياتهم وقدراتهم الى محاربة هذا الخطر الذى يهدد كيان الدولة السلجوقية كما يهدد الافكار والمبادىء التى يجاهد السلاجقة من اجل تقويتها وتثبيتها .

ولعل من اشد السلاجقة معارضة وحربا لحركة الاسماعيلية هو الوزير (نظام الملك) ، والاسماعيلية فرقة اعتقدت بامامة اسماعيل بن الامام جعفر الصادق ، وقيل ان ميمون بن ديصان هو المؤسس الاول للدعوة الباطنة[1] ، غير ان ابا المظفر شهفور الاسفراييني ذكر ان (دندان) هو المؤسس لهذه الطائفة لانه أول من قام بها[2] . ويذكر الاستاذ الصراف ؛ ان (ميمون القداح) لم يؤسس الباطنية وانما اسس الفرقة التى عرفت باسمه وهي الميمونية[3] .

والاقوال في ذلك كثيرة ومختلفة ولا داعي لعرضها هنا ، وعلى أي حال يبدو ان الاوضاع الاجتماعية القاسية التى كان يعيشها الشيعة ، والحملات الاضطهادية المستمرة من قبل الخلفاء العباسيين ، جعلتهم يلجأون الى التسترّ والدعوة لمذهبهم بشكل باطنى مستور .

ان هذه الطائفة الاسماعيلية استغلت الاوضاع السيئة وتذمر بعض الجماعات من نظم الادارة والاقتصاد فى العالم العباسى ، فأخذت تبث فى

(١) عبدالقاهر البغدادى : الفرق بين الفرق ص٢٣٦
(٢) الصراف : عمر الخيام ص٥٦ نقلا عن التبصير ص٨٣
(٣) الصراف : ص٥٦

تلك الاوساط روح التذمر وتسعى الى تنمية المعارضة على اساس الوضع الاجتماعى والاقتصادى السيىء ، واخذت هذه الطائفة تدعم كيانها وتركز نشاطها بتنظيمات دقيقة لتحقيق غاياتها والوصول الى اهدافها[١] •

والاسماعيلية فرق عديدة ، منها فرقة اقرت امامة (اسماعيل بن جعفر الصادق) وانكرت وفاته فى زمن ابيه وقالت تلك الفرقة ان ذلك كان على جهة التلبيس من ابيه على الناس لانه خاف فغيبه عنهم وانه هو (القائم) ، وتعرف هذه الفرقة بالاسماعيلية الخالصة[٢] ، ومنها فرقة اقرت امامة (محمد ابن اسماعيل) بعد والده وتعرف بالفرقة (المباركية) ، نسبة الى المبارك مولى (اسماعيل بن جعفر الصادق) ، ومن هذه الفرقة تشعبت فرقة القرامطة[٣]• وهناك فرقة اخرى اقرت امامة محمد بن اسماعيل مدعية ان الامام (جعفر الصادق) عهد بالامامة الى محمد مباشرة[٤] •

وقد عرفت الحركة الاسماعيلية بالباطنية ، ذلك لانهم كانوا يعتقدون بأن لكل ظاهر باطنا ولكل تنزيل تأويلا[٥] ، كما انهم زعموا ان جميع الاشياء التى فرضها الله تعالى على عباده وسنها نبيه «صلى الله عليه وسلم» وامر بها ، لها ظاهر وباطن[٦] ، وانهم كانوا ينسبون لكل ظاهر باطنا ، ويقولون ان الظاهر بمنزلة القشور والباطن بمنزلة اللب[٧] • والاسماعيلية يقولون : لكل ظاهر من الاحكام الشرعية باطن ولكل تنزيل تأويل ، وهم فى هذا القول مشاركون لاهل التصوف كما هو ظاهر من تفسير القرآن

---

(١) B. Lewis: Origins of Ismailism, p. 2
(٢) الدورى : دراسات فى العصور العباسية المتأخرة ص١٢٩-١٣٠
(٣) النوبختى : فرق الشيعة ص٧٢
(٤) المجلسي : بحار الانوار جـ٩ ص١٧٥
(٥) الشهرستانى : الملل والنحل جـ٢ ص٢٩
(٦) النوبختى : فرق الشيعة ص٧٥
(٧) الديلمى : بيان مذهب الباطنية ص٢٢

للشيخ محي الدين بن عربي ، والمعنى الباطن يقال له التأويل ، سُمّي بذلك لانه رجوع الى المآل والمرجع ، من آلَ الشيء يؤول أولاً ومآلاً اذا رجع وعاد ، ومآل الكلام مفاده وفحواه ، وذكرُ التأويل واردٌ في التنزيل العزيز في عدة مواضعَ ، كقوله تعالى : « لا يعلم تأويله الاّ الله والراسخون في العلم » ، يعنى أن التأويل لا يعلمه أحدٌ الاّ اللهُ ورسولُه وخلفاؤه المنصوبون من قبله بالنص والتوقيف ، فاللهُ عز وجل ، علمَ رسولَه محمداً تأويل القرآن ، ثم علّم الرسولُ وصيّه علياً اياه ، ثم علّم الوصيُّ ابنه الحسن ، ثم علّم الحسنُ اخاه الحسين ، وكذلك يجري علم التأويل الى آخر الائمة ، يُعلّم الماضي منهم من يأتي بعده ، وسائرُ الناس يستفيدون علمَ التأويل منهم بقدر استعدادهم وتهيئتهم في كل زمان .

والوصي في اصطلاح الاسماعيلية ، هو الذي يوصيه النبي بأمر أمته ليقوم به من بعد وفاته ، كما اقام موسى هرونَ وصياً له حين غاب عنهم لمناجاة ربه ، وانه لابد لكل نبيٍ من وصيٍّ يوصيه بامر امته ويفوض اليه علم الباطن ويقوم هو أي الوصي مقامه بعد وفاته ، كما أن من يخلف نبياً يقال له وصيٌ ، كذلك من يخلف وصياً يقال له امامٌ ، ثم يقوم امامٌ بعد امام الى أن يقوم آخر الائمة في آخر الزمان ويملأ الارض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً ، وكل ذلك بالنص والتوقيف ، من السابق على اللاحق ، ففي بعض الاحيان يستتر الامام من الناس لاسباب وعلل ، أجلّها واكبرها غلبةُ الاضداد وشيوع الشر والفساد وفقدان الخير والصلاح ، كما استتر محمد المكتوم[1] ، والائمة الثلاثة عبدالله وأحمد

---

(١) محمد المكتوم : هو محمد بن اسماعيل بن الامام جعفر الصادق، المتوفى سنة ١٩٣هـ

والحسين[1] ، وهؤلاء الثلاثة يقال لهم المستورون أيضاً وانما استتروا خوفاً على انفسهم لأنهم كانوا مطلوبين من جهة الخلفاء العباسيين[2] .

ويقول الدكتور الدوري في تحديد هدف الاسماعيلية : ان المذهب الاسماعيلي كان يستهدف قبل كل شيء احداث ثورة اجتماعية ، ويرى في الدين الاسلامي أساساً للنظام القائم ، فحاول بطريقة التأويل والتنشيء ، وتوحيد المتذمرين من كل العناصر والاديان في جو من التعاون والحرية الفكرية لتقويض المجتمع واقامة مجتمع آخر لا استغلال فيه ولا تحكم دين أو عنصر[3] .

ومن العناصر النشيطة والقوية التي لعبت دورا كبيراً في نشر وتثبيت المبدأ الاسماعيلي ، (الحسن الصباح) ، الذي امتاز بالفطنـة والذكاء ، والاندفاع الشديد للذود عن العقيـدة الاسماعيلية ، وكان زميلا للوزير (نظام الملك) خلال تفقهه على الشيخ (الموفق النيسابوري) ومنـذ أيام التلمذة اكتشف نظام الملك ، حالة التطرف عند (الحسن الصباح) ، وقد ابعد هذا زمن السلطان (ملـكشاه) لميوله الدينية المتطرفة ولـكونه يدعو الى المذهب الاسماعيلي الذي تحـاربه الدولة ، ومن ثم أصبح (الحسن الصباح) ، داعية للاسماعيلية في مدينة اصفهان[4] ، وفي سنة ٦٤٩هـ ـ ١٠٧٦م اتجـه الحسن الصباح الى مصـر ، واتصل بالخليفة (المستنصر الفاطمي)[5] ، والظاهر ، أن (الحسن الصباح) تلقى في (مصر) تعليمات

---

(١) عبدالله واحمد والحسين ، عبدالله بن محمد بن اسماعيل ، المتوفى سنة ٢١٢هـ واحمد بن عبدالله بن محمد ، المتوفى سنة ٢٦٥هـ والحسين بن احمد بن عبدالله المتوفى سنة ٢٨٥هـ عارف تامر : القرامطة : ص٣٦ـ٣٧

(٢) زاهد علي : تبيين المعاني ص٥٤

(٣) الدوري : دراسات في العصور العباسية ص١٥٥

(٤) Browne: A Literary History of Persia, Vol II p. 203

(٥) ابن الاثير : جـ١٠ ص١١٠

كثيرة ، وعاد بعد ذلك الى المشرق واخذ يدعو الى الاسماعيلية بنشاط كبير ، وكون جماعة قوية وأخذ يستولي على بعض المناطق الحصينة ، وقد تمكن في سنة ٤٨٣هـ/١٠٩٠م من الاستيلاء على قلعة (ألموت) الحصينة[١] ، وأخذ في توسيع ما سيطر عليه من الاملاك ، كما نجح في تكوين دولة للاسماعيلية كانت غايتها الرئيسية اسقاط الخلافة العباسية والدعوة الى المذهب الشيعي الاسماعيلي ، هذا وقد اتبع (الحسن الصباح) ، العنف في سياسته كما استخدم مبدأ الاغتيال والقتل من أجل تحقيق الفكرة الاسماعيلية ، وسعى في بث الفدائيين الاسماعيلية لقتل الخلفاء والامراء والقواد والسلاطين الذين يقفون حجر عثرة أمام الحركة الاسماعيلية ، وقد اتهم المؤرخون ، الاسماعيلية في قتل الخليفة المسترشد بالله العباسي سنة ٥٢٩هـ/١١٣٥م[٢] ، كما يعتقد ان الاسماعيلية هم الذين تسببوا في قتل الخليفة (الراشد) سنة ٥٣٢هـ/١١٣٨م[٣] وأنهم ترصدوا للوزير السلجوقي (نظام الملك) وقتلوه سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م[٤] .

تجاه هذه الاعمال العنيفة التي قام بها الاسماعيلية ، والمقاومة الشديدة التي كانوا يرفعون لواءها ضد السلاجقة ، رسم السلاجقة سياسة واضحة وشديدة لمقاومة الاسماعيلية ومحاربتها ، خاصة بعد ان استولى الاسماعيلية

---

(١) Sykes: A History of Persia, p. 54.

(٢) راحة الصدور : ص٣٣٠
ابن الاثير : حوادث سنة ٥٢٩هـ
المنتظم : جـ١٠ ص٥١
زبدة النصره : ص١٧٧ـ١٧٨

(٣) راحة الصدور : ص٣٣١
المنتظم : جـ١٠ ص٧٢
ابن الاثير : حوادث سنة ٥٣٢هـ

(٤) راحة الصدور : ص٢٠٩
ابن الاثير : حوادث سنة ٤٨٥هـ
ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٢ ص١٤٠ـ١٤١

على اقليم (خوزستان) وأخذوا ببناء القلاع الحصينة هناك ، كما استولى (الحسن الصباح) على الكثير من مدن (قوهستان) ، وأخذ يبث اتباعه في معظم البلاد الاسلامية ، وقسم اولئك الاتباع الى سبع درجات :

١ ـ داعي الدعاة
٢ ـ كبار الدعاة
٣ ـ الدعاة
٤ ـ الرفاق
٥ ـ اللاصقون
٦ ـ الفدائيون
٧ ـ المستجيبون أو طبقة العامة .

ولعل طبقة (الفدائيين) في سلم الدرجات المذكورة آنفا هي الطبقة الخطرة ، لأنها المسؤولة عن تنفيذ الاعمال العنيفة ، وكانوا قد تدربوا على فن التخفي واستعمال السلاح وتعلم اللغات الاجنبية ، ويعتقد (براون) ان الاسماعيلية : « كانوا يباغتون الامراء في أيام الجمع لقتل المسلمين ، وكذا كانوا يهاجمون الكنائس لاغتيال الامراء المسيحيين علنا »(١) ، وبتفاقم الخطر الاسماعيلي وقف السلاجقة موقفاً شديداً ضد هذه الطائفة ، وكان الوزير (نظام الملك) من أشد حكام السلاجقة حربا ومناهضة للاسماعيلية اذ شن عليهم عدة حروب وتمكن من ان يحاصر (الحسن الصباح) في قلعة (ألموت) سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م ، كما تمكن الوزير (نظام الملك) من أن يسد مسالك تلك القلعة بالعساكر(٢) ، ولكن الاسماعيلية اتجهوا الى مبدأ الاغتيال ليضعفوا اعداءهم ، فكلفوا بعض الفدائيين بقتل الوزير نظام الملك ، فنجح تدبيرهم وقتل الوزير

---

(١) Browne: A Literary History of Persia, Vol. II. p. 209.

(٢) اخبار الدولة السلجوقية ص٦٦

نظام الملك[1] .

ومما ساعد على تقويتهم وظهورهم ، انشغال السلاجقة بالمنازعات التي كانت تحصل بين المتنافسين من الامراء والسلاطين ، كما كان لقيام الحروب الصليبية أثرها الكبير في علو امرهم وانشغال المسؤولين عنهم ، يضاف الى ذلك ، ما لرواسب الفساد الاجتماعي والاضطهاد الذي لاقاه الشيعة أيام حكم العباسيين من أثر بالغ في كسب عطف الناس لمثل تلك الدعوة .

وقد وقف السلاطين السلاجقة موقفا شديدا من حركات الاسماعيلية فقد شن السلطان (بركيارق) عليهم حربا واوقع فيهم الاضطهاد والقتل[2] ، كما شنّ السلطان (محمد) على الاسماعيلية حربا لا هوادة فيها وسيطر على قلعة (شاه دژ) التي كان قد بناها السلطان ملكشاه واستولى عليها الاسماعيلية ، وخربّ السلطان (محمد) هذه القلعة وفتحها[3] ، ثم أرسل جيشا سلجوقياً كبيرا بقيادة الامير (شيركير) الى قلعة (الموت) حصن الاسماعيلية فحاصرها ذلك الجيش وضيق على المعتصمين بها حتى كاد ان يستولى عليها ، وبينما كان السلاجقة يواصلون هجماتهم للقضاء على الباطنية والاستيلاء على القلعة ، نعى الناعي السلطان (محمد بن السلطان ملكشاه) سنة ٥١١هـ/١٥١٨م ، وبالرغم من وجود الانقسامات وتوافر الخصومات بين الامراء والملوك السلاجقة ، فان الاتجاه السياسي العام للسلاجقة ، كان متجها الى مقاومة الفكرة الاسماعيلية ، وفعلا كانت مواقف سنجر ومحمود شديدة ، اذ حاربهم السلطان محمود واستولى على موضعهم

---

(١) الراوندي : راحة الصدور ص٢٠٩
ابن الاثير : حوادث سنة ٤٨٥هـ
ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٢ ص١٤٠-١٤١
(٢) الكامل : حوادث سنة ٤٩٤هـ جـ١٠ ص١٠٨
(٣) الراوندي : راحة الصدور ص٢٤٦

الحصين في قلعة (ألموت) سنة ٥٢٤هـ/١١٢٩م ، ولكن الاسماعيلية استرجعوا هذا الحصن بعد وفاة السلطان محمود سنة ٥٢٥هـ/١١٣٠م[١] .

وظل الاسماعيلية يثيرون الفتن والقلاقل ويهاجمون المدن وقد قاموا في سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م بهجوم كبير من اقليم (قوهستان) ، على (خراسان) ولكن الأمير (فرخشاه بن محمود الكاساني) بالاتفاق مع الامير (محمد بن أنز) من أكابر خراسان ، واجها بجيوشهما الاسماعيلية واوقعا فيهم هزيمة كبيرة وقتل معظمهم[٢] ، وكانت لهذه الوقعة آثارها الكبيرة في تقوية الروح المعنوية لدى المسلمين ، واضعف الجانب الاسماعيلي ، وفي سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م ، جمع (شاه مازندران رستم بن علي بن شهريار) ، عسكره وسار الى معقل الاسماعيلية في (ألموت) فأغار عليها واحرق القرى وقتل الكثير من الاسماعيلية وغنم اموالهم وسبى نساءهم ، وكانت لهذه الاغارة وقعها الكبير على الاسماعيلية الذين غلبوا على أمرهم وخربت مدنهم واصابهم خسران كبير .

واستمر الاسماعيلية في قلاقلهم واضطراباتهم ، ومالوا بعد ضعفهم الى حرب العصابات وامور السلب والنهب ، واستمروا على هذا النحو يشغلون السلاجقة ومن بعدهم الدولة الخوارزمية حتى اكتسحهم المغول سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م ، حيث وجه اليهم هولاكو جيوشه الجرارة فاستولى على قلاعهم الواحدة تلو الاخرى .

الجهاد في ثغور ما وراء النهر

وقامت في هذا العصر دولة كانت لها علاقات غير ودية مع السلاجقة تلك الدولة هي (القره خطائية) ، والخطا ، قبائل تركية كانت تسكن شمال شرقي ايران ، وكانوا من الوثنيين تمركزوا في مناطقهم واسسوا دولة في

---

(١) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٢٥هـ

(٢) المرجع السابق حوادث سنة ٥٤٩هـ

عـام ٥١٨هـ/١١٢٤م ، واتخذوا مدينة (بلاساغون) عاصمة لهم ، وقـد اصطلح على تسمية هذه الدولة بالدولة (القره خطائية) ، وكان نظامهم ملكيا واطلقوا على كل ملك اسم (كورخان) وقد ظهرت قوة هذه الدولة عـلى عهد السلطان السلجوقي (سنجر) ، واثاروا الفتن والقلاقل وسببوا ضعفا وانهاكا للدولة السلجوقية ، ولكثرة قلاقلهم وامعانهم في السلب والنهب استنجد الناس بالسلطان سنجر ، فاضطر سنجر الى قتالهم فتوجه في عـام ٥٣٥هـ/١١٤٠م ، الى اقليم (ما وراء النهر) وهو الاقليم الذي تقع فيـه الثغور الاسلامية الشرقية ، وكان سنجر من غير شك يريد استئصال شأفة قبائل الخطا ، والقضاء على نفوذهم وايقاف تعدياتهم ، فالتحم مع تلـك القبائل في معركة طاحنـة انتهت بهزيمة (سنجر) ووقوع زوجته اسيرة في ايدي (الخطا)[1] .

كان لانتصار (الخطا) على السلطان سنجر أثر كبير في حياة الدولة السلجوقية ، حيث ظهرت قوة جديدة تنافس قوة السلاجقة كما دلت تلك المعركة عن ضعف قوات (سنجر) ، وجعلت القره خطائين يوسعون من نفوذهم في اقليم (ما وراء النهر)[2] ، وصار الملوك المسلمون مثـل الخانيين الذين في (كاشغر) وبلاد (بلاساغون) و (ختن) و (طراز) وغيرها مما يجاورها من بلاد (ما وراء النهر) ، يدفعون الجزيـة للملوك القره خطائية ، وكان ذلك كارثة كبيرة ، وقد استمرت هذه الدولة حتى سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٧م ، حيث شن (علاء الدين محمد الخوارزمي) حربـا عليهم ، وتمكن من هزيمتهم وايقاع القتل في رجالهم كما تمكن من أسر كبير دولتهم (طاينكوه) واستولى محمد خوارزمشاه على بلاد ما وراء النهر ،

---

(١) راحة الصدور ص٢٦٢ ـ ٢٦٤
زبدة النصرة ص٢٧٨
ابن الاثير حوادث سنة ٥٣٦هـ

ومن ثم رجع الى (خوارزم)[1] ، ومحا بعمله المجيد هذا أثر الكارثة التي وقعت أيام سنجر ومع ذلك لم يهـدأ من تبقى من الخطا الى الســكينة فحاولوا القيام بحركة جديدة ، فاتفقوا مع بعض قبائل التتر المجاورة على حرب (خوارزمشاه) ، ولكنهم في هذه المره ، لاقوا هزيمة شنعاء واوقـع فيهم القتل الكبير وخرب بلادهم تخريبا فظيعا[2] .

دولة خوارزم

ومن الدول التي كانت لها علاقة سياسية وحربية مع السلاجقة الدولة الخوارزمية ، وهذه الدولة تنتسب الى (نوشتكين) التركي الذي كــان يشغل (وظيفة الساقي) ، وهي وظيفــة في البلاط السلجوقي ومهمتــه الاشراف على مد الاسمطة التي تقام في المواسم والاعياد وعند استقبال سفراء الملوك وهو الذي كان يشرف على تقطيع اللحــوم وتقديم الماء والمشروبات اثناء الطعام وبعده[3] . واخذ (نوشتكين) يتدرج في الوظائف السلجوقية ، وكان له ولد اسمه محمد علمه وخرجه واحسن تأديبه ، وفي سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٦م ، قتل حاكم خوارزم فوقع اختيار السلطــان (بركيارق) على (محمد بن نوشتكين) ليكون حاكما على (خوارزم) ولقبه « شاه خوارزم »[4] ثم تولى أمر خوارزم من بعده ولده (أتسز) ، واخذ الشاهات الخوارزمية يوطدون نفوذهم ويوسعون رقعة مملكتهم على حساب الدول المجاورة ، وقد كانت علاقة (اتسز) ودية مع السلطان (سنجر) حتى سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م حيث اعلن استقلال مملكته بعدها بعام وصار يهاجم ممتلكات الدولة السلجوقية ، ويبدو ان (اتسز) أحس بضعف السلاجقة وادرك المشاكل الكثيرة التي تنقل السلطان (سنجر) وقتــذاك ، ولــكن

---

(١) ابن الاثير : حوادث سنة ٦٠٤هـ
(٢) المرجع السابق حوادث سنة ٦٠٤هـ
(٣) القلقشندي : صبح الاعشى جـ٥ ص٤٦٩
(٤) ابن الاثير : حوادث سنة ٤٩٠هـ

(سنجر) جمع جيشا كبيرا لايقاف هذا التحدي الصادر من (أتسز) وهو في الأصل تابعا لسلطنته ، وتمكن السلطان (سنجر) من ايقاع هزيمة نكراء بجيش (اتسز) كما ان (اتسز) انهزم وترك ابنه اسيرا في يد (سنجر) ، وأسند السلطان (سنجر) ولاية خوارزم الى (غياث الدين سليمان بن محمد السلجوقي)(١) ، ولكن (أتسز) عاد الى خوارزم بعد ترك (سنجر) لها ، وتمكن من التغلب على الامور واخراج (سليمان السلجوقي) من خوارزم ، وأن (تسز) صار يتبع سياسة جديدة هي سياسة الترضية واستجلاب عطف (سنجر) واظهار الطاعة للسلطنة ، وكان (سنجر) على ما يبدو ساذجا طيبا ميالا الى السلم فعفا عنه واقره على (خوارزم) .

ولكن الخوارزميين صاروا يجاهدون في سبيل التوسع على حساب (الخطا) واملاك السلاجقة ، وقد كانت معركة (قطوان) التي وقعت بين سنجر وقبائل الخطا سنة ٥٣٦هـ/١١٤١م(٢) ، فرصة للخوارزميين ، فقد استغلوا هزيمة سنجر وعجزه عن حفظ الثغور وتقدموا بجيوشهم لحماية بلاد ما وراء النهر ليعلو بذلك اسمهم ، فصاروا يغيرون على المناطق الشرقية الواقعة بين (كاشغر وبخاري) . كما ان (اتسز) قطع خطبة (سنجر) وامر ان تقرأ الخطبة له في خراسان بعد استيلائه عليها ونهبه للمدينة(٣) .

وقد بلغت الدولة الخوارزمية غاية القوة ايام علاء الدين تكش (خوارزمشاه) ٥٦٨-٥٩٦هـ/١١٧٢-١١٩٩م ، فقد اتسعت في الغرب حتى شملت ما كان يعرف باصطلاح ذلك الوقت (عراق العجم) ، وخاصة بعد مقتل طغرلبك الثالث آخر سلاطين سلاجقة العراق ، سنة ٥٩٠هـ/١١٩٠م . كما استطاع (علاء الدين محمد خوارزمشاه)

---

(١) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٣٣

(٢) المرجع السابق : حوادث سنة ٥٣٦هـ : قطوان قرية خلف سمرقند

(٣) المرجع السابق : حوادث سنة ٥٣٦هـ

٥٩٦ - ٦١٧هـ/١١٩٩ - ١٢١٩م ، أن يبسط نفوذه على بلاد (ما وراء النهر) بعد هزيمة القبائل القره خطائية سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٧[1] ، وقد أشرنا الى ذلك كما تمكن من السيطرة على الاقاليم المطلة على المحيط الهندي جنوبا بما في ذلك اقليمي (كرمان) و (مكران) ، وعلى مدينة (غزنة) سنة ٦١٢هـ/١٢١٥م[2] .

اذن فالدولة الخوارزمية ، في الاصل كانت املاكها اجزءا من دولة السلاجقة ، طمع حكامها بالتوسع والسيطرة فصاروا يغتنمون الفرص للايقاع بالدولة السلجوقية والحلول محلها ، وبين سياسة الحرب وسياسة الملاينة والتظاهر بالطاعة للسلطان السلجوقي ، واستغلال الفرص المواتية للانقضاض على املاك السلطان كما حدث بعد انهزام (سنجر) امام (الخطا) ، تمكنت الدولة الخوارزمية من السيطرة والتحكم ، وبعد انهيار دولة السلاجقة في العراق ، كان لخوارزمشاه نصيب كبير في انهيار تلك الدولة وقتل سلطانها (طغرل الثالث) سنة ٥٩٠هـ/١١٩٣م[3] ، وحاولت بعد ذلك هذه الدولة أن تلعب دور السلاجقة في بسط نفوذها على العراق ، ورغم ان الخلافة العباسية كانت قد استعادت نفوذها واستقلالها الا أنني ارجح ان عوامل الضعف والتفكك اقتصاديا وعسكريا كانت تنبىء بعدم قدرة الخلافة في الوقوف امام الخوارزميين فيما لو شنوا هجوما على العراق . ولكن موجة المغول الكاسحة غيرت مجرى الحوادث وضيعت آمال الخوارزميين ، وان الخوارزميين وان حاولوا الوقوف بعناد امام المغول إلاّ ان ضعف الجيش الخوارزمي والاضطرابات التي حلت بالدولة ساعدت المغول كثيرا الى الحاق الهزائم بجيش الدولة الخوارزمية ، ذلك ان جيش الخوارزميين معظمه من الاتراك وهم جنود مرتزقة همهم السلب

---

(١) ابن الاثير : حوادث سنة ٦٠٤هـ

(٢) المرجع السابق : حوادث سنة ٦١٢هـ

(٣) المرجع السابق : حوادث سنة ٥٩٠هـ

والنهب ، وفي سنـــة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م ، تحــرك جيش مغولي بقيـادة (شيرماجون) و (بيدشو)[1] ، وتمكن ذلك الجيش الكثيف والذي عدته حوالي الثلاثين الف من المغول المدربين على القتـــال من الحاق هزيمـــة منكرة بالسلطان (جلال الدين منكبرتى) بن علاء الدين محمد خوارزمشاه في اعالي نهر دجلة والذي اضطر بعدها ان يلجأ الى جبال كردستان[2] ، وهناك قتل على أيدي أحد الأكراد سنة ٦٢٨هـ/١٢٣١م[3] .

وبانتهاء الدولة الخوارزمية وسيطرة المغول على املاكها ، اصبحت الخلافة العباسية في خطر كبير يهدد زوالها وانهيـــارها ، وفعلا تحــرك (هولاكو) سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م ، متجها نحو العراق ، لضرب الخلافـــة فتم للمغول ما ارادوا ودخلت جيوشهم بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م ، وقضى على الخلافة العباسية ، واصبح العراق تابعا لدولة المغول وقامت فيه دولـة عرفت بالدولة الايلخانية .

وهذه الفقرات الأخيرة خارجة عن حدود موضوعنا غير أننا أردنـا أن نبين ما صارت اليه الأمور نتيجة استعراض سياسة السلاجقة في مختلف الجهات ، وأن السياسة التي اتبعوها في منح حكام الاقاليم الصلاحيـــات الواسعة والاستقلال الذاتي ، ربى في نفوس اولئك الحكام حب السيطرة والنفوذ وشجعهم على الاستقلال نهائيا عن الدولة الام خاصة بعد ان أحس هؤلاء الحكام بضعف الدولة وانشغال الســـلاطين والملوك في منازعـات وخصومات مستمرة ، كما كان لظهور الجماعات والعناصر المناوئة للدولة السلجوقية اثرها الكبير في اضعاف الدولة ، فالاسماعيلية بحركاتها وقلاقلها استنزفت الشيء الكثير من جهود الدولة وجنودها ، كذلك قبائل (الخطا) التي بلغت من الشدة والقوة ان الحقت هزائم منكرة بجيش السلاجقة ،

---

(١) Howorth: History of the Mongols, Part I, p. 130

(٢) الدكتور فؤاد عبدالمعطى الصياد : المغول في التاريخ ص١١٣

كما كان لاطماع الكثير من الاتابكة في السيطرة على املاك السلطان وتدخلهم في شؤون السلطنة ومساهمتهم في الخصومات والمنازعات التي حصلت في العصر السلجوقي آثارها البالغة في اضعاف الجيش السلجوقي وانهيار الدولة .

ومن الطبيعي فقد كانت لحروب وفتوحات طغرلبك والب ارسلان وملكشاه نتائجها في المستقبل ، فتلك الحروب بلاشك استهلكت الكثير من الطاقات والامكانيات ، وهي وان ظهرت في بدايتها على اعتبارها انتصارات رائعة ولكنها اورثت مشاكل كثيرة من اضعاف للقوة الحربية ، ونقص في الخزانة العامة ، وتنازع بين أهل البيت السلجوقي في الاستحواذ على اجزاء كبيرة من تلك الممتلكات التي فتحوها ، واخيرا فالحروب الصليبية التي شنها الغرب المسيحي على الشرق الاسلامي كانت من عوامل اضعاف السلاجقة خاصة جناحهم الكبير في بلاد الشام ، وفي بلاد الروم ، علما بأن السلاجقة العظام او سلاجقة العراق يندر ان يكونوا قد ساهموا في تلك الحروب الصليبية لانشغالهم في الخصومات المستمرة وفي اخماد الثورات التي قامت ضدهم ، ولاننسى ان سياسة السلاجقة في العراق تجاه الخليفة العباسي اخذت تتغير منذ عهد ملكشاه واعتمدت على القوة والاستبداد مما بعث في نفوس الخلفاء العباسيين احاسيس النقمة على التحكم السلجوقي ، الامر الذي دفع بالخلفاء العباسيين الى مناهضة السلاجقة ومكافحتهم وفي الأخير التحالف مع أعدائهم الخوارزميين من أجل القضاء على ملكهم وازالة نفوذهم .

الفصل الثـــامن

التراث السلجوقي في العراق

أ ـ التراث العلمي والادبي

ب ـ التراث المعماري الفني

التراث السلجوقي في العراق

دخل السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م ، وانقضى عهد البويهيين وأيام سيطرتهم على الخلافة (٣٣٤-٤٤٧هـ/٩٤٦-١٠٥٥م) ، فتغـــيرت الأحوال في بغداد خاصة والعراق عامة •

وحكم الســلاجقة العراق من سنة ٤٤٧-٥٩٠هـ/١٠٥٥-١١٩٢م ، وقد شهدت البلاد في تلك الحقبة من الزمن ، الـكثير من الأحداث السياسية والاجتماعية كمـا ترك السلاجقة المتنفذون آثارا علميــة وأدبية ومعمارية فنية ، تعتبر خير تراث لهم في العراق •

والسلاجقة بشكل عام يدينون بالمذهب الحنفي ، فهم اذن يختلفــون عن البويهيين من الناحية المذهبية ، وقد بينا سابقا أن البويهيين كانوا من الشيعة الزيدية ، فالسلاجقة أقرب الى العطف على الخليفة العباسي الــذي كان يعتنق المذهب السني ، وبدخول السلاجقة الى بغداد ، نلمس الآثــار الأولى من نفوذهم ذلك هو انتعاش المذهب السني بشكل عام في العراق •

والسلاجقة وان كانوا من معتنقي المذهب الحنفي الا أننا نلاحظ أن الازدهار الكبير هو الذي اصابه المذهب الشافعي في هذا العصر ، وعلى ما أرجح فان الفضل في ذلك الامر انما يعود الى الوزير السلجوقي الـكبير نظام الملك (الحسن بن علي بن اسحاق بن العباس الطوسي) ، الذي كان شافعيا أشعريا ، وهو الذي سعى الى تقوية ونشر المذهب الشافعي عن طريق انشاء المدارس النظامية والزام طلابها ومدرسيها على دراسة الفقه الشافعي في تلك المدارس ، وكان شـرط ان لا يقبل في تلك المدرسة الا من كان

شافعيا أصلا وفرعا[1] ، وانتشر طلاب المدرسة النظامية في مختلف ارجاء العالم الاسلامي ، وتولوا الوظائف المختلفة ، وبذلك ازدهرت الشافعية وأخذ الكثير من الناس يعتنقون المذهب الشافعي رغبة واقتناعا بوجهة نظر التفكير الشافعي ، فمن الذين تفقهوا على (أبي حامد الغزالي) ، أحمد بن علي بن تركان المعروف بابن الحمامي ، وكان حنبلياً فاعتنق المذهب الشافعي وصار مدرساً بالنظامية[2] ، ومن المعروف عند المسلمين ، ان الحنابلة جماعة يتعصبون لمذهبهم ومن المتمسكين بالتفكير الحنبلي ، ولكن هذا يدل على شدة انتشار المذهب الشافعي • ومن الناس مَنْ اعتنق المذهب الشافعي طلبا لوظيفة ، فالفقيه المُلَقَّب بالوجيه النحوي كان متفقها حنفيا ولما شغر منصب تدريس النحو بالمدرسة النظامية ، وشرط الواقف ، أن لا يفوض التدريس في النظامية الا الى شافعي المذهب ، فانتقل (أبو المبارك الوجيه) النحوي ، الى مذهب الشافعي وتولى ذلك المنصب[3] •

فازدهار الشافعية معناه تقوية لانصار المذهب السني واضعاف للمذهب الشيعي ، وستكون له آثار بعيدة ، أدت الى وقوع الكثير من الفتن والقلاقل في بغداد خاصة والعراق بوجه عام ، وأثرت تلك الفتن تأثيرا سيئا في حياة الناس الاجتماعية والاقتصادية ، كما أرجح أن شدة الضغط على الشيعة من قبل السلاجقة أدى الى ظهور الحركات الشيعية العنيفة التي كانت تكوّن أشدّ معارضة للحكم السلجوقي في العراق ، كما أدى الى استفحال أمر الحركة الباطنية والتي أصبحت من أشد المشاكل خطرا على كيان الدولة السلجوقية ، كما كانت من اشد العوامل فتكا وتقويضاً للكيان السلجوقي •

وقد شهد العراق خلال حكم السلاجقة ، سياسة طائفية مقيتة ، وقد

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم جـ٩ ص٦٦

(٢) الكامل : جـ٨ ص٣١٧

(٣) وفيات الاعيان جـ١ ص٥٦٢

استهدفت تلك السياسة ، تقريب طائفة السنة وابعاد واضطهاد طائفة الشيعة، مما أدت الى قيام المنازعات والخلافات في بغداد بوجه خاص والعراق بوجه عام •• ومن المؤسف ان يكون نظام الملك ، الوزير الذي عرف بالذكاء وحب الاصلاح هو حامل لواء تلك السياسة المقيتة ومن المشجعين على ترويجها وتطبيقها ، متناسيا ومتجاهلا ان (الشيعية) كمذهب اسلامي ، له من معتنقيه ومؤيديه وانصاره في العراق وغيره من العالم الاسلامي العشرات الملايين ، والذين يكونون كتلة معارضة قوية ، قادرة على عرقلة تلك السياسة ومقاومتها ، وقد تم ذلك فعلا ، زمن نظام الملك وبعد زمنه ، وقد كانت تلك المعارضة والمقاومة العامل القوي في اضعاف حكمهم واسقاط دولتهم •

تراث السلاجقة العلمي والأدبي :

ذكرنا في فصل سابق سياسة السلاجقة التعليمية ، كما بينا شدة اهتمام السلاطين والوزراء والأمراء وتسابقهم بتشييد المدارس ، وقد أدت تلك المدارس رسالتها العلمية والأدبية على ما يرام ، وأثرت تأثيرا كبيرا في ازدهار العلوم والآداب وعملت على خلق حركة ثقافية واسعة في العراق•

ومن الجدير بالذكر أن السلطان (ملكشاه) والوزير (نظام الملك) يعتبران من أنشط حكام السلاجقة في رعايتهما للعلم وأصحابه ، ففي عهد السلطان (ملكشاه) انتشرت المدارس بشكل كبير وكان نفسه يشجع العلماء ويقربهم ، ومن أشهر أعماله العلمية ، (التقويم الجلالي) وقد وضع هذا التقويم في مدينة أصفهان في عام ٤٦٧هـ/١٠٧٤م ، بتشجيع من نظام الملك وساهم في وضعه واستكماله الشاعر المشهور (عمر الخيام) • وكان نظام الملك عالما وأديبا فكان يجد متعة ولذة في أن يضم مجلسه ، كبار العلماء والأدباء والذين كان يحيطهم برعاية كبيرة وعطف شامل ، وقد انصرف أولئك الى تأليف الكتب ونظم الأشعار في مدحه والاشادة

بفضله ، وهذا بالطبع ساعد على رواج سوق العلم ونمو ازدهار الثقـــافة في العصر السلجوقي ، ومن الجدير بالذكر ان نظام الملك على ما ارجح كان بعيد النظر ، فقد كان يعلم حق العلم ، ما لرجال العلم من أثر كبـير في المجتمع بوجه عام وفي صفوف العامة بوجه خاص فهو أي نظام الملك بتقربه الى العلماء وتقريبهم اليه ، يكون بذلك قد كسب مودتهم ورضاهم ، معنى ذلك انه امتلك السلاح اقوي المؤثر ، الذي ضمن له عامة الناس ، فخطباء المساجد وائمة الصلاة والوعاظ والمدرسون ، كانوا السنة تلهـــج بذكر نظام الملك واعماله ، وتعمل على نشر ما يقربه ويحببه الى الناس •

والمدارس التي أنشأها الوزير نظام الملك وغيره من الوزراء والأمراء في هذا العصر ، كانت في الحقيقة مراكز ثقافية نبعت فيها الكثير مـــن الأصول الفقهية والأدبية • وعملت على تخريج طبقة مثقفة بثقافة عربية اسلامية ، وقد ذكرنا فيما سبق عدد كبـير من الشخصيات التي تفقهت في المدرسة النظامية وغيرها من مدارس بغداد ونشاطها الثقافي •

والمدرسة النظامية هي أول مدرســـة بدىء بتشييدها في العراق في العصر السلجوقي ، كما أنها بداية التنظيم المدرسي والجامعي في الاسلام ، فالتنظيمات المنهجية والتدريسية التي انتظمت في هذه المدرسة كان لها آثـر كبير في الحياة العقلية الاسلامية وفي التنظيم التدريسي للمدارس الاسلامية الأخرى في العراق وخارجه ، فالتدريس في المدرسة اتخـــذ نظاما بديعا فأصبح لكل موضوع مدرس مختص ، فقد درس (ابو زكريا التبريزي) المتوفى سنة ٥٠٢هـ/١١٠٨م[١] ، اللغة والأدب في المدرسة النظامية ، ثـم صار (على بن محمد الفصيحي) المتوفى سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م ، يشغل ذلك الكرسي بعد وفاة الشيخ التبريزي[٢] ، وكان يساعد المـدرس معيـــد ،

---

(١) ياقوت : معجم الأدباء جـ١٩ ص٢٧

(٢) المرجع السابق : جـ٥ ص٦٧

والمعيد ، دون المدرس وأرقى درجة من عامة الطلبة ، وهو الذي يعيد الدرس بعد القاء المدرس محاضرته على الطلبة ، « كأنه معين الشيخ على الطلبة »[١] ، وأرجح أن هذه الوظيفة ظهرت في القرن الخامس الهجري وذلك لعدم ورود مثل هذه الوظيفة قبل هذا التاريخ ، واعتقد انها ظهرت وهي ذات علاقة وثيقة بوظيفة المدرس التي انتظمت بعد تأسيس المدرسة النظامية .

ان المدرسة بنظمها الجديدة كانت ذات أثر بعيد في حياة المسلمين العقلية وكانت ذات أثر في نشر الثقافة والعلم ، كما كانت المدرسة النظامية مثلا يحتذي للمدارس في التنظيم والتنسيق ، وان أهمية عمل نظام الملك ترجع الى كونه بداية عصر جديد من الازدهار للمدرسة ، اذ أصبح السلطان ورجال الطبقة العالية مولعين بتأسيس المدارس ، كما أن تكوين المدرسة كما أنشأها نظام الملك وما جعل بها من أنظمة مدرسية ومساكن للطلاب ، أصبح فيما بعد نموذجا يحتذي في سائر المدارس التي أنشئت في الأزمان التالية[٢] .

درس في هذه المدرسة كبار العلماء والفقهاء ، فأبو اسحق الشيرازي من أعلام الاسلام وأوائل مدرسي المدرسة النظامية[٣] ، وأبو حامد الغزالي الذي درس في المدرسة حوالي أربع سنوات[٤] ، وأبو بكر

---

(١) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم ص١٥٠

(٢) Ernest Dieze : Encyclopeadia of Islam, Art Masjid p. 354

(٣) المنتظم جـ٨ ص٢٤٦
ـ ابن خلكان جـ١ ص٥
ـ العماد : شذرات الذهب جـ٣ ص٣٤٩ـ٣٥٠

(٤) السبكى : طبقات الشافعية جـ٤ ص١٠٣
ـ ابن خلكان : جـ١ ص٥٨٦

الشاشي[1] وغيرهم من أعلام المدرسين وكبار المتفقهين •

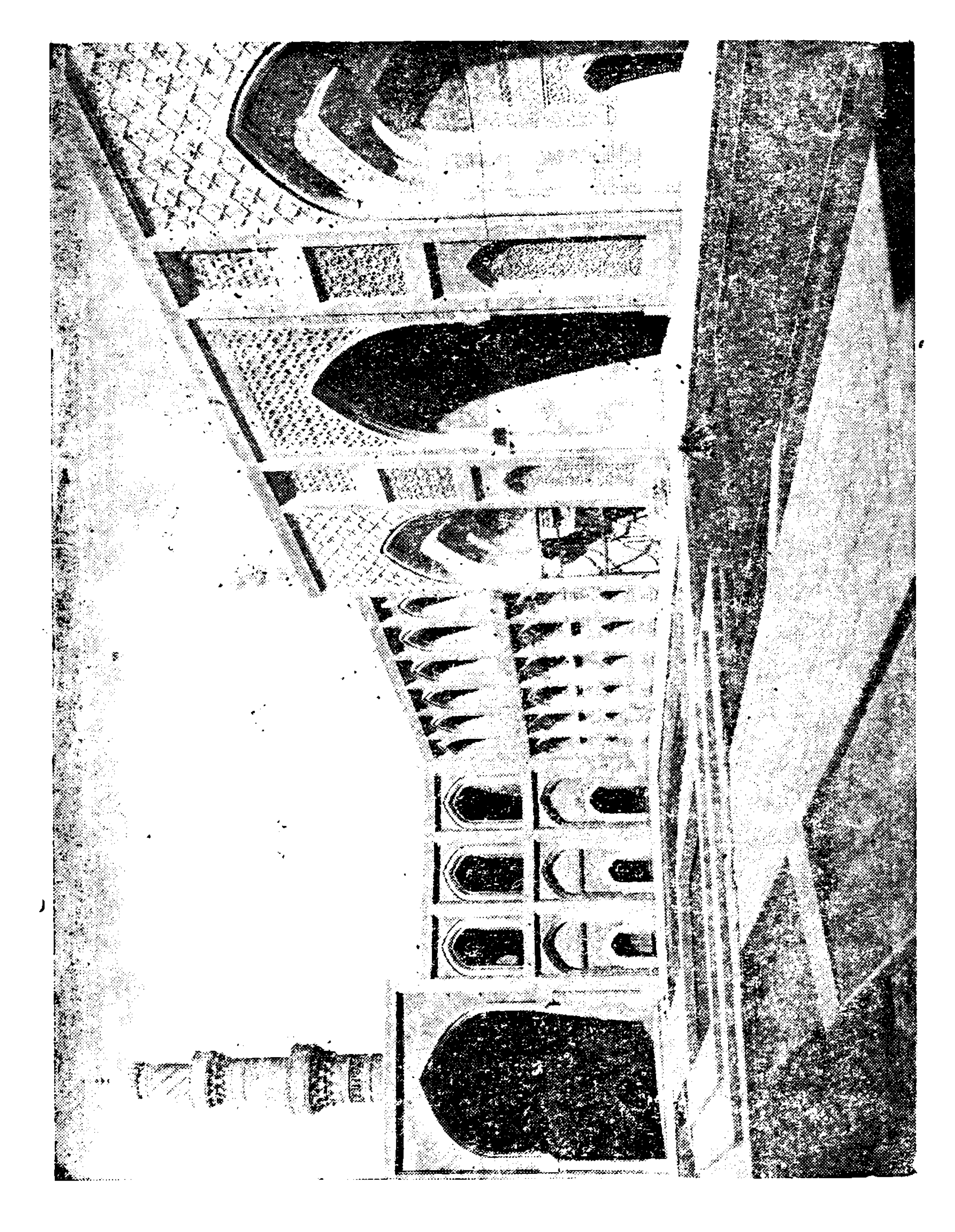
وتراث المدرسة العلمي والأدبي ، يبدو واضحا وجليا فيما انتجه مدرسو المدرسة من التآليف الكثيرة والتصانيف المفيدة • ونذكر على سبيل المثال لا الحصر بعض ذلك التراث الخالد من المؤلفات المهمة لبعض مدرسي المدرسة ، فمن تآليف الشيخ الشيرازي كتاب (المهذب في المذهب) وكتاب (التنبيه في الفقه) ، وألف (أبو نصر بن الصباغ) من أوائل مدرسي النظامية كتابه المشهور (الشامل) ، كما ألف (الكيا الهراسي) كتاب (شفاء المسترشدين) ، ويعتبر الامام الغزالي من أكبر المدرسين نشاطا في تاليف الكتب ، ومن تآليفه المشهورة كتاب (احياء علوم الدين) و (كيمياء السعادة) ، و (تهافت الفلاسفة) ، و (الاقتصاد في الاعتقاد) ، و (المنقذ من الضلال) وغيرها من الكتب الفقهية والفكرية والتربوية ، وقد طبع الكثير من تلك الكتب والتي تعتبر من أرع ما خلفه العصر السلجوقى من تراث علمي وأدبي[2] •

ان المدارس التي انشئت في العراق في العصر السلجوقي كانت حصيلتها نشر الثقافة وتنظيم الجهود العلمية وتخريج عدد كبير من المثقفين ، وانها كانت المصادر الأولى للمدارس التي أنشئت فيما بعد ، أعنى أن (المدرسة النظامية) او مدرسة (أبي حنيفة) أو (التاجية) وغيرها من المدارس التي أنشئت في العصر السلجوقي كانت قد خرجت الكثير من العلماء والأدباء الذين ساهموا في انجاح الحركة الثقافية وفي امداد المدارس التي انشئت فيما بعد بالعلماء والمدرسين ، ويكفي أن نضرب مثلا أن أول مدرس للشافعية في (المدرسة المستنصرية) التي شيدها الخليفة (المستنصر بالله العباسي) ببغداد سنة ٦٣٠هـ كان من مدرسي المدرسة

---

(١) السبكي : جـ٤ ص٥٧
- ابن خلكان جـ١ ص٥٨٨

(٢) راجع الغزالي فقيها وفيلسوفا ومتصوفا للدكتور حسين أمين



النظامية ، هو الشيخ (محي الدين بن فضلان البغدادي)[1] •

واستمرت المدارس السلجوقية تؤدي واجباتها التدريسية وتخدم العلوم الاسلامية حتى اضطربت الأحوال في العراق باضطراب الوضع السياسي ، وآخر من وصلت الينا اخباره من مدرسي النظامية ببغداد ، (مجد الدين أبو طاهر بن محمد الشيرازي الفيروزآبادي) المعيد بالمدرسة النظامية وصاحب (القاموس المحيط) ، والمتوفي سنة ٨١٧هـ/١٤١٤م[2] ، ولم نعثر بعد هذا التاريخ ما يدلنا على استمرار الدراسة والتدريس في المدرسة النظامية او نحظى بخبر عنها ، وبذلك طمست اخبارها وانمحى ذلك المكان الذي كان يشع بأنوار العلم والمعرفة وكان ينبوعا من ينابيع الثقافة الاسلامية •

وقد ساهمت المساجد التي أنشئت في العصر السلجوقي في الحركة العلمية مساهمة كبيرة كما كانت خزائن الكتب في المساجد خير موئل للباحثين وطلاب العلم ، ان كتب تلك الخزائن مبعثرة في الوقت الحاضر في مكتبات العالم المختلفة ، وفي الحق انها لأنفس تراث لذلك العصر ، وبعد انقضاء عصر السلاجقة في العراق كانت تلك المكتبات التي أنشئت في العصر السلجوقي خير تراث أفاد الباحثين والعلماء •

ان العصر لسلجوقي امتاز بازدهار الحركة الصوفية ، وقد عمل حكام السلاجقة على تقريب المتصوفة وبذل العناية لهم ، والمعروف عن الحركة الصوفية انها حركة بعيدة عن التيارات الفكرية المختلفة وانها حركة فيها دعوة الى العبادة الخالصة والزهد في الحياة والابتعاد عن المجادلات المذهبية ، وكنا قد عرضنا في فصول سابقة أن العصر السلجوقي كان مشحونا بالكثير من الأفكار والآراء والتيارات التي أدت الى كثير من

---

(١) ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية / مخطوط ورقة ٤٨
ـ السبكي : طبقات الشافعية جـ٥ ص٤٤

(٢) اللكنوى الهندي : الفوائد البهية في تراجم الحنفية ص٢٣٠

المشاحنات والمنازعات ، واستنزفت جهودا كبيرة من الدولة ، الا أن الصوفية وقد وجدوا في تلك الآراء والأفكار المختلفة أهدافا لا تتفق والمثل السامية التي يرغبون فيها ، فابتعدوا عن تلك التيارات ، فكان موقفهم ذلك قد نال رضا الحكام السلاجقة والذين لمسوا في حركتهم السمو الأخلاقي والصفاء النفسي والدعوة الخالصة للزهد والعبادة ، فراحوا يشجعون الصوفية ويقومون ببناء الربط لهم •

وذكرنا في فصل سابق عن أثر الربط في الناحية التعليمية وأنها اضافة الى كونها أماكن للعبادة والزهد ، كانت مراكز مهمة لنشر الثقافة كما كانت مراكز للتحدث والبحث والتأليف ، وقد ازدهرت حركة الصوفية في العصر السلجوقي وانتشرت مبادؤها والتي يعتنقها مشايخ المتصوفة تراثا من العصر السلجوقي •

وقد ازدهرت الآداب في هذا العصر نتيجة تشجيع السلاطين والوزراء للكتاب والشعراء ، وامتاز الأدب في هذا العصر بالتأنق والتفنن ، فازدهرت الكتابة وفاض الشعر بالمحسنات اللفظية والتشبيهات والاستعارات ، وتراث هذا العصر الأدبي كبير جدا ودواوين الشعراء المجودين أمثلة صادقة لما بلغته فترة السلاجقة من النمو والازدهار الأدبي ، ونذكر على سبيل المثال من شعراء هذا العصر ، (مسعود بن المحسن المعروف بابن البياض) المتوفى سنة ٤٦٨هـ/١٠٧٥م[١] • و (وطاهر بن الحسين أبو الوفاء البندنيجي) المتوفى سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م[٢] ، و (محمد بن عبيدالله بن التعاويذي) ، شاعر العراق في عصره ، المتوفى سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م[٣] ، و (محمد بن احمد الأبيوردي) المتوفى سنة ٥٠٧هـ/١١١٣م[٤] ، والطغرائي ، (الحسين

---

(١) ابن الاثير : حوادث سنة ٤٦٨

(٢) المنتظم في وفيات سنة ٤٨٠هـ

(٣) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٤٣هـ

(٤) المنتظم في وفيات سنة ٥٠٧هـ

أبن علي بن محمد) ، المقتول عام ٥١٥هـ/١١٢١م[١] ، وابن الهبارية ، (الشريف نظام الملك أبو يعلى البغدادي) المتوفى سنة ٥٠٩هـ/١١١٥م[٢] ، والشاعر صردرّ ، (علي بن الحسن بن علي بن الفضل البغدادي) المتوفي سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢[٣] ، والباخرزي ، (أبو القاسم علي بن الحسن بن علي السنجي) المتوفي سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٤م[٤] • وشعر هؤلاء وغيرهم من هذا العصر أروع تراث لما بلغته هذه الفترة من الازدهار الأدبي والنضوج الشعري[٥] •

التراث المعماري الفني :

للسلاجقة أثر كبير في ناحية أخرى هي ناحية المنشآت والأبنية ، ويلاحظ أنهم منذ أن وطأت أقدامهم العراق بدأوا بالتوسيع والترميم والانشاء ، ففي سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م ، دخل طغرلبك ونزل في دار المملكة[٦] ، وهذه الدار هي دار البويهيين وأنشأها عضد الدولة البويهي الذي تولى الحكم سنة ٣٦٧هـ/٩٧٨م ، وكانت بأعلى المخرم[٧] (المحلة التي تعرف اليوم بالعيواضية) وفي سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م ، ابتدأ السلطان طغرلبك بناء سور عريض أدخل فيه قطعة كبيرة من المخرم وعزم على بناء دار فيها وجمع الصناع لتجديد دار المملكة البويهية[٨] ، ووسعوا الدار وبنوها بشكل بديع وصارت تعرف بدار السلطنة السلجوقية وأصبحت

---

(١) ابن خلكان : ترجمة ١٨٩

(٢) مرآة الزمان : حوادث سنة ٥٠٩هـ
ابن خلكان : ترجمة ٦٤٨

(٣) المرجع السابق : ترجمة ٤٧٧

(٤) شذرات الذهب : حـ٣ ص٣٢٧

(٥) راجع كتاب (الشعر العربي في العصر السلجوقي) للدكتور علي جواد الطاهر •

(٦) المنتظم : جـ٨ ص١٦٥

(٧) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد : جـ١ ص١٠٥ ـ ١٠٦

(٨) المنتظم : جـ٨ ص١٦٩

مقرا لسلاطين السلاجقة الذين يقدمون بغداد ، فقد نزل فيها السلطان ملكشاه عند زيارته بغداد سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م[١] .

وفي سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م ، أمر السلطان ملكشاه بناء جامع السلطان ، وتولى السلطان تقدير هذا الجامع بنفسه ، كما سوى قبلته جماعة من الرصديين وأشرف على ذلك قاضي القضاة أبو بكر الشامي وحملت أخشابه من جامع « سر من رأى » ولم يتممه ، فتمم عمارته « بهروز » الخادم في سنة أربع وعشرين وخمسماية[٢] ، كذلك بنى بهروز رباطا للصوفية قريبا من النظامية[٣] .

ولعل من أشهر الابنية السلجوقية في بغداد والتي طبقت شهرتها الآفاق وتراثهم الخالد ، بناية (المدرسة النظامية) ، التي بدأ بتشييدها الوزير السلجوقي (نظام الملك) سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٤م وفتحت أبوابها للتدريس بعد ذلك بسنتين[٤] وكانت النظامية على ما يبدو رائعة الحسن ، رائعة الجمال ، قال عنها ابن جبير وقد زارها سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م ، : والمدارس بها أي ببغداد نحو الثلاثين وهي كلها بالشرقية وما منها مدرسة الا ويقصر القصر البديع عنها ، وأعظمها وأشهرها النظامية[٥] ، وقد انفق نظام الملك على بنائها مئتي ألف دينار[٦] ، وكتب عليها اسمه وبنى حولها أسواقا تكون محبسا عليها ، وأبتاع ضياعا وحمامات ومخازن ودكاكين أوقفها عليها[٧] .

---

(١) المنتظم جـ٩ ص٣٠

(٢) ابن الجوزي : مناقب بغداد ص٢٣

(٣) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان حـ٨ ص١٨٦

(٤) المنتظم : حـ٨ ص٢٤٦
ابن الاثير : حـ١٠ ص١٩

(٥) ابن جبير : الرحلة ص١٨٣

(٦) سعيد نفيسي : المدرسة النظامية : بحث في مجلة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٥٤

(٧) الطرطوشي : سراج الملوك ص١٢٨

وذكر ابن بطوطة : « وفي وسط هذه السوق المدرسة النظامية العجيبة التي صارت الامثال تضرب بحسنها »[1] .

ومن الابنية السلجوقية المهمة في بغداد بقايا المدرسة التي شيدها العميد شرف الملك أبو سعد المتوفى سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م وجعلها خاصة لفقهاء الحنفية[2] ، وجدد تربة الامام أبي حنيفة ، وبنى على قبره قبة عالية وانفق أموالا كثيرة وعمل لها ملبنا[3] وعلاه على مثال قبور آل أبي طالب في المشاهد ، وعمل له رواقا وصحنا وجعله مشهدا كبيرا[4] .

ان عمل السلاجقة في الحفاظ على اثر اسلامي كبير والاهتمام به لجدير بالملاحظة والتقدير ، ذلك لاننا اليوم نعتبر مشهد الامام ابى حنيفة فى الاعظمية نقطة تاريخية واثرية دالة ، تساعدنا على معرفة الكثير من المواقع التي تقع بالقرب من المشهد ، كما ان بناء المدرسة ، خاص بالفقهاء الحنفية ، جعلت اصحاب المذهب الحنفى يتدارسون فقه مذهبهم بشكل اصولى منظم ، الامر الذى قوى جانب الفرقة الحنفية ومكن بقاء وتعزيز الحنفية فى بغداد ، ولا يزال مشهد ابى حنيفة فى بغداد ولا يزال مسجده الفخم الكبير تقام فيه الصلوات وتلاصق المسجد بقايا المدرسة التى شيدت فى سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م ، حيث اقيم مكانها معهد اسلامى يعرف اليوم بكلية الشريعة وقد كتب فى أعلى باب المدرسة « تأسست هذه المدرسة سنة ٤٥٩ هـ » .

فالمشهد المعروف اليوم «بجامع الامام الاعظم ابى حنيفة» والمدرسة الملاصقة له من التراث السلجوقى الاصيل ، وبالطبع فقد ادخلت على البناء

---

(١) ابن بطوطة : حـ١ ص١٤١
(٢) الكامل : حـ٨ ص١٠٥
الحسيني : اخبار الدولة السلجوقية ص٦٩
(٣) ملبنا : أي طلاء أبيض مثل اللبن .
(٤) المنتظم : حـ٨ ص٢٤٥

الـكثير من الاصلاحات والترميمات خاصة في العصر العثماني[1] .

وشيدت فى العصر السلجوقى مدارس كثيرة زال معظمها والباقى منها ادخلت على ابنيتها الاصلاحات والتوسيعات ومن اشهر ابنية المدارس التى كانت فى العصر السلجوقى ، مدرسة الشيخ عبدالقادر الجيلى ، فى محلة باب الازج وكانت خاصة بأصحاب المذهب الحنبلى ، وهى المكان الذى دفن فيه الشيخ عبدالقادر الجيلى مدرس المدرسة ، ويقوم فى مكانها اليوم جامع كبير له شهرة كبيرة ومكانة فائقة فى بغـداد ، وهو الآخر نقطة اثرية دالة تعيين الكثير من المواقع القريبة من المدرسة التى هى اليوم كما قلنا ـ جامع الشيخ عبدالقادر الـكيلاني ـ .

وهناك مواقع كثيرة كانت فى الاصل شيدت كمدارس ولكن تبدل الظروف والاحوال السياسية واهمال المسؤولين عن بعضها ، جعلت هذه الامكنة التعليمية تؤول الى الخراب أو يستحوذ على بنائها بعض الطامعين فيجعلها دارا او خانا وغير ذلك ، ولم تحافظ على شكلها التعليمى بشكل خاص على ما ارجح سوى مدرسة الشيخ السهروردى التى انشأها ابو النجيب عبدالقاهر بن عبدالله السهروردي المتوفى سنة ٥٦٣هـ/١١٦٧م[2] ، فى الجانب الشرقى من بغداد ومكانها اليوم امام دار الضباط قريبا من نهر دجلة ، والتدريس قائم فيها حتى هذه اللحظة وبالطبع ادخلت على بناء المدرسة الاصلاحات المستمرة وانها والحق لخير تراث للنهضة العلمية والحركة البنائية في ذلك العصر[3] .

وانتشرت فى العراق فى هذا العصر ايضا عمارة الربط التى كما ذكرنا كانت امكنة للصوفية والزهاد وصارت مراكز للتعليم والتآليف ،

---

(١) لاحظ الشكل رقم (٦) ، ادخلت على البناء تحسينات كبيرة في العهد الجمهوري

(٢) المنتظم : حوادث سنة ٥٦٣هـ

(٣) راجع الملحق الخاص بالمدارس

ومن اشهر الربط التى بنيت فى العهد السلجوقى وكانت ذات اثر فى رعاية المتصوفة ونشر مبادئهم ، (رباط الخدم)[1] ، شيده (أبو الحسن الخادم[2] الابيض الغياثي) ، وكان يلقب بمجاهد الدين بهروز ، ولى العراق نيفا وثلاثين سنة واصلح النهروان واجرى فيه الماء بعد ان كان خرب سنين وشق النهر المعروف بالمجاهدية وعمر الخالص واعماله وجمع الآلات لسد بثق بوهرز المعروفة اليوم (بهرز) واتم عمارة دار السلطنة السلجوقية بأعلى العيواضية الحالية ، واكمل عمارة جامع السلطان الذي كان فى محلة المخرم «العيواضية» قرب دار السلطنة ، وبنى رباطين احدهما على دجلة عند (سوق المدرسة النظامية) على الشط ويعرف برباط الدرجة[3] ، والآخر بناه بأعلى بغداد على انشط بالجانب الشرقى ايضا وهو المعروف برباط الخدم ، وقد توفى (بهروز) سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م[4] .

وهناك العدد الكثير من الربط التى شيدت فى هذا العصر ، واستمر العراقيون فى انشائها حتى بعد زوال السيطرة السلجوقية وظلت تلك الربط تراثا للابنية السلجوقية ومثلا يحتذى فى الطراز ، وفى الاهداف السامية التي شيدت من أجلها تلك الربط[5] .

ومن اشهر تلك الربط ، رباط الاخلاطية وهو من ابنية الخليفة (الناصر لدين الله)[6] ، و (رباط ارجوان) والدة الخليفة المقتدى بأمر الله[7] ، و (رباط البديع)[8] ، و (رباط زمرد) والدة الخليفة الناصر لدين الله

---

(١) الخادم : معناه الخصى ، قال السمعانى : الخادم لفظة اشتهر بها الخصيان الذين يكونون فى دور الملوك وعلى ابوابهم ويختصون بخدمة الولد ، ويقال لكل واحد منهم (الخادم) .

(٢) المنتظم : حـ٩ ص١٥٩

(٣) المرجع السابق : حـ٩ ص١١٧

(٤) راجع الملحق الخاص بالربط

(٥) مصطفى جواد : سومر مجلد ١٠ سنة ١٩٥٤

(٦) المنتظم : حـ٨ ص٢١١

(٧) المرجع : حـ١٠ ص١٢٧

Later
EAST BAGHDAD

SHARI QUARTER

QUARTER OF THE BASRAH GATE

KARKH

KURAYYAH QUARTER

QUARTER OF THE MAMUNIYAH

شكل : ٧
مخطط مدينة بغداد الشرقية ويظهر بوضوح السور المحيط بالمدينة

انشأته بجوار تربة الشيخ معروف الكرخي ، وانشأت الى جانبه مدرسة وبازائه تربة لنفسها[1] .

ومن نتائج الحكم السلجوقي للعراق ، اهتمام الناس بالعمران ، خاصة الخلفاء الذين انصرفوا الى بناء القصور الفخمة واقامة الحدائق الغناء وذلك لخلو بعضهم من العمل ولكثرة وارداتهم[2] ، وكذلك رغبتهم



شكل : ٨

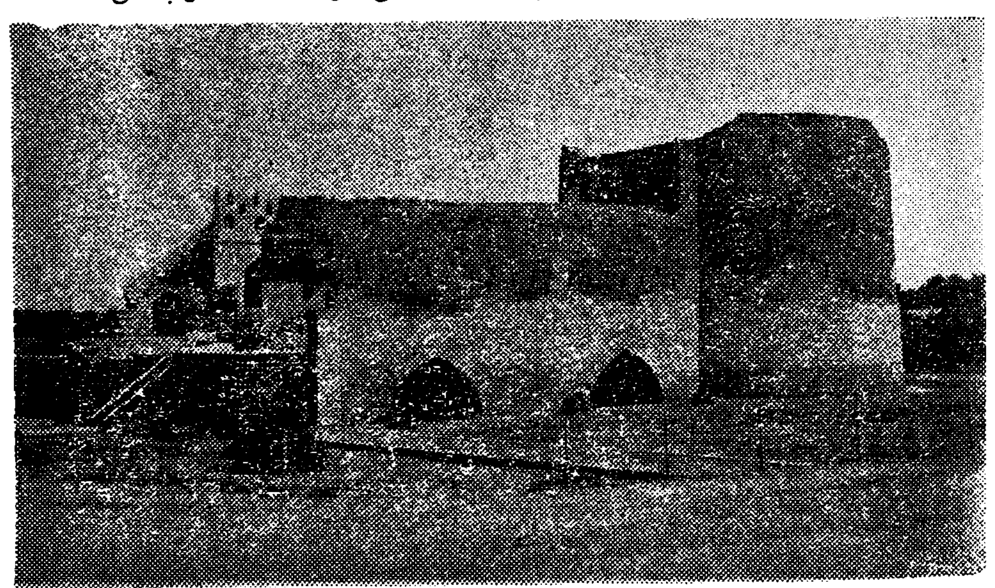
باب المعظم : المعروف فى العصر العباسي بباب السلطان ، نسبة الى السلطان طغرلبك ، ومكانه ساحة باب المعظم الحالية بين قاعة الشعب وبناية مصلحة نقل الركاب . وقد نقض هذا البناء سنة ١٩٢٥م لتوسيع الشارع .

---

(١) مصطفى جواد : سومر مجلد ١٠ سنة ١٩٥٤

(٢) لسترانج : بغداد ص٢٧٩

للعمران وانتشار طرز جديدة وتقدم الفن العمارى ، وشيدت حول تلك القصور الأحياء والاسواق وأصبحت هذه الاحياء اصلا لمدينة بغداد فى عهودها الاخيرة ، وفى مستهل حكم الخليفة المستظهر ٤٨٧-٥١٢هـ/ ١٠٩٤ - ١١١٨ م بوشر بانشاء سور عظيم وخندق واسع يحيطان بالمدينة الجديدة ويضمان داخلهما دار الخلافة وسورها وجميع العمران الذى نشأ حولها[١] ، ويبدو انه قد انجز من بناء السور جزءا يسيرا واكمل بناؤه فى عهد الخليفة المسترشد ٥١٢-٥٢٩هـ/١١١٨-١١٣٥م وقد جعل للسور أربعة أبواب : ١- باب السلطان ويسمى الآن بباب المعظم ، وسمي بباب السلطان ، ذكرى لطغرلبك السلجوقي ، ٢- باب الظفرية ، ويعرف بالباب الوسطانى ولا تزال بقايا الباب قائمة حتى يومنا هذا بالقرب من



شكل : ٩

الباب الوسطانى

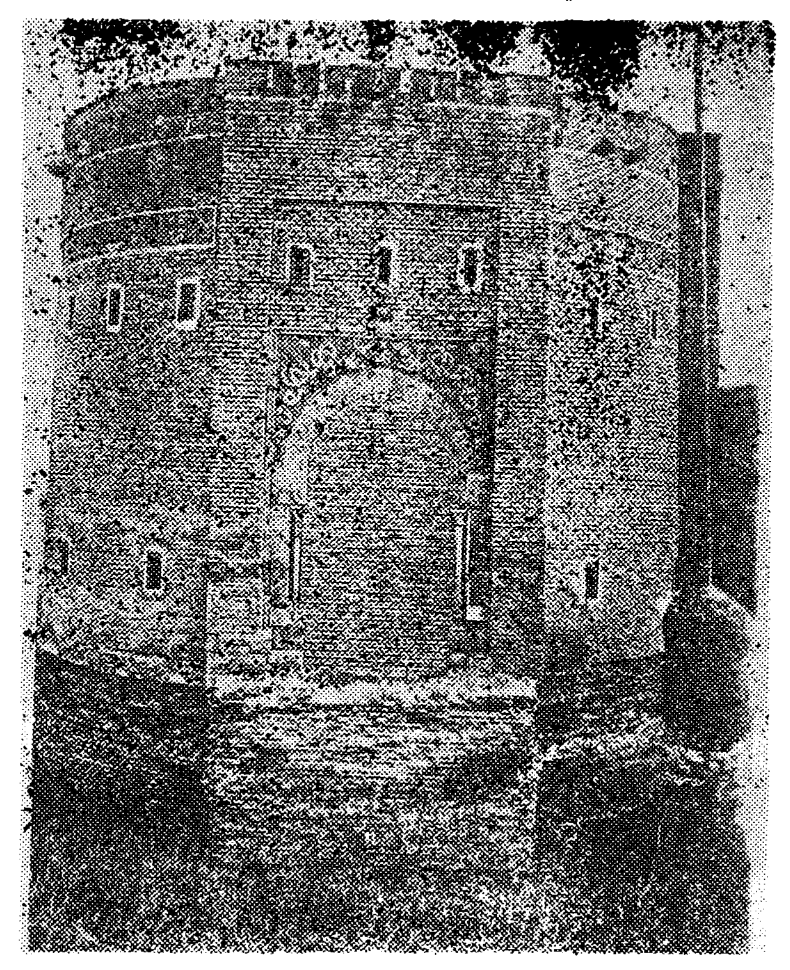
(باب الظفرية فى العصر العباسى)

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم حـ٩ ص٨٥

ابن الاثير : الكامل حـ١٠ ص٨٧

مشهد الشيخ عمر السهروردى ، وكان يعرف احيانا بباب خراسان ، وقد جعلته الحكومة العراقية متحفا للاسلحة القديمة ، ٣- باب الحلبة ، وسمي



شكل : ١٠

باب الطلسم : المعروف بباب الحلبة فى العصر العباسي ، ومكانه فى منطقة محطة السكة الحديد بباب الشيخ سابقا ، وقد جدد الخليفة الناصر لدين‌الله بناء الباب سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م وانشأ برجا ضخما فوق هذا الباب • وبقى هذا الباب قائما حتى سنة ١٩١٧م وفيها نسفه الاتراك بالبارود عند انسحابهم من بغداد •

بهذا الاسم لقربه من ميدان السباق الذى كان فى هذا الموضع قبل انشاء السور ، ويعرف هذا الباب ايضا بباب الطلسم ، وقد نسفه الاتراك عند



شكل : ١١

باب الشرقي :ـ ويعرف فى العصر العباسى بباب كلواذى او باب البصلية ، اتخذه الانكليز عند دخولهم بغداد كنيسة لهم ، وهدم أيام كان (ارشد العمرى) امينا للعاصمة •

انسحابهم من العراق سنة ١٩١٧م ، ٤ـ باب البصلية ومكانه الآن الباب الشرقي بالقرب من نهر دجلة ، وكان يدعى أيضا باب كلواذى ، لان الطريق منه يؤدي الى قرية كلواذى الواقعة في جنوبه[١] •

وما دمنا فى ذكر الابنية والعمران فى العراق ، علينا ان نتبين الاثر

---

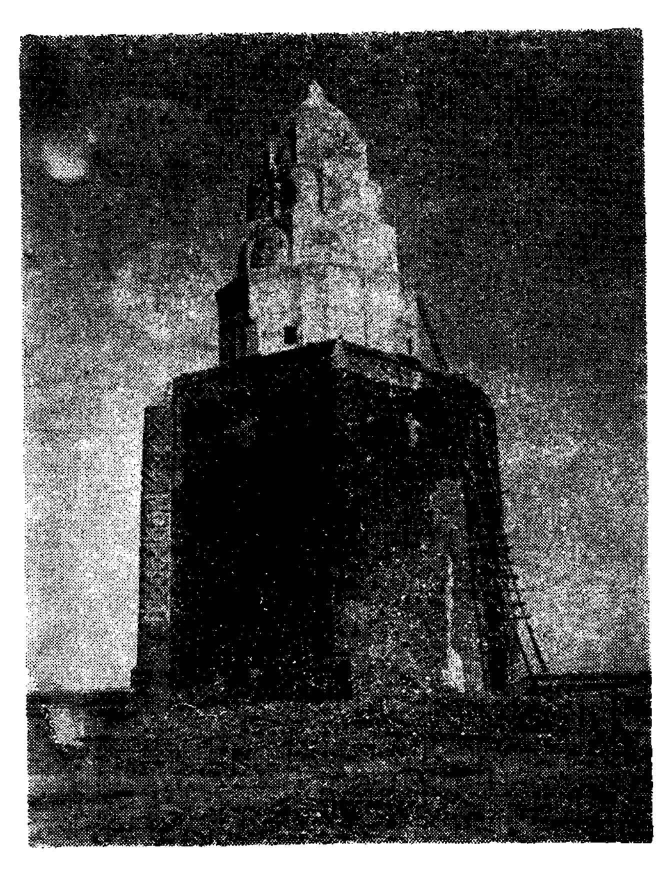
(١) المستوفى : نزهة القلوب ص١٤٧
ياقوت : معجم البلدان جـ٤ ص٨٤٥
ابن حوقل : المسالك والممالك ص١٦٤

السلجوقي في العمائر التي شيدت في بغداد ومدى ذلك التأثير ، ومن الجدير بالذكر ان ايران لا زالت تحتفظ بالكثير من العمائر ذات الطابع السلجوقي ، الأبنية التي تمتاز بالقباب والأقبية ، وأوضح مثال لذلك المسجد الذي شيده ملكشاه في مدينة أصفهان[1] ، ولكن يبدو أن البنائين في العراق ظلوا يقبلون على العمائر ذات الايوانات والأعمدة والأكتاف ولم يتأثروا الا قليلا بالأساليب المعمارية السلجوقية في ايران وآسيا الصغرى والشام[2] على اعتبار ان الفن المعماري السلجوقي بالنسبة للبناء العراقي شيء مكتسب وان دخلت بعض مظاهر البناء السلجوقي الى العراق فانها بعامل التجديد والتجربة ، وهناك امثلة كثيرة كالطرز اليونانية والرومانية التي ظهرت في مصر او في سوريا ، ولكن نجد البناء المصري رجع الى طرزه القديمة ، ذلك لأن طبيعته تحتم العودة الى طبيعة البناء الذي يلائم المناخ وغير ذلك .

ولعل أهم ما تأثر به البناء العراقي في عمارة الأضرحة والمساجد التي تبنى على قاعدة مسدسة او مثمنة على شكل هرمي مما يجعل لها تويجة الى أقصى حد[3] ، كما نلاحظ ذلك في بعض الأضرحة المنتشرة في العراق كقبة السيدة زمرد خاتون (المعروفة خطأ بقبة الست زبيدة) وكقبة امام الدور في بلدة الدور شمال سامراء وقبة الامام يحيى ابو القاسم في الموصل وقبة الشيخ عمر السهروردي وقبة الحسن البصري في الزبير ، وقبة الامام نجم الدين في مدينة حديثة ، ومنارة القرون قرب الكوفة التي وصفها ابن جبير في رحلته وقال : وهي منارة في بيداء من الأرض لا بناء حولها ، قد قامت في الأرض كأنها عمود مخروط من الآجر ، قد

---

(١) زكي حسن : فنون الاسلام ص٩٢
(٢) ارنست كونل : الفن الاسلامي ص٦٣
زكي حسن : ص٩٢
(٣) ارنست كونل : الفن الاسلامي ص٥٩

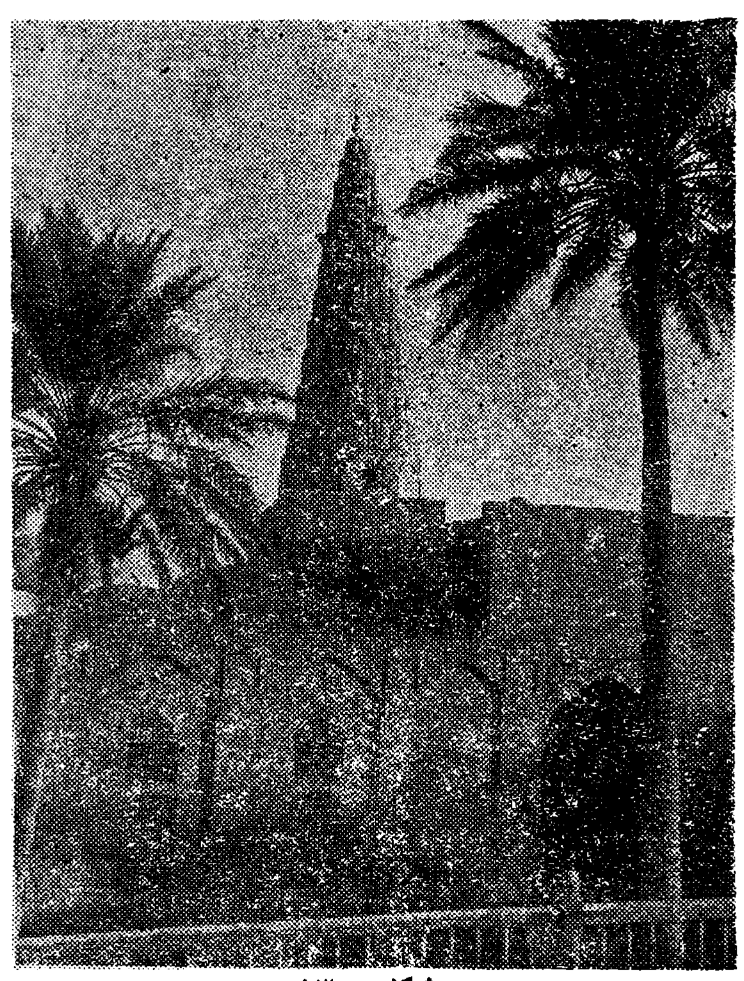


شكل : ١٢
« قبة امام الدور »
يمثل نوعا من الطراز السلجوقي والذي شاع في ذلك العصر

تداخل فيها من الخواتم الاجرية مثمنة ومربعة أشكال بديعة • ومن غريب أمرها أنها مجللة كلها قرون غزلان مثبتة فيها ، تتلوح كظهر الشيهم[١] •

ان أصدق مثل لهذا الطراز الذي انتشر في بغداد والعراق وكان من تأثير الريازة السلجوقية في العراق ، قبة السيدة زمرد خاتون والتي يعرفها

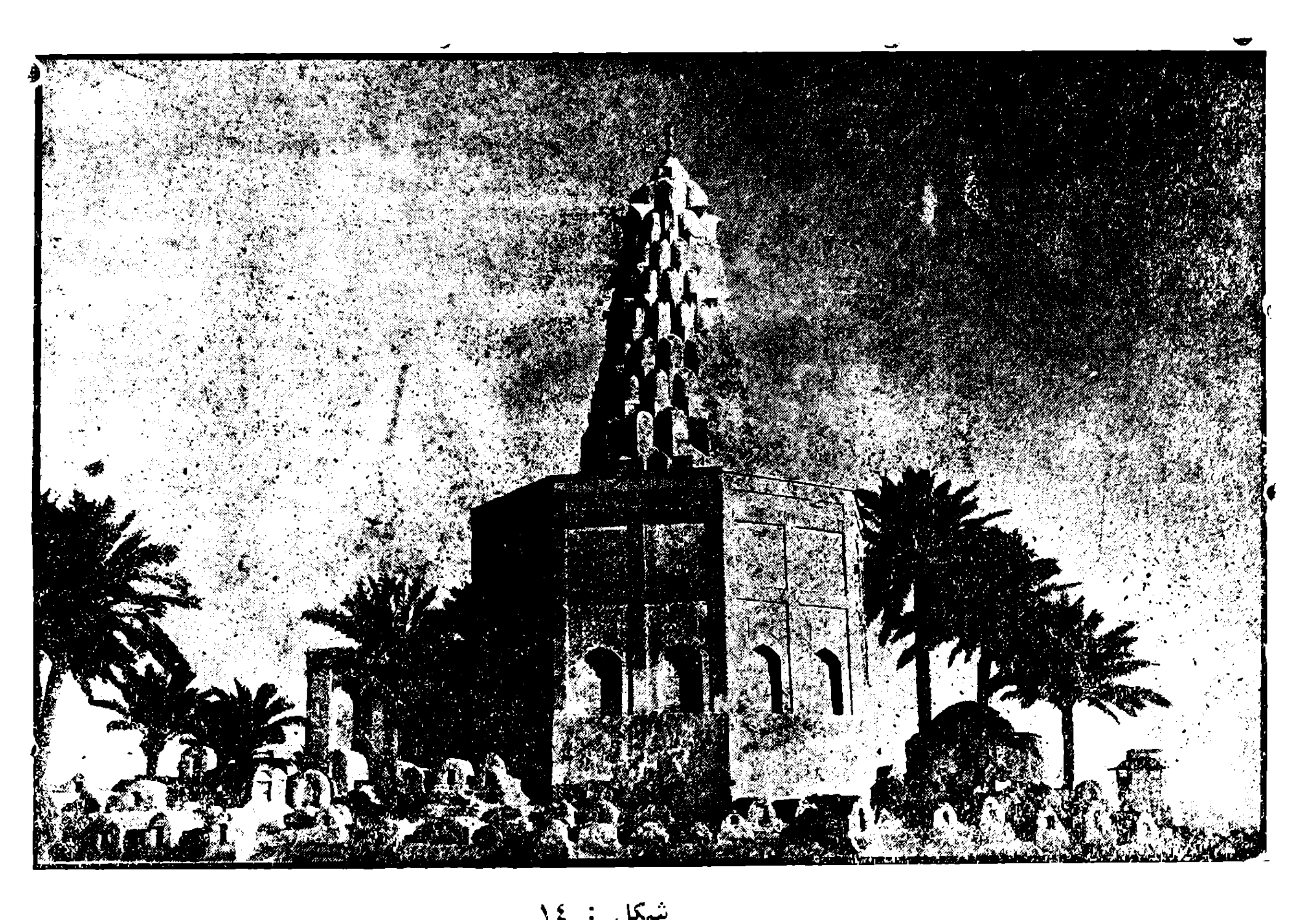
(١) ابن جبير : الرحلة ص١٩٦ (تحقيق دكتور حسين نصار)
المنتظم : جـ٩ ص٣٥ وذكر ان فيها اربعة آلاف رأس



شكل : ١٣

تربة الشيخ عمر السهروردي ، قرب الباب الوسطاني ،
توفي سنة ٦٣٢هـ/١٢٣٤م ، وقد بنيت القبة على الطراز السلجوقي

العامة خطأ باسم الست زبيدة زوجة هرون الرشيد ، والقبة مخروطية الشكل وفي أعلاها من ظاهرها نوع من القرنصة البنائية الجميلة والتغصين الجانبي مما يشبه جنبذة من الورد أو زهرة قبل التفتح • والقبة ثمانية القاعدة ، وابتنت هذه التربة السيدة زمرد خاتون قبل سنة ٥٨٨هـ/١١٩٠م •



شكل : ١٤

تربة زمرد خاتون ، المشهورة بقبة (الست زبيدة) ، وقد بنيت القبة
على الطراز السلجوقي

وكان أول من وصف هذا القبر بأنه للسيدة زبيدة هو السائح نيبور[1] الذي زار بغداد ١١٨٠هـ/١٧٦٦م ، ولكن الواقع التاريخي يثبت عكس ذلك ، فاننا لم نعثر خلال التاريخ الطويل منذ وفاة السيدة زبيدة سنة ٢١٦هـ/٨٣١م ، حتى قدوم نيبور ما يدلنا أن هذه التربة هي غير السيدة زمرد خاتون أم الخليفة الناصر لدين الله العباسي ، في حين أن عدة من المؤرخين مثل سبط بن الجوزي في مرآة الزمان وابن الاثير في كامله وابن الدبيثي في تاريخ بغداد والذهبي في تاريخ الاسلام الكبير والصفدي في الوافي بالوفيات ، صرحوا في نصوص مختلفة ان هذه التربة هي للسيدة زمرد خاتون وليست لغيرها من أحد النساء[2] ، ولكن يبدو أن نيبور عندما زار المكان ، شاهد في واجهة القبة كتابة تآكلت وتكسرت حروفها وبقي منها حرفا ، ز •• د ، وأخذ يفكر ببقية الحروف ليشكل كلمة تكون مناسبة مع الحروف الباقية ، فتبادر الى خاطره اسم زبيدة زوجة هرون الرشيد لما لها من الشهرة في التاريخ السياسي والأدبي ، فنشر هذا الخبر الذي نحن نعتقد بسطحيته وابتعاده عن الحقيقة التاريخية ، وأخيرا فان التربة بدليل الاخبار التاريخية الموثوقة لم تكن الا للسيدة زمرد خاتون زوجة الخليفة المستضيء وام الخليفة الناصر لدين الله[3] •

ان قبة زمرد خاتون في الجانب الغربي من بغداد المشيدة في العصر السلجوقي والتي تم بناؤها قبل سنة ٥٨٨هـ/١١٩٠م ، كما بينا ، تعتبر من الآثار المعمارية الجميلة لذلك العصر ، وكانت مثالا يحتذى به في بناء

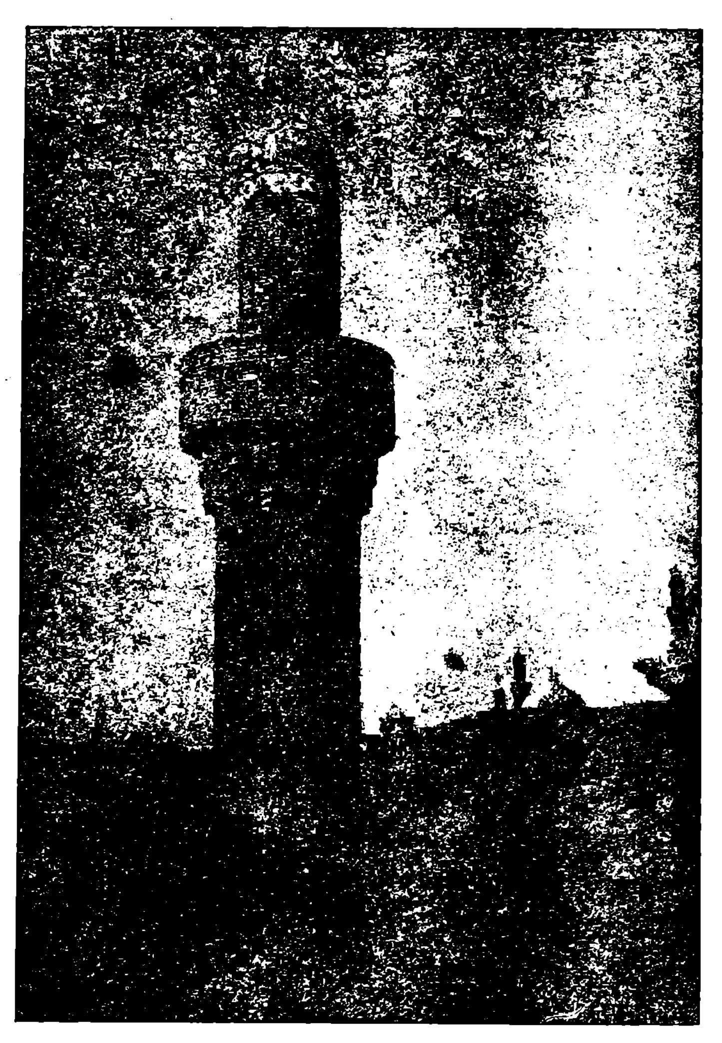
---

(١) Niebhur: Voyage en Arabie, vol 2, p. 244

(٢) مصطفى جواد : احمد سوسة : دليل خارطة بغداد ص١٧٠
مصطفى جواد : بحث فى مجلة سومر جـ١ ص١٩٤٧

(٣) ابن الاثير : جـ١٢ ص٧١ فيه (فى حوادث سنة ٥٩٩هـ توفيت السيدة زمرد خاتون أم الخليفة الناصر لدين‌الله واخرجت جنازتها ظاهرة وصلى الخلق الكثير عليها ودفنت فى التربة التى بنتها لنفسها وكانت كثيرة المعروف) •

وللسيدة زمرد خاتون مآثر خالدة في بغداد ، وهي جارية تركيــة



شكل : ١٥
« منارة مسجد الحظائر »
المعروف اليوم بجامع الخفافين ، بنته زمرد خاتون
أم الخليفة الناصر لدين‌الله العباسي والمتوفاة سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٢م

الأصل ، ذاقت مرارة الرق وذلته ، وهوان العبودية وقيودها ، وجيء بها الى بغداد مع الجواري لتباع في سوق النخاسة ، فاشتراها الامير أبو محمد الحسن بن الامير يوسف العباسي قبل سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م ، وفي سنة ٥٥٢هـ ولدت السيدة زمرد خاتون للامير أبي محمد الحسن ولدا ذكرا هو الامير ابو العباس احمد الذي صار بعد موت أبيه خليفة ولقب بالناصر لدين الله • وشيدت هذه السيدة مسجدا لايزال قائما في بغداد يعرف بمسجد الحظائر ، ويعتبر هذا المسجد من أقدم المساجد في بغداد وان مئذنته هي المئذنة الوحيدة الباقية من العصر السلجوقي ، فيها من أصالة الفن البنائي ما جعلها اما لكل المنائر التي بنيت بعدها ولاسيما المبنيات في العصور المتأخرة[1] ، ونلاحظ في هذه المئذنة نقوشا هندسية جميلة مختلفة وقد زُخرِفَتْ بالآجر الازرق ، والظاهر ان استخدام التربيعات المصنوعة من الخزف ذى البريق المعدني يرجع الى القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)[2] ومئذنة مسجد الحظائر أصدق مثل لتأثر الفن المعماري بالطراز السلجوقي ، ذلك الطراز الذي امتاز بكثرة الزخارف والمقرنصات والتي تحف بها النوافذ وأشرطة الزخرفة الهندسية والكتابات التاريخية[3] ، وقد بنيت على مثالها منارة الشيخ معروف الكرخي في الجانب الغربي من بغداد وتاريخ البناء مكتوب على المئذنة ولا يزال قائماً حتى الآن ويرجع الى سنة ٦١٢هـ/١٢١٥م (انظر شكل : ٢) • وشيد في سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م مسجد قُمرية بالجانب الغربي من بغداد على شاطيء دجلة ، ويعرف هذا المسجد بهذا الاسم نسبة الى (قمرية) من أهل بيت الناصر لدين الله الخليفة العباسي أو احدى حظاياه[4] ، ومنارة المسجد قائمة

---

(١) مجلة سومر : بحث للاستاذ الدكتور مصطفى جواد جـ١ ص١٩٤٦

(٢) زكي حسن : **الفنون الايرانية ص٥٦**

(٣) زكي حسن : فنون الاسلام ص٩٤

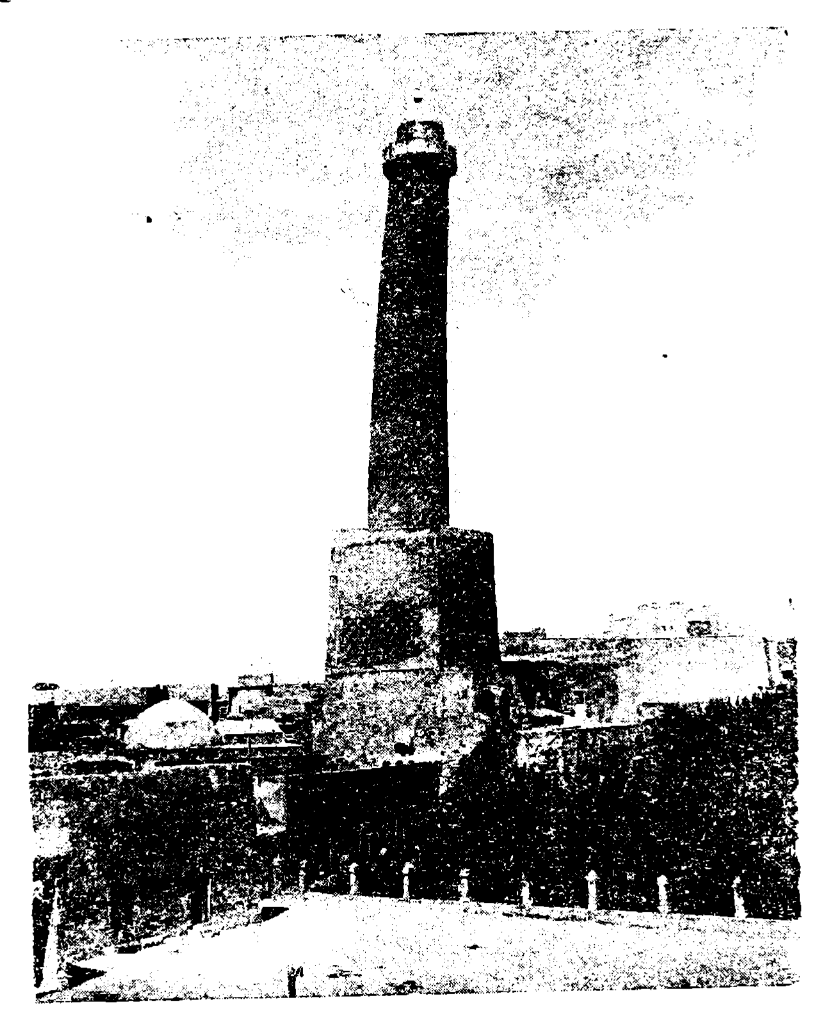
(٤) دليل خارطة بغداد : ص١٨٩ـ١٩٠



شكل : ١٦
منارة جامع قُمرية ، في الجانب الغربي من بغداد ،
شُيِّد الجامع سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م

حتى هذه اللحظة شبيهة بمنارة مسجد الحظائر • كما أصبحت منـــارة زمرد خاتون مثالا يحتذى في بناء المآذن الاسلامية في بغداد والعراق عامة •

ولعل أشهر المآذن العراقية والمتأثرة بالفن السلجوقي ، مئذنة الجامع



شكل : ١٧

منارة الجامع النوري في الموصل

النوري الذي شيده نورالدين محمود بن عمادالدين زنكي المولود سنة ٥١١هـ/١١١٧م ، والمتوفى سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م[١] ، شيد الجامع الذي عرف بالجامع الكبير وبالجامع النوري في مدينة الموصل ، وقد أوقف على الجامع اوقافاً كثيرة ، تصرف وارداتها على الجامع ، وقد صرف على الجامع حوالي ستين ألف دينار[٢] وقال عنه أبو شامة : واليه النهاية في الحسن والاتقان[٣] ، وأخبرنا عن أوقافه الخطيب العمري : ان نورالدين أوقف على الجامع قيسارية الجامع النورى وكانت أعظم قيساريات الموصل وان عدد دكاكينها كانت ٦٩٩ دكانا[٤] ، وأجل ما بقيَ من هذا الجامع العظيم ، مئذنته الجميلة السامقة الرائعة ، بعلوها وغناها بالزخارف الآجرية، وارتفاع هذه المئذنة يزيد على الخمسين مترا ، وتعتبر من أطول المآذن في العراق ، وتتألف من قاعدة مربعة وبدن أسطواني يضيق تدريجيا في نحو ثلاثة أمتار في البداية الى أكثر قليلا من مترين قبيل القمة التي تشبه الخوذة[٥] .

فالأثر السلجوقي واضح في العمائر العراقية في الاسوار والقصور والمساجد وبناء المدارس ولا يزال باب الظفرية وهو أحد ابواب بغداد

---

(١) راجع عن شخصية نورالدين محمود بن عماد الدين زنكي :
ـ ابن الاثير : الكامل : جـ١١ص١٥١ ، أبو شامة : الروضتين، المنتظم : جـ١٠ ص٢٤٩ ، النجوم الزاهرة : جـ٦ ص٧١ـ٧٢ ، الكواكب الدرية في السيرة النبوية : مخطوط بدار الكتب برقم ١٢٢٧ « تاريخ » ، روضةالمناظر في أخبارالاوائل : لابنالشحنة ص ٨٠ـ١٠٠ على هامش ابن الاثير جـ١٢ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم جـ١٠ ص٢٤٩

(٣) أبو شامة : الروضتين جـ١ ص٩

(٤) الخطيب العمري : منهل الاولياء ومشرب الاصفياء في ذكر سادات الموصل الحدباء (مخطوط) .

(٥) كونل : الفن الاسلامي ص٦٤
ـ زكي حسن : الفنون الاسلامية ص٩٤

الشرقية والذي شيد في العصر السلجوقي والذي اتخذته الحكومة العراقية متحفا للاسلحة القديمة وهو غني بالزخارف الهندسية المختلفة ويعطينا صورة ناطقة للفن المعماري السلجوقي الذي دخل العراق بعد السيطرة السلجوقية ٠

ومما له علاقة بفن البناء ، فن الكتابة ، وكانت معظم الابنية الاسلامية تزين واجهاتها بالكتابات الكوفية ، ولكن ما ان حل العصر السلجوقي الا وازداد الخط الكوفي دقة وجمالا(١) ، كما تطور الخط الكوفي في ايران تطورا كبيرا في المصاحف السلجوقية التي تنتمي الى القرنين الحادي عشر والثاني عشر وأصبحت غنية بتذهيبها(٢) ، وفي هذا العصر ظهر خط النسخ ، والذي انتشر في العراق وصارت واجهات المباني تكتب بهذا الخط الجميل ، كما نشاهد ذلك على كثير من المنشآت العباسية في العراق كالكتابة التي كتبت على قنطرة حربي التي شيدها الخليفة المستنصر بالله العباسي سنة ٦٢٩هـ/١٢٣١م، والكتابة التي كتبت في واجهة المدرسة المستنصرية وجدرانها الاخرى سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م ، وغيرها من المنشآت العباسية(٣) ، كما ظهر في أواخر العصر السلجوقي الخط التعليق(٤) ، وهو الفن الكتابي الآخر الذي انتشر في العراق ، ولم تقتصر الكتابة بالخطوط الجديدة على الابنية بل صار الخطاطون يستعملون الخط النسخ والتعليق في كتابة القرآن الكريم ومن أشهر المصاحف الكريمة التي تعتبر من الآثار الخالدة في هذا الفن المصحف الذي كتب في بغداد سنة ٧٠٦هـ/١٣٠٧م ، والمحفوظ في ليبزج ، ومصحف محفوظ بدار الكتب المصرية كتبه عبدالله بن محمد في همدان سنة ٧١٣هـ/١٣١٣م ، ويحتوى هذا المصحف

---

(١) زكي حسن : الفنون الايرانية ص٦٣

(٢) ديماند : الفنون الاسلامية ص٧٨ ترجمة احمد عيسى ، وتقديم الدكتور فكري ٠

(٣) حسين امين : المدرسة المستنصرية (الشكل رقم ٥ ، ٦) ٠

(٤) ديماند : الفنون الاسلامية ص٧٩ ٠

الاخير على عدد من الصفحات الكاملة التذهيب[1] .

ولفن النحت علاقة وثيقة بالعمارة الاسلامية والسلاجقة في هـــذا



شكل : ١٨
رأس انسان من الجص
من صناعة ايران في العصر السلجوقي / القرن الخامس الهجري
(١٢ ـ ١٣م)

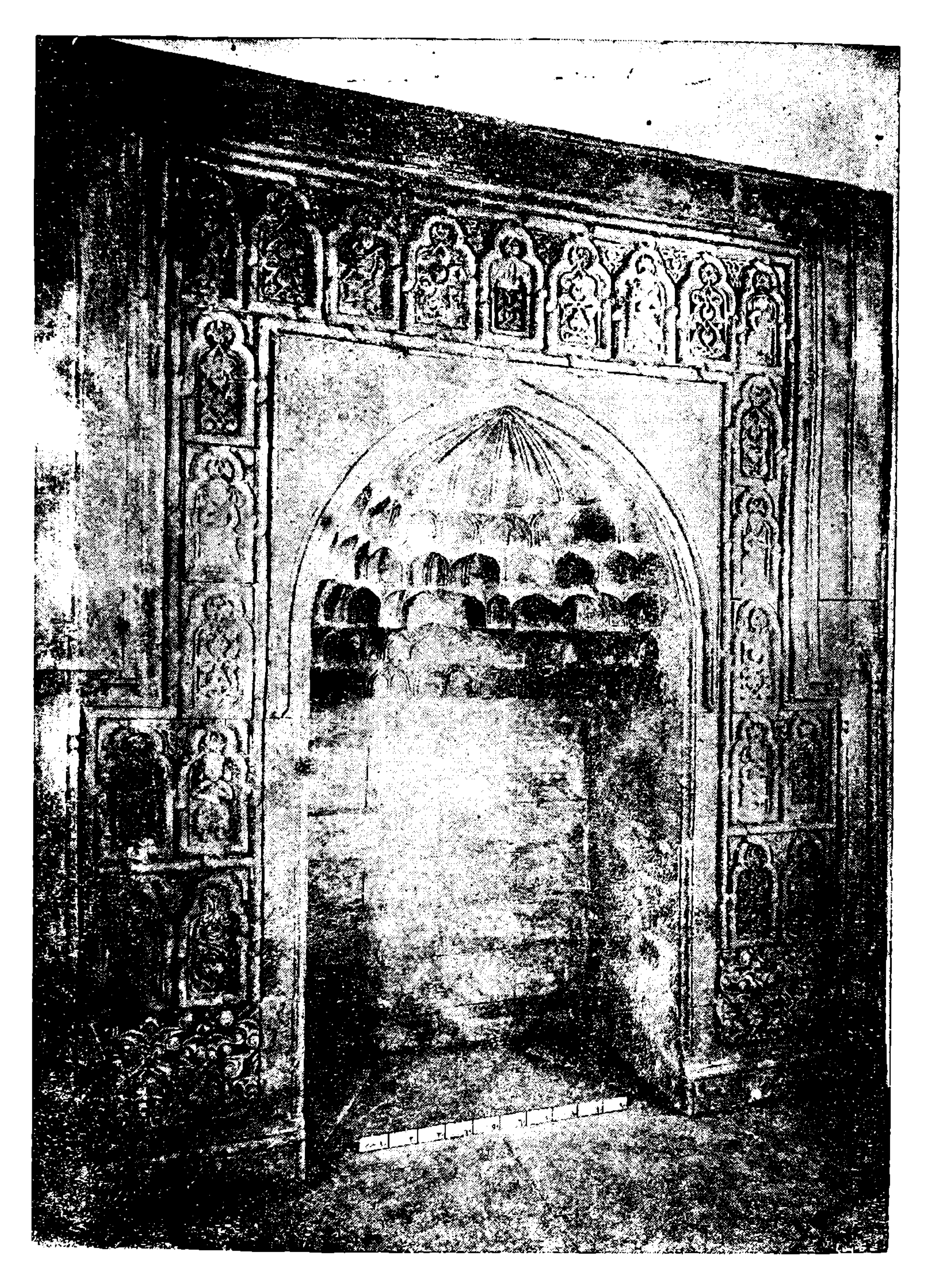
الباب باع طويل ، وقد انتقلت الكثير من المظاهر الفنية التي استجدت في العصر السلجوقي الى العراق ، والزخارف الفنية المحفورة على الحجر او

(١) ديماند : ص٨٠

الجص في مساجد الموصل وقصورها وكنائسها ما يظهر الفن السلجوقي وخصائصه في هذا العصر ، وفي مسجد نور الدين محمود والمعـــــروف بالمسجد النوري في الموصل محرابان بديعان من الحجر تزينهما زخـارف التوريق النباتية ، ونجد في أحد هذين المحرابين أساليب مختلفة من زخارف



شكل : ١٩
محراب جامع الاربعين في تكريت
يمثل نموذجا بديعا للمحاريب في العصر السلجوقي



شكل : ٢٠

« محراب سنجار »

يمثل بوضوح فن النحت السلجوقي وانتشاره

في عمل المحاريب الاسلامية

التوريق المنحوتة نحتـا غائرا أو بارزا على مستويات مختلفة[1] ، وشبيه ذلك الطـراز محراب جامع الاربعين في تكريت ، ومحراب محفـوظ في المتحف العراقي ، وهو من الرخام ، موطنه سنجار منطقـة « كوه كمت » من القرن السادس الهجري ، (شكل ٢٠) وكذلك يظهر فن النحـت السلجوقي في بناية بدر الدين لؤلؤ المعروفة قرەسراى ، ونلاحظ في القصر



شكل : ٢١
بقايا قصر بدرالدين لؤلؤ المسمى
(قره سراي)

---

(١) ديماند : ص١٠٠
- زكي حسن : فنون الاسلام ص٦٣٢

زخارف جصية مكونة من عناصر طريفة من بينها أشخاص وطيور ، من الزخارف التي شاعت في الموصل ، ويظهر هذا الفن في مبان اسلامية أخرى ترجع الى القرن الثالث عشر الميلادي في الموصل وسنجار وفي بعض الكنائس المسيحية كذلك(١) ٠

وقد انتشر هذا الفن السلجوقي في جميع أجزاء العراق ، واذا ما لاحظنا بقايا باب الطلسم ، باب الحلبة الذي هو أحد أبواب بغداد الشرقية وجدنا فيه نقش يتضمن اسم الخليفة الناصرلدين الله ، ويزين عقد ذلك الباب نقش بارز يعتبر من أحسن الامثلة المعروفة للنحت السلجوقي ، اما موضوع النحت فيمثل الخليفة جالسا وعلى جانبيه تنينان انعقد جسم كل منهما ، وتكسو الارض زخارف التوريق الدقيقة التي تشبه الدنتيلا(٢) ٠

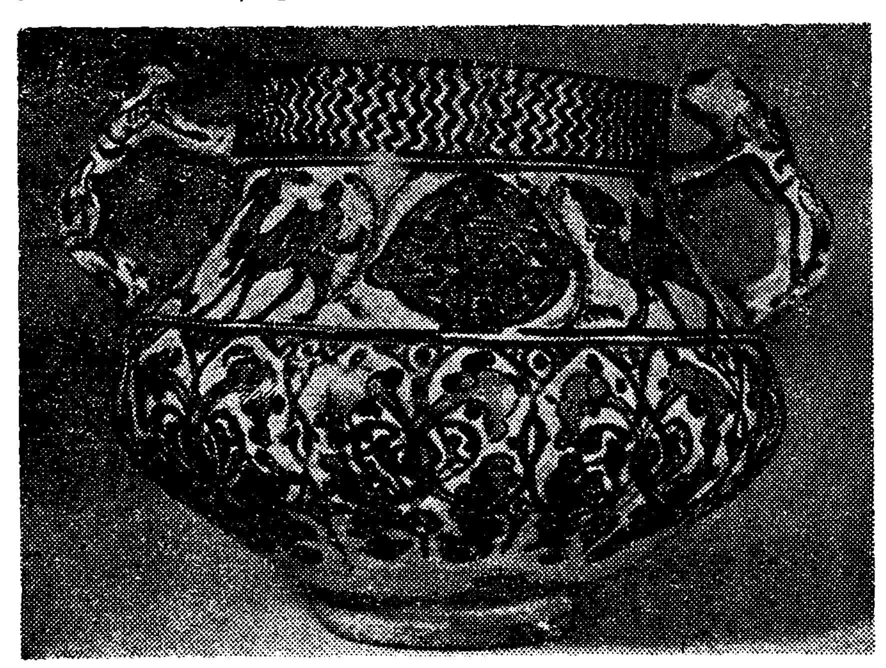
هذه هي أهم نواحي التأثير السلجوقي في العمارة العراقية ، في فن طراز البناء والزخرفة والكتابة والنحت وفي أبنية المساجد والقصور والبيوت والمدارس ، وعلى الرغم من تَغيّر الاحوال وابتعاد الاحقاب فلا زالت بعض تلك الطرز مأخوذ بها في الابنية العراقية حتى وقتنا الحالي ، فالمآذن البغدادية لازالت تقام في بغداد على النسق السلجوقي ولا يزال الفن الزخرفي يحلى تلك المآذن وأبنية المساجد ، ولا يزال القاشاني الذي يستخدم في تجميل تلك الأبنية يستعمل بكثرة وبعناية الى يومنا هذا ، كما لا يزال خط النسخ السلجوقي في مقدمة الخطوط الكتابية التي تحلى واجهات المساجد والمآذن والقباب في بغداد ٠

وانتشرت الصناعات في العراق في العصر السلجوقي وتفنن الصناع

---

(١) كونل : ص٧٣
ديماند : ص ١٠١
(٢) ديماند : الفنون الاسلامية ص١٠١ـ١٠٢
كونل : الفن الاسلامي ص٧٣

في صنايعهم ويكفينا ابن الجوزي مؤونة البحث فقد أورد هذا المؤرخ بعض مظاهر الصناعات والفنون عند وصفه لبعض المواكب البغدادية التي تخرج في المناسبات المختلفة قال : في رابع ذي القعدة ولد للمقتدى من خاتون ابنة السلطان ولد فسماه جعفرا وكناه أبا الفضل وزين البلد لأجلـــه وجلس



شكل : ٢٢
اناء من الخزف ـ صناعة الري ـ
من القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي

الوزير للهناء بباب الفردوس ونصب القبـــاب بنهر معلى وزينت ســـوق الصيارفة بأواني الذهب والفضة والجواهر ، وأظهر الكافوريون تماثيـــل من الكافور وأظهر كل قوم من صناعتهم عجبا ، فسير الملاحون سفينة على عجل وأظهر الطحانون ارحاء تطحن على وجه الأرض[1] ، وذكر أيضا :

---

(١) المنتظم : جـ٩ ص٣٨ حوادث سنة ٤٨٠هـ
ابن الاثير : جـ٩ ص٥٥ ذكر الحادثة باختصار .

وفي ثامن عشـــر ربيع الآخر من سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م ، اذن للعـوام في الفرجة والعمل في بناء السور وحمـل أهل المحـــال السلاح والاعـــلام والبوقات والطبول ومعهم المعاول وأنواع الملاهى من الزمور والحكايـات والخيالات فعمل أهل باب المراتب من البواري المقيرة على صورة الفيـل وتحته قوم يسيرون به وعملوا زرافة كذلك واتى أهل قصر عيسى بسميرة كبيرة فيها الملاحون يجدفون وهي تجرى على هاذور ، وأتى أهل سوق يحي بناعورة تدور معهم في الاسواق ، وعمل أهل سوق المدرسة قلعـة خشب تسير على عجل وفيها غلمان يضربون بقسى البنـــدق والنشـــاب ، وأخرج قوم بئرا على عجل وفيها حائك ينسج وكذلك السقلاطونيون[1] ، وكذلك الخبازون جاؤوا بتنور وتحته ما يسير به ، والخباز يخبز ويرمي الخبز الى الناس[2] . وذكر ابن الجوزي أيضا نصا فريدا يعطينا صورة واضحة لتقدم الفنون والصناعات كما يبين لنا أمرا مهما هو ان الفنانـــين يرسمون ويصورون أي شخص عدا الخليفـة ومن هو في طريقـــه الى الخلافة ، ويبدو أن ذلك لا يجوز تمشيا مع التقاليد الاسلامية التي تعتبر التصوير الانساني من الاشياء الغير المحببة عند الفقهاء فذكـــر انه خطب لولى العهد يوم الجمعة غرة ذي الحجة سنة ٥٢٧هـ ، فعاد التعليق وعلقت القباب فعمل الذهبيون قبة على باب الخان العتيق عليها صورة مسعود وخاص بك وعباس وغيرهم من الامراء بحركات تدور ، وعلق ابن المرخم قبة فيها خيل تدور وعليها فرسان بحركات ، وعلقت بنت قاروت بباب درب المطبخ قبة فيها صورة السلطان وعلى رأسه شمسية وعلق ترشك قبة على ســطح داره على تماثيل صور أتراك يرمون بالنشاب .. وغـيرها من التعاليق[3] وهذه أمثلة بسيطة الى بعض الصناعات المنتشرة في بغداد والمدن العراقيـــة

---

(١) السقلاطونيون : الذين ينسجون الحرير بخيوط الذهب .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم جـ٩ ص٩٥
ابن الاثير : الكامل جـ٩ ص٨٧

(٣) المنتظم جـ١٠ ص١٤٨ـ١٤٩

والتي على ما يبدو كانت تجد تأييدا وتشجيعا من الخلفاء العباسيين والحكام السلاجقة كما امتازت مدينة الموصل بصناعة التحف المعدنية وتعتبر هـذه المدينة أهم مراكز تكفيت التحف المعدنية بالفضة ، ومن أقـدم منتجات مدينة الموصل ابريق من النحاس الاصفر المكفت بالفضة محفوظ في متحف المتروبوليتان[1] كمـا اشتهر العـراق بصناعة الخـزف والنسيج وتكفيت

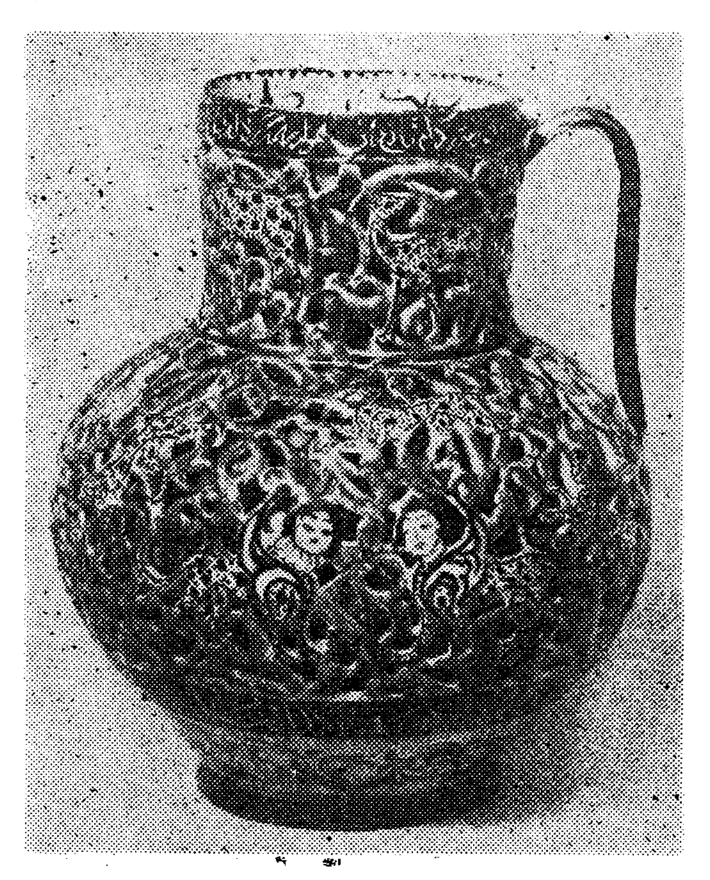


شكل : ٢٣
منظر داخلي لسلطانية من الخزف ، عليها نقوش فوق الدهان ، من منطقة ساوة ، مؤرخة سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م

---

(١) ديماند : الفنون الاسلامية ص١٥١

التحف المعدنية وغيرها من الصناعات المختلفة • فقد كانت صناعة الخزف في العصر السلجوقي من ابرز الصناعات ، وقد تعددت انواعه فهناك الخزف ذو البريق المعدني والمرسوم فوق الدهان بلون واحد او بعدة الـــوان ، وكذلك الخزف ذو الزخارف المحفورة والمنقوشة ، ويعتبر ما انتجـــه وابتكره الخزفيون في العصر السلجوقي ، غاية الدقة والاتقان • ومـــن الجدير بالذكر انه قد شاع في العراق زمن السلاجقة ، استخدام الخزف



شكل : ٢٤
ابريق من الخزف ذي الزخارف المخرمة من ايران
في العصر السلجوقي مؤرخة ٦١٢هـ/١٢١٥ ـ ١٢١٦م

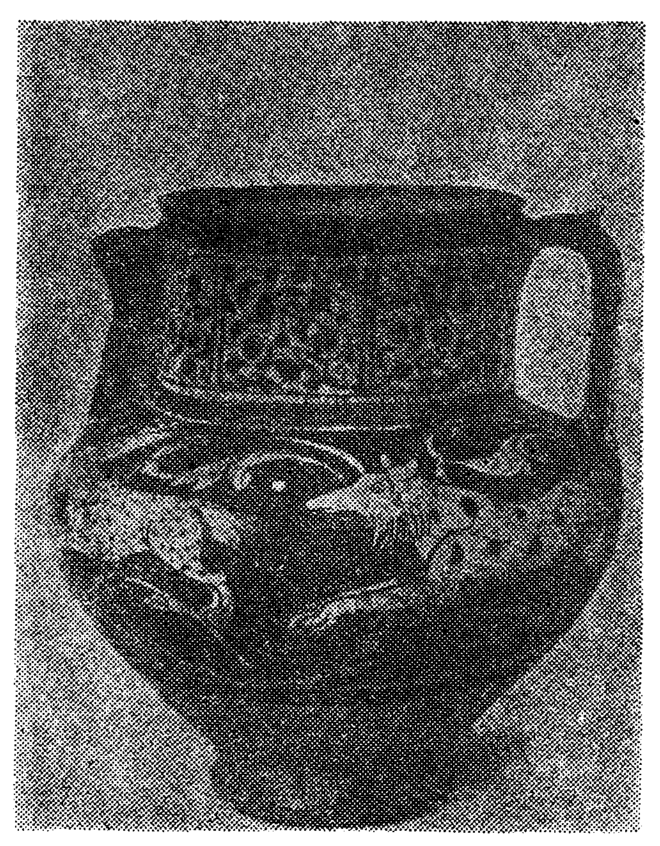
ذي الزخارف البارزة المصنوعة بالقرطاس ، ومن الجائز ان تكون مدينة الموصل موطن ما عُثر عليه من أواني ذلك النوع ، اذ الراجح انها كانت احدى مراكز صناعته المهمة[1] .



شكل : ٢٥

ابريق من الخزف ذي البريق المعدني من صناعة الري في العصر السلجوقي ، من القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي

(١) ديماند : ص١٩٨-١٩٩

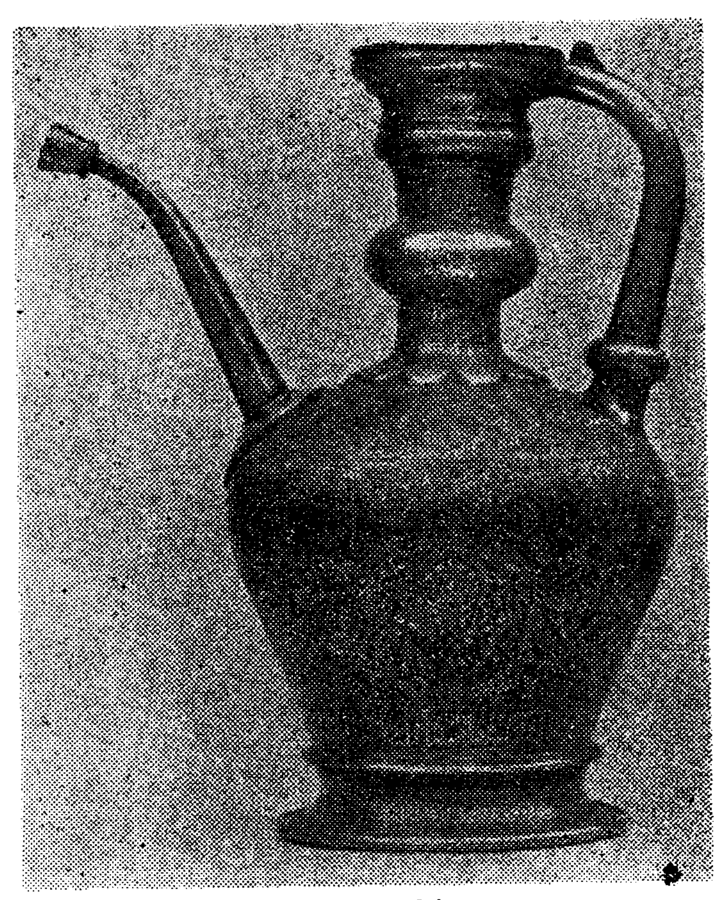


شكل : ٢٦

ابريق من الخزف ذي البريق المعدني من صناعة الري في العصر السلجوقي ، في القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي

واشتهرت الموصل بكونها من اهم مراكز تكفيت التحف المعدنيـــة بالفضة ، وخضعت تلك المدينة في المدة بين عامي ١١٢٧-١٢٦٢م ، لسلطان اسرة اتابكية ، هما اسرة زنكي السلجوقي ، التي تعد من اعظم رعـــاة الفنون والصناعات في عصرها[١] • ومن أجمل ما حفظ من ذلك التراث

(١) ديماند : ص١٥١



شكل : ٢٧
ابريق من النحاس المطعم بالفضة من صناعة الموصل ـ مؤرخة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م من عمل (أحمد الزكي النقاش بالموصل)

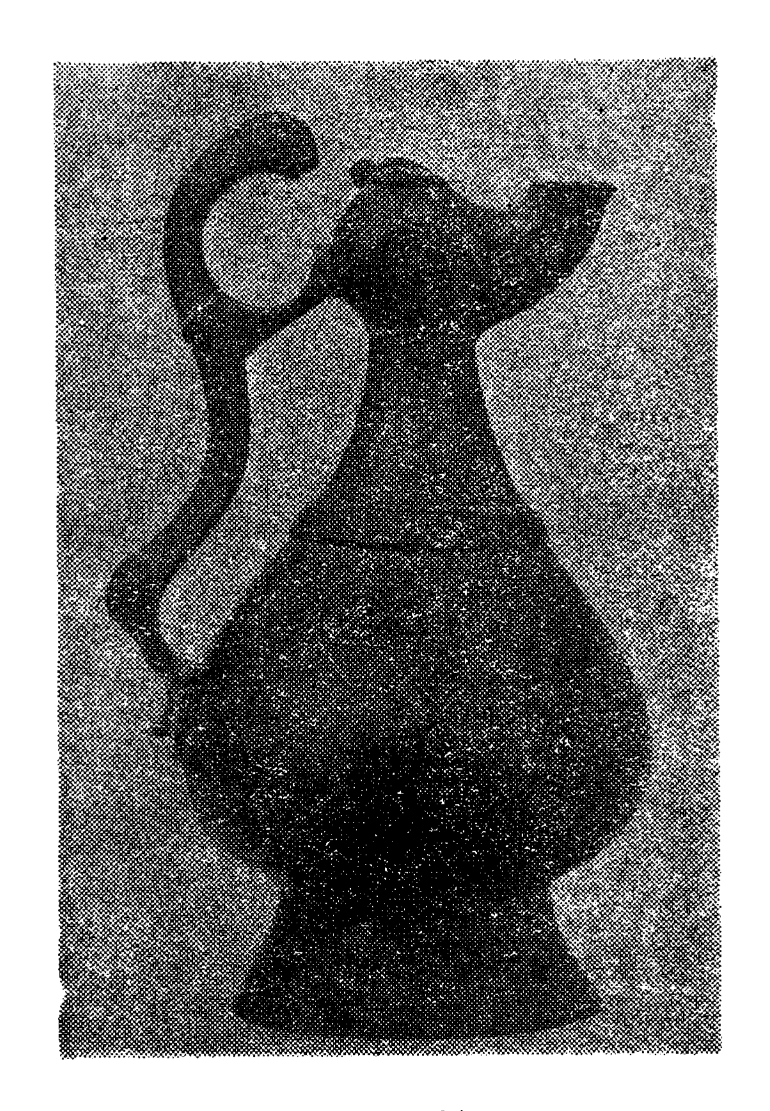
ابريق من النحاس الاصفر المكفت بالفضة ، محفوظ في متحف المتروبوليتان، ويمثل ذلك الابريق ، اسلوب مدرسة الموصل الفنية ، والابريق تزينه زخارف جميلة لرسوم آدمية واشكال هندسية مختلفة وكتابات عربية داخل اشرطة ومناطق منفصلة .

وتحتفظ المتاحف العالمية بعدد كبير من المنتوجات الصناعية ، التـي

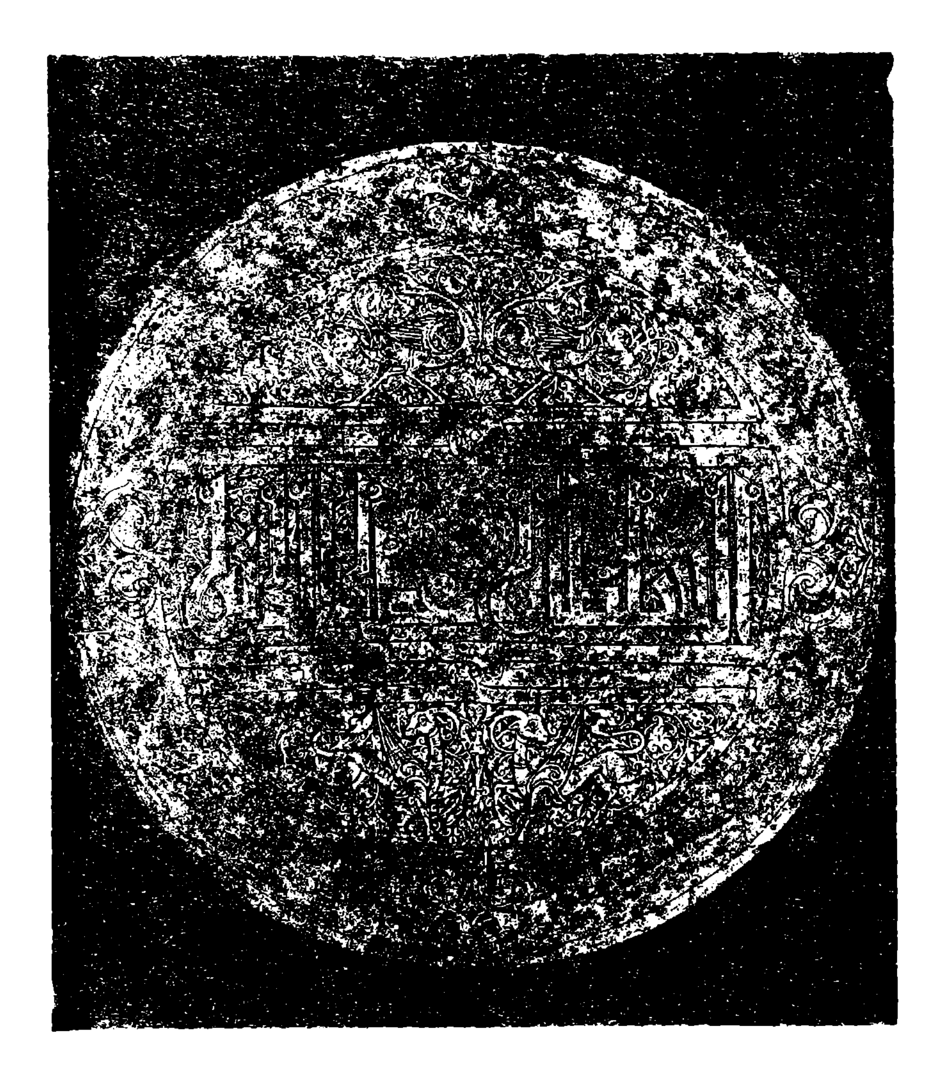


شكل : ٢٨
ابريق من النحاس المطعم بالفضة من صناعة ايران
في مطلع القرن الثالث عشر الميلادي

انتجها الصانع العراقي في العصر السلجوقي والتي امتازت صناعتها بالدقة والجمال ، وتعدد الاساليب الزخرفية في تلك النماذج الرائعة ، من الاباريق والشمعدانات والعلب والسلطانيات وغيرها من الاشياء التي صنعها الفنانون العراقيون •



شكل : ٢٩
ابريق برنزي مطعم بالفضة من ايران في العصر السلجوقي
(من القرن الثاني عشر الميلادي)



شكل : ٣٠
صينية من الفضة ذات زخارف محفورة عملت للسلطان (الب ارسلان) سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م ، وعليها اسم صانعها (حسن القاشاني) في متحف الفنون الجميلة بمدينة دمشق



شكل : ٣١

قاعدة شمعدان من النحاس المطعم بالفضة
من صناعة الموصل في العصر السلجوقي (القرن الثالث عشر الميلادي)

واشتهرت بغداد بصناعات النسيج في العصر العباسي ، وفي العصر السلجوقي تأثرت تلك الصناعة بالتأثيرات السلجوقية التي تأثرت هي الاخرى بالفن الفارسي القديم ، وانتشرت في بغداد والموصل صناعة نسيج الحرير الموشى بالذهب ، كما امتازت تلك الانسجة باشكالها المتعددة والوانها الزاهية والرسوم الآدمية والحيوانية والبنائية التي كانت تحلى ذلك النسيج الذي اشتهرت بانتاجه مدينتا بغداد والموصل •



شكل : ٣٢

قدر من البرنز ذات زخارف محفورة ومطعمة بالفضة والنحاس الاحمر صنعت في مدينة هراة في العصر السلجوقي سنة ٥٥٩هـ/١١٦٣م ، وعليها امضاء صانعيها : محمد بن عبدالواحد ومسعود بن أحمد ٠ في متحف الهرميتاج

اذن كان للسلاجقة تراث كبير في العلوم والآداب والفنون والعمران وقد تأثر العراقيون بها واستفادوا من تلك العلوم والآداب التي عملت على ازدهار الثقافة في العراق ، كما أنهم استخدموا الطرز المعمارية السلجوقية المختلفة وتأثروا بشتى نواحـي الفنون ، ولا تزال بعض تلـك المظاهـر المعمارية والفنية بارزة شاخصة في الابنية العراقية المتمثلة بأبنية المساجـد والمدارس والقصور والابواب ، علما أن الكثير من تلك الآثار قد طمست وانمحت لأسباب سياسية وطبيعية مختلفة الا أن الباقي منها يعطينا فكرة واضحة لذلك التراث العظيم •

خاتمة البحث :

حاولنا في عرضنا لهذا الموضـــوع التاريخي استخلاص الحقائق في الفترة التي حكم فيها السلاجقة للعراق والممتدة من سنة **٤٤٧ ـ ٥٩٠هـ/ ١٠٥٥-١١٩٣م** ، فتعرضنا الى حالة الخلافة العباسية قبيل دخول السلاجقة بغداد وتعرفنا على الكثير من المساوىء التى كانت سائدة في العصر البويهي وذكرت بعض الملامح في آخر الفصل الاول من هذه الرسالة وبينت ان هذه الملامح ستتكرر في خلال حكم السلاجقـــة للعراق أيضا ونحن في ختام البحث نؤكد على هذه الناحية ، فاستبداد السلاطين السلاجقة كان لا يختلف كما لاحظنا عن استبداد السلاطين البويهيين كما اعتقد السلطان السلجوقي نفس اعتقاد السلطان البويهي بأنه هو الحاكم المتنفذ وصاحب السلطة الاول • وكما تدخل البويهيون في خلافة العباسيين كذلك فعـــل السلاجقة ، حيث استحوذوا على سلطـــات الخليفـــة وسلبوه امتيازاتـــه واختصاصاته •

وكان العصر البويهي يموج بالفتن والاضطرابات الكثيرة ، فـــان تلك الفتن استمرت كذلك في العصـــر السلجوقي ، كما ساء الوضـــع الاقتصادي في العراق خلال الحكمين البويهي والسلجوقي ، وكما قـــام البويهيون في توزيع الاقطاعيات على مؤيديهم ومناصريهم ، فان السلاجقة نهجوا عين النهج ولكن بشكل أوسع مما أدى الى نتائج خطيرة كما لاحظنا وسبب ضعف الدولة وسقوطها •

الا أننا نجد في هذا العصر ظهور النشاط الـكبير الـذي ابداه بعض الخلفاء العباسيين والذين جاهدوا في سبيل انقاذ الخلافة من ربقة الحـكم السلجوقي وقد بدأ تلك المحاولات الخليفة المسترشد بالله ، وانتهت تلك المحاولات باستقلال الخلافة نهائيا سنة **٥٩٠هـ/١١٩٣م** ، في عهد الخليفة الناصر لدين الله بعد مقتل السلطان طغرل الثالث على ايدي الخوارزميين •

وكانت بعض النظم السلجوقية جديدة في العراق وقد تعرفنا عليها في الفصل الذي عقدناه بدراسة تلك النظم •

الا أن هذا العصر امتاز بانتشار المدارس وازدهار حركة التعليم وأخذ السلاطين والوزراء والامراء يتسابقون الى بناء المدارس والصرف عليها ، وساعدت تلك المدارس على خلق جو ثقافي كبير في العراق •

والعصر السلجوقي في الحقيقة هو عصر ازدهار المذهب الشافعي ويرجع سبب ازدهاره كما بينا الى نفوذ نظام الملك ، الوزير السلجوقي ، وحرصه على تدريس فقه الامام الشافعي في مدارسه التي شيدها في العراق وبعض المدن الاسلامية ، كما ان من سياسة السلاجقة كما لاحظنا ، محاربة الآراء والمعتقدات المعادية للمذهب السني ، وقد لمسنا ذلك في الحروب التي شنها السلاجقة على الاسماعيلية ، كما كانت لجهودهم التوسعية في آسيا الصغرى آثارها الكبيرة في اضعاف الدولة البيزنطية وفي قيام الحروب الصليبية •

وقد دب الضعف في صفوف السلاجقة نتيجة المنافسات الشديدة من أجل الوصول الى العرش كما كانت للسياسة الاقطاعية التي اتبعها السلاجقة آثار بعيدة في تجزئة العالم السلجوقي وقيام الاتابكيات التي استقلت وصارت تنافس الدولة المركزية نفسها وقد استغلت الخلافة ضعف السلاجقة وخصوماتهم ، فعملت على الاطاحة بذلك النظام والتخلص من النفوذ السلجوقي •

وقام السلاجقة بأعمال عمرانية كثيرة في بغداد تجلت في أبنية المساجد والقصور والاربطة والمدارس والابواب والاسوار وقد حاولنا جمع الكثير من مظاهر الحضارة والعمران ورتبناه على شكل ملاحق ، الحقت بالكتاب ونرجو أن تعمل على افادة الباحثين في شتى مواضيعهم •

والله ولي التوفيق •

الملاحق

ملحق رقم (١)

الخلفاء العباسيون في العصر السلجوقي

١ ـ القائم بأمر الله ، ابو جعفر عبدالله ٤٢٢ـ٤٦٧هـ = ١٠٣١ـ١٠٨٥م
ابن القادر

٢ ـ المقتدى بأمر الله ، ابو القاسم عبدالله ٤٦٧ـ٤٨٧هـ = ١٠٧٥ـ١٠٩٤م
ابن محمد بن القائم

٣ ـ المستظهر بالله ، ابو العباس احمد ٤٨٧ـ٥١٢هـ = ١٠٩٤ـ١١١٨م
ابن المقتدى

٤ ـ المسترشد بالله ، ابو منصور الفضل ٥١٢ـ٥٢٩هـ = ١١٨ـ١١٣٤م
ابن المستظهر

٥ ـ الراشد بالله ، ابو جعفر المنصور بن ٥٢٩ـ٥٣٢هـ = ١١٣٤ـ١١٣٧م
المسترشد بالله

٦ ـ المقتفى لأمر الله ، ابو عبدالله محمد ٥٣٢ـ٥٥٥هـ = ١١٣٧ـ٦٦١٠م
ابن المستظهر بالله

٧ ـ المستنجد بالله ، ابو المظفر يوسف ٥٥٥ـ٥٦٦هـ = ١١٦٠ـ١١٧٠م
ابن المقتفي

٨ ـ المستضيء بأمر الله ، ابو محمد ٥٦٦ـ٥٧٥هـ = ١١٧٠ـ١١٧٩م
الحسن بن المستنجد

٩ ـ الناصر لدين‌الله ، ابو العباس احمد ٥٧٥ـ٦٢٢ = ١١٧٩ـ١٢٢٥م
ابن المستضيء

ملحق رقم (٢)

الوزراء العباسيون في العصر السلجوقي

في عهد القائم :

ابو طاهر محمد بن ايوب	٤٢٢هـ
ابو القاسم على بن حسن بن احمد بن المسلمة ،رئيس الرؤساء	٤٣٧هـ
ابو نصر محمد بن محمد ،فخر الدولة (ابن جهير) (اول مرة)	٤٥٠هـ
ابو الفتح محمد بن المنصور بن احمد بن دارست	٤٥٣هـ
ابو نصر محمد بن محمد ، فخر الدولة ، (ابن جهير) (المرة الثانية)	٤٥٤هـ
ابو يعلى الحسين بن محمد بن عبدالله بن ابراهيم الهمدانى	٤٦٠هـ
ابو نصر محمد بن محمد ، فخر الدولة (ابن جهير) (المرة الثالثة)	٤٦١هـ

في عهد المقتدى :

ابو نصر محمد بن محمد ، فخر الدولة ، (ابن جهير) (المستبقى)	٤٦٧هـ
محمد بن محمد بن محمد ، عميد الدولة ، (ابن جهير) (الثانى)	٤٦٧هـ
ابو شجاع ظهيرالدين ، محمد بن الحسين	٤٧١هـ
محمد بن محمد بن محمد ، عميد الدولة ، ابن جهير (الثانى) للمرة الثانية	٤٧١هـ
ابو الفتح ، ابن رئيس الرؤساء	٤٧٦هـ
ابو شجاع ظهيرالدين محمد بن الحسين بن محمد بن عبدالله ابن ابراهيم	٤٧٦هـ
محمد بن محمد بن محمد ، عميد الدولة ، (ابن جهير) للمرة الثالثة	٤٨٤هـ

في عهد المستظهر :

أبو القاسم علي بن محمد بن محمد ، (ابن جهير) الثالث ، قوامالدين زعيم الرؤساء — ٤٩٣هـ

أبو المعالي هبةالله بن محمد بن المطلب ، مجدالدين — ٥٠١هـ

أبو القاسم علي بن محمد بن محمد ، (ابن جهير) الثالث ، قوامالدين زعيم الرؤساء (ثانية) . — ٥٠٢هـ

في عهد المسترشد :

أبو علي حسن بن علي بن صدقة ، جلالالدين الاول — ٥١٢هـ

الشريف أبو القاسم علي بن طراد الزينبي العباسي (تولى نيابة الوزارة) — ٥١٦هـ

أبو نصر أحمد بن نظامالملك — ٥١٦هـ

أبو عليالحسن بن علي بن صدقة جلالالدينالاول « للمرة الثانية » — ٥١٧هـ

انو شروان بن خالد بن محمد القاشاني شرفالدين — ٥٢٢هـ

شرفالدين علي بن طراد الزينبي — ٥٢٣هـ

في عهد الراشد :

أبو الرضا محمد بن صدقة ، جلالالدين الثاني — ٥٢٩هـ

في عهد المقتفى :

الشريف أبو القاسم علي بن طراد الزينبي العباسي — ٥٣٠هـ

أبو نصر المظفر بن علي بن محمد نظامالدين (ابن جهير) — ٥٣٥هـ

أبو القاسم علي بن صدقة ، مؤتمنالدولة ، قوامالدين — ٥٣٥هـ

أبو المظفر يحي بن محمد بن سعيد ، عونالدين ، (ابن هبيرة) — ٥٤٤هـ

في عهد المستنجد :

أبو المظفر يحي بن محمد بن سعيد ، عون الدين (ابن هبيرة) (استبقى) ٥٥٥هـ

محمد بن يحي ، عزالدين (ابن هبيرة الثاني) ٥٦٠هـ

أبو جعفر أحمد بن سعيد شرف الدين بن البلدي ٥٦٣هـ

في عهد المستضيء :

أبو الفرج محمد بن ابي الفتوح عبدالله بن رئيس الرؤساء عضدالدين ٥٦٦هـ

أبو الفضل يحي بن عبيدالله بن محمد بن المعمر بن جعفر ، زعيم الدين ٥٦٦هـ

أبو بكر منصور بن ابي القاسم نصر ، ظهير الدين ، ابن العطار ٥٧٠هـ

في عهد الناصر :

أبو بكر منصور بن ابي القاسم نصر ، ظهير الدين ، ابن العطار (استبقى) ٥٧٥هـ

أبو الفتح بن الصاحب ، مجدالدين ٥٧٥هـ

أبو المظفر عبيدالله بن يونس ، جلال الدين ٥٨٣هـ

سعيد بن علي بن حديدة ، معزالدين ، الانصاري ، أبو المعالي ٥٨٤هـ

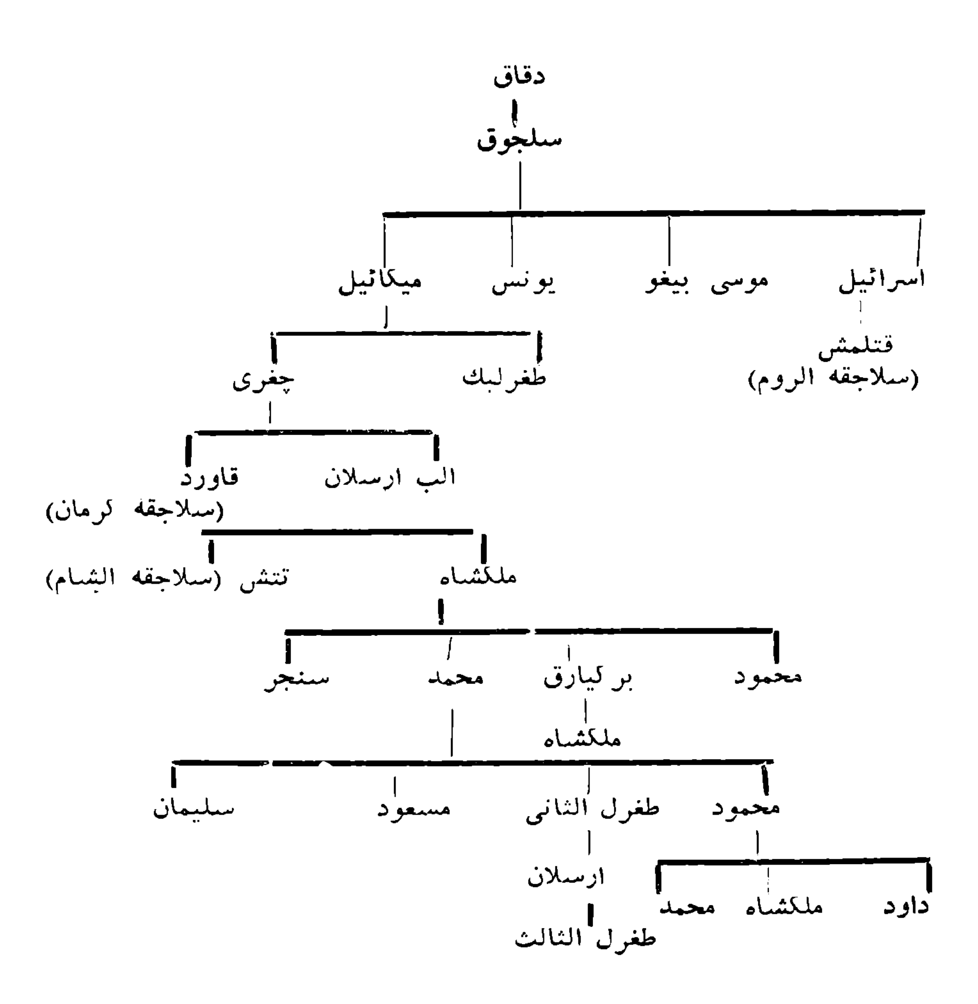
أبو المظفر محمد بن أحمد ، مؤيدالدين ، ابن القصاب ٥٩٠هـ

السيد الناصر بن المهدي العلوي الرازي البغدادي ناصر الدين ٥٩٢هـ

مؤيدالدين ، محمد بن محمد بن عبدالكريم ، برر القمي ٥٩٢هـ

ملحق رقم (٣)

شجرة النسب السلجوقي



ملحق رقم (٤)

السلاطين السلاجقة العظام

١ ـ السلطان طغرلبك : ركن‌الدين طغرلبك ابو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق . ٤٢٩ـ٤٥٥هـ

٢ ـ الب ارسلان : عضد الدولة ابو شجاع محمد الب ارسلان بن داود . ٤٥٥ـ٤٦٥هـ

٣ ـ ملكشاه : جلال الدولة ابو الفتح ملكشاه بن الب ارسلان . ٤٦٥ـ٤٨٥هـ

٤ ـ محمود : ناصرالدين محمود بن ملكشاه ٤٨٥ـ٤٨٧هـ

٥ ـ بركيارق : ركن‌الدين ابو المظفر بركيارق ابن ملكشاه ٤٨٧ـ٤٩٨هـ

٦ ـ محمد : غياث‌الدين ابو شجاع محمد بن ملكشاه ٤٩٨ـ٥١١هـ

٧ ـ سنجر : ناصرالدين ابو الحارث احمد سنجر ابن ملكشاه . ٥١١ـ٥٥٢هـ

ملحق رقم (٥)

سلاطين سلاجقة العــراق

١ ــ مغيث‌الدين ابو القاسم محمود بن محمد ابن ملكشاه	٥١١هـ ــ ١١١٧م
٢ ــ غياث‌الدين ابو الفتح داود بن محمود	٥٢٥هـ ــ ١١٣٠م
٣ ــ ركن‌الدين ابو طالب طغرل بن محمد	٥٢٦هـ ــ ١١٣١م
٤ ــ ابو الفتح غياث‌الدين مسعود بن محمد	٥٢٧هـ ــ ١١٣٢م
٥ ــ معين‌الدين ملكشاه بن محمود بن محمد ابن ملكشاه	٥٤٧هـ ــ ١١٥٢م
٦ ــ غياث‌الدين محمد بن محمود	٥٤٨هـ ــ ١١٥٣م
٧ ــ سليمان شاه بن محمد	٥٥٥هـ ــ ١١٦٠م
٨ ــ ركن‌الدين ارسلان شاه طغرل ، ابو المظفر	٥٥٦هـ ــ ١١٦١م
٩ ــ ركن‌الدين طغرل الثالث بن ارسلانشاه	٥٧٣هـ ــ ١١٧٧م

ملحق رقم (٦)

وزراء سلاطين سلاجقة العراق

في عهد السلطان محمود :

نظام‌الدين ابو منصور الحسين بن محمد بن الحسين ابن عبدالله الهمداني (ربيب الدولة القيراطي)	٥١١هـ
كمال الملك ابو الحسن على بن احمد السميرمى	٥١٣هـ
شمس‌الملك عثمان بن نظام الملك	٥١٦هـ
ابو نصر احمد بن محمد بن حامد بن محمد المستوفى ، العزيز	٥١٧هـ
ابو القاسم على بن القاسم الانساباذى	٥١٨هـ
شرف‌الدين انو شروان بن خالد بن محمد القاشانى	٥٢١هـ
ابو القاسم على بن القاسم الانساباذى (مرة ثانية)	٥٢٣هـ

في عهـــد طغـــرل :

ابو القاسم على بن القاسم الانساباذى	٥٢٦هـ
قوام‌الدين القاسم الدركزينى	
شرف‌الدين على بن رجا[١]	

في عهـــد مســـعود :

فخر الملك ابو على عمار بن محمد بن عمار	٥١٢هـ
الاستاذ الطغرائي ، ابو اسماعيل الحسين بن على بن محمد ابن عبدالصمد العميد ، فخر الكتاب ، مؤيدالدين	٥١٣هـ
شرف‌الدين انو شروان بن خالد القاشانى	٥٢٢هـ

---

(١) رشيدالدين :جامع التواريخ جـ١ ص١٠٤

كمال‌الدين ابو البركات بن سلمة الدركزيني[1] ٥٢٩هـ

كمال‌الدين محمد بن الحسين الخازن[2] ٥٣٢هـ

عزالملك ، ابو العز طاهر بن محمد

تاج‌الدين الشيرازى

شمس‌الدين ابو النجيب الأصم الدركزيني

في عهد ملكشاه بن محمود :

شمس‌الدين ، ابو النجيب[3] ٥٤٧هـ

في عهـــد محمد بن محمود :

جلال‌الدين ابو الفضل بن القوام الدركزيني[4] ٥٤٨هـ

شمس‌الدين ابو النجيب[5] ٥٤٩هـ

في عهد سليمان شاه بن محمد :

شهاب‌الدين بن محمود بن الثقة بن عبدالعزيز النيسابورى[6] ٥٥٥هـ

---

(١) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٣٠
(٢) المرجع السابق : حوادث سنة ٥٣٢
(٣) راحة الصدور : ص٣٥٩
(٤) العماد الاصفهانى : زيدة النصرة ص٢٣١
الراوندى : راحة الصدور ص٣٧١
(٥) العمادة الاصفهانى : زيدة النصرة : يلقبه بالدركزيني ص٢٤٥
(٦) المرجع السابق : ص٢٨٩

في عهد ارسلان بن طغرل :

شهاب‌الدين بن الثقة عبدالعزيز البتسابورى[١]	٥٥٥هـ
فخرالدين بن معين‌الدين أبو نصر أحمد بن الفضل القاشانى[٢]	٥٦١هـ
جلال‌الدين بن قوام‌الدين الدركزينى[٣]	٥٦٥هـ

في عهـــد طغرل الثالث :

جلال‌الدين بن قوام‌الدين الدركزينى (استبقى)[٤]	٥٦٥هـ
كمال‌الدين الزنجانى[٥]	
صدرالدين المستوفى المعروف بالتعجيلى[٦]	
صدرالدين المراغى[٧]	
معين‌الدين الكاشى[٨]	٥٨٩هـ
فخرالدين بن صفى‌الدين الورامينى[٩]	

---

(١) الراوندى : ص٤١٠
(٢) الراوندي : ص٤١٧ـ٤١٨ / زبدة النصرة : ص٣٠١
(٣) الراوندى : ص٤٢٦
(٤) الراوندى : ص٤٦٢
(٥) المرجع السابق : ص٤٦٢
(٦) المرجع السابق : ص٤٦٢
(٧) راحة الصدور : ص٤٦٢
(٨) راحة الصدور : ص٤٦٢
(٩) المرجع السابق : ص٤٦٢

ملحق رقم (٧)

رمز تواقيع السلاطين السلاجقة

السلطان طغرلبك :

كان توقيعه هكذا . (رسم) — راحة الصدور ص١٦٠

السلطان الب ارسلان :

كان توقيعه : (ينصر الله) — راحة الصدور ص١٨٦

السلطان بركيارق :

كان توقيعه (اعتمادى على الله) — راحة الصدور ص٢١٤

السلطان محمد بن ملكشاه :

كان توقيعه (استعنت بالله) — راحة الصدور ص٢٣٤

السلطان سنجر :

كان توقيعه (توكلت على الله) — راحة الصدور ص٢٥٥

السلطان محمود بن محمد :

كان توقيعه (اعتصمت بالله) — راحة الصدور ص٢٩٩

السلطان طغرل الثانى :

كان توقيعه (اعتصمت بالله وحده) — راحة الصدور ص٣٠٦ العاشر

السلطان مسعود :

كان توقيعه (اعتمادى على الله) — راحة الصدور ص٣٢٥

السلطان ملكشاه بن محمود :

كان توقيعه (استعنت بالله) — راحة الصدور ص٣٢٥

السلطان سليمان شاه :

كان توقيعه (استعنت بالله) — راحة الصدور ص٣٩٢

السلطان ارسلان بن طغرل :

كان توقيعه (اعتضدت بالله) — راحة الصدور ص٤٠٣

السلطان طغرل الثالث :

كان توقيعه (اعتصمت بالله وحده) — راحة الصدور ص٤٦٢

ملحق رقم (٨)

من تولى الحجابة فى العصر السلجوقى

في عصر طغرلبك الاول :

عبدالرحمن الب زن الآغاجي[١]

في عصر الب ارسلان :

الحاجب بكرك[٢]

عبدالرحمن الآغاجي[٣]

في عصر ملكشاه :[٤]

في عصـر بركيارق :

الأمير الحاجب قماج[٥]

الحاجب طغان يرك[٦]

الحاجب عبدالملك[٧]

---

(١) الآغاجى : كلمة تركية معناها الحاجب او الخادم الخـاص للسلاطين وهو الواسطة في ابلاغ المطالب والرسائل ، يحملها من الملك ليبلغها الى اعيان الدولة او العكس (هامش چهار مقالة ص١٣٠) عن راحة الصدور ص١٦٠

(٢) الراوندى : راحة الصدور ص١٨٦

(٣) المرجع السابق : ص١٨٦

(٤) لم نعثر على أسماء حجابه ويبدو ان الحجابة استمرت في عصره

(٥) الراوندى : ص٢١٤

(٦) المرجع السابق : ص٢١٤

(٧) الاصفهاني : زبدة النصرة ص١١٣

في عصـــر محمد بن ملكشاه :

الحاجب عبدالملك[1]

الحاجب عمر قراتكين[2]

الحاجب علي بار[3]

في عصـــر ســـــنجر :

الامير الحاجب غزأغلى السلاحى[4]

الحاجب حسين بن داود المرعزي[5]

الحاجب نظامالدين محمود الـكاشاني[6]

الحاجب فلكالدين علي الجترى[7]

في عصر محمود بن محمد بن ملكشاه :

الحاجب محمد بن علي بار

الحاجب طغان يرك

الحاجب ارغان[8]

---

(١) راحة الصدور : ص٢٢٤

(٢) المرجع السابق : ص٢٢٤

(٣) الاصفهاني : زبدة النصرة ص١٨٣

(٤) المرجع السابق : ص١٨٥

(٥) رشيدالدين : جامع التواريخ جـ١ ص٩٨

(٦) الراوندى : ص٢٥٦

(٧) المرجع السابق : ص٢٥٦

(٨) المرجع السابق : ص٣٠٠

في عصر طغرل الثاني :

الحاجب الامير منكوبرس[1]

في عصر مسعود :

الحاجب الامير منكوبرس[2]

الحاجب الامير تتار[3]

الحاجب الامير عبدالرحمن بن طغايرك[4]

الحاجب الامير خاصبك بن ارسلان بن بلنكرى[5]

في عصر ملـكشاه بن محمود :

الحاجب الامير خاصبك بن ارسلان بلنكرى[6]

في عصر محمد بن محمود :

الامير الحاجب جمالالدين ايلقفشت بن قايماز الحرامي[7]

الحاجب ناصرالدين أتابك اياز[8]

---

(١) رشيدالدين : جامع التواريخ جـ١ ص١٠٤

(٢) راحة الصدور ص٣٢٥

(٣) المرجع السابق

(٤) ابن الاثير حوادث سنة ٥٤١هـ

(٥) العماد الاصفهاني : زبدة النصرة ص٢٢٥

(٦) راحه الصدور ص٣٥٩

(٧) العماد الاصفهاني : زبدة النصرة ص٢٢٨

(٨) الراوندي : راحة الصدور ص٣٧١

في عصر سليمانشاه :

الحاجب مظفرالدين الب ارغون[1]

في عصر ارسلان شاه :

الامير الحاجب مظفرالدين بازدار[2]

الامير الحاجب الاتابك أياز طغرلتكين[3]

الامير الحاجب الاتابك نصرةالدين بهلوان[4]

في عصر طغرل الثالث :

الحاجب الخاص[5]

الامير الحاجب قراكز السلطاني[6]

ملك الامراء جمالالدين أى أبه الاعظم الاتابكي[7]

---

(١) الراوندي : راحة الصدور ص٣٩٢
(٢) المرجع السابق ص٤٠٣
(٣) الاصفهاني : زبدة النصرة ص٢٩٧
(٤) الراوندي : ص٤٠٣
(٥) المرجع السابق ص٤٦٢
(٦) المرجع السابق ص٤٦٢
(٧) المرجع السابق ص٤٦٢

ملحق رقم (٩)

عمـــداء العـــراق

١ ـ أبو نصر أحمد بن علي[١]

٢ ـ أبو الفتح المظفر بن الحسين[٢]

٣ ـ أبو العباس الخوافى[٣]

٤ ـ أبو أحمد النهاوندي[٤]

٥ ـ كمالالملك أبو الفتح الدهستاني[٥]

٦ ـ الاعز أبو المحاسن عبدالجليل بن علي الدهستاني[٦]

٧ ـ محمد الجوزقاني[٧]

---

(١) آل سلجوق ص١٥
ابن الاثير : حوادث سنة ٤٥٠هـ
(٢) ابن الاثير : حوادث سنة ٤٥٦هـ
(٣) المرجع السابق : حوادث سنة ٤٦٠هـ
(٤) المرجع السابق : حوادث سنة ٤٦٩هـ
(٥) المرجع السابق : حوادث سنة ٤٧٩هـ و٤٨٠هـ و٤٨٢هـ
(٦) المرجع السابق : حوادث سنة ٤٨٢هـ
(٧) آل سلجوق : ص٩٢

ملحق رقم (١٠)
أصحاب الشحنة في بغداد
في
العصر السلجوقي

في عهد طغرلبك :

	السنة
الامير برسق[١]	٤٥١هـ

في عهد الب ارسلان :

أيتكين السليماني[٢]	٤٥٦هـ
سعدالدولة كوهراين[٣]	٤٥٦هـ

في عهد ملكشاه :

سعدالدولة كوهراين[٤]	٤٦٦هـ
نجمالدولة خمارتكين الشرابي الطغرائي[٥]	٤٨٢هـ

في عهد بركيارق :

الامير يلبرد[٦]	٤٨٦هـ
أيتكين جب[٧]	٤٨٧هـ

---

(١) ابن الاثير : حوادث سنة ٤٥١هـ
(٢) المرجع السابق : حوادث سنة ٤٥٦هـ
(٣) المرجع السابق : حوادث سنة ٤٦٤هـ
(٤) ابن الاثير : حوادث سنة ٤٦٦هـ
المنتظم : حـ٨ ص٢٧١
المنتظم : حـ٨ ص ٤٦٦هـ
(٥) ابن الاثير : حوادث سنة ٤٨٢هـ
(٦) المرجع السابق : حوادث سنة ٤٨٦
(٧) المرجع السابق : حوادث سنة ٤٨٧هـ

يوسف بن أبق التركماني (من قبل تتش)[1]	٤٨٨هـ
نجم‌الدين ايلغازي بن ارتق (من قبل محمد[2] بن ملكشاه)	٤٩٥هـ
كمشتكين الجاندار القيصري[3] (من قبل بركيارق)	٤٩٦هـ
نجم‌الدين ايلغازي بن أرتق (من قبل السلطان محمد ومن ثم من قبل بركيارق)[4]	٤٩٧هـ

في عهد محمد بن ملكشاه :

بهروز مجاهدالدين الغياثي[5]	٤٩٨هـ

في عهد سنجر :

١ ـ أقسنقر البرسقى ، أبو سعيد سيف‌الدين قسيم الدولة[6]	٤٩٨هـ
٢ ـ مجاهدالدين بهروز[7]	٥٠٢هـ
٣ ـ آقسنقر البرسقى « من قبل السلطان محمود »[8]	٥١٢هـ
٤ ـ الامير منكوبرس (من قبل السلطان محمود)[9]	٥١٢هـ
٥ ـ مجاهدالدين بهروز (من قبل سنجر)[10]	٥١٢هـ

---

(١) ابن الاثير : حوادث سنة ٤٨٨هـ

(٢) المرجع السابق : حوادث سنة ٤٩٥هـ

(٣) المرجع السابق : حوادث سنة ٤٩٦هـ

(٤) الكامل : حوادث سنة ٤٩٧هـ (ورد في زامباور للسلطان بركيارق فقط)

(٥) المرجع السابق : حوادث سنة ٤٩٨هـ

(٦) ابن الاثير : حوادث سنة ٤٩٨هـ

(٧) المرجع السابق : حوادث سنة ٥٠٢هـ

(٨) المرجع السابق : حوادث سنة ٥١٢هـ

(٩) المرجع السابق : حوادث سنة ٥١٢هـ

(١٠) المرجع السابق : حوادث سنة ٥١٣هـ

٦ ـ آقسنقر البرسقي[١] ٥١٦هـ

٧ ـ اسعدالدولة برتقش الزكوي[٢] ٥١٨هـ

٨ ـ مجاهدالدين بهروز[٣] ٥٢١هـ

٩ ـ بلك ابه المحمودي[٤] ٥٢٩هـ

في عهد مسعود :[٥]

برتقش بازدار (بأمر الملك داود)[٦] ٥٣٠هـ

البقش السلاحي (بامر مسعود)[٧] ٥٣١هـ

مجاهدالدين بهروز[٨] ٥٣١هـ

قزل أمير أخور[٩] ٥٣٦هـ

وفي نفس السنة اعيد مجاهدالدين بهروز

علي بن دبيس (نصب نفسه شحنة)[١٠] ٥٤٠هـ

مسعود بن بلال[١١] ٥٤٣هـ

---

(١) ابن الاثير : حوادث سنة ٥١٦هـ
(٢) المرجع السابق : حوادث سنة ٥١٨هـ
(٣) المرجع السابق : حوادث سنة ٥٢١هـ
(٤) المنتظم جـ١٠ ص٤٨
(٤) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٢٩هـ
(٥) لم يرد ذكرهم عند زامباور ونذكرهم لاول مرة
(٦) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٣٠هـ
(٧) المرجع السابق : حوادث سنة ٥٣١هـ
(٨) المرجع السابق : حوادث سنة ٥٣١هـ
(٩) المرجع السابق : حوادث سنة ٥٣١هـ
(١٠) المرجع السابق : حوادث سنة ٥٤٠هـ
(١١) المنتظم جـ١٠ ص١٣١
ابن الاثير : حوادث سنة ٥٤٣هـ

ملحق رقم (١١)

(أصحاب القلاع)

قلعة أربيل :

الامير أبو الهيجاء الكردي[١]
زين الدين علي كجك[٢]
أبو سعيد كوكبورى ، مظفر الدين[٣]
مجاهد الدين قيماز[٤]
زين الدين أبو المظفر يوسف (اخو مظفر الدين)[٥]
مظفر الدين بن زين الدين يوسف[٦]

قلعة أشب :[٧]

أبو الهيجاء بن عبدالله[٨]
علي بن ابي الهيجاء بن عبدالله[٩]
باو الارجي[١٠]

---

(١) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٢٠هـ
(٢) ابن خلكان : جـ٣ ص٢٧٠
(٣) المرجع السابق : جـ٣ ص٢٧٠
(٤) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٧١هـ
(٥) المرجع السابق : حوادث سنة ٥٨٦هـ
ابن خلكان : جـ٣ ص٢٧١
(٦) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٩٠هـ
(٧) قلعة اشب : من قلاع الهكارية بمنطقة الجبال في الموصل .
(٨) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٢٨هـ
(٩) المرجع السابق
(١٠) المرجع السابق

قلعة تكريت :

مسعود بن بلال[1]
نجم‌الدين أيوب[2]
فخر‌الدين أبو المنصور عيسى بن مودود[3]

قلعة جعبر :[4]

جعبر بن عطير النميري[5]
سالم بن مالك العقيلي[6]
أبو الحسن علي بن مالك[7]
شهاب‌الدين مالك بن علي بن مالك العقيلي[8]

قلعة الربية :[9]

عبدالله بن عيسى بن ابراهيم[10]
علي بن عبدالله بن عيسى[11]

---

(١) الراوندي : ص٤٠٦
(٢) الكامل : حوادث سنة ٥٢٦هـ
(٣) ابن خلكان : ط٣ ص١٦٦
(٤) جعبر :ـ قلعة على الفرات بين بالس والرقة قرب صفين [ياقوت الحموي]
(٥) ابن الاثير : الدولة الاتابكية ص٧ و٨
(٦) ابن الاثير : حوادث سنة ٤٧٩هـ ووفاته سنة ٥١٩هـ
(٧) المرجع السابق : حوادث سنة ٥٤١هـ
(٨) المرجع السابق : حوادث سنة ٥٦٤هـ
(٩) الربية :ـ قلعة في منطقة الجبال بالموصل
(١٠) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٢٨هـ
(١١) المرجع السابق

قلعة سنجار :

المقدم عبدالملك[1]

شمس‌الدين محمد بن المقدم عبدالملك[2]

قطب‌الدين مودود بن زنكي[3]

زين‌الدين بن معين‌الدين[4]

عمادالدين بن مودود بن زنكي[5]

قلعة شاتان [حصن كيفا] :[6]

فخرالدين ارسلان بن داود بن سقمان[7]

قلعة الشعباني :[8]

الحسن بن عمر[9]

---

(١) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٤٤هـ
(٢) المرجع السابق
(٣) المرجع السابق
(٤) المرجع السابق : حوادث سنة ٥٧٨هـ
(٥) المرجع السابق : حوادث سنة ٥٨٩هـ
(٦) شاتان : قلعة بديار بكر [ياقوت الحموي]
(٧) المرجع السابق : حوادث سنة ٥٦٢هـ
(٨) الشعباني :ـ قلعة من قلاع الهكارية في منطقة الجبال في الموصل ٠
(٩) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٢٨هـ

قلعة شهرزور :[1]

قفجاق بن ارسلان تاش التركماني[2]

قلعة شيزر :[3]

أبو الحسن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ[4]

أبو المرهف نصر بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ[5]

أبو سلامة مرشد بن علي[6]

سلطان بن علي[7]

عزالدولة أبو الحسن علي[8]

مؤيدالدولة أسامة بن منقذ[9]

---

(١) قلعة شهرزور : يذكر ياقوت ان شهرزور بين أربيل وهمذان ، وهو اليوم يشمل منخفضا يمتد من جنوب بلدة (عربت) الى اطراف حلبجة [توفيق وهبي : بحث بعنوان اصل تسمية شهرزور (سومر مجلد ١٧٧ لسنة ١٩٦١)] .

(٢) الدولة الاتابكية ص٥٧/ابن الاثير في الكامل ذكره باسم قبجاق

(٣) شيزر : قلعة قرب المعرة بينها وبين حماة يوم [ياقوت الحموي] .

(٤) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٥٢هـ / ابن خلكان : حـ٣ ص٨٦

(٥) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٥٢هـ

(٦) المرجع السابق

(٧) المرجع السابق

(٨) المرجع السابق

(٩) المرجع السابق / ابن خلكان حـ١ ص١٧٥

قلعة العمادية :[1]

زين‌الدين علي بن بكتكين[2]
أبو سعيد كوكبورى مظفرالدين[3]
« تبر » غلام زين‌الدين علي[4]
أبو الهيجاء بن عبدالله الهكارى[5]

قلعة فنك :[6]

الامير حسام‌الدين الـكردي البشنوي[7]
ابراهيم[8]
عيسى (أخو ابراهيم)[9]

قلعة كواشي :[10]

خول وهرون[11]

---

(١) العمادية : قلعة حصينة في شمالى الموصل ، عمرها عمادالدين زنكي بن أقسنقر سنة ٥٣٧ [ياقوت الحموي]
(٢) ابن خلكان : حـ٣ ص٢٧٠ : ابن الاثير حوادث سنة ٥٦٣هـ
(٣) ابن خلكان : حـ٣ ص٢٧٠ ـ ٢٧٣
(٤) المرجع السابق : حـ٣ ص١٦٧
(٥) المرجع السابق : حـ١ ص١٦٣
(٦) فنك :ـ قلعة حصينة للاكراد البشنوية قرب جزيرة ابن عمر [ياقوت الحموي]
(٧) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٤١هـ
(٨) المرجع السابق : حوادث سنة ٥٧٢هـ
(٩) المرجع السابق : حوادث سنة ٥٧٢هـ ٠
(١٠) كواشي : قلعة حصينة في الجبال التي في شرقي الموصل ، ليس لها طريق الا لراجل واحد [ياقوت الحموي]
(١١) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٢٨هـ

قلعة ماردين :[1]

حسام‌الدين يولق ارسلان بن ايلغازي[2]

قلعة الماهكى :[3]

حسام‌الدين البغوش انسلاحي[4]
سنقر الهمذاني[5]
قايماز العميدي[6]
ترشك[7]

قلعة الموصل :

١ ـ غز أوغلى[8]
٢ ـ جاولي سقاوو[9]
٣ ـ نصيرالدين جقر ابن يعقوب الهمذاني[10]
٤ ـ زين‌الدين علي بن بكتكين[11]

---

(١) ماردين : قلعة مشهورة على قنّة جبــل الجزيرة مشرفة على دُنيسر ودارا ونصيبين ٠ [ياقوت الحموي]
(٢) ابن الاثير : حوادث‌سنة ٥٩٤هـ
(٣) قلعة الماهكي : في بلدة لحف من اعمال بغداد ٠ ابن الاثير : حوادث سنة ٥٤٩هـ
(٤) راحــة الصدور : ص٤٠٦ : ذكره ابن الاثير باسم : البقش كون خر . حوادث سنه ٥٤٩هـ
(٥) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٥٧هـ
(٦) المرجع السابق
(٧) المرجع السابق
(٨) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٠٠هـ
(٩) ابن خلكان : حـ٢ ص٧٩
(١٠) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٢١هـ
ابن خلكان : حـ١ ص٣١٥
(١١) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٣٩هـ

٥ ـ فخرالدين عبدالمسيح[١]

٦ ـ سعدالدين كستكين الخادم[٢]

٧ ـ مجاهدالدين قيماز الرومي[٣]

قلعة نوشي :[٤]

أحمد بن أبي الهيجاء[٥]

---

(١) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٦٥هـ

(٢) المرجع السابق : حوادث سنة ٥٦٦هـ .

(٣) ابن خلكان : حـ١ ص٤٢٧ .

(٤) قلعة نوشى : من قلاع الهكارية في منطقة الجبال بالموصل

(٥) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٢٨هـ

ملحق رقم (١٢)

مرسوم بتقليد القائم بامرالله

للوزير

فخرالدولة بن جهير

أما بعد ، فالحمد لله ذي الآلاء الصافية الموارد ، والنعماء الصادقة الشواهد والطول الجامع شمل أسباب المنح الشوارد ، ذي القدرة المصرفة على حكمها مجارى القدر ، والمشيئة الحالية بالنفاذ في حالتى الورد والصدر ، المذل بجميل صنعه أعناق المصاعب المديم بكريم لطفه من امتداد ذوائب النوائب الذي جل عن ادراك صفاته بعدّ أو حدّ ، ودل بباهر آياته على كونه الفرد الولى بكل شكر وحمد ، سبحانه وتعالى عما يصفون .

والحمد لله الذي اختص محمدا صلى الله عليه وسلم بالرسالة واجتباه وحباه بالكرامة بما أشرق له مطلع الجلال ، واختاره وبعثه لاظهار كلمة الحق بعد أن مد الضلال رواقه ، فلم يزل باعزاز الشرع قائما ، ولساعات زمانه في طلب رضا الله قاسما ، لا ينحرف عن مقاصد الصواب ولا يميل ، ولا يخلى مطايا جده في تقوية الدين مما يتابع فيه الرسيم والذميل ، الى أن أزال عن القلوب صدأ الشكوك وجلا ، وأجلى مسعاه عن كل ما أودع نفوس أحلاف الباطل وجلا ، ومضى وقد أضاء للايمان هلال أمن سراره ، وانتضى لابادة الشرك حساما لا ينبو قط غراره ، فصلى الله عليه وعلى آله الطاهرين ، وأصحابه المنتخبين ، صلاة يتصل الأصيل فيها بالغدو ، وترى قيمتها في الاجر وافية العلو والغلو .

والحمد لله الذي أصار الى أمير المؤمنين من ارث النبوة ما هو أحق

به وأولى ، وأنار له من مطالع العز ما أسدى به كل نعمة أولى ، وأحله من شرف الامامة بحيث عنت لطاعته أعناق الرقاب الصعاب ، وأذعنت له القلوب بالانطواء على الولاء الفسيح الرحاب والشعاب ، وجعل أيامه بالنضار آهلة المغاني متقابلة أسماؤها في الحسن بالمعاني ، فما يجرى فيها الا ما الصواب في فعله كامن ، والحظ بانتهاج سبله كائن ، ابانة عن اقتران الرشد بعزائمه في حالتى العقد والحل ، واقتراب مرام كل ما يحل من الصلاح في الدهر أفضل المحل •

ثم انه من اقرار الحقوق في نصابها ، وامرار حبال التوفيق في جانبها من الاطماع الممتدة الى اغتصابها ، ما يعرف عن الاهتداء الى طرق الرشد والاقتداء بمن وجد ضالة المراد حين تشد ، ويقصد من تجديد العوارف ، عند كل عالم بقدرها في الزمان عارف ، ما يحلو جنى ثمره في كل أوان ، ويحدو انتشار خبره على اعانة كل فكر في وصفه عنوان ، فيتناقل الرواة ذكر ذلك غورا ونجدا ، وتلقى الهمم العلية ادخار الجمال به أنفع من كل قنية وأجدى ، استمرارا على شاكلة تحلت بالكرم ، وحلت من الجلال في القلل والقمم ، وحلت آثارها في ايلاء نفيس المنح وجزيل القسم •

ولما غدا منصب الوزارة موقوفا على الذين طالما جزّوا بهممهم نواصي الخطوب وحازوا بذممهم المنال في مقاصد استشهدوا بها على احراز كل فضيلة واستدلوا ، وكفوا بكفايتهم أكف الفساد وردوا ، وحازوا الفعال في كل ما سعوا له وجدوا ، وخلا الزمان ممن ينهض بعبء هذا الأمر الجسيم ، وتصبح أنباؤه فيه ذكية الأرج والنسيم ـ لم يبق غيرك ممن يستحق التخييم في عراصه ، والتحكيم في اجتناء الفخر منه واستخلاصه ، وكان القدر سبق بانفصالك عن الخدمة لا لضعف سريره ، ولا لقوة جريره ، ولا لكدر

سيره ، وكيف وأنت المتفرد بالكمال ، والمتجرد في كل مقام سلم حد تقربك فيه من حادث الكلال ، ولك في الدولة حقوق التي اعتدت لك من وقع الاستزادة مِجَنًّا ،والموقف التياغتَذْت من درة الاحماد بما أيَّن الظئر لها وأنًّا ، والمقاصد التي أعدمت منك البدل ، ولا انحرف لك منها مسعى عن مناهج الاصابة ولا عدل ، وتمكنت فيها من عنان التوفيق بما لا يجارى سيفك فيه قط ، ولا يحسن له حال المسرى اليه المحط ، والآثار التي أثارت من كوامن الرضا أفضل ما يذخر ويقتنى ، وأنارت من دلائل الزلفى ما ينتجز به وعد المنى ويقتضى ، لكن كان ذلك مسطورا في الكتاب ، وليتبين أنه لا عوض عنك في الاستحقاق للامر والاستيجاب ، لم يوجد لهذه الرتبة كفوءا سواك ، ولا ينزهها عن العطل غير رائق حلاك ، فرأى أمير المؤمنين تسليم مقاليدها اليك اذ كنت أحق بها وأهلها ، وممن يجمع بعد الشتات شملها ، فطوقك من قلائدها ما هو بأعطافك ألصق ، وبتمام أوصافك أليق : لتذرع من عز الوزارة جلبابا لا تخلق الايام له جده ، ولا تزال السعود بما يئول الى دوام مدته ممتَدَّه ، وترتضع من لبان خلالها ما يقضى لك بأن تقف نفسها عليك ، وتقف آمال الامثال دون ما انتهت الغاية فيه اليك ، وتعتمد فيما عدقه بك منها وناطه ، ووفاك فيه حقوق النظر واشتراطه ، بحكم توحدت في احراز أدواتها التي لا يبلغ أحد منها مدى ، ولم يمد طامع الى مساجلتك فيها يدا ـ ما يرضى الله تعالى ويرضيه ويخص ذكرك بالطيب ويحيطه فتفوز فوزا كبيرا ، وتعيد الساعي في ادراك شأوك ظالعاً حسيرا .

ثم انه شفع هذه المنحة التي قمصك مجاسد فخرها بالوجوب ،

وعوضك فيهـا الدهر بحادث البشــر عن سابق القطوب ـ بايصالك الى حضرته ، واناتك من سدته ومناجاتك بما يتيح لك امتطاء غارب المجـد وصهوته ، والاحتواء على خالص السعد وصـفوته ، وحبائك من صنوف التشريفات التي تروق حلى حلالها ، وتتوق الآمال الى ادراكها ومنالها ، وصفت الـكرامات التي وفت المنى بها بعد مطالبها ونفت القذىء عن مقل مغضوضة بسوء فعال الايام ومقالها ، بما يوطىء عقبك الرجال ويضيق على من يحاول مجاراتك المسرح والمجال ، ولم يقتنع بذلك في حق النعمى التي أعداك فيهـا على الغير ، وأغداك منهـا في ظل من الأمن البادى الاوضاح والغرر ، حتى ألحق بسماتك « تاج الوزراء » تنويها بذكرك في الزمان ، وتنبيها على اختصاصك لديه بوجاهة الرتبة والمكان ، فصار مكروه الامور في محبوبها سببا ، وخبت نار كل من سعى في تضليل النظام وجيفا وخببا ، حتى الآملون أن يجعلوا تخت الخلافة زمنا ، وتصبح رباعه بعد النضارة دمنـا ، ليعقبهم ذلك نيل ما وصلت اليه الامضاء ، لهـذا العزم وبالجملة فالسآمة واقعة من تتابع هذه الشكاوى ، وقد كان الأحب ان لا يضمن الكتب النافذة سوى تعهد الانباء ، ولا زال عرفها أرجا من سائر الارجاء والنواحي . لـكن تأتي مجارى الاقدار ، ودواعي الاضطرار ، الى ما يرنق ماء الارادة والايثار ، والآن فقد بلغ للماء ، وجلب من عدم الصبر الحناء ، ولم يبق غير هزة دينية منك تكشف بها هذه المعرة ، وتتحف منها أمير المؤمنين بما يُتِمّ لديه أكمل المسرة ، فقم في ذلك مقام مثلك ـ وان كان لا نظير لك يوجد تحظ بما يمضى لك فيه استحقاق كل الحمد ويوجب ، ان شاء الله تعالى[1] .

---

(١) القلقشندي : صبح الاعشى حـ١٠ ص٢٣٤

ملحق رقم (١٣)

نسخة عهد بقضاء القضاة كتب به عن الخليفة الناصر لدين الله

هذا ما عهد عبدالله وخليفته في العالمين ، المفترض الطاعة على الخلق أجمعين أبو العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين ، الى محمد بن يحى بن فضلان ، حين سبر خلاله واستقراها ، واعتبر طرائقه واستبراها ، فألفاه رشيدا في مذاهبه ، سديدا في أفعاله وضرائبه ، موسوما بالرصانة ، حاليا بالورع والديانة مبرزا من العلوم في فنونها ، عالما بمفروض الشريعة المطهرة ومسنونها ، مدرعا ملابس العفاف ، قد أناف على أمثاله في بوارع الاوصاف ، فقلده قضاء القضاة في مدينة السلام وجميع البلاد والاعمال ، والنواحي والامصار : شرقا وغربا وبعدا وقربا ، سكونا الى ما علم من حاله ، واضطلاعه بالنهضة المنوطة به واستقلاله ، وركونا الى قيامه بالواجب فيما أسند اليه ، ونهوضه بعبء ماعول في حفظ قوانينه عليه ، واستنامه الى حلول الاصطناع عنده ، ومصادفته منه مكانا تبوّأه بالاستحقاق وحده ، والله تعالى يعضد آراء أمير المؤمنين بمزيد التوفيق في جميع الامور ، ويحسن له الخيرة فيما يؤمه من مناظم الدين وصلاح الجمهور وما توفيق أمير المؤمنين الا بالله عليه يتوكل واليه ينيب .

أمره بتقوى الله تعالى في اعلانه واسراره ، وتقمص شعارها في اظهار أمره واضماره ، فانها العروة الوثقى ، والذخر الابقى ، والسعادة التي ما دونها فوز ولا فوقها مرقى ، وهي حلية الابرار ، وسيما الاخيار والمنهج الواضح والمتجر الرابح ، والسبيل المؤدي الى النجاة والخلاص ، يوم لا وزر حين مناص وأنفع العدد والذخائر ، وخير العتاد يوم تنشر الصحف

وتبلى السرائر ، يوم تشخص الابصار ، وتعدم الانصار ، (وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار) • ولا ينجو من عذاب الله يومئذ الا من كان زاده التقوى وتمسك منها بالسبب الاقوى ، قال الله تعالى : (وتزودوا فان خير الزاد التقوى وأتقون يا أولى الالباب) •

وأمره أن يجعل كتاب الله اماما يهتدى بمناره ، ويستصبح ببواهر أنواره ويستضيء في ظلم المشكلات بمنير مصباحه ، ويقف عند حدود محظوره ومباحه ، ويتخذه مثالا يحتذيه ، ودليلا يتبع أثره فيهديه ، ويعمل به في قضاياه وأحكامه ويقتدى بأوامره في نقضه وابرامه : فانه دليل الهدى ورائده ، وسائق النجح وقائده ، ومعدن العلم ومنبعه ، ومنجم الرشاد ومطلعه ، وأحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في الامة ، والذكر الذي جعله الله تعالى تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة ، فقال عز من قائل : (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ورحمة وبشرى للمسلمين) •

وأمره بانتزاع الآثار النبوية صلوات‌الله على صاحبها وسلامه والاهتداء بشموسها التي‌تنجلى بها دجنة كل مشكل وظلامه ، والاقتداء بسُنّة الشريعة المتبوعة ، وتصفح الاخبار المسموعة ، والعمل منها بما قامت أدلة صحته من جميع جهاته ، واستحكمت الثقة بنقلته عنه ـ عليه السلام ـ ورواته ، وسلمت أسانيده من قدح ، ورجاله من ظنة وجرح ، فانها التالية للقرآن المجيد في وجوب العمل بأوامره ، والانتهاء برو ادعه وزواجره ، وهو عليه الصلاة والسلام الصادق الامين ماضل وما غوى وما ينطق عن الهوى ، وقد قرن الله سبحانه وتعالى طاعته ، والعمل بكتابه والاخذ بسنته فقال عز من قائل : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب) •

وأمره بمجالسة العلماء ومباحثة الفقهاء ومشاركتهم في الامور المشكلة وعوارض الحكومات المعضلة ، لتستبين سبيل اصواب ، ويعرى الحكم من ملابس الشبه والارتياب ويخلص من خطأ الانفـــراد وغوائل الاستبداد ، فالمشورة باليمن مقرونة ، والسلامة في مطاويها مضمونة وقد أمر الله تعالى بها نبيه صلى الله عليه وسلم مع شرف منزلته وكمال عصمته ، وتأييـــــده بوحيه وملائكته ، فقال سبحانه : (وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكـــل على الله ان الله يحب المتوكلين) .

وأمره بفتح بابه ، ورفع حجابه ، وأن يجلس للخصوم جلوسا عامـا وينظر في امورهم نظرا حسنا تاما مساويا بينهم في نظـره ولحظه واصغائه ولفظه محترزا من ذى اللسن وجرأة جنانه متأنيا بذى الحصر عند اقامـــة برهانه فربما كان أحد الخصمين ألحن بحجته والآخر ضعيفا عن مقاومته ، هذا مقام الفحص والاستفهام ، والتثبت وافضاء الاحكام : ليسلم من خديعـة محتال ، وكيد مغتال مائلا في جميع ذلك مع الواجب سالـكا طريق العدل اللاحب ، غير فارق في امضاء الحكم بين القوى والضعيف ، والمشـــروف والشريف والملك والمملوك والغني والصعلوك ، قال الله تعالى : (ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا) . وقال سبحانـــه وتعالى : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) .

وأمره أن يتصفح أحوال الشهود ، المسموعة أقوالهم في الحقـــوق والحدود المرجوع الى أماناتهم المعمول بشهادتهم الذين بهم تقام الحجـــج وتدحض ، وتبرم الاحكام وتنقض ، وتثبت الدعاوى وتبطل ، وتمضى القضايا وتسجل ، مجتهدا في البحث عن طرائقهم وأحوالهم ، وانتقاد تصاريفهم وأفعالهم ، واستشفا فسجاياهم وعرفان مزاياهم مخصصا بالتمييز من كـان حميد الخلال مرضى الفعال راجعا الى ورع ودين ، متمسـكا من الامانـــة

والنزاهة بالسبب المتين ، قال الله تعالى : (وأشهدوا ذوى عدل منكم) •

وأمره بالنظر في أمور اليتامى وأموالهم ، ومراعاة شئونهم وأحوالهم وأن يرتب بسبب اتساق مصالحهم الثقات الاعفاء ، والامناء الاتقياء ممن ظهرت ديانته وحسنت سريرته واشتهر بالظلف والعفاف والتنزه عن الطمع والاسفاف ويأمرهم بحفظها من خلل يتخللها ويد خائنة تدخلها وليكن عليهم حدبا ، وفي فرط الحنو أبا وخلفا من آبائهم في الاشفاق عليهم ، وحسن الالتفات اليهم : فانه عنهم مسئول والعذر عند الله تعالى في اهمالهم غير مقبول ، وأن يأذن لهم في الانفاق عليهم بالمعروف من غير اسراف ولا تقتير ولا تضييق ولا تبذير ، فاذا بلغ أحدهم النكاح ، وآنس منه أمارات الرشد والصلاح دفع ماله اليه وأشهد بقبضة عليه على الوجه المنصوص غير منقوص ولا منغوص ، ممتثلا أمر الله تعالى في قوله سبحانه : (فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا) •

وأمره بترويج الايامى اللواتى لا أولياء لهن من أكفائهن ، بمهور أمثالهن ، وأن يشمل ذوات الغنى والفقر منهن بعدله ويتحرى لهن المصلحة في عقده وحله • وأمره ان يستنيب فيما بعد عنه من البلاد ودنا وقرب منه ونأى كل ذى علم واستبصار وتيقظ في الحكم واستظهار ونزاهة شائعة وأوصاف لادوات الاستحقاق جامعة ، ممن يتحقق نهوضه بذلك واضطلاعه ويأمن استزلاله وانخداعه وأن يعهد اليهم في ذلك بمثل ما عهد اليه ولا يألوهم تنبيها وتذكيرا ، وارشادا وتبصيرا ، قال الله تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) •

وأمره بامضاء ما أمضاه قبله الحكام من القضايا والاحكام غير متعقب أحكامهم بنقض ولا تبديل ولا تغير ولا تأويل ، اذا كانت جائزة في بعض الاقوال ممضاة على وجه من وجوه الاحتمال ، غير خارقة للاجماع عارية من

ملابس الابتداع ، وان كان ذلك منافيا لمذهبه ، فقد سبق حكم الحاكم به ، قال الله تعالى : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) •

وأمره أن يتخذ كاتبا قيما بشروط القضايا والسجلات ، عارفا بما يتطرق نحوها من الشبه والتأويلات ، ويتداخلها من النقص والتلبيسات ، متحرزا في كل حال ، متنزها عن ذميم الافعال • وأن يتخير حاجبا نقى الجيب ، مأمون المشهد والغيب ، مستشعرا المتقوى ، في السر والنجوى ، سالكا للطريقة المثلى ، غير متجهم للناس ، ولا معتمد ما ينافى بسط الوجه لهم والايناس : فانه وصلتهم اليه ووجهه المشهود قبل الدخول عليه ، فلينتخبه من بين أصحابه ، وممن يرتضيه من أمثاله وأضرابه •

وأمره بتسلم ديوان القضاء والحكم ، والاستظهار على ما في خزائنه بالاثبات والختم والاحتياط على ما به من المال والسجلات والحجج والمحاضر والوكالات والقبوض والوثائق والاثبات والكفالات ، بمحضر من العدول الامناء الثقات وأن يرتب لذلك خازنا يؤدي الامانة فيه ، ويتوخى ما توجبه الديانة وتقتضيه •

وأمره بمراعاة أمر الحسبه فانها من أكبر المصالح وأهمها ، وأجمعها لمنافع الخلق وأعمها ، وأدعاها الى تحصين أموالهم ، وانتظام أحوالهم ، وأن يأمر المستناب فيها باعتبار سائر المبيعات فيها من الاقوات وغيرها في عامة الاوقات ، وتحقيق أسباب الزيادة والنقصان في الاسعار ، والتصدى لذلك على الدوام والاستمرار ، وأن يجرى الامر فيها بحسب ما تقتضيه الحال الحاضره والموجبات الشائعة الظاهرة ، واعتبار الموازين والمكاييل ، واعادة الزائد والناقص منها الى التسوية والتعديل ، فان أطلع لأحد من المتعاملين على خيانة في ذلك وفعل ذميم ، أو تطفيف عدل فيه عن الوزن بالقسطاس المستقيم أناله من التأديب ، وأسبا بالتهذيب ، ما يكون له رادعا ، ولغيره زاجرا وازعا ، قال الله تعالى : (ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس

يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين) •

وهذا عهد أمير المؤمنين اليك ، وحجته عند الله تعالى عليك ، قد أولاك من صنوف النعم والآلاء ، وجزيل الكرم والحباء ، ما يوجب عليك الاعراف بقدره ، واستيزاغ شكره ، ووقف بك على محجة الرشاد ، وهداك الى منهج الحق وسنن السداد ، ولم يألك تثقيفا وتبصيرا ، وتنبيها وتذكيرا • فتأمل ذلك متدبرا ، وقف عند حدود أوامره ونواهيه مستبصرا ، واعمل به في ما تأتيه وتذره ، وتورده وتصدره ، وكن للمخيلة في ارتيادك محققا ، وللمعتقد فيك مصدقا ، تفز من خير الدارين بمعلى القداح ، واحماد السرى عند الصباح وحسب أمير المؤمنين الله ونعم الوكيل •

المرجع :ـ القلقشندي : صبح الاعشى حـ١٠ ص٢٨٦
نسخة عهد بقضاء القضاة ، كتب به عن الامام الناصر لدين‌الله للقاضي محي‌الدين ابن عبدالله محمد بن فضلان •
من انشاء استاذ الدار عضدالدين بن الضحاك •

ملحق رقم (١٤)

مرسوم بتعيين وزير

منشور الوزارة برسم الصاحب مجدالدين نصر من انشاء شرفالدين في شهور سنة أربع وأربعين وخمسمائة ـ

من أهم ما يستوجب العناية وتدقيق النظر وتوجيه الاهتمام والتمهيد لقيامه وتشييد بنائه هو منصب الوزارة ، وهذا المنصب الذى يناط به النظر في مصالح جمهور الناس وتنظيم شئونهم ، وتتوجه اليه المسؤولية في استقرار المملكة وانتظام شؤون الدولة والسعى لجعل الحياة بهجة جميلة ، ومنذ أول يوم عهدت الملكية به الينا وانيطت مهام السلطنة بنا ، وعمت شمس سلطتنا أقطار العالم وكان كل هدفنا وسعينا متجها الى أن يكون للمملكة ـ ثبتها الله ـ (دستور)[1] متدين عالم كفوء معروف بحسن السيرة والسريرة، يعرف قوانين المملكة ويعرف مستقبل الدولة ملم بتاريخ الملوك وسيرهم بحيث يكون قد أفاد من تجارب الحياة في تهذيب نفسه ، الشيء المطلوب ، لكى يحملنا على الاعمال الصالحة ويسلك بنا طرق الخير ، ويحضنا على أي عمل يكون أقرب الى مرضاة الله من الحمد العاجل ، والثواب الاجل ويكون الواسطة الصادقة التي لايشوب صفاءها شيء في تصوير أحوال الرعايا وأيصالها الى سمعنا بدون محاباة أو غرض ، مراعيا مصالح جميع المسلمين ومقتضياتها لأننا في جميع الاحوال سنأمر بتحقيق ما يقوله الوزير ويعمله وما هو يعرضه علينا وكل أوامرنا أنما ينبغى أن تعتمد على أقواله المبنية على الاصول والقواعد الواقعية فالمأثور عن خاتم الانبياء صلوات الله وسلامه عليه قوله ـ اذا أراد الله بملك خيرا قيّض له وزيراً صالحا ان نسى ذكّره

---

(١) يعنى الصدر الاعظم ٠

وان نوى خيرا أعانه وان أراد شكرا كفله ـ وأنما الحكمة في أن تـــكون هذه هي القواعد التي تقوم عليها مؤهلات الوزير ، لـكي يكون هذا الوزير عونا للسلطان في ذكر الخالق تبارك وتعالى وشكر النعمة والحكم بالعــدل بين الناس فحتى الانبياء والرسل وبما كانت لهم من معجزات وبما خصـوا به من شرف الوحى والرسالة لم يستغنوا عن وجود وزراء لهم ودعاؤهـــم الى البارى تعالى بأن يمدهم بالمعنى كما جاء في الكتاب العزيز والقرآن المجيد ـ واجعل لي وزيرا من أهلى هارون أخي أشدد به أزري ـ

ولما وجد أن الجامع لهذه المآثر واللائق لهذا المنصب الكبير هو اصاحب الأجل المؤيد المنصور المظفر مجد الملة والدين صدر الاسلام والمسلمــــين نظام الملوك والسلاطين قوام الملك والامة تاج الممالك والملة صفي الامـــام ومجد الانام سيد الوزراء في العالمين (الخواجة الـكبير)[1] أبي البركات نصر بن الصاحب مؤيد أمير المؤمنين أدام الله تمكينه المتأدب بآداب الدين والدنيا والمعروف بطاعته لله وخدمته للسلطان والمنفرد بضروب الفضائل ، والمتحلى بالفنون من المناقب والجامع للمعـــانى التي وصف بواحـــدة منها أعيان العالم[2] .

(١) الخواجة تعنى السيد الكبير وهو ما كان يطلق على الصدر وعلى الوزير .

(٢) أما بقية هذا الفرمان فقد سقطت أصل النسخة ولم يعثر عليها كما اشير الى ذلك .

المرجع : عباس اقبال : تاريخ وزراء السلاطين العظام ص٢٥ ـ ٢٦

ملحق رقم (١٥)

مرسوم السلطان الب ارسلان في تفويض ولده الاعز ملكشاه الى الخواجا

نظام الملك

لما اقتضت دواعي همة ملوكيتنا وبواعث شفقة ابوتنا في حق ولدنا الاعز الاكرم الخاقان المعظم ناصر الدنيا والدين السلطان ملكشاه احسن الله له الاتباع وادام له الانتفاع ، الذي هو حاصل لذة الحياة ومحصل غاية الاماني وعنوان صحيفة المسرات وجمال طلعة السعد ومدار العمل وذخيرة الزمن ، ان نضيف في كل يوم في عظيم قدره وتنويه ذكره وان نهيء له أسباب استقامة مملكته واستدامة دولته وان نعده ونهيئه لنعمة الملوكية المفوضة من الله تعالى والتي حصلها بواسطة تربيتنا له .

وحيث عرفنا بالقياس وعلمنا التجارب ان استقرار قواعد الحكم في الدنيا واستحكام دعائم المقاصد موكول ومفوض الى منصب وزارة ارباب الاقلام ، كما ان تقرير مصالح العالم وتيسير الاعمال العظام منوط بكمال كفاءة هؤلاء ونور عقليتهم وهداهم ، لان مصالح المملكة لا تستقر الا باستمرار جريان اقلامهم ومهمات الدولة لا تتضح الا باقتباس انوار رأيهم الواضح . واستقامة السيف وقوته يلزمها مساعدة يد القلم ومعاضدته وثبوت قوائم الملك له بثبوت قدم صاحب الرأي السديد وشجاعته في صحيفة العلم وتقرر لدى ارباب العقل ان مركز قاعدة الملك لا يثبت دون وزير صالح يهتدى بآثار عقله الوافي وان أساس المملكة لا يؤكد ولا يستقيم دون مشير كامل يستضاء باشعة رأيه الصافية ليفتح الملك خزانة اسراره أمامه وينشط قلبه بهداية نصائحه ويضع ابواب مصالح ملوكيته بين كفاءته ، فان اصابة

الخلفاء فيما حاولوا مقرونة بكفاءة الوزراء •

ومن هنا علمنا ان طراز العواطف وعنوان صحيفة العوارف في حق ولدنا الاعز الاسعد بلغه الله ما يرتجيه وأناله غاية مايريد ، هو ان نزين مقامه باختيار وزير تلوح على محياه كفاءة الولاية وتظهر على ناصيته مخايل الرأفة والحفاوة ومن شاع صيت مقامه المشهود في الازمان وانتشر ذكر مناحيه المحمودة بين الخاص والعام لان يقيننا من يعشق هذه المهمة العظيمة ويتقلد زمام هذا المقام الخطير لابد وان يكون رجلا عظيما قد استنارت برأيه المضيء صحيفة الزمن وتعطرت بمساعيه النفاحه عرضة لمحالك كما اشار اليه الحديث المصطفوى الشريف الذي ما قدمه العباد الا تقدموا وهو قوله :ـ اذا أراد الله بملك خيرا قيّض له وزيرا صالحا ان نسى خيرا ذكره وان عمل خيرا صالحا أعانه •

ونحن بموجب سياق هذه الكلمات وبحكم اتساق هذه المقدمات قد ارتأينا وانطنا هذا النصير العظيم الى حضرة العظيم قسيم الدولة اكمل اهل الزمان واعقل الدوران ظهير سرير السلطنة ومشير مصالح المملكة ومدبر أمور الممالك وناظم عقود الملك ناصر عباد الله وملاذ الفقراء وعون الضعفاء نظام الملة والدنيا والدين ادام الله تمكينه وجعل التوفيق قرينه ، واسطة عقد الاحرار وغرة جبهة الاعصار والذي هو نسيج وحده في أنواع الفضائل وابدع اهل المحاسن فريد العصر ووحيد كفاة العالم حاصد بيادر الكفاءة وملتقط دهاء العالم من منشور موائد الفوائد وهو مع هذه الخلال المختارة والخصال الحميدة كان مراعياً للحقوق القديمة والعناية العظيمة في البيت المملوكي المبارك مخلدا ، توارد النعم بروابط الشكر •

وقد فتحنا له باب التصرف وقلدناه الوزارة لكفاءته وصدق نصيحته لانه المستحق لها لا عن غرض والمشفق عليها دون مثيل ، وذلك ليشتغل في هذا العمل الخطير بقوة قلب وفراغ بال ، وليستقبل هذه الامانة العظيمة

بانشراح صدر واتساع خاطر كما هو المعهود والمألوف من ديانته واحتياطه وامانته وصدقه وليرتب مصالح الديوان برأيه المنير وعقله الواسع ويحافظ عليه بما هو معروف وموصوف به وليقدم امثال اوامر الخالق ورعاية المخلوق على كل عمل له ، وليقضي حق هذه النعمة التي انعمنا بها عليه باظهار الشفقة والحفاوة وافشاء العدل والانصاف وليصدق ظننا فيه بالصرامة والشهامة والرأي الصائب والألمعيّة الثاقبة عندما يبدى في كفاءته في المهمات الخاصة لولدنا الاعز الاكرم ، وفي رعاية مصالح الرعايا عامة في تفويض الاعمال لاهلها وحراسة اموال الدولة ، وانجاح الامال وترغيب المصلحين وتهذيب المقدسين وسلوك مناهج العدل وهدم مباني الظلم وكسر عادية الاعداء وطلب الخير لكل مسلم ، وان يحقق آمالنا بكمال كياسته وان يرى من واجبه في كل افعاله واعماله ترفيه حال الرعية وصلاح دولة ولدنا ورضانا نحن وامتثال اوامر الله تعالى حتى يحصل هو على الحشمة والاحترام وسيادة الدنيا وسعادة الاخرة وكل هاتيك من نتائج تلك المقدمات المذكورة ....

وبالجملة فان مقصودنا من ذلك كله ان يعمل الوزير الخبير بما فيه صلاح الديوان وراحة الرعايا حتى يشمل الصلاح جور العباد يعبق نفحات الامن فتصل لاقسام الدولة ... وان يقوم بشرايط هذا العمل الخطير بكل نشاط واخلاص لتكون مصالح امور ولدنا مرعية وحاجات المسلمين مقضية وآثار الخدمة واعمال الدولة مرضية والله عز اسمه ولي التوفيق .

عن المجموعة رقم ٧ ـ رسائل متفرقة رقم ٤٥

ملحق رقم (١٦)

مرسوم بتعيين مستوفى

منشور استيفاء الممالك المحروسة الصادر بأسم نظام كيخسرو بن مجد الدين بتاريخ شوال من سنة ثلاث وستين وخمسماية

(أن أول عمل يتطلب العناية بتمهيد قواعده والاهتمام بتشييد أركانه ومراعاة الحذر والاحتياط التام في تفويض شئونه مع مبالغة دقة النظر في التدابير التي تتضمن صلاحه هو منصب (مستوفى) المملكة وضبط أموال الولاية التي تتعلق به مصالح الجيش المنصور وأدارة الديوان المعمور وما تقوم عليه قواعد نظام الملك من الاستقامة والعدل بين الجيش والاستقامة والعدل بين الرعية وضبط أموال المملكة والعمل على حفظها وأن شاغل هذا المنصب يجب أن يكون شخصا معروفا بحسن السيرة والسداد ومن حيث الديانة يجب أن يكون من المتفق على تقواه عارفا باسرار المعاملات وأساليبها لا يفوته ضبط الجزىء من حسابها موصوفاً بأنواع من القابليات والكفايات والخبرة التامة بالرسوم وأصولها وباداب خدمة السلطان ذو علم وحكم موصوفين بالعدل وشاهد صدق معروف ، يحسن الفصل بين الحق والباطل وأهل للقيام بأنجاز المصالح والامور السلطانية وحفظ أموال الديوان •

وأن الاجل الاوحد[1] نظام الدين كيخسرو بن مجد الدين رضى أمير المؤمنين أدام الله تأييده كان زمانه وكان من حيث الديانة وصيانة نفسه وأمانته موضع أشارة الدنيا والدولة ومن الداعين للسلطان بالاخلاص فوددنا قربه في ظل دولتنا وشموله بالعواطف والاكرام ، على أن يعهد له أكبر منصب من مناصب أرباب القلم فقد رأيناه جديرا بهذا العمل الخطير

(١) الاجل الاوحد ، من الالقاب التي كان يلقب بها عمال الديوان ورجاله •

والمهمة الجسيمة معتمدين على كفايته وديانته واستقامته منيطين به منصب مستوفى الممالك المحروسة مطلقين لقلمه الكفوء حرية العمل ، مفوضين لأمانته وخبرته أدارة حساب الملك وقد حرر هذا (المنشور) متضمنا لضروب التكريم والتبجيل ومقرونا بالاعزاز والتشريف لكى يكون لنطقه الشافى وقلمه الكفو ، جدارة هذا العمل الذي يتوقف عليه نظام المملكة ومصلحة الجيش والرعية فيموازنة الوارد والمصروف وضبطه وليحيط بأصول الادارة وفروعها والاطلاع على أسباب الاختلال في كل ظرف وحال ، على أن يعتبر كل مديري حسابات ديوان الحضرة السلطانية والمستوفين لأعمال المملكة وكتاب الوزارة نوابا عنه فلا ينبغى أن يخفى عنه شيء كثيرا أم قليلا من أموال المملكة حتى النقير والقطمير وأن يقدموا له كل ما تقتضيه لياقته ومعرفته التي يعهدها له في جميع الفصول والابواب وأن يراعوا نحوه جانب العدل والاستقامة في كل الاحوال وهكذا سيكون مضمون هذا الفرمان الطلب بقيام ديوان الوزارة حماها الله تعالى بتوقيره واحترامه وتمكينه من عمله والمبالغة في احتشامه وان يراعى جانبه بأقصى ما تبلغ حدود الرعاية واعتبار درجته أعمر الدرجات وأن يقرّوا قراراته في الرسوم والمراسيم والايجاب والاقطاع والاطلاق ووجهه العام وأن يرجعوا اليه في كل ما يتعلق بمهمة ديوان الاستيفاء واعتبار مقرارته محل اعتمادنا في تقرير المعاملات وتحرير المحاسبات وكلامه حجة في اثبات الصكوك وقد كتب ذلك في شوال سنة ثلاث وستين وخمسمائة » .

وقد جاء في فرمان آخر لتعيين مستوف (لـكركان) ما يلي :ـ

« لما كانت كفاية فلان وأهميته للقيام بأعباء المهمات الـكبيرة واعتياده أداؤها فليؤد الواجب في ضبطها وليحط بجميع المعاملات وسائر وجوه الاعمال من الضرائب واستيفاء الرسوم وغير ذلك ـ والمحاسبة على النقير ، بحيث يكون كل ذلك واضحا ومرتبا لـكي يحظى للمزيد من اعتمادنا ... الخ »

(وقد ورد في منشور تعيين زين‌الدين أبي العلاء صاعد بن حسين مستوفيا لمرو ما يلي :)

« لقد انطنا أمر استيفاء مجموع منطقة مرو من المدن والقرى والنواحي وأطراف القصبات من الاملاك والاموال والضرائب به وأنباه عن الحضرة حماها الله[1] في الاستيفاء واستقباله المعاملات و (الارتفاعات)[2] الخاصة لسنة ثلاث وأربعين وفوضناه مزاولة العمل وهو صافي البال مفعم بالآمال ليقوم بتنظيم الحساب وضبطه منتهجا الاسلوب القديم الخاص والاسلوب الحديث في التنظيم على النحو الذي كان مطلوبا ومكتوبا فيرسل لكل مكان نائباً سديد الرأي مهدياً لكي تكون معاملات الارتفاعات[1] مضبوطة والامانة والصدق فيها محققا فلا يفوت الضبط شيء وتكون الحسابات واضحة وكاملة فيصل الى ديواننا في الوقت المعين تقرير منقح ومهذب يتضح فيه الوارد والمصروف وتؤخذ الحسابات الماضية بدقة واحتياط وأن يعد من الواجب تدارك ما قد فلت من الحساب أو جاء نتيجة للخيانة . وفحوى الفرمان بعد هذا هو أن يحاط زين‌الدين بكل ضروب الاحترام والاعزاز والاكرام وعلى جميع الوكلاء والعمال والمتصرفين بشؤون العمل والمعاملات والزعماء والرعايا رعاهم الله اعتبار (المستوفي النائب) لزين‌الدين نائبا عنه واعتباره الحجة الناطقة في الاوامر الصادرة منه في (حجة الديوان) وأن لا يجعل العمل قاصرا وأن يقدروا مبلغ تعويلنا على رأيه وعليهم أن يسعوا للحصول على رضاه وفراغ باله واعتباره المثل الشاخص لكل عين »[3] .

---

(١) يريد السلطنة .

(٢) **الارتفاعات : الضرائب .**

(٣) عباس اقبال : ص٢٦ ـ ٢٧ .

ملحق رقم (١٧)

مرسوم بتعيين طغراء

وهذا نموذج من الفرامين التي كان يصدرها السلجوقيون بتعيين الطغرائي (حامل الاختام) في ادارة ديوان الطغرائي الذي يتولى استصدار الاوامر السلطانية وتبليغها للجهات موضحة بشعار الطغرى والختم السلطاني .

« ... وقد أوجب[1] أن يعهد اه منصب الطغرائي الذي يليق به ويلائم مؤهلاته لكي تم له الاحاطة الكاملة والتفرغ للعمل والتوثق من حسن ادارته فيحظى بالمزيد من العناية ونيل الثقة وقبول الرعاية فيحافظ على كل الشروط والمراسيم المقتضية .

وأن المقتضيات لتلزم (الصدور)[2] والاكابر والامراء والرؤساء والاعيان والوجوه والمشاهير وجميع الحشم والخدم ومختلف طبقات الناس اعتباره الطغرائي المنتخب من قبلنا للعمل فيعنوا به عناية شاملة ويعدوا احتشامه وتوقيره وتكريمه من الامور الواجبة وعلى هذا فلينهجوا ويعملوا ويعتمدوا) .

ولم يكن ديوان الطغرى[3] مقتصرا على الطغرائي الذي يوصل الى السلطان ما يرد اليه من الرسائل والكتب ، ويصدر عنه الاوامر الموقعة بتوقيعه ، والموشحات بالشعار الخاص بالسلطان ، وانما هناك جانب ثان من هذا الديوان ، هو ديوان الرسائل والانشاء وهو الذي يتولى تحرير الكتب

---

(١) يعنى نظر السلطان وهو يعهد للطغرائي بالمنصب .

(٢) يعنى بالصدور رؤساء الوزارات .

(٣) يقصد به نظر السلطان .

والفرامين والرسائل والتبليغات ويدير هذا الديوان موظف يسمى بالرئيس أو الوزير أو (صاحب الديوان)نيابة (الصدارة) وهذه قطعة من مرسوم بتعيين صاحب الديوان على سبيل النموذج : « مضت عدة سنوات وأيام طويلة الى أن وقع النظر المبارك[1] على الفضائل والمآثر التي يتحلى بها اكفى الآكفاء الأجل العالم فلان أدام الله تأييده وقد بلغ من جدارته أن لا يعهد له أجاز أية مهمة من مهام الدولة ولا يناط الى تدبيره وشهامته أي أمر من الأمور الا وترك فيها آثارا خلابة جذابة بحيث يعجز خيال أقرانه من أكفاء العصر ودهاة الزمن أن يبلغ مداه ولما كان رأينا متجها نحوه وهو محيط بأعماله بحيث يجعلنا في راحة بال وصفاء نفس فان اعتمادنا عليه سيزيد لهذا السبب ويتضاعف وسيكون مقامه ورتبته عندنا أكثر وأكثر وقد أخذ مقامه من حيث قربه وتقدمه بنظر الأعتبار ، كما أخذ الأعتبار كل ما يقتضيه علو همته ، وذيوع صيته ، وسمو درجته والتنويه بكفاياته وتمهيد الاسس التي تعين مقامه في الديوان وباستخارة الله سبحانه وتعالى ، جرى تفويض مهام نيابة ديوان الوزارة اليه بداعي الالهام الرباني وايحائه بظفره ومقدرته ، فعهد له زمام الأمر والنهي والحل والعقد لمهمات الملك ومصالح الدين والدولة ليدير ذلك كله بكفايته وفضله وفطنته وبما عهد فيه وما عرف به فيتم التنظيم والترتيب برأيه الصائب الذي توجبه كليات مصالح الممالك حرسها الله فيريح بذلك بالنا ، ويتولى تعيين وجوه الأرزاق ، ورواتب الخدم والحشم ، وما يتطلبه ترفيه المخلوق في العالم المخلوق ، الذي يكون سببا لأذاهم أو كل ما تشوبه شائبة من الظلم والحيف على أن يصبغ العمل بصبغة جديدة ويخرجه اخراجا من الطراوة بحيث يكون مدعاة للذكر الجميل والثواب الجزيل وتكون آثاره ثابتة ومخلدة .

وهكذا فان مهمة ديوان الانشاء لتقتضى أن يعنى حتى باليسير من الأمور والاهتمام بما ينشؤوه ويكتبه أمناء الاسرار والثقات الذين يعرفون خفايا

الملك فيولى تحاريرهم الأمعان والوقوف على دقائق الألفاظ والمعاني التي يستهدفونها ومعرفة ما يحتوى عليه كل مكتوب من قيم عقلية ومواهب وما يترتب عليه من نتائج تخص القريحة أو العلم والمعرفة : ـ (كتاب الأجل عنوان عقله وفضله)[1] لكيلا يصدر مثل أو خطاب موجه للأدنين أو الأبعدين من جهات الدنيا الا وقد تضمن كل مصالح الحياة وفوائدها وبذلك يخلد ذكره على تعاقب الأيام وترادف الشهور والأعوام وتتحلى به صدور الصحف وتتوج به وجوه السجلات ويصبح الزينة التي تزدان به الكتب على الدوام .

واننا انما أمرنا بايراد هذا المثال لكي يعرف جميع ولاة الدولة وأماثل رجال الدين والملة حسن رأينا في (أكفى الأكفاء) كما يجب أن يقفوا على ما خصصناه من رعاية في صفاء عقيدتنا به ولما كنا قد شرفنا هذين المنصبين الرفيعين بعهدنا اياهما الى مقامه فينبغي أن يرجع اليه في جملة ما تقتضيه مصالح الملك والدولة وأن يتلقوا جميع ما يستدعيه ذكاؤه وفطنته ودهاؤه من عمل بالقبول وعدم الاعتراض وأن لا يعدلوا عنه ولا يتنكبوا طريق متابعته ومساعدته وعلى المشاهير والمعروفين في الاطراف والنواحي وأصناف الرعايا في البلدان والأصقاع برا وبحرا وسهلا ، أن ينهوا مقتضيات أحوالهم الى الديوان ويقفوا عليها (أكفى الأكفاء)[2] .

ففي سفارته واهتمامه في مجلسه بالأمور ستحظى كل المطالب بالانجاز وكل المقاصد بالتحقيق »[3]

---

(١) المقصود بالاجل هو صاحب الديوان .

(٢) المقصود بأكفى الاكفاء كما يسميه المنشور أو كفى الاكفاء هو صاحب الديوان .

(٣) المرجع : عباس اقبال : تاريخ وزراء السلاطين العظام ص٢٩ ـ ٣٠

ملحق رقم (١٨)

مرسوم بتعيين مشرف

وهو الديوان الذي يعنى بالمحاسبات والاشراف على ضبط الحسابات والصادرات والواردات وهو في الحقيقة كمكمل لديون الاستيفاء ، وأن مثل المشرف كمثل المستوفى ، يستطيع أن ينيب عنه في كل ولاية ، نائبا يسمى بالمشرف النائب ويكون بمثابة رئيس تفتيش مالي •

وهذا نموذج من المراسيم بتعيين الخواجة عميدالدين لنيابة الأشراف في جرجان على عهد السلجوقيين •

« ان الخواجة عميدالدين المعروف بالأمانة والأحاطة بالمعاملات المالية ورسومها ومعرفة دقايق الأمور في أصول المحاسبات والذي يمتاز بالكفاية والفضل ومعرفة المقتضيات والمتفرد بين حملة الأقلام بمازندان ، في نيابة ديوان الأشراف بادارة معاملات جرجان المالية ، ووجوه هذه المعاملات وأبوابها التي تتعلق بوكيل خاص الديوان ، والمفروزة فصول نفقاتها عن فصول رواتب الحشم ونفقاتهم قد أمر بأن يتولى ذلك كله وأن لا يغفل عن الصغيرة والكبيرة التي تمر عليه وأن يقف وقوفا تاما على الوارد والصادر فلا يفوت النقير والقطمير من سجلاته وعلى أن لا تكون أية قسمة في سراى الرياسة حماها الله بدون اطلاع منه وأن يسجل كل الوارد والمصروف بوجه مفصل ويبعث بنسخة منه الى ديوان الأشراف فيظهر في كل المواطن كل ما تتطلبه منه الشهامة واللياقة لكي يحظى بالمزيد من الاعتماد عليه • والفرمان بعد هذا يطلب من العمال والمتصرفين بكركان دام تمكينهم ـ أن يضاعفوا احترامهم (المشرف) وأن لا يقوموا بأي عمل أو يتصرفوا بشيء دون

علمه ورضاه وهكذا فلن يجرى نائب رياسة السراي دام تمكينه أية قسمة الابمحضره وكل ما يفعله فيجب اطلاعه عليه ، وأن على كل المعية[1] من الترك والتازيك[2] أن يبالغوا في احترامه ويقيموا الوزن المطلوب لرضاه وعدم رضاه ويعتبروه نافذ المفعول »[3] .

---

(١) المعيّة : تشمل الوكلاء ونواب المشرف والمختارين في القـرى
(٢) التازيك : أولاد العرب المولودون في بلاد فارس
(٣) عباس اقبال : ص٣١ ـ ٣٢

ملحق رقم (١٩)

نموذج توقيع بتدريس

احق من افيضت عليه مجاسد النعم ، وجذب بضبعه الى مقام التنويه ولمقدم القدم من اسفر في أفضية الفضائل صباحه وانتشر في العالم علمه وأزهر مصباحه •

ولما كان الاجل الاوحد العالم ، محيالدين حجة الاسلام رئيس الاصحاب مفتى الفريقين ، مفيد العلوم ، أبو عبدالله محمد بن يحى بن فضلان أدام الله رفعته ، ممن نظم فرائد المحاق عقده النضيد واوى من العلم والعمل الى ركن شديد ، وثبت قدمه من الديانة على مستثبت راسخ وقرار مهيد ، رؤى التعويل في تفويض التدريس بالمدرسة النظامية اليه • ثقة باضطلاعه واستقلاله وتبريزه في حلبات الاستباق على نظرائه وامثاله ، وتراجع المساجلين له عن فوت غايته وبعد مناله ، واسند اليه ــ ادام الله رفعته ــ النظر في أوقاف المدرسة المذكورة بأجمعها واعتماد ما شرطه الواقف في معارفها وسبلها ، مكونا الى كفايته وركونا الى سداده وأمانته •

ورسم له تقديم تقوى الله تعالى التي ما زال منتهجا لطرائقها ، متمسكا بعصمها ووثائقها ، وان يشرح صدره للمتعلمين ولا تأخذه ضجرة من المستفيدين ولا تعدو عيناه عن جهلاء الطالبين ولا يتبرم بالمبالغة في تفهيم المبتدىء ولا يغفل عن تذكير المنتهى : فانه اذا احتمل هذه المشقة وأعطى كل تلميذ حقه كان الله تعالى كفيلا بمعونته ، يحسب ما يعلم من حرصه عليهم واخلاص نيته • ليكن بسائر المتفقهة معتنيا رفيقا وعليهم حدبا شفيقا ، يفرع لهم من الفقه ما وضح وتسهل ويبين لهم ما التبس من غوامضه

واشكل ، حتى تستنير قلوبهم بأضواء علوم الدين ، وتنطق ألسنتهم فيها باللفظ الفصيح المبين ، وتظهر آثار بركاته في مراشده وتبين ، ولتتوفر همته في عمارة الوقوف واستنمائها والتوفر على كل ما عاد بتزايدها وزكائها بحيث يتضح مكان نظره فيها ، ويبلغ الغاية الموفية على من تقدمه ويوفيها ولا يستعين الا بمن يؤدي الامانة ويوفيها ، ويقوم بشرائط الاستحفاظ ويكفيها ، وهو - ادام الله رفعته يجرى من عوائد المدرسين والمتسولين قبله على اوفى معهود ، ويسامى به الى أبعد مرتقى ومقام محمود ، واذن له في تناول ايجاب التدريس ونظر الوقوف المذكورة ، أسوة من تقدمه في التدريس والنظر في الوقوف ، على ما شرط الواقف في كل ورد وصدر واعتماد كل ما حده في ذلك ومثله من غير تجاوز .

المرجع :-

القلقشندي : حـ١٠ ص٢٩٢

نسخة توقيع بتدريس كتب به عن الامام الناصر لدين الله للقاضى محمد بن فضلان بتدريس النظامية ببغداد فى سنة اربع عشرة وستمائة .

ملحق رقم (٢٠)

نموذج لطلب اجازة علم
والمعروفة في اصطلاحنا الحديث ب (الشهادة)

الالتمـــاس

ان رأي سيدنا الاجل الاوحد النقيب الاتقى ضياءالدين جمال الاسلام فخر العلا ذو الشرفين ادام الله تأييده وكبت عدوه وحسوده ان يجيز نصر ابن سعيد بن أحمد بن الحسن بن سميع الموصلي جميع مسموعاته واجازاته ومصنفاته ورواياته عن شيوخه رضى الله عنهم مع البراءة من التصحيف والخطأ والتحريف فعل ذلك متطولا .

الاجـــازة

العـزة لله وحـده

اذنت للشيخ الجليل المقرىء الاديب ابى القاسم نصر بن سعيد بن أحمد بن سميع الموصلي أن يروى عني على سبيل الاجازة فأصبح عنده ما يصح من مقروآتي ومسموعاتي التي أخذت روايتها عن المشايخ والثقات من الكتب الادبية وكتب التفاسير والاعراب والمغازي وما أمليته وصنفته من المسائل النحوية واللغوية وغير ذلك من فنون العربية فليرو ذلك عني على طريقة الاجازة واني بريء من السهو والتحريف والغلط والتصحيف وكتب هبةالله بن علي بن محمد بن حمزة الحسيني في جمادى الآخرة من سنة أربعين وخمس مئة .

المرجع :ـ

ابن الشجرى البغدادي : آمالى الشجرى : مخطوط في مكتبة الاوقاف ببغداد تحت رقم ٥٦٦٧

ملحق رقم (٢١)
الجوامع التي بنيت في العصر السلجوقي

المســـجد	المؤسس ومكان المسجد
جامع السلطان	شيده السلطان ملكشاه فى محلة المخرم قرب دار السلطنة السلجوقيـة ويعرف مكانهـا اليـوم (محلة العلوازية) او العيواضية[١] .
جامع فخرالدولة بن عبدالمطلب	شيده فخرالدولة بن المطلب فى الجانب الغربى ببغداد[٢] .
الجامع النورى فى الموصل	شـيده نورالدين زنكى سـنة ٥٦٦هـ وانتهى من بنـائه سنة ٥٦٨هـ وتعتبر منارته اعلى منارة فى العراق[٣] .
الجامع المجاهدى فى الموصل	شيده ابو منصور قيمـاز بن عبـدالله الزينى الملقب مجاهدالدين سنة ٥٧٢هـ[٤]
مسجد السيدة بنفشة	أمرت ببنائه السيدة بنفشه زوجةالخليفة المستضىء فى الجانب الشرقى ببغداد فى عقد الحديد[٥] .

(١) ابن الجوزى : المنتظم حـ٩ ص٦٠
ابن الاثير : حوادث سنة ٤٨٤هـ
دليل خارطة بغداد : ص١٥٢

(٢) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٧٨هـ

(٣) ابن الجوزى : المنتظم حـ١٠ ص٢٤٨

(٤) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٧٥هـ
سعيد ديوهجى : مجلة سومر حـ١ ص١٧٧ـ١٨٧

(٥) المنتظم : حـ١٠ ص٢٧٧

مسجد الحظائر	شيدته السيدة زمرد خاتون ام الخليفة الناصر لدين‌الله المتوفاة سنة **٥٩٩**هـ ويعرف اليوم بجامع الخفافين ومنارته تعتبر اقدم المنائر فى بغداد(١) .
مسجد سوق السلطان	من ابنية الخليفة الناصر لدين‌الله وهو فى سوق السلطان ومن المرجح انه سوق الميدان الحالي ببغداد الشرقية(٢) .
مسجد الشريف الزيدى	شيده علي بن احمد بن محمد ابو الحسن العلوي الزيدي المتوفى سنة **٥٧٥**هـ ومكان المسجد الحالي هو جامع القبلاني في سوق السراي(٣) .
مسجد ابن جردة	شيده ، محمد بن احمد بن الحسن ابو عبدالله بن جردة ، بنهر معلى ، ببغداد الشرقية(٤) .

---

(١) مصطفى جواد : مجلة سومر حـ١ ص٦٧

(٢) مصطفى جواد : مجلة سومر حـ١ ص٧٢

(٣) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٧٥هـ

(٤) ابن الجوزى : المنتظم حـ٩ ص٩ـ١٠

ملحق رقم (٢٢)

صورة لخطبة الجمعة

ألقاها أبو سعد بن أبي عمامة خطيب جامع المهدي ببغداد

الحمد لله ولي الانعام وصلى الله على من هو للانبياء ختام وعلى آله سرج الظلام وعلى اصحابه الغر الكرام والسلام على صدر الاسلام ورضى الامام زينة الله بالتقوى وختم عمله الحسنى وجمع له بين خير الآخرة والدنيا معلوم يا صدر الاسلام ان آحاد الرعية من الاعيان مخيرون فى القاصد والوافد ان شاؤا وصلوه وان شاؤا فصلوه فأما من توضح بولائه وترشح لآلائه فليس مخيرا فى القاصد والوافد لان من هو على الحقيقة امير فهو في الحقيقة اجير قد باع نفسه واخذ ثمنه فلم يبق له من نهاره مايتصرف فيه على اختياره ولا له ان يصلى نفلا ولا يدخل معتكفا دون التبتل لتدبيرهم والنظر فى امورهم لان ذلك فضل وهذا فرض لازم ، وأنت يا صدر الاسلام وان كنت وزير الدولة فأنت اجير الامة استأجرك جلال الدولة بالاجرة الوافرة لتنوب عنه فى الدنيا والآخرة فأما فى الدنيا ففى مصالح المسلمين واما فى الآخرة فلتجيب عند رب العالمين فانه سيقفه بين يديه ويقول له ملكتك البلاد وقلدتك ازمة العباد فما صنعت فى اقامة البذل وافاضة العدل ؟ فلعله يقول يا رب اخترت من دولتى شجاعا عاقلا حازما وسميته قوام الدين نظام الملك وها هو قائم فى جملة الولاة وبسطت يده فى السوط والسيف والقلم ومكنته من الدينار والدرهم فاسأله يا رب ماذا صنع فى عبادك وبلادك ؟ أفتحسن ان تقول فى الجواب نعم قلدت امور

العباد وملكت ازمة العباد فبثثت النوال واعطيت الافضال حتى انى اقربت من لقائك ودنوت من تلقائك اتخذت الابواب والنواب والحجاب ليصدوا عنى القاصد ويردوا عنى الوافد ، فاعمر قبرك كما عمرت قصرك وانتهز الفرصة مادام الدهر يقبل امرك فلا تعتذر فما ثم من يقبل عذرك ، وهذا ملك الهند وهو عابد الصنم ذهب سمعه فدخل عليه اهل مملكته يعزونه فى سمعه فقال ما حزنى لذهاب هذه الجارحة من بدنى ولكن لصوت مظلوم كيف لا اسمعه فأغيثه ، ثم قال ان كان قد ذهب سمعى فما ذهب بصرى فليؤمر كل ذى ظلامة ان يلبس احمر حتى اذا رأيته عرفته فأنصفته وهذا انو شروان قال له رسول ملك الروم لقد اقدرت عدوك عليك بتسهيل الوصول اليك ، فقال انما اجلس هذا المجلس لأكشف ظلامة واقضى حاجة وانت يا صدر الاسلام احق بهذه المأثرة واولى بهذه المعدلة وأحرى من اعد جوابا لتلك المسألة فانه الله الذى تكاد السموات يتفطرن منه فى موقف ما فيه الا خاشع او خاضع او مقنع ينخلع فيه القلب ويحكم فيه الرب ويعظم الكرب ويشيب الصغير ويعزل الملك والوزير (يوم يتذكر الانسان وانى له الذكرى ـ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا) وقد استحلبت لك الدعاء وخلدت لك الثناء مع براءتى من التهمة فليس لى فى الارض ضيعة ولا قرية ولا بينى وبين احد حكومة[١] ولا بى بحمد الله فقر ولا فاقة[٢] .

---

(١) فى شذرات الذهب «خصومة» ولعل هى الارجح

(٢) المنتظم : جـ٩ ص١٧٣ـ٧٤

القيت هذه الخطبة بحضور الوزير نظام‌الملك لاداء فريضة صلاة الجمعة فى جامع المهدى .

ملحق رقم (٢٣)

المدارس التي انشئت في العصر السلجوقي[١]

المدرسة	موقعها والسنة التى انشئت فيها
المدرسة النظامية	فى بغداد ، أمر بتشييدها نظام الملك الوزير السلجوقى ، وفتحت للتدريس سنة ٤٥٩هـ ١٠٦٦م ، للفقهاء الشافعية[٢] .
المدرسة النظامية	فى الموصل ، أمر بتشييدها نظام الملك الوزير السلجوقى ، مكانها بالقرب من المدرسة النورية[٣] .

(١) المدارس المذكورة فى هذا الملحق هى التى شيدت من قبل السلاجقة واصحاب المذهب السنى ، مع العلم ان حركة التعليم بدأت عند اصحاب المذهب الشيعى فى وقت اسبق ، وتعتبر مدرسة النجف اقدم مدرسة وجامعة فى العالم الاسلامى ، فقد بدأت حركة التعليم فيها ٤٤٨ـ٤٤٩هـ/١٠٥٦ـ١٠٥٧م ، اى منذ انتقال شيخ الطائفة ابو جعفر محمد بن على بن الحسن الطوسى الى النجف الاشرف هربا من بغداد فعمل على اتخاذ المشهد الشريف مركزا للتعليم والعناية بتدريس فقه المذهب الجعفرى ، ومنذ ذلك التأريخ اخذت مدرسة النجف الفقهية فى التقدم والتوسع حتى اصبحت اوسع واهم جامعات العالم الدينية كما اضحت المركز الدينى الاول لدراسة الفقه الجعفرى والمرجع الدينى الرئيس للشيعة الامامية فى العالم الاسلامى .

(٢) المنتظم : حوادث سنة ٤٥٩هـ
ابن الاثير : حوادث سنة ٤٥٩هـ

(٣) اللباب فى الانساب : حـ١ ص٣٩٩
السبكى : طبقات الشافعية حـ٣ ص١٣٧

المدرسة	الوصف
المدرسة النظامية	فى البصرة ، أمر بتشييدها ، نظام الملك الوزير السلجوقى[1] .
مدرسة ابى حنيفة	انشأها ابو سعد مستوفى المملكة السلجوقية، وفتحت للتدريس سنة ٤٥٩هـ ١٠٦٦م ، لاصحاب المذهب الحنفى ، عند مشهد ابى حنيفة[2] .
المدرسة التتشية	انشأها خمار تكين ، احد مماليك الملك تتش بالقرب من السوق ، ومن المرجح انها مكان جامع الوزير الحالى ببغداد[3] .
المدرسة البهائية	فى الجانب الشرقى من بغداد ، فى الموضع المقابل لقهوة الشط ، خاصة بالشافعية[4] .
المدرسة الموفقية	على دجلة ، مكان مديرية الطابو العامة[5] .
المدرسة المغيثية	بباب الازج ، محلة باب الشيخ الحالية[6].
مدرسة الامير سعادة	على نهر دجلة فى الجانب الشرقى ، فى مكان المحاكم المدنية الحالية[7] .

---

(١) السبكى : حـ٣ ص١٣٧

(٢) ابن الاثير : حوادث سنة ٤٥٩هـ
اخبار الدولة السلجوقية : ص٦٩

(٣) المنتظم : حوادث سنة ٥٦٩هـ
مصطفى جواد : مجلة الثقافة الاسلامية حـ٨ ص٧ لسنة ١٩٥٨

(٤) ابن الدبيثى : حـ١ ص١١٦
دليل خارطة بغداد : ص٢٢٣

(٥) ابن الساعى : الجامع المختصر ص١٧٨

(٦) دليل خارطة بغداد : ص١٦٥

(٧) المرجع السابق : ص١٨٣

المدرسة التاجية	انشأها تاج الملك ، ابو الغنائم وزير السلطان ملكشاه سنة ٤٨٢هـ/١٠٨٩م خصة بالشافعية[١] .
المدرسة الثقتية	انشأها ثقة الدولة ابو الحسن على بن الانبارى المتوفى سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م ، وهو زوج فخر النساء شهدة الكاتبة ، والمدرسة خاصة بالشافعية[٢] .
مدرسة الشيخ عبدالقادر الجيلانى	انشأ هذه المدرسة بالاصل ابو سعد المخرمى للفقهاء الحنابلة ، بباب الازج وفوضت بعد وفاته الى الشيخ عبدالقادر الجيلى ، وعمرت المدرسة ودفن الشيخ عبدالقادر فى مدرسته سنة ٥٦١هـ ١١٦٥م[٣] .
مدرسة ابن هبيرة	انشأها الوزير يحى بن محمد بن المظفر ابن هبيرة ، للحنابلة ، بباب البصرة ، فى الجانب الغربى من بغداد سنة ٥٥٧هـ/ ١١٦١م وقد دفن ابن هبيرة فى مدرسته سنة ٥٦٠هـ/١١٦٤م[٤] .

---

(١) معجم البلدان : حـ١ ص٨١٠

(٢) المنتظم : حوادث سنة ٥٤٩هـ
الكامل : حوادث السنة نفسها

(٣) المنتظم : حوادث سنة ٥٦١هـ

(٤) المرجع السابق : سنة ٥٥٧هـ

مدرسة حمزة بن على	انشأها حمزة بن على بن طلحة ، ابو الفتوح وكان صاحب المخزن ، بباب العامة الى جانب داره ، وقد فتحت للتدريس سنة ٥٣٥هـ ١١٤٠م وأول من درس فيها ابو الحسن بن الخل[١] .
مدرسة ابن الجوزى	انشأها ابو الفرج بن الجوزى ، صاحب التصانيف العديدة ومن اشهرها المنتظم وصفوة الصفوة وتلبيس ابليس وغيرها من كتب التاريخ والفقه والتراجم . وكانت هذه المدرسة تقوم بدرب دينار ، فيالجانب الشرقى من بغداد[٢] .
مدرسة السيدة بنفشة	انشأت هذه المدرسة السيدة بنفشة زوجة الخليفة المستضىء وكانت هذه المدرسة دارا لنظامالدين بن نصر بن جهير ، وسلمت السيدة هذه المدرسة الى ابى الفرج بن الجوزى سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م ، وجعلتها خاصة للفقهاء الحنابلة[٣] .
مدرسة ابى النجيب السهروردى	انشأها الشيخ العابد ابو النجيبالسهروردى عبدالقاهر بن عبدالله بن محمد بن عموية السهروردى ، فى الجانب الشرقى من بغداد ومكانها اليوم امام نادى الضباط ، وقد دفن الشيخ السهروردى فى مدرسته سنة ٥٦٣هـ ، ١١٦٧م[٤] .

(١) المنتظم : حوادث سنة ٥٣٥

(٢) المرجع السابق : حوادث سنة ٥٧٠هـ

(٣) المرجع السابق

(٤) المرجع السابق : حوادث سنة ٥٦٣هـ

مدرسة فخر الدولة

انشأها فخر الدولة ، ابو المظفر بن الحسن ابن هبةالله بن المطلب ، مع الرباط في عقد المصطنع في الجانب الشرقي من بغداد وتوفي فخر الدولة سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م[١] .

مدرسة ابن الابرادى

هذه المدرسة في الاصل كانت دارا لمحمد ابن احمد بن على بن الحسن بن الابرادى في محلة البدرية ، ببغداد ، اوقفها لتكون مدرسة للحنابلة[٢] .

المدرسة الاتابكية في الموصل

انشأها سيفالدين غازى بن عمادالدين زنكى بن آق سنقر ، وكان تشييدها بعد سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م ، وهذه المدرسة جعلها المؤسس وقفا للفقهاء الشافعية والحنفية . ودفن في مدرسته عند وفاته سنة ٥٧٦هـ/١١٨٧م[٣] .

المدرسة الكمالية في الموصل

انشأها زينالدين ابو الحسن على بن بكتكين المتوفى سنة ٥٦٣هـ/١١٦٧م ، وهو والد الملك المعظم مظفرالدين ابن سعيد كوكبورى صاحب اربل ، وكان زينالدين متوليا الموصل ومكانها اليوم في الموصل مكان جامع الشط[٤] .

---

(١) الكامل : حوادث سنة ٥٧٨هـ
(٢) المنتظم : حوادث سنة ٥٣١هـ
(٣) الروضتين : حـ١ ص٦٥
مرآة الجنان : حـ٣ ص٢٨٤
(٤) وفيات الاعيان : حـ٦ ص٢٥٢

المدرسة الزينية

انشأها فى الموصل زين‌الدين ابو الحسن على بن بكتكين المتوفى ٥٦٣هـ/١١٦٧م ، ومن اشهر مدرسى هذه المدرسة يونس بن منعه المتوفى سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م . ولا يعرف مكان المدرسة بسبب ضياع الكثير من الآثار واخبارها[١] .

مدرسة الجامع النورى

هذه المدرسة انشأها نورالدين محمود بن عمادالدين زنكى فى جامعة المعروف بالجامع النورى ، وقد حوت هذه المدرسة كتبا نفيسة كثيرة ولا يزال الجامع النورى قائما حتى هذا اليوم فى الموصل[٢] .

المدرسة الكمالية

وتعرف بالمدرسة الكمالية القضوية انشأها ابو الفضل محمد بن ابى محمد عبدالله بن ابى القاسم الشهرزورى المتوفى سنة ٥٧٢هـ/١١٧٦م ، وكانت هذه المدرسة وقفا على الفقهاء الشافعية ، ولا يعرف مكانها لضياع آثارها[٣] .

---

(١) وفيات الاعيان : حـ٦ ص٢٥٢
(٢) العمرى : منية الادباء ص٢٠٥
(٣) وفيات الاعيان : حـ٣ ص٣٧٥
السبكى : حـ٤ ص١٠٠

المدرسة العزية انشأها عزالدين مسعود الاول بن قطب الدين مودود المتوفى سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م ، وكانت هذه المدرسة وقفا على الفقهاء الشافعية والحنفية ، ومكان المدرسة فى الوقت الحالى هى مقام الامام عبدالرحمن[١] .

المدرسة النورية انشأها نورالدين ارسلان شاه بن عزالدين مسعود الاول المتوفى سنة ٦٠٧هـ/١٢١٠م ، وتعتبر هذه المدرسة من احسن المدارس التى انشئت فى الموصل ، وهى خاصة بالشافعية ، وقد انشئت فى داخل الموصل مقابل دار المملكة ، ويعتقد ان من بقايا المدرسة ، مشهد الامام محسن فى الموصل[٢] .

المدرسة المجاهدية انشأها مجاهدالدين ، ابو منصور قيماز سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م ، ويرجح انها كانت بالقرب من الجامع المجاهدى الذى انشأه المؤسس نفسه وان هذه المدرسة وقفا على الشافعية[٣] .

---

(١) الكامل : حوادث سنة ٥٨٩هـ

(٢) وفيات الاعيان : حـ١ ص١٧٣
البداية والنهاية : حـ٣ ص٨٢

(٣) السبكى : حـ٥ ص٣٢
البداية والنهاية : حـ١٣ ص٨٢

ملحق رقم (٢٤)
« الاربطة التي انشئت في العصر السلجوقي »

الرباط	تعريف بالموقع والمُشيِّد
رباط الخدم	انشأه ابو الحسن الغياثي الخادم الملقب مجاهدالدين بهروز على دجلة[(١)] •
رباط بهروز	ويعرف برباط الدرجة ، عند سوق المدرسة النظامية ، انشأه بهروز شحنة بغداد[(٢)] •
رباط ارجوان	ويعرف ايضا بالرباط الارجواني ، نسبة الى السيدة ارجوان ام الخليفة المقتدى ، مكانه في شارع المتنبى ببغداد[(٣)] •
رباط الرملة	انشأه الخليفة الناصر لدين‌الله سنة ٥٨٤هـ ١١٨٨م الى جانب تربة زوجته سلجوقي خاتون الاخلاطية السلجوقية ، ويعرف ايضا برباط الاخلاطية[(٤)] •
رباط شيخ الشيوخ	مكانه في سوق الكمرك في موضع خان الباجه‌جى جنوبى المستنصرية ، ومؤسسه شيخ الشيوخ النيسابورى[(٥)] •

(١) مرآة الزمان : حـ١ ص٢٧

(٢) النجوم الزاهرة : حـ٥ ص٢٧٧
المنتظم : حـ٩ ص١٥٩

(٣) المنتظم : حـ٩ ص٢٠٠/الحوادث الجامعة ص١٣٤

(٤) الكامل : حوادث سنة ٥٨٤هـ
مرآة الزمان : حـ٨ ص٤٢٢

(٥) الكامل : حوادث سنة ٤٧٩هـ
السمعاني : مختصر تاريخ بغداد ورقة ٨٢

رباط المرزبانية	من ابنية الناصر لدين‌الله العباسى على نهـر عيسى بالجانب الغربى من بغداد[1] .
رباط الشيخ عبدالقادر الجيلي	فى محلة باب الازج ـ باب الشيخ الحالية ـ فى مكان مسجد الشيخ عبدالقادر الكيلانى، وكان من قبل مدرسة للحنابلة[2] .
رباط المأمونية	فى محلة المأمونية والتى تشمل اليوم محلات القشل والدهانـة والهيتاويين وصبابيغ الآل فى الجانب الشرقى ببغداد[3] .
رباط قراح القاضي	انشأه صدقـة بن وزير الواسطى المتوفى سنة ٥٥٧هـ/١١٦١م قريبا من باب ظفر فى الجانب الشرقى ببغداد[4] .
رباط السهروردي	انشـــأه الشـيخ عبــدالقاهر ابو النجيب السهروردى فى الجانب الشرقى من بغداد مقابل دار الضباط الحالية[5] .
رباط البسطامي	في الجانب الغربي من بغـداد قبالة مسجد قمرية ، وعند هذا الرباط يصب نهر عيسى بدجلة[6] .

---

(١) ابن الساعي : الجامع المختصر ص٥٨

(٢) المنتظم : حـ١٠ ص٢١٩

الكامل : حوادث سنة ٥٦١هـ

(٣) دليل خارطة بغداد : ص٢٥٢

(٤) المنتظم : حـ١٠ ص٢٠٢

(٥) المرجع السابق : حـ١٠ ص٢٢٥

(٦) ابن الاثير : حوادث سنة ٤٩٣هـ

الحوادث الجامعة : ص٤

الدكتور مصطفى جواد : مجلة سومر مجلد ١٠ سنة ١٩٥٤

رباط فخرالدولة: انشـأه فخرالدولة بن المطلب ، عنـد عقـد المصطنع في الجانب الشرقي ببغداد[1] .

رباط البديع: انشأه أبو المظفر عبدالصمد بن الحسـين بن عبدالغفـار الزنجاني ، في منطقـة قراح القاضي وقـد توفى البديع سـنة ٥٨١هـ/ ١١٨٥م[2] .

رباط ثقةالدولة: انشأه أبو الحسن علي بن محمد الدريني المعروف بابن الابرى زوج السيدة شهـدة المتصوفة ، في منطقة باب الازج أي محلة باب الشيخ الحالية[3] .

رباط الحريم الطاهري: من ابنية الخليفـة الناصر لدين‌الله العباسي شـيده سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م في الجـانب الغربي من بغداد[4] .

رباط ابن الخبازة: انشأ أبو بكر محمـد بن عبدالله العامري المعروف بابن الخبازة البغدادي ، في منطقة قراح ظفـر وهي محلـة الطوب الحاليـة الواقعة في باب المعظم[5] .

---

(١) الكامل : حوادث سنة ٥٧٨هـ

(٢) الذهبي : تاريخ الاسلام : ورقة ٥
السبكي : طبقات الشافعية حـ٤ ص٢٥٤

(٣) ابن النجار : تاريخ بغداد : ورقة ٢٩
وفيات الاعيان حـ١ ص٢٤٥

(٤) الكامل : حوادث سنة ٥٨٩هـ
مرآة الزمان : حـ٨ ص٤٢٢

(٥) المنتظم : حـ١٠ ص٦٤ ـ ٦٥
مرآة الزمان : حـ٨ ص١٦٠
الوافي بالوفيات : حـ٢ ص٣٤٩

رباط دار الفلك	من ابنية الخليفة الناصر لدين‌الله ، شيده بدار الخلافة في أرض شارع المستنصر الحالي سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م وخصصه بالنساء المتصوفات[١] .
رباط زمرد	انشأته السيدة زمرد خاتون ، زوجة الخليفة المستضيء بالله العباسي وأم الخليفة الناصر لدين‌الله ، مجاور تربة الشيخ معروف الكرخي[٢] .
رباط ابن البل الدوري	انشأه أبو المظفر محمد بن علي بن نصر المعروف بابن البل الدوري ، في محلة الشحاذين على نهر عيسى في محلة قطفتا بالجانب الغربي من بغداد[٣] .
رباط السيدة بنفشة	انشأته السيدة بنفشة زوجة الخليفة المستضيء بأمر الله في سوق المدرسة ، بالجانب الشرقي من بغداد[٤] ..
رباط عمادالدين صندل	انشأه عمادالدين صندل بن عبدالله الحبشي المعروف بالمقتفوى المتوفى سنة ٥٩٣هـ/١١٩٦م ، بالجانب الغربي من بغداد[٥] .

(١) مرآة الزمان : حـ٨ ص٤٠٨ وص٦٣٧
الحوادث الجامعة : ص٢٦٥
(٢) الكامل : حوادث سنة ٥٩٩هـ
مرآة الزمان : حـ٨ ص٣٦٥ وص٥١٣
خلاصة الذهب المسبوك : ص٢٠٧
(٣) المنذري : التكملة لوفيات النقلة : حـ١ ص٧٢
شذرات الذهب : حـ٥ ص٤٨
(٤) المنتظم : حـ١٠ ص٢٥٢
(٥) تلخيص مجمع الآداب : حـ٤ ص١٠٤

رباط ابن المسلمة	انشأه أبو الحسن محمد بن المظفر بن علي ابن القاسم الوزير ، المتوفى سنة ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م ، وقد جعل داره التي في دار الخلافة رباطا للصوفية[١] .
رباط الغزنوي	انشأه علي بن الحسين أبو الحسن الغزنوي بباب الأزج ووقفت عليه الوقوف[٢] .
رباط سيف‌الدين غازي	انشأه سيف‌الدين غازي بن عمادالدين زنكي في الموصل على باب المشرعة[٣] .
الرباط الزيني	انشأه زين‌الدين أبو الحسن علي كوجك ابن بكتكين في الموصل[٤] .
الرباط المجاهدي	شيده مجاهدالدين قيماز المتوفى سنة ٥٩٥هـ ، في الربض الأسفل من الموصل[٥] .
رباط درب دراج	كان الرباط بالاصل دارا لأبي السعادات مجدالدين بن الأثير ، جعلها رباطا ودفن فيه سنة ٦٠٦هـ[٦] .

---

(١) المنتظم : حـ١ ص١٢٩
الكامل : حوادث سنة ٥٤٢هـ
(٢) المنتظم : حـ١٠ ص١٦٦
(٣) الكامل : حوادث سنة ٥٤٤هـ
النجوم الزاهرة : حـ٥ ص٢٨٦
مفرج الكروب : حـ١ ص١١٦
(٤) سعيد ديوه‌جي : تاريخ الموصل ص١٥٥
(٥) الكامل : حوادث سنة ٥٩٥هـ
(٦) وفيات الاعيان : حـ٣ ص٢٨٩

رباط قضيب البان

شيد هذا الرباط أبو عبدالله الحسين قضيب البـان بن ابي ربيعـة الموصلي المتوفى سنة ٥٧٣هـ ، ١١٧٧م ، ومكان الرباط خـارج باب سنجار[١] .

---

(١) سعيد ديوهجي : مجلة سومر حـ٨ ص٩٩ ـ ١٠٦

ملحق رقم (٢٥)

مكتبات بغداد في العصر السلجوقي

مكان المكتبة	الملاحظات
خزانة الكتب في المدرسة النظامية	ملحقة بالمدرسة النظامية التي انشأت الوزير نظام‌الملك في بغداد سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م وذكر أن عدد مجلداتها ستة آلاف مجلد .[١]
خزانة كتب مدرسة أبي‌حنيفة	ملحقة بالمدرسة التى انشأها ابوسعد مستوفى المملكة للفقهاء الحنفية وقد حوت كتبا نفيسة عديدة .[٢]
خزانة كتب دار المسناة	من المرجح أن دار المسناة هي من أبنية الناصر لدين‌الله العباسي ، وفي هذه الدار وقف الناصر خزانة كتب ، لتكون دار علم ينتفع بها المسلمون .[٣]

(١) ابن كثير : البداية والنهاية حـ١٣ ص١٦٦
فوات الوفيات : حـ٢ ص٢٦٤
ابن الاثير : حوادث سنة ٥٨٩هـ

(٢) المنتظم : حـ١٠ ص٢٤٨
صيد الخاطر : ص٣٦٧/الجامع المختصر حـ٥ ص٢٣٦

(٣) القفطي : أخبار العلماء ص٢٦٩

خزانة كتب الرباط الخانوتي السلجوقي	هذه الخزانة وقفها الخليفة الامام الناصر لدين الله العباسي في تربة زوجته سلجوقي خاتون الاخلاطية السلجوقية ، بباب البصرة في الجانب الغربي ببغداد وكانت السيدة قد توفيت سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م(١) .
خزانة كتب الرباط بالحريم الطاهري	انشأ الرباط الخليفة الناصر لدين الله سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م وهو من أحسن الربط البغدادية ، وقد نقل اليه الخليفة كتبا كثيرة ونفيسة(٢) .
خزانة كتب رباط المأمونية	يقوم هذا الرباط في محلات بغداد العتيقة ، وهناك اشارات للباحثين عن الكتب التي حواها الرباط فقد ذكر أن من جملة كتب خزانة الرباط كتاب الفنون لابن عقيل الحنبلي(٣) .
خزانة كتب الخليفة القائم بأمرالله	ورث هذا الخليفة خزانة كتب ، واشتملت على كتب نفيسة نادرة ، ومن كتبها النادرة كتاب (رسوم دار الخلافة) لهلال الصابىء المتوفى سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م كما أن الصابىء ذكر في مقدمة كتابه أخبار الوزراء أنه أهداه الى الخليفة ومن المرجح أنه الخليفة القائم(٤) .

---

(١) ياقوت : معجم الادباء حـ٥ ص٢٩٠
اخبار العلماء ص٢٦٩

(٢) ابن الاثير : حوادث سنة ٥٨٩هـ

(٣) مرآة الزمان : حـ٨ ص٥١

(٤) الصابي : تحفة الامراء ص٦ ـ ٧
كوركيس عواد : خزائن الكتب ص١١٧

خزانة كتب الخليفة المقتدى بأمر الله

وكانت له خزانة كتب حوت كتبا نادرة ، منها كتاب تقويم الابدان في تدبير الانسان لابن يحيي بن عيسى بن جزلة الطبيب البغدادي المتوفى سنة ٤٩٣هـ/١٠٩٩م ، وكان ابن جزلة قد ألف للمقتدى بأمر الله كتاب (المغنى في الطب)[١] .

خزانة الخليفة الناصر لدين الله

يعتبر الناصر من أعظم خلفاء بني العباس في عصور الدولة المتأخرة ، كما ان خزانة كتبه تعتبر من أجل الخزائن التي احتوت نفائس الكتب المخطوطة بالخطوط الجميلة ، وقد أمر هذا الخليفة بنقل جانب من خزانة كتبه لاحداث ثلاث خزائن جديدة ، دار المسناة ، وخزانة الرباط الخاتوني السلجوقي وخزانة المدرسة النظامية[٢] .

خزانة الوزير ابن هبيرة

انشأها الوزير عون الدين أبو المظفر يحى ابن محمد بن هبيرة ، وزير المقتفى العباسي ٥٤٤هـ/١١٤٩م ، وكانت له خزانة كتب ومن المرجح أنه وقفها في مدرسته التي أنشأها بباب البصرة ، وقد توفى ابن هبيرة سنة ٥٦٠هـ/١١٦٤م[٣] .

---

(١) كوركيس عواد : خزائن الكتب : ص١١٨ ـ ١١٩

(٢) القفطي : ص٢٦٩

(٣) القزويني : عجائب المخلوقات : ص١٢٤ / كوركيس عواد ص١٨٢

خزانة الوزير مؤيدالدين ابن القصاب

من وزراء الخليفة الناصر لدين‌الله العباسي ، تقلد الوزارة سنة ٥٩٠هـ/١١٩٣م ، وكانت له رغبة الاشتغال بالعلوم والآداب ، وانشأ هذا الوزير خزانة كتب في درب الخياطين ببغداد ، ووقف على طلبة العلم الكتب النفيسة[١] .

خزانة كتب الكندري

انشأها الوزير السلجوقي عميد الملك أبو نصر محمد الكندري وكان وزيرا لطغرلبك ومن بعده لالب أرسلان وقتل سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٤م وقد استحوذ على كثير من كتب خزانة أردشير الوزير التي احترقت ونهبت معظم كتبها ، وكانت خزانة أردشير من أعظم الخزائن في بغداد التي عرفت بدار العلم والتي كانت في الكرخ بين السورين ، ومن أشهر روادها الشاعر أبوالعلاء المعري المتوفى سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م[٢] .

خزانة الخطيب البغدادي

الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، من الذين أشتغلوا في‌دراسة علوم الحديث والرواية وله المصنفات العديدة والتي أشهرها تاريخ بغداد في أربعة عشر

---

(١) تجارب السلف : ص٣٢١
كوركيس عواد : ص١٨٣
(٢) الكامل : حوادث سنة ٤٥١هـ
كوركيس عواد : ص١٨٤ ـ ١٨٥

مجلـــدا ، وتوفى الخطيب ســنة ٤٦٣هـ/ ١٠٨٤م وكانت لــه كتب نفيسة وقفهــا على المسلمين[١] .

خزانة كتب الشجري	أنشأها مسعود بن ناصــر الشجري المتوفى سنة ٤٧٧هـ/١٠٨٤م وكانت له كتب نفيسة وقفها على مسجد عقيل بنيسابور[٢] .
خزانة كتب الأنباري الخطيب	أنشأها محمد بن أحمــد محمد أبو طاهر الانباري الخطيب ، كان رحلة في طلب العلم وجمع كتبا كثيرة وكان يقول : « هذه كتبي أحــب الي من وزنهــا ذهبــا » توفى ســنة ٤٧٦هـ/١٠٨٢م[٣] .
خزانة كتب الصابئي	أنشأها أبو الحسن محمد بن هلال الصابى ، صــاحب المؤلفات التاريخية القيمة ، تحفــة الامــراء في تاريخ الوزراء ، ورســوم دار الخلافة ، والتاريخ وغيرها من الكتب المهمة ، كانت له دار كتب في الجانب الغــربي من بغداد في شارع ابن أبي عوف وقــد وقف الصابي كتبه وعين عليها خازنا أبن الأقساس العلوي ، الذي تصرف بالكتب وباع الــكثير منها[٤] .

(١) المنتظم : حـ٨ ص٢٦٩ / معجم الادباء : حـ١ ص٢٥٢ / وفيات الاعيان : حـ١ ص٧٧

(٢) المنتظم : حـ٩ ص١٣

(٣) المرجع السابق : حـ٩ ص٩

(٤) المرجع السابق : حـ٩ ص٤٢

خزانة عبدالسلام القزويني	منشؤها أبو يوسف عبدالسلام بن محمد بن يوسف بن بندار القزويني الحنفي المعتزلي المتوفى سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٥م . كانت لعبد السلام خزانة كتب فخمة زادت على أربعين مجلد[١] .
خزانة الحميدي	أنشأها أبو عبدالله محمد بن أبى مصر فتوح ابن عبدالله الأزدي الحميدي المغربي الاندلسي ، المتوفى ببغداد سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م وقد وقف كتبه على طلبة العلم[٢] .
خزانة ابن جزلة	انشأها أبو علي يحي بن عيسى الخطيب البغدادي ، المتوفى سنة ٤٧٣هـ/١٠٨٠م ، وقيل ٤٩٣هـ/١٠٩٩م ، كانت لابن جزلة خزانة كتب نفيسة وقفها قبل وفاته في مشهد الامام ابي حنيفة[٣] .
خزانة القاضي ابي الفرج ابن ابي البقاء في البصرة	انشأها ابو الفرج محمد بن عبيدالله بن الحسن ابن الحسين البصري قاضي البصرة المتوفى سنة ٤٩٩هـ/١١٠٥م . وقد نهبت هذه المكتبة اثر هجوم قبائل ربيعة والمنتفق في السنة المذكورة سابقا[٤] .

---

(١) ابن حجر : لسان الميزان حـ٤ ص١١ / الجواهر المضيئة حـ١ ص١٦ / السبكي : طبقات الشافعية حـ٣ ص٣٠

(٢) المنتظم : حـ٩ ص٩٦ / الانساب : ص١٧٧

(٣) القفطي : أخبار الحكماء / ص٣٦٦
ابن خلكان : وفيات الاعيان حـ٢ ص٣٨٨

(٤) الكامل : حوادث سنة ٤٩٩هـ
كوركيس عواد : ص٢٤٤

خزانة ابي سعيد بن المعوج	كان منشىء هذه الخزانة صاحب ديوان ، في أيام الخليفة المستظهر بالله العباسي ، وقد اضطر ابن المعوج لمحنة اصابته الى رهن كتبه على ٥٠٠ دينار ، ثم استفكت الكتب من مال الخليفة[١] .
خزانة سعد الخير الاندلسي	منشئها أبو الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل المغربي الاندلسي ، رحلة في طلب العلم ، ودخل بغداد وتفقه على ابي حامد الغزالي ، ومات بها سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م . وكانت له خزانة كتب فخمة[٢] .
خزانة عبدالله بن علي بن أحمد	كان منشىء هذه الخزانة ، أبو محمد المقرىء ، احد العلماء في القرآن ببغداد ، توفى فيها سنة٥٤١هـ/١١٤٦م ، وقد جمع كتبا كثيرة[٣] .
خزانة محمد بن ناصر البغدادي	منشىء هذه الخزانة أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر البغدادي الحافظ المتوفى سنة ٥٥٠هـ/١١٥٥م ، وكان ابن الجوزي قد اطلع على ثبت خزانة كتبه[٤] .
خزانة ابن المرخم القاضي	انشأها ابو الوفاء سديدالدين يحيى بن

---

(١) طبقات الاطباء : حـ١ ص٢٥٥
كوركيس عواد : ص٢٤٧
(٢) المنتظم : حـ١٠ ص١٢١
(٣) المرجع السابق حـ١٠ ص١٢٢
(٤) صيد الخاطر : ص٣٦٧/شذرات الذهب حـ٤ ص١٥٥

سعيد بن يحيى بن المظفر ، اقضى القضاة في بغداد ، حوت مكتبته الكثير من كتب الفلسفة والطب وقد احرقت كتبه بعد مقتله سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م .[١]

خزانة ابن التلميذ — مؤسسها ، أمين الدولة أبو الحسن هبة الله ابن التلميذ الطبيب النصراني ، البغدادي المتوفى سنة ٥٦٠هـ/١١٦٤م ، وكانت خزانته تقوم في داره المجاورة للمدرسة النظامية واحتوت الكتب النفيسة .[٢]

خزانة كتب الزيدي — انشأها أبو الحسن علي بن أحمد المتوفى ببغداد سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م وكان شريف النسب معروفا بالزهد ، اشترى دارا بدرب دينار وبناها مسجدا ، واشترى كتبا كثيرة اوقفها في المسجد لينتفع بها الناس .[٣]

خزانة ابن الدهان — انشأها أبو محمد سعيد بن المبارك المعروف بابن الدهان النحوي المتوفى سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م وكانت له خزانة كتب اصابها تلف بسبب الفيضان الذي أصاب بغداد سنة ٥٤٥هـ/١١٥٠م .[٤]

---

(١) المنتظم : حـ١٠ ص١٩٤

(٢) طبقات الاطباء : صـ١ ص٢٦٢

(٣) مرآة الزمان : حـ٨ ص٢٢٧
شذرات الذهب : حـ٥ ص١٢٢

(٤) وفيات الاعيان : حـ٢ ص٢٥١
نكت الهميان : ص١٥٩

خزانة الحازمي	انشأها أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان ابن حازم الحازمي الشافعي المتوفى سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م ويذكر المترجمون بحياته انه فرق كتبه على أصحاب الحديث ببغداد[١] .
خزانة ابن الجوزي	انشأها جمال‌الدين أبو الفرج عبدالرحمن المشهور بابن الجوزي البغدادي المتوفى سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م في درب دينار بالجانب الشرقي من بغداد[٢] .
خزانة ابن المارستانية	منشؤها أبو بكر عبدالله بن علي التيمي البكري المعروف بابن المارستانية المتوفى سنة ٥٩٩هـ/١٣٠٢م ، انشأها بدرب الشاكرية ببغداد وسماها دار العلم وجعل فيها كتبا وقفها على طلاب العلم[٣] .
خزانة ابن الخشاب	انشأها أبو محمد عبدالله بن أحمد بن الخشاب البغدادي الحنبلي المتوفى سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م ، وكان عالما بالنحو والحديث واللغة والمنطق والفلسفة ، جمع كتبا كثيرة ، ووقف كتبه على أهل العلم[٤].

---

(١) وفيات الاعيان : حـ٣ ص٤٢١

(٢) البداية والنهاية : حـ١٣ ص٤٥
مرآة الزمان : حـ٨ ص٣٢٥ – ٣٢٦

(٣) مصطفى جواد : مجلة عالم الغد : لسنة ١٩٤٥ العدد ١٠
مقال موضوعه : دور العلم العراقية في العصور العباسية .
كوركيس عواد : ص٢٥٩

(٤) معجم الادباء : حـ٤ ص٢٨٦ – ٢٨٧
بغية الوعاة : ص٢٧٧

ملحق رقم (٢٦)
المارستانات في العصر السلجوقي

١ ـ المارستان العضدي ببغداد(١) •

٢ ـ المارستان التتشي ببغداد(٢) •

٣ ـ مارستان مجاهدالدين قيماز بالموصل(٣) •

٤ ـ مارستان باتكين بالبصرة(٤) •

٥ ـ مارستان واسط(٥) •

٦ ـ مارستان اسيدة(٦) •

٧ ـ المارستان المقتدرى(٧) •

---

(١) ابن جبير : ص١٧٩/المنتظم : حـ٧ ص١١٢

(٢) بناه مملوك للملك تتش بن الب ارسلان ، يدعى (خمارتكين) شيّد هذا المملوك سوقا قرب المدرسة النظامية ومدرسة بالقرب منه يقال لها التتشية وبيمارستانا بباب الازج يقال له (التتشي) فهو نسب السوق والمدرسة والبيمارستان لسيده (تتش) • ياقوت الحموي : معجم البلدان : حـ١ ص٨٢٦

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية : حوادث سنة ٥٧٢هـ/ابن جبير : ص١٨٨

(٤) ابن الفوطي : تلخيص مجمع الاداب/مجلد ٣ ص٣٨٢ من هامش الجامع المختصر لابن الساعي تحقيق الدكتور مصطفى جواد

(٥) ابن الاثير : حوادث سنة ٤١٣هـ/الجامع المختصر : ص٢٢

(٦) عيون الانباء : حـ١ ص٢٢٢ / تاريخ الحكماء : ص١٩٥

(٧) تاريخ الحكماء : ص١٩٤

وهناك بيمارستانات : مثل بيمارستان (ابى الحسن علي بن عيسى) بمحلة الحربية ، وبيمارستان (بدر) بمحلة المخرم وبيمارستان (الامير بحكم) وبيمارستان (محمد بن علي بن خلف) ببغداد ، ارجح انها كانت موجودة في العهد السلجوقي واستمر بعضها في تقديم الخدمات الصحية للناس •

ملحق رقم (٢٧)
أشهر القصور والدور التي انشئت في العصر السلجوقي

الدار	الملاحظات	المرجع
دار السلطان	شيدت فى مكان دار المملكة البويهية بين الجسر الحديد ومحلة العيواضية .	مرآة الزمان جـ٨ ص٩٦ دليل خارطة بغداد ص١٥٢
دار الفلك	شيدها الناصر لدين الله سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م وكانت داخل دار الخلافة .	مرآة الزمان جـ٨ ص٢٥٦
الدار المثمنة	شيدها الخليفة المسترشد بالله العباسى على دجلة .	ياقوت : جـ٢ ص٥٣٤
دار خاتون	قرب باب الغربة ، داخل الحريم وهو لابنة المقتدى الخليفة العباسى .	دليل خارطة بغداد: ص١٥٧
دار السيدة	هذه الدار لابنة الخليفة المقتدى ، بالقرب من باب الغربة داخل الحريم .	دليل خارطه بغداد: ١٥٧
دار الريحانيين	شيدها الخليفة المستنجد (٥٥٥-٥٦٦)هـ وعرف بهذا الاسم لقربه من سوق الريحانيين الذى تباع فيه الرياحين والزهور .	ياقوت : جـ١ ص٥١٩ مراصد الاطلاع : دار الريحانيين

الـــدار	الملاحظـــــات	المرجـــع
الدار القطنية	الى جانب باب الغربة ويشرف على مشرعــة الابريين الذيــن يبيعون الابر •	دليل خارطة بغداد: ص١٥٨
دار عميد بغداد	من الدور المشهورة فى بغداد مقابلة لباب العامة •	الجـامع المختصـر ج٩ ص١١٨
دار قيماز (قطب الدين)	ومكانها داخل باب النوبى ، ومشيدهـا مقـــدم الجيـوش العباسـية قطب الدين قيمـــاز المقتفوى •	فوات الوفيات ج١ ص١١٠
قصر التاج الثانى	شيده الخليفـة المستضىء بالله على نهر دجلة ، وكان الخليفة يستقبل رعيته لمبايعته الخلافـة فى احدى قاعاته •	بغـداد فى عهــد الخلافة العباسية ص٢٢٢
دار مجدالدين هبة الله بن على	استاذ دار الخـــلافة ، زمن الخليفة المستضىء العباسى	الجامع المختصر : ص١٠٣ ج٩
دار عبيــدالله بن يونس	الوزير الحنبلى ، وهى مجاورة للديوان	الحوادث الجامعة: ص٨٢
دار شـرف الدين الموسوى	مؤسسها من اعيـــان الدولـة العباسية ، انشأ الدار فى محلة المقتدية بالجانب الشرقى مـن بغداد •	الجامع المختصر : ج٩ ص٢٦٥ الحوادث الجامعة: ص٧٧
دار الامير يزدن	ومؤسس الدار من كبار قواد الجيش العباسى زمن الخليفة المستنجد بالله •	تلخيص مجمـــع الآداب : ج٤ ص٣٤١

دار ابن جردة	من اشهر الدور ببغداد وكانت بباب المراتب واشتملت على ثلاثين دارا وعلى بستان وحمام	المنتظم : ج٩ ص٩-١٠
دار صدقة بن منصور	وصدقة هذا من رجالات الدولة البارزين وكانت داره معروفة في بغداد وانها كانت ملاذا للخائفين .	المنتظم : ج٩ ص١٥٩
دار ابن التلميذ	كانت بسوق القصر مما يلي بابه المجاور لباب الغربة من دار الخلافة بالمشرعة النازلة الى شاطيء دجلة وكانت تحوى كتبا ثمينة .	عيون الانباء : ج١ ص٢٦٢

ملحق رقم (٢٨)

« ابواب دار الخلافة القائمة في العصر السلجوقي »

قصور الخلفاء العباسيين كانت عديدة وتنتشر على ضفة دجلة زهاء كيلو متر واحد ، وقد عمل لهذه القصور سور على هيئة نصف دائرة يبتدىء من دجلة جنوب المدرسة النظامية عند شريعة شارع السمؤال وينتهي بدجلة جنوبا عند شريعة المربعة الحالية ، وصارت هذه القصور تعرف « بدار الخلافة » وكان فيها عدة قصور ، هي القصر الحسني والفردوس والتاج ودار الشجرة والدار المثمنة والدار المربعة ، ودار الوزارة والدواوين ، وكانت لهذا السور ثمانية ابواب هي :-

١ - باب الغربة .
٢ - باب سوق التمر .
٣ - باب بدر (وكان يعرف بباب الخاصة) .
٤ - باب النوبي (ويعرف بباب العتبة) .
٥ - باب العامة (ويعرف بباب عمورية) .
٦ - باب النصر .
٧ - باب البستان .
٨ - باب المراتب .

المراجـــع :-

ياقوت : معجم البلدان حـ١ ص٤٥١
مراصد الاطلاع : حـ١ ص١٤٤-١٤٦
لسترنج : بغداد ص٢٢٤-٣٦
مصطفى جواد : دليل خارطة بغداد ص١٥٨-١٥٩

ملحق رقم (٢٩)

ابواب بغداد المشيدة في العصر السلجوقي

١ ـ باب السلطان « باب المعظم »[١] .

٢ ـ باب الظفرية « باب الوسطانى »[٢] .

٣ ـ باب الحلبة « باب الطلسم »[٣] .

٤ ـ باب البصلية « باب كلواذى »[٤] .

الباب الشرقى

ملحوظـة :

بدأ بتشييد هذه الابواب الخليفة المستظهر وأتمها الخليفة المسترشد بالله العباسى ٥١٢ـ٥٢٩هـ .

---

(١) ابن‌جبير : الرحلة ص٢١٦

(٢) المرجع السابق : الرحلة ص١١٦

(٣) لسترنج : بغداد ص٢٤٦

(٤) ابن جبير : الرحلة ص٢١٢ تحقيق وحسين نصار

ملحق رقم (٣٠)

اهم المحلات التى انشئت في العصر السلجوقي

المحلــة	الملاحظـــات
المقتدية	نسبة الى الخليفــة المقتدى بأمر الله العبـاسى ويعتقد انها فى مكان محلة التوراة الحالية[١] .
البساتين	وكانت بباب الازج ، وهى تشـمل محلـة باب الشيخ ورأس الساقية وقسما من المربعة[٢] .
الجعفرية	نسبة الى جعفر بن المقتدى بأمر الله ويعتقـد انها فى مكان محلة تحت التكية الحالية[٣] .
الأجمة	ومكانها على ما يعتقد محلة خانلاوند الحالية[٤] .
الحلبـة	وهى المحلة التى كانت قريبا من ساحة السـباق، بالقرب من محلة باب الشيخ الحالية[٥] .
خربة ابن جردة	وهى من المحلات الداخلة الآن فى محلة قنبرعلي ببغداد[٦] .

(١) ياقوت : معجم البلدان/المقتدية

(٢) التاريخ الباهر : ص١٣
دليل خارطة بغداد : ص١٧٦

(٣) ياقوت : معجم البلدان : الجعفرية
دليل خارطة بغداد : ص٣٠٠

(٤) ياقوت : معجم البلدان : الاجمة
دليل خارطة بغداد : ص١٦٤

(٥) التاريخ الباهر : ص١٣
معجم البلدان : الحلبة

(٦) التاريخ الباهر : ص١٣
دليل خارطة بغداد : ص١٦٤

درب القيار	محلة كبيرة مشهورة ببغداد[1] .
خربة الهراس	وكانت تقوم بالقرب من العقد الحديد وباب دار الضرب[2] .
الخاتونية	وهى المحلـــة القائمة بالقرب من الظفرية ، اى محلة الشيخ عمر الحالية[3] .
البصلية	محلة بالقرب من دجلة ويرجح ان يكون مكانها فى منطقة باب الشرقى وعندها يقوم باب البصلية من أبواب بغداد الشرقية[4] .
القطيعـة	محلة كبيرة بين باب الحلبة وباب الازج والريان، فيها اسواق كأنها مدينة ، وتعرف بقطيعة العجم ، وبجوارها البرج الـذى عرف بالبرج العجمى ، وقد ورد ذكره كثيرا عند هجوم المغول عـلى بغداد[5] .

(١) التاريخ الباهر : ص١٣
مراصد الاطلاع : حـ٣ ص١١٣٩
تكملة اكمال الاكمال : ص٢٧٩ ــ ٢٨٠ تعليق الدكتور مصطفى جــواد

(٢) دليل خارطة بغداد : ص١٦٥

(٣) التاريخ الباهر : ص١٣
دليل خارطة بغداد : ص١٦٥

(٤) التاريخ الباهر : ص١٣
معجم البلدان : مادة البصلية
دليل خارطة بغداد : ص١٦٢ وص١٦٥

(٥) معجم البلدان : مادة القطيعة
دليل خارطة بغداد : ص١٦٢ و١٦٥

ملحق رقم (٣١)

الجسور في العصر السلجوقي

١ - جسر باب الطاق .[1]

٢ - جسر سوق الثلاثاء .[2]

٣ - جسر السيدة بنفشة .[3]

---

(١) المقدسي : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص١٢٠ .

(٢) عند مشرعة القطانين ، الواقعة بين نادي الضباط العسكرى وبناية المجلس النيابي السابق والذي اشغل بعد ثورة تموز سنة ١٥٩٨ مكانا باسم محكمة الشعب .
المنتظم جـ١٠ ص٢١ .

(٣) شيد الجسر سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م ، بأمر السيدة بنفشة حظية الخليفة المستضيء
ابن الجوزي : المنتظم جـ١٠ ص٢٥٠

ملحق رقم (٣٢)
حوادث الفيضانات في العصر السلجوقي

السنة الهجرية	السنة الميلادية	
٤٥٤	١٠٦٢	طغي نهرا دجلة وتامرا بسبب سقوط الامطار واقتصر الفيضان على الجانب الشرقي .[(١)]
٤٦٦	١٠٧٣	غرقت أجزاء كبيرة من بغداد وهلكت بسببه عدة انفس ، وغرق قبر أحمد بن حنبل ومشهد باب التبن في الجانب الغربي ، كما دخل الماء البيمارستان العضدي .[(٢)]
٤٦٩	١٠٧٦	زادت دجلة فبلغت الزيادة احدى وعشرين ذراعا ونصفا .[(٣)]
٤٧٢	١٠٧٩	زاد نهر الفرات تسعة اذرع فخربت بعض دواليب (هيت) وخرب فوهة نهر عيسى ، وزاد (تامرا) نيفا وثلاثين ذراعا وعلا على قنطرتي طراستان وخانقين الكسرويتين فقطعهما[(٤)] .
٤٩٩	١١٠٥	سبب فيضان دجلة هلاك الغلات وخراب بيوت كثيرة .[(٥)]
٥٠٢	١١٠٨	سبب الفيضان اغراق المزارع الكثيرة في العراق .[(٦)]

(١) المنتظم : حـ٨ ص٢٢٥
(٢) المرجع السابق : حـ٨ ص٢٨٥ ـ ٢٨٦
(٣) المرجع السابق : حـ٨ ص٣٠٥
(٤) الكامل : حوادث سنة ٤٧٢هـ
(٥) المرجع السابق : حوادث سنة ٤٩٩هـ
(٦) المرجع السابق : حوادث سنة ٥٠٢هـ

٥٤٦	١١٥١	انفجر بثق النهروان الذي أتمه (بهروز) بكثرة الزيادة في (تامرا) واهمال امرها حتى عظم ذلك وتضرر به الناس[١] .
٥٥٤	١١٥٩	فيضان كبير سبب غرق أجزاء كبيرة في بغداد وأحداث خسائر فادحة في المزارع والممتلكات[٢] .
٥٥٧	١١٦١	زادت دجلة وغرقت معظم محال الجانب الشرقي وبعض محال الجانب الغربي[٣] .
٥٦٨	١١٧٢	زادت دجلة ، ووصل الماء الى قبر الامام أحمد بن حنبل ، ودخل مدرسة أبي حنيفة ودب من الحيطان الى النظامية[٤] .
٥٦٩	١١٧٣	فيضان كبير أدى الى غرق بغداد الغربية والمارستان العضدي[٥] .
٥٧٣	١١٧٧	زادت دجلة زيادة بلغت عشرين ذراعا[٦] .

---

(١) الكامل : حوادث سنة ٥٤٦هـ
(٢) المنتظم : حـ١٠ ص١٨٩
الكامل : حوادث سنة ٥٥٤هـ
(٣) الكامل : حوادث سنة ٥٥٧هـ
(٤) المنتظم : حـ١٠ ص٢٤١
(٥) المنتظم : حـ١٠ ص٢٤٤
الكامل : حوادث سنة ٥٦٩
(٦) المنتظم : حـ١٠ ص٢٧٣

ملحق رقم (٣٣)
حوادث طبيعية مختلفة في العراق

أ - حوادث الزلازل والهزات والصواعق :-

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الحادثة
٤٥٠	١٠٥٨	زلزلة كبيرة وقعت ببغداد سببت خراب بعض الدور وهلاك كثير من الانفس .(١)
٤٦٤	١٠٧١	زلزلة ارتجت لها الارض ست مرات .(٢)
٤٧٠	١٠٧٧	وقوع صاعقة في محلة التوثة من الجانب الغربي .(٣)
٤٧٨	١٠٨٥	وقوع صواعق شديدة .(٤)
٥١١	١١١٧	زلزال وقع في بغداد سبب سقوط بيوت ودكاكين بالجانب الغربي .(٥)
٥٢٩	١١٣٤	زلزلة سببت هلاك بعض الناس .(٦)
٥٤٤	١١٤٩	زلزلة في العراق وكانت شديدة في منطقة حلوان .(٧)

(١) المنتظم : حـ٨ ص١٩٠
الكامل : حوادث سنة ٤٥٠هـ
(٢) المنتظم : حـ٨ ص٢٧٢
(٣) المرجع السابق : حـ٨ ص٣١١
(٤) المنتظم : حـ٩ ص١٤
الكامل : حوادث سنة ٤٧٨هـ
(٥) المنتظم : حـ٩ ص١٩٣
الكامل : حوادث سنة ٥١١هـ
(٦) المنتظم : حـ١٠ ص٤٤
الكامل : حوادث سنة ٥٢٩هـ
(٧) المنتظم : حـ١٠ ص١٣٨

٥٥٠	١١٥٥	زلزلة كبيرة وقعت في العراق وما جاوره من البلاد[١] .
٥٧٣	١١٧٧	زلزال سبب وقوع بعض الدور وهلاك بعض الناس[٢] .
٥٩٠	١١٩٣	زلزال سبب سقوط الجبانة التي عند مشهد الامام علي بن أبي طالب[٣] .

ب ـ مواسم انقطاع المطر :ـ

١ ـ في سنة ٤٩٣هـ/١٠٩٩م[٤]

٢ ـ في سنة ٥١٢هـ/١١١٨م[٥]

٣ ـ في سنة ٥١٨هـ/١١٢٤م[٦]

٤ ـ في سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م[٧]

حـ ـ مواسم سقوط الامطار والثلوج :ـ

١ ـ في سنة ٤٥٤هـ/١٠٦٢م سقوط مطر شديد على شكل سيول هلك الكثير من المزروعات والثمار[٨] .

٢ ـ في سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م سقوط مطر شديد على شكل سيول سبب هدم عدة منازل في بغداد[٩] .

٣ ـ في سنة ٥١٥هـ/١١٢١م سقوط ثلج بشكل كبير اتلف المزروعات

---

(١) الكامل : حوادث سنة ٥٥٠هـ

(٢) المنتظم : حـ١٠ ص٢٧٢

(٣) الكامل : حوادث سنة ٥٩٠هـ

(٤) المنتظم : حـ٩ ص١١٣

(٥) الكامل : حوادث سنة ٥١٢هـ

(٦) الكامل : حوادث سنة ٥١٨هـ

(٧) الكامل : حوادث سنة ٥٤٣هـ

(٨) المنتظم : حـ٩ ص١٦

(٩) المرجع السابق : حـ٩ ص٢٢٦

واستمر خمسة عشر يوما[1] .

٤ - في سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م سقوط مطر شديد[2] .

٥ - في سنة ٥٥٣هـ/١١٥٨م سقوط مطر فيه برد مثل البيض[3] .

٦ - في سنة ٥٧٣هـ/١١٧٧م سقوط مطر شديد دام ثلاثة ايام[4] .

ذ - مواسم هبوب الرياح :-

١ - سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م هبت رياح شديدة وارتفعت سحابة ترابية[5] .

٢ - سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م هبت رياح حارة سببت موت بعض الناس والكثير من الخيل كما اهلكت ببغداد شجر الاترنج والليمون[6] .

٣ - سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م هبت رياح تحمل الاتربة والرمال وسقط بسببها بأعمال البصرة نحو من خمسة آلاف نخلة[7] .

٤ - سنة ٤٧٣هـ/١٠٨٠م هبت ببغداد ريح عظيمة فزلزلت الارض واشتد الامر على الناس ، سببت وقوع كثير من الدور وهلاك كثير من الناس[8] .

٦ - ٤٧٨هـ/١٠٨٥م هبت ريح سوداء ، اداهمت لها المساء ، سببت هلاك بعض الناس والبهائم ، واستغل اللصوص الفرصة فدخلوا الحمامات فأخذوا ثياب الناس

---

(١) الكامل : حوادث سنة ٥٤٩هـ

(٢) المنتظم : حـ٩ ص١٨١

(٣) المرجع السابق : حـ١٠ ص٢٧١

(٤) المرجع السابق : حـ٨ ص١٧١

(٥) المرجع السابق : حـ٨ ص٢٤٦

(٦) المرجع السابق : حـ٨ ص٢٨٧

(٧) المنتظم : حـ٨ ص٢٨٧

(٨) الكامل : حوادث سنة ٤٧٣هـ

ونهبوا الاسواق وغرقت بعض السفن وسقط رأس منارة باب الازج[1] .

٧ - ٥٢٢هـ/١١٢٨م هبت ريح شديدة مع غيم كثير ومطر ، واحتملت الريح رملا احمر ملأت به البرارى والسطوح[2].

٨ - ٥٤٩هـ/١١٥٤م هبت ريح مظلمة ، فزع الناس من شدتها[3] .

---

(١) المنتظم : حـ٩ ص١٥

(٢) المرجع السابق : حـ١٠ ص٩

(٣) المرجع السابق : حـ١٠ ص١٥٦

ملحق رقم (٣٤)
حوادث الحريق في بغداد في العصر السلجوقي

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الملاحظات
٤٥١	١٠٥٩	احترق الكرخ ومحلة بين السورين وخزانة الكتب التي وقفها أدشير الوزير[١].
٤٥٨	١٠٦٥	حريق في محلة نهر معلى ومن باب الجريد الى آخر سوق الحديد[٢] .
٤٦٥	١٠٧٢	حريق في محلة الصاغة في الكرخ[٣] .
٤٦٧	١٠٧٤	و قع حريق في محلة نهر معلى والمأمونية والظفرية ودرب المطبخ وفي دار الخليفة وفي حمام السمرقندي وباب الازج ودرب خراسان كما حصل حريق في الجانب الغربي في نهر طابق ونهر القلائين والقطعية وباب البصرة[٤] .
٤٧٨	١٠٨٥	وقع حريق في باب البصرة وقسم من الكرخ[٥] .
٤٨٥	١٠٩٢	حريق في عقد الحديد الى خربة الهراس الى باب دار الضرب كما احترق سوق الصاغة والصيارف والمخلطين والريحانيين[٦] .

(١) الكامل : حوادث سنة ٤٥١هـ
(٢) المنتظم : حـ٨ ص٢٤١
(٣) المرجع السابق : حـ٨ ص٢٧٧
(٤) الكامل : حوادث سنة ٤٦٧هـ
(٥) المنتظم : حـ٩ ص١٦
(٦) الكامل : حوادث سنة ٤٨٥هـ

٤٩٣	١١٠٩	وقع حريق بخرابة ابن جردة فهلك معظمها[١] •
٥١٠	١١١٦	وقع حريق في الحظائر المجاورة للمدرسة النظامية واتصل الحريق الى باب السلسلة وباب المراتب كما احترقت خزانة المدرسة النظامية[٢] •
٥١٢	١١١٨	حريق سوق عبد ربه وكان حريقا " كبيرا "[٣] •
٥٢٨	١١٣٣	وقع الحريق في خان السلسلة الذي عند باب بدر[٤] •
٥٥١	١١٥٦	وقع حريق في درب فراشا ودرب الدواب ودرب اللبان وخرابة ابن جردة والظفرية والخاتونية ودار الخلافة وباب الازج وسوق السلطان[٥] •
٥٥٧	١١٦١	وقع حريق في سوق الطيوريين[٦] •
٥٥٨	١١٦٢	وقع حريق من درب فراشا الى مشرعة الصباغين من الجانبين[٧] •
٥٦٦	١١٧٠	وقع حريق ببغداد وفي درب المطبخ وفي خرابة ابن جردة[٨] •
٥٦٨	١١٧٢	وقع حريق في باب درب بهروز الى باب جامع القصر[٩] •

---

(١) **المنتظم : حـ٩ ص١١٣**
(٢) الكامل : حوادث سنة ٥١٠هـ
(٣) المنتظم : حـ٩ ص١٩٦ ـ ١٩٧
(٤) المرجع السابق : حـ١٠ ص٣٥
المنتظم : حـ١٠ ص١٦٥
(٥) الكامل : حوادث سنة ٥٥١هـ
(٦) المنتظم : حـ١٠ ص٢٠٣
الكامل : حوادث سنة ٥٥٧هـ
(٧) الكامل : حوادث سنة ٥٥٨هـ
(٨) المرجع السابق : حوادث سنة ٥٦٦هـ
(٩) المنتظم : حـ١٠ ص٢٤١
الكامل : حوادث سنة ٥٦٨هـ

٥٦٩	١١٧٣	وقع حريق في محلة الظفرية[1] .
٥٧٣	١١٧٧	وقع حريق في الحظائر ، واحترق درب السلسلة وغيره مما يجاوره[2] .

(١) المنتظم : حـ١٠ ص٢٤٢
الكامل : حوادث سنة ٥٦٩هـ
(٢) الكامل : حوادث سنة ٥٧٣هـ

ملحق رقم (٣٥)

الاوبئة التي اجتاحت العراق في العصر السلجوقي

٤٤٨	١٠٥٦	انتشر وباء خطير في بغداد ، وأخذ يموت في اليوم الواحد ألف نفس[١] .
٤٥٥	١٠٦٣	أنتشر وباء الجدري والفجأة[٢] .
٤٧٨	١٠٨٥	انتشر الطاعون في بغداد ونواحيها ، وقد هلك الكثير من الناس بسبب هذا الوباء[٣] .
٤٧٩	١٠٨٦	انتشر الطاعون في بغداد وكانت عامة أمراضهم حمى الربع ثم يتعقبها الموت[٤] .
٤٩٣	١٠٩٩	كثر الوباء في العراق وانعدام الادوية[٥] .
٥١٨	١١٢٤	انتشرت أمراض عمت بغداد والبصرة ، وراح ضحيتها الكثير من السكان[٦] .
٥٤١	١١٤٦	ظهر بالناس علة انتفاخ الحلق فمات به خلق كثير[٧] .
٥٤٤	١١٤٩	انتشار مرض اسمه برسامية وسرسامية وكان اذا أصاب الناس لا يتكلمون ولا يطول بهم الامر[٨] .

---

(١) المنتظم : حـ٨ ص١٧٠
(٢) المرجع السابق : حـ٨ ص٢٣٢
(٣) المرجع السابق : حـ٩ ص١٤
(٤) المرجع السابق : حـ٩ ص٢٧
(٥) المرجع السابق : حـ٩ ص١١٣
(٦) المنتظم : حـ٩ ص٢٤٩
(٧) المرجع السابق : حـ١٠ ص١٢٠
(٨) المرجع السابق : حـ١٠ ص١٣٨

٥٤٥	١١٥٠	انتشار مرض لم يذكر أسمه سبب موت الكثير في بغداد[1] .
٥٧٤	١١٧٨	وباء خطير انتشر في بغداد أسمه السرسام ، كثر الموت بسببه ، وصار الناس لا يلحقون يدفنون موتاهم[2] .

---

(١) الكامل : حوادث سنة ٥٤٥هـ

(٢) المرجع السابق : حوادث سنة ٥٧٤هـ

ملحق رقم (٣٦)

حوادث حصار بغداد في العصر السلجوقي

٥٢٠	١١٢٦	حاصر السلطان محمود بغداد زمن الخليفة المسترشد بالله[١] .
٥٣٠	١١٣٦	حاصر السلطان مسعود مدينة بغداد زمن الخليفة الراشد[٢] .
٥٤٣	١١٤٩	حاصر الملك محمد بن السلطان محمود وبعض الزعماء السلاجقة الخارجين على السلطان مسعود ، مدينة بغداد ، زمن الخليفة المقتفى[٣] .
٥٥١	١١٥٦	حاصر السلطان محمد مدينة بغداد ، زمن المقتفى ، وهو أشد حصار جابهته بغداد خلال الحكم السلجوقي[٤] .

---

(١) الكامل : حوادث سنة ٥٢٠هـ
التاريخ الباهر : ص٢٩

(٢) المنتظم : حوادث سنة ٥٣٠هـ
الكامل : حوادث سنة ٥٣٠هـ

(٣) المنتظم : حوادث سنة ٥٤٣هـ
الكامل : حوادث سنة ٥٤٣هـ

(٤) المنتظم : حوادث سنة ٥٥١هـ
الكامل : حوادث سنة ٥٥١هـ

ملحق رقم (٣٧)

الظواهر الفلكية في العراق

٤٤٧	١٠٥٥	انقضاض كوكب كبير الجرم ، تقطع ثلاث قطع[١] .
٤٤٨	١٠٥٦	ظهور ذؤابة بيضاء طولها في رأى العين نحو عشرة أمتار[٢] .
٤٥٢	١٠٦٠	انقضاض كوكب عظيم القدر ، عند طلوع الشمس من ناحية المغرب الى ناحية المشرق[٣] .
٤٥٣	١٠٦١	كسوف الشمس كسوفا كليا[٤] .
٤٥٥	١٠٦٣	انقضاض كوكب كبير له ضوء كبير[٥] .
٤٥٧	١٠٦٤	انقضاض كوكب عظيم وانبسط نوره كالقمر[٦] .
٤٥٨	١٠٦٥	ظهور كوكب كبير له ذؤابة عرضها نحو ثلاثة اذرع[٧] .

---

(١) المنتظم : حـ٨ ص١٦٢
(٢) المنتظم : حـ٨ ص١٧١
الكامل : حوادث سنة ٤٤٨هـ
(٣) المنتظم : حـ٨ ص٢١٥
الكامل : حوادث سنة ٤٥٢هـ
(٤) المنتظم : حـ٨ ص٢٢١
البداية والنهاية : حـ٢ ص٨٧
(٥) المنتظم : حـ٨ ص٢٣٠
الكامل : حوادث سنة ٤٥٥هـ
(٦) المنتظم : حـ٨ ص٢٣٨
(٧) المنتظم : حـ٨ ص٢٤٠
الكامل : حوادث سنة ٤٥٨هـ

٤٥٨	١٠٦٥	انقضاض كوكبين كان لاحدهما ضوء كضوء القمر وتبعهما بضع عشر كوكبا صغارا نحو المغرب[١] .
٥٧١	١١٧٥	انكسفت الشمس جميعها[٢] .
٥٧٢	١١٧٦	انقضّ كوكب اضاء الارض اضاءة كثيرة وسمع له صوت عظيم وبقى اثره في السماء مقدار ساعة[٣] .
٥٧٤	١١٧٨	انكسف القمر نحو ثلث الليل الاخير وغاب منكسفا وفي التاسع والعشرين من ربيع الآخر انكسفت الشمس وقت العصر فغربت منكسفة[٤] .
٤٧٧	١٠٨٤	انقض كوكب من المشرق الى المغرب كان حجمه كحجم القمر ليلة البدر وضوءه كضوئه وسار مدى بعيدا على تمهل وتؤدة في نحو ساعة ولم يكن له شبه في الكواكب المنقضة[٥] .
٤٨٩	١٠٩٥	اجتماع ستة كواكب في برج الحوت ، هي الشمس والقمر والمشتري والزهرة والمريخ وعطارد[٦] .
٤٩٩	١١٠٥	ظهر كوكب في السماء له ذوابة كقوس قزح ، وكان يرى قريبا من الشمس قبل ظهوره ليلا ثم غاب[٧] .

---

(١) المنتظم : حـ٨ ص٢٤١

(٢) الكامل : حوادث سنة ٥٧١هـ

(٣) المرجع السابق : حوادث سنة ٥٧٢هـ

(٤) المرجع السابق : حوادث سنة ٥٧٤هـ

(٥) المنتظم : حـ٩ ص١٠

(٦) المرجع السابق : حـ٩ ص٩٧

(٧) الكامل : حوادث سنة ٤٩٩هـ

٥١١	١١١٧	خسوف القمر كليا[١] .
٥٣٩	١١٤٤	ظهور كوكب ذو ذنب من جانب المشرق[٢] .
٥٧١	١١٧٥	كسوف الشمس لمدة ساعة ببغداد سابع عشرين رمضان[٣] .
٥٨٩	١١٩٣	انقض كوكبان كبيران[٤] .

---

(١) المرجع السابق : حوادث سنة ٥١١هـ

(٢) المنتظم : حـ١٠ ص١١٢

(٣) المرجع السابق : حـ١٠ ص٢٥٨

(٤) الكامل : حوادث سنة ٥٨٩هـ

ملحق رقم (٣٨)

مواسم الرخاء والغلاء

في العراق في العصر السلجوقي

مواسم الرخاء

٤٥٤	١٠٦٢	عم الرخص في جميع اصقاع العراق[١] .
٤٥٨	١٠٦٥	عم الرخص في جميع الاسعار[٢] .
٤٧٦	١٠٨٣	موسم رخاء ورخص في الاسعار[٣] .
٥٠٢	١١٠٨	موسم رخاء ورخص في العراق[٤] .
٥٤٤	١١٤٩	تراخي الاسعار وعودة الرخص وكثرة الخيرات[٥] .
٥٥٨	١١٦٢	رخص الاسعار[٦] .

---

(١) المنتظم : حـ٨ ص٢٢٦
(٢) المرجع السابق : حـ٨ ص٢٤١
(٣) المنتظم : حـ٨ ص٢٧٣
(٤) الكامل : حوادث سنة ٤٧٦هـ
(٥) المنتظم : حـ٩ ص١٧٩
(٦) المرجع السابق : حـ١٠ ص٢٣٧
(٧) المرجع السابق : حـ١٠ ص٢٥

مواسم الغلاء

٤٤٨	١٠٥٦	ازدياد الغلاء في بغداد بسبب انقطاع الطرق وخوف الناس من النهب[١] .
٤٤٩	١٠٥٧	غلاء شديد بسبب قلة المواد الغذائية بمناسبة دخول الجيوش السلجوقية والقلاقل الداخلية[٢] .
٤٦٤		غلاء الاسعار وتعذر اللحم ووقع الموتان في الحيوانات[٣] .
٤٩٣	١٠٩٩	غلاء الاسعار بسبب قلة الامطار[٤] .
٤٩٩	١١٠٥	غلاء الأسعار بسبب هلاك الغلات بفيضان دجلة[٥].
٥٠٢	١١٠٨	غلاء كبير في العراق بسبب غرق الغلات الشتوية والصيفية[٦] .
٥١٢	١١١٨	غلاء الأسعار بسبب انقطاع الغيث[٧] .
٥١٧	١١٢٣	غلاء الاسعار ولم يذكر سببه[٨] .
٥١٨	١١٢٤	غلاء الاسعار بسبب انقطاع المطر[٩] .
٥٤٣	١١٤٨	غلاء الاسعار بسبب ورود العساكر بكثرة وانقطاع المطر[١٠] .

---

(١) **الكامل : حوادث سنة ٤٤٨هـ**
(٢) **المنتظم : حـ٨ ص١٧٩**
(٣) المرجع السابق : حـ٨ ص٢٧٣
(٤) الكامل : حوادث سنة ٤٩٣هـ
البداية والنهاية : حـ١٢ ص١٦٥
(٥) المنتظم : حـ٩ ص١٤٦
(٦) المرجع السابق : حوادث سنة ٥٠٢هـ
(٧) المرجع السابق : حوادث سنة ٥١٢هـ
(٨) المرجع السابق : حوادث سنة ٥١٧هـ
(٩) **المرجع السابق : حوادث سنة ٥١٨هـ**
(١٠) **المنتظم : حـ١٠ ص١٣٤**

ملحق رقم (٣٩)

الخصومات بين الحنابلة والشافعية

٤٤٧	١٠٥٥	فتنة بين الحنابلة والاشاعرة[١] .
٤٦٩	١٠٧٦	فتنة بين الحنابلة والاشاعرة[٢] .
٤٧٥	١٠٨٢	مناوشات كلامية بين الحنابلة والاشاعرة[٣] .

---

(١) المنتظم : حـ٨ ص٦٣/الاشاعرة ، من الشافعية يتبعون مذهب أبي الحسن الاشعرى .
الكامل : حوادث سنة ٤٤٧هـ
(٢) المنتظم : حـ٨ ص٣٠٥
الكامل : حوادث سنة ٤٦٩هـ
البداية والنهاية : حـ١٢ ص١١٥
(٣) المنتظم : حـ٩ ص٤٠٣
الكامل : حوادث سنة ٤٧٥هـ

ملحق رقم (٤٠)

حوادث

الفتن بين الشيعة والسنة

٤٤٨	١٠٥٦	ازال السلاجقة ما كان يستعمله الشيعة في الاذان (حي على خير العمل)[١] .
٤٥٧	١٠٦٤	قلع جماعة من باب البصرة ، باب مشهد العتيقة(*) واخذوه ليلا[٢] .
٤٥٨	١٠٦٥	خرج اهل الكرخ في موكب عزاء ، فانكر الخليفة ذلك وقام أهل باب البصرة وغيرها من محلات السنة يلعنون اهل الكرخ . وتجمهروا في باب الخليفة[٣] .
٤٦٥	١٠٧٢	فتنة بين اهل الكرخ وباب البصرة والقلائين وحدوث حريق في الكرخ[٤] .
٤٧٨	١٠٨٥	في ذي الحجة ، ثارت فتنة جديدة وحرق قسم من الكرخ وشطر من باب البصرة وتدخل الشحنة في انهاء الفتنة[٥] .

(*) مشهد العتيقة : جامع المنطقة ، عرف قديما بمشهد العتيقة (سونايا) وهو بالقرب من الجسر الحديد في الجانب الغربي من بغداد .

(١) المنتظم : حـ٨ ص٧٢

(٢) المرجع السابق : حـ٨ ص٢٣٨

(٣) المرجع السابق : حـ٨ ص٢٣٩ ـ ٢٤٠

(٤) المرجع السابق : حـ٨ ص٢٧٧

(٥) المنتظم : حـ٩

الكامل : حوادث سنة ٤٧٨هـ

٤٧٩	١٠٨٦	في صفر ، قامت فتنة بين السنة والشيعة وكانت الوقعة بين جامع المنصور والقنطرة العتيقة وساهم العميد والشحنة في قتال السنة[١] .
٤٨٠	١٠٨٧	وقع قتال بين أهل السنة والشيعة ، وتدخل الشحنة في فض القتال[٢] .
٤٨٢	١٠٨٩	فتنة بين السنة والشيعة ، راح ضحيتها الكثير من الانفس والاموال[٣] .
٤٨٦	١٠٩٣	ثارت الفتن بين السنة والشيعة ، وتدخل الشحنة سعد الدولة ، ونهبت الكرخ واحترقت[٤] .
٥٠٢	١١٠٨	اصطلح عامة بغداد السنة والشيعة[٥] .
٥١٧	١١٢٣	ثار العامة ببغداد ونهبوا مشهد باب التبن وقلعوا ابوابه[٦] .
٥٦٨	١١٧٢	فتنة بين السنة والشيعة بمدينة واسط[٧] .
٥٧٠	١١٧٤	خصومات بين اهل باب البصرة واهل الكرخ[٨] .

---

(١) المنتظم : حـ٩ ص٢٦
الكامل : حوادث سنة ٤٧٩هـ
(٢) المنتظم : حـ٩ ص٣٨
(٣) المرجع السابق : حـ٩ ص٤٧
(٤) المنتظم : حـ٩ ص٧٧
الكامل : حوادث سنة ٤٨٦هـ
(٥) الكامل : حوادث سنة ٥٠٢هـ
(٦) المرجع السابق : حوادث سنة ٥١٧هـ
(٧) المرجع السابق : حوادث سنة ٥٦٨هـ
(٨) المنتظم : حـ١٠ ص٢٤٩

مراجع الكتاب

المؤلفات العربية المخطوطة

الاسنوى : ابو محمد عبدالرحيم بن الحسن بن علي جمال الدين ت ٧٧٢هـ/طبقات الشافعية نسخة مكتبة الاوقاف ببغداد

الثعالبي : ابو منصور عبدالملك ت ٤٢٩ هـ
تحفة الوزراء/نسخة في مكتبتي الخاصة

الحموى : شهاب الدين ابراهيم بن عبدالله بن ابي الدم ت ٦٤٢هـ/١٢٤٤ ـ التأريخ المظفري ـ نسخة مكتبة البلدية بالاسكندرية

الخطيب العمرى : محمد امين خير الله الخطيب ت ١٢٠٣هـ/١٧٨٨م
منهل الاولياء ومشرب الاصفياء في ذكر سادات الموصل الحدباء

ابن الدواليبى : محمد بن عبدالمحسن بن ابي الحسن الازجي عفيف الدين بن الدواليبي ت ٧٢٨هـ/١٣٢٧م ٠
ترجمة البخاري ـ في المكتبة الظاهرية بدمشق برقم٢٨٥

الدمياطي : احمد بن ايبك بن عبدالله الحسيني
المستفاد من ذيل تاريخ بغداد / دار الكتب برقم ٢٩٦ تاريخ

الرافعي : ابو القاسم عبدالكريم بن محمد الرافعي القزويني ت ٦٢٣هـ ـ التدوين في اخبار قزوين ـ بلدية الاسكندرية برقم ٨١٠

السمعاني : ابو سعيد عبدالكريم بن محمد بن منصور ت ٥٦٢هـ

مختصر تاريخ بغداد (اختصار ابن مكرم الانصاري) نسخة مصورة في مكتبة المجمع العلمي العراقي .

ابن الشجرى : ضياء الدين ابو السعادات هبة الدين ابن الشجري البغدادى ت ٥٤٢هـ/أمالي الشجرى : مخطوط في مكتبة الاوقاف العامة بغداد رقم ٥٦٦٧

العيني : بدر الدين محمود بن احمد : ت ٨٥٥هـ عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان/دار الكتب بالقاهرة في ١٩ مجلدا

الغياث : عبدالله بن فتح الله البغدادى ت ٨٨٣هـ تاريخ الغياث مخطوط في مكتبة الآثار ببغداد برقم ٨٨١

ابن الفوطي : عبدالرزاق بن احمد بن محمد بن احمد الصابونى ت ٧٢٣هـ تلخيص مجمع الآداب على معجم الالقاب نسخة مكتبة الآثار ببغداد .

ابن قاضي شهبة : القاضي تقي الدين بكر بن احمد ت ٨٥١هـ طبقات الشافعية - مخطوط في دار الكتب المصرية برقم ١٥٩٨

المنذرى : الحافظ زكي الدين ابو محمد عبدالعظيم ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م التكملة لوفيات النقلة نسخة مكتبة البلدية بالاسكندرية

ابن النجار : محي الدين محمد بن محمود بن محاسن البغدادى ت ٦٤٣هـ (تاريخ بغداد) نسخةالمكتبة الظاهرية بدمشق ج ١٠ ونسخة ثانية في مكتبة المجمع العلمى العراقي

المؤلفات العربية المطبوعة

ابن الأثير : ابو الحسن علي بن محمد بن عبدالكريم الشيباني ت ٦٣٠هـ ـ الكامل في التاريخ/مطبعة الاستقامة/بالقاهرة
اللباب في معرفة الانساب/مكتبة القدسي ١٣٥٧هـ

الآلوسي : محمود شكرى الآلوسي ت ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م
مساجد بغداد وآثارها/نشره الاستاذ بهجت الاثرى/مطبعة دار السلام ١٣٢٦هـ .

احمد أمين : الاستاذ احمد أمين ت ١٩٥٦م
ضحى الاسلام مطبعة لجنة التأليف والترجمة ١٩٣٦م القاهرة

الاربلي : عبدالرحمن سنبط قنيتو الاربلي لم تذكر وفاته .
خلاصة الذهب المسبوك/مطبعة الارثوذكس القدس ١٨٨٥

الاصطخرى : ابو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي ت القرن الرابع هـ
المسالك والممالك/نشر دار القلم ١٣٨١هـ/١٩٦١م

ابن ابي أصيبعة : موفق الدين ابو العباس احمد بن القلم بن خليفة بن يونس السعدى ـ عيون الانباء في طبقات الاطباء
المطبعة الوهبية ١٢٩٩هـ/١٨٨٢م .

بارتولد : و . بارتولد
تاريخ الترك في آسيا الوسطى ترجمة احمد السعيد
مطبعة الانجلو المصرية ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م .

ابن بطوطة : شرف الدين ابو عبدالله محمد بن عبدالله اللواتـي ت ٧٧٧هـ ـ تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار مصر ١٢٧٩هـ

البغدادي الخطيب: الحافظ ابو بكر احمد بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي ت ٤٦٣هـ ـ تاريخ بغداد/مطبعة السعادة القاهرة ١٩٣١م

البنداري : الفتح بن علي بن محمد البنداري الاصفهاني تاريخ دولة آل سلجوق مطبعة الموسوعات ١٣١٨هـ/١٩٠٠م

البيروني : ابو الريحان محمد بن احمد البيروني ت ٤٣٠هـ كتاب الجماهر في معرفة الجواهر • حيدر آباد الدكن ١٣٥٥هـ

البيهقي : ابو الفضل محمد بن حسين البيهقي ت ٤٧٠هـ تاريخ البيهقي • ترجمة يحي الخشاب وصادق نشأت طبعة الانجلو المصرية ١٩٥٦م •

التطيلي : بنيامين بن يونة التطيلي النباري الاندلسي ت ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م ـ رحلة بنيامين • ترجمة عزرا حداد بغداد ١٩٤٥م •

ابن تغري بردي : جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتابكي ت ٨٧٤هـ/٤٦٩ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة • دار الكتب ١٣٤٨ ـ ١٣٦١هـ

التنوخي : ابو علي المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم

ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م نشوار المحاضرة واخبار المذاكـــرة/
القاهرة ١٩١٨-١٩٢١ • الفرج بعـد الشدة/القاهرة
الفرج بعد الشدة/القاهرة ١٩٠٣ •

التوحيدى : أبو حيان علي بن محمد بن العباس ت ٤٠٠هـ/١٠١٠م
الامتاع والمؤانسة • القاهرة سنة ١٩٤٢

ابن جبير : أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني الاندلسي
ت ٦١٤هـ الرحلة • تحقيق الدكتور حسين نصار

ابن جماعة : محمد بن ابراهيم بن سعدالله بن جماعة الكناني الحموي
الشافعي ٧٣٣/١٣٣٣م
تذكرة السامع • الدكن سنة ١٣٥٣هـ

ابن الجوزى : جمالالدين أبو الفرج عبدالرحمن بن ابي الحسن علي
ابن محمد ت ٥٩٧هـ
المنتظم في تاريخ الملوك والامم/الهند ١٣٥٨هـ
صيد الخاطر القاهرة ١٩٢٧
تلبيس ابليس القاهرة ١٩٢٨

جولد زيهر : اجناس جـــولد زيهر ت ١٣٤٠هـ/١٩٢١م العقيـــدة
والشريعة • نقلـــه الى العربية محمد يوســـف موسى
وزملاؤه •

ابن حجر : شهابالدين أبو الفضل أحمد بن علي الكناني العسقلاني
ت ٨٥٢هـ لسان الميزان • طبعة حيدر آباد الدكن ١٣٢٩
- ١٣٣١ •

حسن ابراهيم الدكتور حسن ابراهيم حسن •
حسن : تاريخ الاسلام السياسي جـ٣ مطبعة حجازي القاهـــرة

١٣٥٣هـ/١٩٣٥م .

ابن حسول : أبو العلاء محمد بن علي بن الحسن ت ٤٥٠هـ
تفضيل الاتراك على سائر الاجناد ، باعتناء عباس العزاوي ، استانبول ١٩٤٠م .

حسين أمين : حسين أمين : المدرسة المستنصرية ـ مطبعة شفيق ١٩٦٠
الغزالي (فقيها وفيلسوفا ومتصوفا) : مطبعة الارشاد ١٩٦٣

الحسيني : علي بن السيد أحمد الحسيني
أخبار الدولة السلجوقية . لاهور ـ جامعة البنجاب ١٩٣٣ باعتناء محمد اقبال .

الحموي : أبو الفضائل محمد بن علي الحموي ت ٦٤٤هـ/١٢٤٦م
التاريخ المنصوري/عنى بنشره بطرس غرياز ينويج ، موسكو ١٩٦٠

ابن حوقل : أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي الموصلي ـ ت في القرن الرابع هـ المسالك والممالك باعتناء دي غويه ، ليدن ١٨٨٩

ابن خلدون : عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن جابر ت ٨٠٦هـ
العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر/بولاق ١٢٨٤

ابن خلكان : شمس الدين أبو العباس أحمد بن ابي بكر الشامي ت ٦٨١هـ/١٢٨١م وفيات الاعيان/طبع بولاق ١٢٨٣هـ

حاجي خليفة : مصطفى كاتب شلبي ت ١٠٦٧هـ/١٦٥٧م
كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون

الخونساري : محمد باقر الخونساري/تم تأليفه سنة ١٢٨٧هـ
روضات الجنات . طهران طبع حجر ١٣٠٧هـ

ابن الدبيثي : محمد بن سعيد بن محمد بن الدبيثي ت ٦٣٧هـ
المختصر المحتاج اليه • مطبعة المعارف بغداد ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م

ابن دحية : أبو الخطاب عمر بن ابي علي حسن بن علي بن المعروف بابن دحية ت ٦٣٣هـ
النبراس في تاريخ بني العباس • مطبعة المعارف ببغداد ١٩٤٦م

الدوري : الدكتور عبدالعزيز الدوري
دراسات في العصور العباسية المتأخرة • بغداد ١٩٤٥م

الديار بكري : حسين بن محمد بن الحسن المالكي ت ٩٦٦ أو ٩٨٢هـ
تاريخ الخميس • القاهرة ١٢٨٣هـ/١٨٦٦م

ديماند : م• س• ديماند
الفنون الاسلامية ترجمة احمد محمد عيسى ، تصدير الدكتور أحمد فكري/طبع دار المعارف ١٩٥٤ م

الدينوري : أبو حنيفة أحمد بن داود ت ٢٨٢هـ/٨٩٥م
الاخبار الطوال/طبع ليدن ١٨٨٨م

الذهبي : شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ت ٧٤٨هـ
دول الاسلام • حيدر آباد الدكن ١٣٣٣هـ

الراوندي : محمد بن علي بن سليمان الراوندي ت ٥٩٩هـ
راحة الصدور وآية السرور/نقله الى العربية الدكتور ابراهيم أمين الشواربي وزملاؤه •

ابن رجب : زين الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين أحمد ت ٧٩٥هـ

ذيل طبقات الحنابلة • تحقيق الفقي ١٩٥٢م

ابن رستة : شهاب الدين أحمد بن عمر

الاعلاق النفيسة • المكتبة الجغرافية/ليدن ١٨٩٢

الزبيدي : محمد بن محمد بن عبدالرزاق الشهير بالسيد مرتضى الحسيني الزبيدي ت ١٢٠٥هـ

تاج العروس • المطبعة الخيرية ١٣٠٦هـ

زكي حسن : الدكتور زكي محمد حسن ت ١٩٥٧م

الفنون الاسلامية في العصر الاسلامي القاهرة ١٩٤٠م

الفنون الايرانية دار الكتب ١٩٤٠م

فنون الاسلام • مطبعة لجنة التأليف والترجمة ١٩٤٨م

زامباور : ادوارد فون زامباور

معجم الانساب والاسرات الحاكمة • أخرجه الدكتور زكي حسن وحسن أحمد

ابن الساعي : أبو طالب علي بن انجب تاج‌الدين المعروف بابن الساعي ت ٦٧٤هـ

الجامع المختصر • نشر وتحقيق الدكتور مصطفى جواد/ طبع بغداد ١٩٣٤م

مختصر أخبار الخلفاء • طبع الاميرية سنة ١٣٠٩هـ

سبط ابن الجوزي: أبو المظفر شمس‌الدين يوسف بن قزاوغلى ت ٦٥٤هـ

مرآة الزمان جـ٨ شيكاغو ١٩٠٧م

ابن السبكي : تاج‌الدين أبو نصر عبدالوهاب ت ٨٧٩هـ

طبقات الشافعية الكبرى• المطبعة الحسينية بالقاهرة ١١٢٩هـ

سعيد ديوه‌جي : الاستاذ سعيد ديوه‌جي/مدير متحف الموصل

الموصل في العهد الاتابكي • مطبعة شفيق ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م

السمعاني : القاضي أبوسعيد عبدالكريم بن محمد بن منصور ت ٥٦٢
الانساب • ليدن ١٩١٢

السيوطي : عبدالرحمن بن أبي بكر جمال‌الدين ت ٩١١هـ/١٦٠٥م
تاريخ الخلفاء • المكتبة التجارية ١٣٧١هـ
حسن المحاضرة • مطبعة السعادة ١٣٢٤م
بغية الوعاة • مطبعة السعادة ١٣٢٦هـ

أبو شامة : شهاب‌الدين أبو محمد عبدالرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسي/ت ٦٦٥هـ
الروضتين • مطبعة وادي النيل ١٢٨٧هـ

ابو شجاع : محمد بن الحسين الملقب ظهيرالدين الروذراوري ت ٤٨٨هـ
ذيل تاريخ مسكوية • نشره امدروز مطبعة التمدن ١٣٣٤هـ/١٩١٦م

ابن الشحنة : أبو الوليد مجدالدين محمد بن محمود بن الشحنة ت ٨١٥هـ
روض‌المناظر في‌اخبارالاوائل والاواخر- بهامش ابن‌الاثير

ابن شداد : أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن عتاب الاسدي ت ٦٣٢هـ
سيرة صلاالدين • مطبعة المؤيد ١٣١٧هـ

الشهرستاني : أبو الفتح محمد بن عبدالكريم ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م

الملل والنحل • القاهرة ١٣١٧هـ •

الشيرازي : صدرالدين علي خان المدني الشيرازى الحسيني
الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة/المطبعة الحيدرية ١٩٦٢

الصابي : أبو الحسن بن المحسن بن ابي اسحق ابراهيم الكاتب ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م
تحفة الامراء في تاريخ الوزراء/نشره امدرور/بيروت ١٩٠٤

الصفدي : صلاح الدين أبو الصفا خليل بن ايبك بن عبدالله الصفدي ت ٧٦٤هـ
الوافي بالوفيات • مطبعة الدولة بالاستانة ١٩٣١م
نكت الهميان • مصر ١٩١٠م

الصياد : الدكتور فؤاد عبد المعطي الصياد
المغول في التاريخ / نشر دار القلم

الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠هـ
تاريخ الرسل والملوك/مطبعة الحسينية ١٣٣٦هـ

الطرطوشي : أبو بكر محمد بن الوليد الاندلسي ت ٥٢٠هـ
سراج الملوك • المطبعة الخيرية ١٣٠٦هـ

ابن الطقطقي : فخرالدين محمد بن علي بن طباطبا بن الطقطقي ت ٧٠٩هـ
الفخري في الآداب السلطانية • المطبعة الرحمانية ١٩٢١م

الطهراني : اغا بزرك الطهراني : الذريعة الى تصانيف الشيعة/طبع طهران وبغداد

ابن عبدالبر : أبو عمر يوسف بن عبدالبر النمري القرطبي ت ٤٦٣هـ
جامع بيان العلم وفضله • طبعة المنيرية القاهرة

ابن عبدالحق : أبو الفضايل صفي‌الدين عبدالمؤمن ت ٧٣٩هـ
مراصد الاطلاع • ليدن ١٨٥٠م

ابن عبدالقاهر عبدالقاهر بن طاهر أبو منصور البغدادي

البغدادي : الفرق بين الفرق مطبعة الهلال ١٩٢٤م

عبدالنعيم‌حسنين : الدكتور عبدالنعيم حسنين
سلاجقة ايران والعراق • مكتبة النهضة ١٩٥٩

ابن العبري : غريغوريوس أبو الفرج بن هرون الملطى ت ١٢٨٦هـ
مختصر تاريخ الدول • بيروت ١٨٩٠م

عريب : عريب بن سعد القرطبي ت ٣٦٦هـ/١٩٧٦م
صلة تاريخ الطبري القاهرة ١٣٤٠هـ

العمادالاصفهاني: أبو عبدالله محمد بن صفي‌الدين ت ٥٩٧هـ
زبدة النصرة ونخبة العصرة تحقيق هوتسما ليدن ١٨٨٦م

ابن‌العمادالحنبلي: أبو الفلاح بن العماد الحنبلي ت ١٠٨٩هـ
شذرات الذهب في أخبار من ذهب • طبع مصر ١٣٥٠هـ

العمري : ياسين بن خيرالله الخطيب ت ١٢٣٢هـ/١٨١٦م
منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء •
تحقيق سعيد ديوه‌جي • الموصل سنة ١٩٥٥م

ابن العميد : الشيخ المسكين جرجس بن العميد ت ٦٧٢هـ/١٢٧٣م

تاريخ المسلمين ليدن ١٠٣٥هـ/١٦٢٥م

الغزالي : الامام أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد ت ٥٠٥هـ/ ١١١١م
المنقذ من الضلال/دمشق ١٣٤٣هـ/١٩٣٤م

الغزولي : علاءالدين علي بن عبدالله البهائي الغزولي الدمشقي ت ٨١٥هـ
مطالع البدور في منازل السرور مطبعة الوطن ١٣٠٠هـ

أبو الفدا : اسماعيل بن علي عمادالدين صاحب حماة ت ٧٣٢هـ
المختصر في أخبار البشر القاهرة ١٣٢٥هـ

ابن الفوطي : عبدالرزاق بن أحمد بن محمد بن أحمد الصابوني ت ٧٢٣هـ
الحوادث الجامعة (المظنون انه لابن الفوطي)

القرشي : محي‌الدين أبو محمد عبدالقادر بن أبي الوفاء القرشي الحنفي ت ٧٧٥هـ (الجواهر المضية في طبقات الحنفية . حيدر آباد)

القرماني : أبو العباس أحمد جلبي بن يوسف ت ١٠١٩هـ
أخبار الدول . طبع حجر بغداد سنة ١٢٨٢هـ

القزويني : أبو عبدالله زكريا بن محمد بن محمود القاضي ت ٦٨٢هـ
عجائب المخلوقات . طبع ليبسك ١٩٤٨م

القشيري : أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن ت ٤٦٥هـ
الرسالة القشيرية . طبع مصر ١٣١٨هـ

القفطي : الوزير جمال‌الدين أبو الحسن علي بن القاضي الاشرف

يوسف القفطي ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م
أخبار العلماء بأخبار الحكماء • طبع مصر ١٣٢٦هـ

ابن القلانسي : أبو يعلى حمزة بن اسد بن علي ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م
ذيل تاريخ دمشق طبع بيروت ١٩٠٨م

القلقشندي : أبو العباس أحمد ت ٨٢١هـ/١٤١٨م
صبح الاعشى في صناعة الانشا القاهرة ١٩١٣ - ١٩١٧م

الكتبي : محمد بن شاكر بن أحمد الحلبي ٧٦٤هـ/١٣٦٢م
فوات الوفيات القاهرة ١٢٩٩هـ

ابن كثير : عمادالدين أبو الفدا اسماعيل بن كثير القرشي ت ٧٧٤هـ
البداية والنهاية • مطبعة السعادة القاهرة ١٣٤٨هـ

كوركيس عواد : الاستاذ كوركيس عواد
خزائن الكتب القديمة في العراق/بغداد ١٩٥٤

كوك : ريجارد : بغداد مدينة السلام ترجمة مصطفى جواد وفؤاد جميل

كونل : ارنست كونل
الفن الاسلامي • ترجمة أحمد موسى

لسترانج : جي لسترانج ت ١٩٣٣
بغداد في عهد الخلافة العباسية • ترجمة بشير فرنسيس
مطبعة الرابطة ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م

اللكنوي الهندي : أبو الحسنات السيد محمد عبدالحي بن السيد محمد عبدالحليم الكنوي الهندي •
الفوائد البهية في طبقات الحنفية • مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٢٤هـ

الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي
ت ٤٥٠هـ/١٠٥٧م
الاحكام السلطانية • القاهرة **١٢٩٨هـ**

المجلسي : محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي المجلسي
ت **١١١١هـ**
بحار الانوار ـ طبع طهران **١٣٣٢هـ**

محمد كامل الدكتور محمد كامل حسين

حسين : سيرة المؤيد في الدين • دار الكاتب المصري سنة **١٩٤٩**
ديوان المؤيد في الدين • دار الكاتب المصري سنة **١٩٤٩**

المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ت **٣٤٦هـ/٩٥٦م**
التنبيه والاشراف • طبع دي غوية • ليدن سنة **١٨٩٣م**

مسكويه : أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب ت **٤٢١هـ**
تجارب الامم وتعاقب الهمم • نشره امدروز سنة **١٩١٤م**

مصطفى جواد : الدكتور مصطفى جواد
دليل خارطة بغداد • بالاشتراك مع الدكتور أحمد سوسة

ابن المعمار : **الشيخ أبو عبدالله محمد بن ابي المكارم البغدادي الحنبلي**
كتاب الفتوة • تحقيق الدكتور مصطفى جواد وزملاؤه
مطبعة شفيق **١٩٥٨ ـ ٦٠**

المقدسي : شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر البنا المعروف
بالبشاري ت في القرن الرابع الهجري
أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم • طبع ليدن سنة **١٩٠٦م**

المقريزي : تقي‌الدين أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م
المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ـ القاهرة ١٢٧٠هـ

منجم باشي : أحمد بن لطف‌الله
فصول من تاريخ الباب وشروان / باعتناء مينورسكي / كمبردج ١٩٥٨

ابن منظور : جمال‌الدين أبو الفضل محمد بن جلال‌الدين ت ٧١١هـ
لسان العرب ـ بولاق سنة ١٢٩٩هـ

السمرقندي : النظامي العروضي السمرقندي
چهار مقالة ـ نقله الى العربية الاستاذ عبدالوهاب عزام والاستاذ يحي الخشاب

النوبختي : أبو محمد الحسن بن موسى ت ٣١٠هـ/٩٢٢م
فرق الشيعة ـ النجف ١٩٣٦م

ابن الوردي : زين‌الدين عمر بن الوردي ت ٧٤٩هـ
تتمة المختصر في اخبار البشر مصر ١٣٢٥هـ

ولبر : دونالد ولبر
ايران ماضيها وحاضرها ـ ترجمة الدكتور عبدالنعيم محمد حسنين

ياقوت : شهاب‌الدين أبو عبدالله الحموي الرومي ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م
معجم البلدان ـ القاهرة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م
ارشاد الاريب الى معرفة الاديب ـ القاهرة ١٩٠٧ ـ ١٩١١م

اليافعي : أبو محمد عبدالله بن اسعد بن علي ت **٧٦٨هـ**
مرآة الجنان وعبرة اليقظان / طبع حيدر آباد الدكن
١٣٣٧هـ

المؤلفات الفارسية المطبوعة

اسفنديار : بهاءالدين محمد بن حسن بن اسفنديار
تاريخ طبرستان ـ تحقيق الدكتور عباس اقبال ١٣٢٠هـ

أمير خواند : محمد بن خاوندشاه بن محمـــود البلخي ت ٩٠٤هـ/١٤٩٨م
روضة الصفا ـ طبع طهران سنة ١٢٧٠هـ

ابن البيبي : الحسين بن محمد بن علي المنشى الجعفري الرغدي
الاوامر العلائية في الامور العـــلائية ـ القسم الخـاص بسلاجقة الروم • انقرة ٧

جمال الدين الكاشاني: أبو القاسم عبدالله بن علي
زبدة التواريخ ـ مخطوط في مكتبة طهران

حمدالله المستوفي : حمدالله أبي بكر بن أحمد بن نصر المستوفي القزويني
تاريخ كزيدة نشره بروان طبع ليدن سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م
نزهة القلوب نشرة لسترانج ليدن ١٣٣١هـ/١٩١٣م

خواندمير : غياث الدين بن همام الدين ت ٩٤٢هـ/١٥٣٥م
حبيب السير في اخبار افراد البشر • طبع بمباني ١٢٧٣هـ/١٨٥٨م
دستور الوزراء نشر عباس اقبال طهران ١٣١٧هـ

رشيدالدين : الخواجة رشيدالدين فضل‌الله ت ٧١٨هـ
جامع التواريخ ـ القسم الخاص بالترك/طبع بطرسبرج
١٨٥٨ - ١٨٨٨م

السمرقندي : أحمد بن عمر بن علي نظامي عروضي سمرقندي
چهار مقاله ـ ليدن ١٣٢٧ وطهـران ١٣١١ نقلـه الى
العربية الاستاذ عبدالوهاب عزام والاستاذ يحي الخشاب

عباس اقبال : الدكتور عباس اقبال ت : ١٣٣٤هـ
وزادت درعهد سلاطين بزرك سلجوق / طبـع طهران
١٣٣٨هـ

كرديزي : أبو سعيد عبدالحي بن الضحاك بن محمود الكرديزي
زين الاخبار ـ طبع برلين

الكرماني : افضل‌الدين أبو حامد أحمد بن خالد الكرماني
عقد العلى للموقف الأعلى / طبع طهران ١٣١١هـ

محمد ابراهيم : أبو حامد محمد ابراهيم ت ٥٩٩هـ
ذيل سلجوقنامة / طبع طهران ١٣٣٢هـ
تاريخ سلاجقة كرمان / طبع ليدن ١٨٨٦م

نظام‌الملك : ابو علي الحسن بن علي بن اسحاق الطوسي ت ٤٨٥هـ
سياسة نامة/طهران ١٣٣٤

نيشابوري : ظهيرالدين النيشابوري ت ٥٨٢هـ
سلجوقنامة

هندوشاه : هندوشاه بن‌سنجر بن عبدالله صاحبي نخجواني ت٧٢٤هـ
تجارب السلف ، طبع طهران ١٣١٣هـ

اليزدي : محمد بن محمد بن محمد بن عبدالله النظام الحسيني اليزدي ت ٧٤٣هـ
العراضة في الحكاية السلجوقية / طبع ليدن ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م

المراجـع الاجنبيـة

Barker, E. : The Crusades. London, 1925
Bell, G.L : Amurath to Amurath. London, 1911.
B. Lewis : Origins of Ismailism. Cambridge, 1940.
Bowne, H. : The Life and Time of Ali Ibn Isa. Cambridge. 1928.

Browne, E.G. : Account of a rare Manuscript History of Seljugs. (London 1906).

Curtin, J. : The Mongol's History. (Boston 1908).
Encyclopeadia of Islam : Art, Masjid, Buwyhids, ALP-ARSLAN Seldjuks, Saffarid, Samanids, MALIK-SHAH, Tughril-Beg, NIZAM AL-MULK.

Gibbon, : The History of the decline and fall of the Roman Empire. (New York, 1927).

Howorth, H.H. : History of the Mongols. (Landon 1876).
Lambton : Landlord and peasant in Persia. (Oxford 1953).

Lane-Poole, Stanley: The Mohammadan Dynasties (London 1895).

Le Strange : Baghdad During the Abbassid Caliphate. (Oxord, 1900).

Loewe, H.M.J. : The Seljugs. (Cambridge Medieval History. Vol, IV (Cambridge, 1927).

Malcolm, J. : The History of Persia, (London, 1829).
Muir, Sir William: The Caliphate. (Edinburgh, 1924).
Ross, E.D. : The Empire of the Seljuk Turks. (The Universsal History of the World) Vol, 5.

Sanaullah, M.F. : The Decline of the Saljuqid Empire. (Calcutta, 1938).

Sykes, Sir Percy : A History of Persia, (Lonon. -930).

المقالات والبحوث في المجلات العلمية والادبية

أحمد عارف الزين : بغداد / (العرفان) ٢٤/١٩٣٣ - ١٩٣٤

أنستاس الكرملي: مدارس الزوراء في عهد الخلفاء / (المشرق) جـ١٠ ١٩٠٧

بابو اسحق : المدرسة النظامية في بغداد / (النجم) ١٢/١٩٥٢

بشير فرنسيس وكوركيس عودا : بغداد / (سومر) ٨/١٩٥٢

حسين أمين : التعليم في المدرسة النظامية / (المعلم الجديد) جـ٥ ، ٦ ١٩٥٦ .

صور من حياة الطلاب في المدرسة النظامية (المعلم الجديد) جـ٢ ١٩٥٨

المدرسة النظامية ببغداد (مجلة الاستاذ) ١٩٦٢

الامام الغزالي (مجلة كلية الآداب) ٤/١٩٦١

نظام الحكم والادارة في العصر السلجوقي / مجلة سومر ١٩٦٤

رنسمان(ستيف): بغداد والقسطنطينية مركز الحضارة في العصور الوسطى (سومر) ١٢ سنة ١٩٥٦

الدكتور زكي حسن : مدرسة بغداد في التصوير الاسلامي (سومر) ١١/١٩٥٥

الدكتور سعد زغلول عبد الحميد : الترك والمجتمعات التركية (مجلة كلية الآداب) جـ١٠ ١٩٥٦

سعيد ديوه‌جي : الجامع المجاهدي في الموصل (سومر) ٦/١٩٥٠

الجامع النوري في الموصل (سومر) ٥/١٩٤٩

سعيد نفيسي : المدرسة النظامية في بغداد (مجلة المجمع العلمي العراقي) ١٩٥٤

عبدالحميدعبادة : آثار بغداد (المرشد) ٣ سنة ١٩٣٨

كوركيس عواد : ما طبع عن بلدان العراق باللغة العربية (سومر) ٩/١٩٥٣
خزائن كتب العراق العامة أيام العباسيين (سومر) ٢/٩٤٦

كوركيس عواد وعبدالحميد علوجي : جمهرة المراجع البغدادية : بغداد ١٩٦٢

محمد عبد الهادي شعيرة : تقسيمات اقليمية في العصر العباسي الاول
ظهور الشرق الادني في الاسلام
مجلة كلية الاداب/اسكندرية مجلد ٢ سنة ١٩٤٤
الممالك الحليفة أو ممالك ما وراء النهر والدولة الاسلامية الى أيام المعتصم
مجلة كلية الاداب/اسكندرية مجلد ٤ سنة ١٩٤٨

مصطفى جواد : مدرسو مدرسة ابي حنيفة (المعلم الجديد)
أول مدرسة في العراق (المعلم الجديد) ٦/١٩٤٠
الآثار الاسلامية القديمة ببغداد (المقتطف) ٨٤/١٩٣٤
القصر العباسي في القلعة ببغداد (سومر) ١/١٩٤٥
المدرسة النظامية ـ القسم العلمي ـ (سومر) ٩/١٩٥٣
الربط (سومر) ٩٠/١٩٥٤
عمارات القرن السادس الفخمة (سومر) جـ١ سنة ١٩٤٦

منير رجيحة : المدارس في بغداد (المقتطف) ٥/١٨٨٠

فهارس الكتاب

فهرست الاعلام

(خ)

(د)

(غ)

(ف)

فهرست الاماكن والبقاع

فهرست الاقوام والقبائل واصحاب النحل والمذاهب

* * *

فهرست عمــرانى

★ ★ ★

ثبت المواضيـــع :

الملاحـــق

* * *

فهرس المرسومات

شكر وتقدير

أود ان اعبر عن جزيل شكري وعظيم تقديري الى الاساتذة الافاضل الذين رعوا هذا المؤلف المتواضع بتوجيهاتهم وملاحظاتهم ، تلك التوجيهات السديدة ، والملاحظات القيمة ، والتي تركت أثرا مخلصا لا ينسى في اخراج هذا الكتاب الى عالم النور والواقع وأخص منهم الاساتذة ، الدكتور أحمد فكري ، والدكتور محمد عبدالهادى شعيرة ، والدكتور جمال الدين الشيال ، كما وان فضل مديرية الاثار العامة في بغداد على الكتاب والمؤلف فضل كريم يستحق التقدير والثناء الطيبين وذلك بتزويدي بالصور الاثرية التي زينت الكتاب ، وما علي في هذا المجال الا ان اتقدم بالشكر للاخوان الاماجد : الدكتور فيصل الوائلي مدير الاثار العام ، والاستاذ السيد صادق الحسني ، مدير شعبة النشر والتصوير ، والدكتور كاظم الجنابي ، الملحق الفني في مديرية الاثار العامة والسيد عبدالحسين طاهر والمصور الفنان السيد جعفر الحسيني في قسم النشر والتصوير ولابد لي من ذكر معاونة الاستاذ الجليل السيد جعفر الخليلي، الذى تفضل مشكورا بترجمة بعض النصوص من مراجعها الفارسية الاصيلة ... فلهؤلاء جميعا كل حبي وتقديري لما لاقيته من عون وتشجيع .. جزاهم الله خيرا وابقاهم مقصدا للشهامة والاباء ؟

حسين أمين

تصويب الخطـأ

الخطـــأ	الصواب	رقم الصفحة	السطر
النفسية	النفيسة	١٣	٢٥
عين النمر	عين التمر	١٥	٢١
زيدة	زبدة	٥٦	٢١
Jvanov	Ivanov	٦٣	٢٠
زيدة	زبدة	٨٠	٢١
Selyugid	Seljugid	٩٥	١٨
Vol ii	Vol II	١١٦	هامش رقم (١)
History	History of	١١٧	هامش رقم (٢)
الخصيرة	الخطيرة	١١٨	١
محمد بن زنكى	محمود بن زنكى	١٥٩	٥
ابن الدياب	ابن الدباب	٢٤٠	٨
نرك	ترك	٢٦٧	١